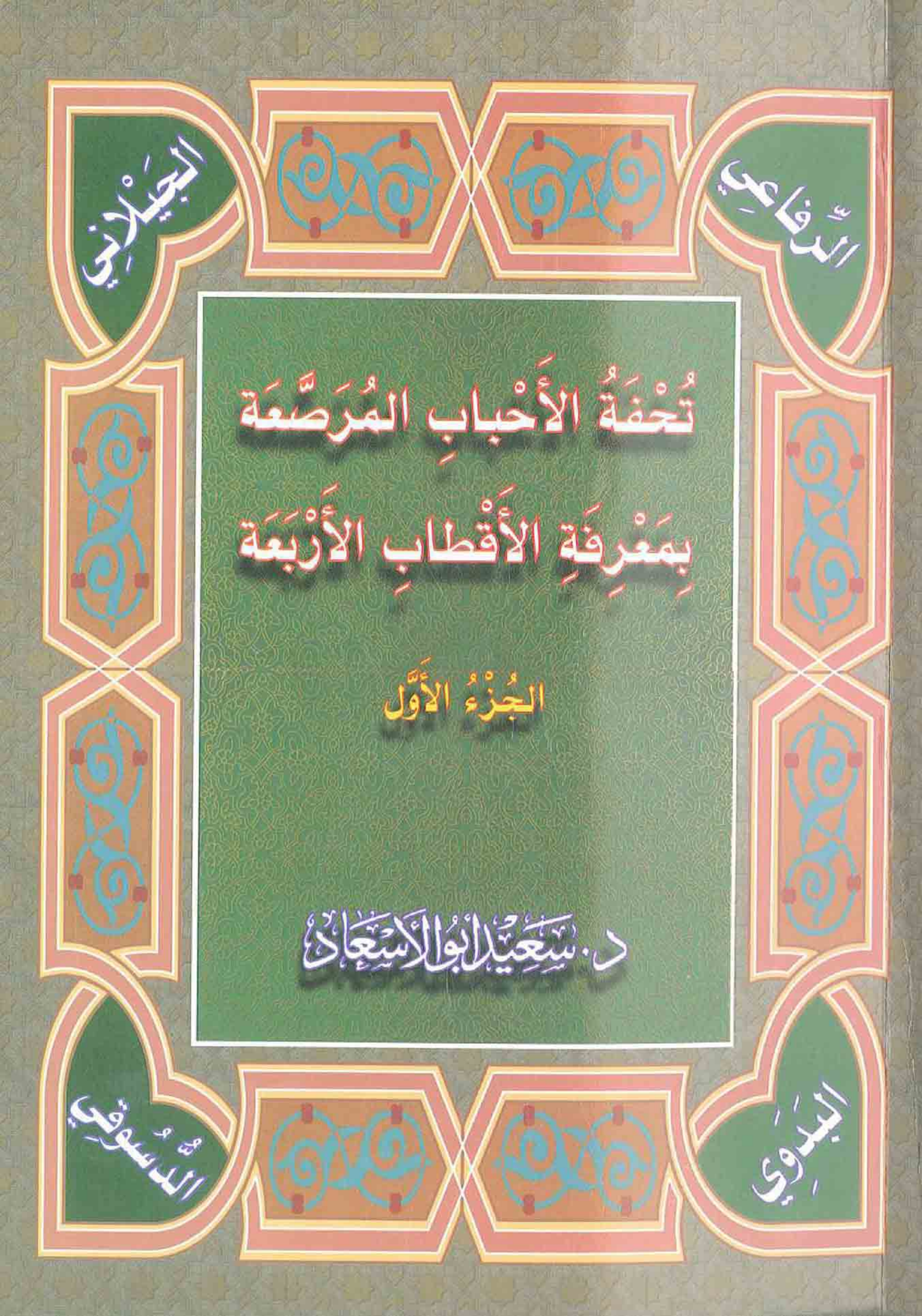


الجيلاني
الرفاعي
تُحْفَةُ الأَحْبابِ المُرَصَّعَة
بِمَعْرِفَةِ الأَقْطابِ الأَرْبَعَة
الجُزْءُ الأَوَّل
د. سعيد أبو الأسعاد
الدسوقي
البدوي

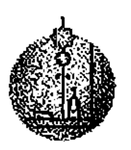
لِي فِي سَماءِ الْحِمَىٰ الشَّرْقِيِّ أَقْمارُ

لَهُمْ بِدائِرَةِ الْأَكْوانِ أَنْوارُ

سِرُّ النُّبُوَّةِ فِي أَبْراجِ طالِعِهِمْ

عَلَيْهِ مِنْ سانِحاتِ الْقُدْسِ أَسْتارُ

❁❁❁❁❁



بطاقة فهرسة أثناء النشر
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

أبو الأسعاد / سعيد
تحفة الأحباب المرصعة بمعرفة الأقطاب الأربعة / سعيد أبو الأسعاد . - ط ١ .
الجيزة : شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٥ .
مج ١ ، ٢٠ سم
تدمك : ٧ ٣٦ ٥٨٤٢ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - المتصوفون المصريون
٢ - التصوف الإسلامي
أ- العنوان ٩٢٢,٦٩٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾

آمين





حُبِّي بِهِمْ مِنْ غَيْرِهِمْ بَدَلاً فَهُمْ

رُوحِي ورَيْحانِي وبُرْءُ سِقامِي

إنِّي خَتَمْتُ عَلَى الضَّمِيرِ بِحُبِّهِمْ

فَغَدا هَواهُمْ فِيهِ زَهْرَ كِمامِي

إنْ لاحَ لِي مِنْ أُفْقِ مَغْناهُمْ سَنًى

فَعَلَى الْوُجُودِ تَحِيَّتِي وسَلامِي

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ التُّحْفَة

الحَمْدُ للهِ الَّذِي نَوَّرَ عُيُونَ المُحِبِّينَ وقُلُوبَهُم بنُورِ ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ ، فَرَأَوْا خُصُوصِيَّةَ أَوْلِيائِهِ إيقاناً ، وأَدْخَلَهُمْ فِي مَعِيَّةِ المُقَرَّبِينَ بِمَوَدَّتِهِمْ ومُوالاتِهِمْ بَعْدَ أَنْ خَلَّصَهُمْ مِنْ صُحْبَةِ الجاحِدِينَ المُنْكِرِينَ ، فامْتَثَلُوا أَمْرَهُ تعالَى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ ، فَأَصْبَحُوا بِهِ مُتَحَقِّقِينَ سُلُوكاً ومِنْهاجاً .

والحَمْدُ للهِ الَّذِي أَفاضَ عَلَى أَوْلِيائِهِ وأَحِبَّائِهِ وأَصْفِيائِهِ مِنَ النُّورِ المُحَمَّدِيِّ أَنْواراً ، وأَوْلاهُمْ مِنْ مَكْنُونِ سِرِّهِ وجَوْهَرِ عِلْمِهِ ودُرِّهِ مَعارِفَ وأَسْراراً ، وحَلَّاهُمْ بِحِلْيَةِ سَنائِهِ وحُلَلِ جَمالِهِ وبَهائِهِ وأَطْلَعَهُمْ فِي سَماءِ التَّوْحِيدِ أَقْماراً ، فاسْتَضاءَتْ بِأَنْوارِهِمُ الخَلِيقَةُ وسَلَكُوا بِهِمْ بِصَحِيحِ الدِّينِ الطَّرِيقَةَ فَتَبَوَّؤُوا مِنْهُ وَطَناً وقَراراً ، فَلَوْلاهُمْ ما سَلَكَ إِنْسانٌ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ فِجاجَها ، ولا قَوَّمَ مِنْ ضِلْعِ النُّفُوسِ اعْوِجاجَها ، ولا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى اسْتِبْصاراً ، فَسُبْحانَ مَنْ خَصَّهُمْ بِالحِكْمَةِ والنُّورِ وشَرَحَ بِهِمُ القُلُوبَ والصُّدُورَ وجَعَلَهُمْ لِلدِّينِ أَعْواناً وأَنْصاراً ، والصَّلاةُ

والسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنا ومَوْلانا مُحَمَّدٍ الَّذي مِنْ فَيْضِ بَحْرِهِ يَغْتَرِفُونَ ومِنْ رَوْضِ مَواهِبِهِ يَقْتَطِفُونَ ويَجْتَنُونَ ثِماراً وأَزْهاراً ، ومِنْ نُورِهِ يَسْتَمِدُّونَ ويُمِدُّونَ وعَنْهُ يَرِثُونَ ويُوَرِّثُونَ وعَلَيْهِ ﷺ يَدُورُ كُلُّهُمْ مِراراً فَيَنْهَلُونَ رَشْفاً وأَنْهاراً ؛ فَما مِنْ نِعْمَةٍ واصِلَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ مُتَراسِلَةٍ إِلَّا عَلَى يَدَيْهِ أُرْسِلَتْ مِدْراراً ، فَهُوَ ﷺ بابُ اللهِ العَظِيمُ وصِراطُهُ المُسْتَقِيمُ وغَيْثُهُ النَّافِعُ إِكْثاراً ، فَلَوْلا طَلْعَتُهُ ﷺ الكَرِيمَةُ وإِمْداداتُهُ العَمِيمَةُ الفاتِحَةُ قُلُوباً وأَبْصاراً ، ما اسْتُطْعِمَ لَذِيذُ الوَصْلِ ونَعِيمُهُ ، ولا عُرِفَ كَأْسُ الحُبِّ ونَدِيمُهُ ولا اسْتَنْشَقَ صَبٌّ مِنْ أَرِيجِهِ أَسْراراً ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ وعَلَى آلِهِ المُكَمَّلِ شَرَفُهُمْ بِشَرَفِهِ وكَمالِهِ السَّامِينَ مَجْداً وفَخاراً ، وعَلَى صَحابَتِهِ الأَبْرارِ المُنْتَخَبِينَ الأَخْيارِ مُهاجِرِينَ وأَنْصاراً ، وعَلَى تابِعِيهِ ومُحِبِّيهِ والمُصَلِّينَ عَلَيْهِ جَهْراً وإِسْراراً ، ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ مِنْ أَحْسَنِ ما يَصْرِفُ إِلَيْهِ الإِنْسانُ اهْتِمامَهُ ، ويَصْرِفُ فِيهِ لَيالِيَهُ وأَيَّامَهُ ، ويُعْمِلُ فِيهِ فِكْرَهُ وأَقْلامَهُ ، ويَجْعَلُ ذِكْرَهُ نَدِيمَهُ ومُدامَهُ ، ويَتَّخِذُهُ مِحْرابَ وَجْهِهِ وإِمامَهُ ، ويَقْتَنِي ذُخْرَهُ الأَسْنَى ، ويَجْتَلِي بِكْرَهُ الحُسْنَى ، ويَقْتَبِسُ مِنْ مِشْكاةِ نُورِهِ ، ويَسْتَضِيءُ بِشُمُوسِهِ وبُدُورِهِ ، ويَرْتَعُ فِي خَمائِلِهِ ورِياضِهِ ، ويَكْرَعُ مِنْ مَوارِدِهِ وحِياضِهِ ، ويَتَضَمَّخُ مِنْهُ

بأَزْكَى عَرْفٍ وطِيبٍ ، ويَتَذَكَّرُ بِهِ المَنْزِلَ والحَبِيبَ ؛ مَحاسِنَ أَهْلِ اللهِ الأَوْلياءِ ، وخاصَّتِهِ الأَصْفِياءِ ، حِزْبِ اللهِ وأَهْلِ حَضْرَتِهِ ، الفائِزِينَ بِشُهُودِهِ ونَظْرَتِهِ ، المَجْذُوبِينَ إِلَيْهِ ، والمَحْبُوبِينَ لَدَيْهِ ، الواقِفِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، والعاكِفِينَ عَلَيْهِ ، السَّاجِدَةِ لِلّهِ عَلَى الدَّوامِ قُلُوبُهُمْ ، والحافِظَةِ لِعَهْدِهِ سَرْمَداً شَهادَتُهُمْ وغُيُوبُهُمْ ، مَظاهِرِ آياتِ المُصْطَفى ﷺ ونُوَّابِهِ الخُلَفا ، الوارِدِينَ مِنْ مَنْهَلِهِ الأَرْوَى ، والشَّارِبِينَ مِنْهُ الرَّحِيقَ الأَصْفَى ، المُتَخَلِّقِينَ بِشِيَمِهِ وخِلالِهِ ، والمُتَّبِعِينَ لأَقْوالِهِ وأَفْعالِهِ ، فَإِلَى سَماعِ ذِكْرِهِمْ تَرْتاحُ القُلُوبُ ، وتَشْتاقُ بِهِ إِلَى عَلَّامِ الغُيُوبِ ، وتَنْشَطُ بِذَلِكَ مِنْ عِقالِها لِفِعْلِ الطَّاعاتِ وأَدائِها ، فَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبابِ حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَثارَ مِنْهُمُ العَزْمَ والقُوَّةَ والجِدَّ والتَّشْمِيرَ ، وبَلَغُوا إِلَى أَنْ حاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى النَّقِيرِ والقِطْمِيرِ ، ولَمْ يَرْضَوْا مِنْها إِلَّا بِاللُّحُوقِ بِمَعالِي الأُمُورِ ، والمُسارَعَةِ إِلَى ما تُحْمَدُ عاقِبَتُهُ بِدارِ السُّرُورِ ، ونَزَّهُوا جَوارِحَهُمْ عَنْ دَنَسِ المُخالَفاتِ وارْتِكابِ السَّيِّئاتِ ، وقامُوا بِوَظائِفِ الدِّينِ مِنْ فِعْلِ المَأْمُوراتِ واجْتِنابِ المَنْهِيَّاتِ ، وجادُوا فِي رِضا مَحْبُوبِهِمْ بِالأَرْواحِ والنُّفُوسِ ، وتَلَقَّوْا ما جاءَ عَنْهُ عَلَى الأَكُفِّ والرُّؤُوسِ ؛ فَصارَتْ أَخْبارُهُمْ وشَمائِلُهُمْ تُتْلَى وتُكْتَبُ فِي الطُّرُوسِ ؛

فَقَدْ بَلَغَنا عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قالَ : (واللهِ لأُزاحِمَنَّ سادَتِي الأَحْبابَ أَصْحابَ الحَبِيبِ الأَعْظَمِ ﷺ فِي أَفْعالِهِمْ حَتَّى يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ خَلَّفُوا وَراءَهُمْ رِجالاً) أَوْ كَما قالَ رضي الله عنه ، فانْظُرْ رَحِمَكَ اللهُ إِلَى هَذِهِ الهِمَّةِ العَلِيَّةِ كَيْفَ لَمْ تَرْضَ إِلَّا بِالرُّتَبِ السَّنِيَّةِ ، وما ذاكَ إِلَّا حِينَ سَمِعَتْ بِفِعْلِ الأَوائِلِ اشْتاقَتْ وصَحِبَها التَّنافُسُ فَجَدَّتْ فِي طَلَبِ ذَلِكَ ، قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ .

اللهُمَّ ارْزُقْنا هِمَّةً عالِيَةً تُبَلِّغُنا بِها إِلَى كُلِّ أَمْرٍ مَحْمُود ، ونِيَّةً صادِقَةً تَحْجِزُنا بِها عَنْ كُلِّ ما يُوجِبُ الصُّدُود .

وإِنَّ مِنْ أَجَلِّ مَناقِبِ الصَّفْوَةِ أَوْلِياءِ اللهِ تَعالَى ، ومِنْ أَعْظَمِ مَفاخِرِهِمْ ومَآثِرِهِمْ : اصْطِفاءَهُمْ مِنْ أَشْرَفِ العَناصِرِ الإِنْسانِيَّةِ وأَكْرَمِ البُطُونِ والظُّهُورِ الآدَمِيَّةِ لِيَكُونُوا فُرُوعاً مِنْ شَجَرَةِ الأَصْلِ النُّورانِيَّةِ ؛ فَتَسْرِي فِي عُرُوقِهِمْ نُورانِيَّةُ الأَصْلِ العِرْقِي كَما سُقِيَتْ أَرْواحُهُمْ بِأَنْوارِ الرُّوحِ المُحَمَّدِيِّ ، فَيَتَأَلَّقُ الضِّياءُ فِي ذَواتِهِمْ ، ويَكْتَمِلُ العَطاءُ فِي شَخْصِيَّاتِهِمْ لِيَكُونُوا فِي الخَلْقِ قادَةً وسادَة ، هُداةً لِلْحُسْنَى وزِيادَة ، مُتَحَقِّقِينَ بِكَمالِ الإِرْثِ المُحَمَّدِيِّ مَبْنًى ومَعْنًى ، ومادَّةً ورُوحاً ، أُولَئِكَ هُمْ مَنْ صَنَعَهُمُ الحَقُّ عَلَى عَيْنِهِ واصْطَنَعَهُمْ لِنَفْسِهِ ؛ ومِنْ أَشْهَرِ هَؤُلاءِ الوَرَثَةِ

الأَعاظِم والأَشْرافِ الأَكارِمِ فُرُوعِ الشَّجَرَةِ النَّبَوِيَّةِ القُرَشِيَّةِ العَلَوِيَّةِ : سادَتِي الأَقْطابُ الأَرْبَعَةُ (أَحْمَدُ الرِّفاعِي ، وعَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي ، وأَحْمَدُ البَدَوِي ، وإبْراهِيمُ الدُّسُوقِي) الَّذِينَ كَتَبَ اللهُ لَهُمْ بَيْنَ الخَلْقِ القَبُول ، وجَعَلَهُمْ هُداةً لِمَرْضاةِ الحَقِّ والرَّسُول ؛ فَمَنِ اقْتَدَى بِهِمْ فُتِحَ لَهُ الباب ، ودَخَلَ فِي زُمْرَةِ أُولِي الأَلْباب ، وعَلَى تَبْصِرَةِ الأَحْبابِ بِمَعْرِفَتِهِمْ يَكُونُ مَدارُ هَذا الكِتاب .

نَسَبٌ عَلَيْهِ مِنَ النُّبُوَّةِ رَوْنَقٌ
ومَهابَةٌ وجَلالَةٌ وظُهُورُ

نَسَبٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ بَعْضُ عُقُودِهِ
وعَلَى حَواشِيهِ النُّجُومُ سُطُورُ

وإِنَّهُ مِمَّا اتَّفَقَ واجْتَمَعَ عَلَيْهِ السَّوادُ الأَعْظَمُ مِنْ أُمَّةِ الإجابَةِ المُحَمَّدِيَّة (وحاشاها أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلالَةٍ بِالكُلِّيَّة ؛ فَلا عِبْرَةَ لِمَنْ شَذَّ وضَلَّ عَنْها ، كَما نَصَّتْ عَلَى ذَلِكَ القاعِدَةُ النَّبَوِيَّة) : أَنَّ الخِلافَةَ الرَّاشِدَةَ أَعيانُها أَرْبَعَةٌ وهُمْ خُلَفاءُ سَيِّدِ البَرِيَّة ﷺ ؛ وهُمْ ساداتُنا : (أَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمانُ وعَلِيٌّ ﷺ) ، وأَنَّ أَئِمَّةَ المَذاهِبِ الفِقْهِيَّةِ أَرْبَعَةٌ ويَقْتَدِي بِهِمْ أَهْلُ السُّنَّةِ والجَماعَةِ المَرْضِيَّة ؛ وهُمْ ساداتُنا (أَبُو حَنِيفَةَ

النُّعْمان ، ومالِكٌ ، والشَّافِعِيُّ ، وأَحْمَدُ) ، وأَنَّ أَقْطابَ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ والمُعَبَّرُ عَنْها بِمَقامِ الإِحْسانِ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِ البَشَرِيَّةِ ﷺ هُمْ كَذلِكَ أَرْبَعَةٌ ؛ وهُمُ السَّادَةُ : (أَحْمَدُ الرِّفاعِي ، وعَبْدُ القادِرِ الجِيْلانِي ، وأَحْمَدُ البَدَوِي ، وإِبْراهِيمُ الدُّسُوقِي) ؛ وهُمْ ومَشايِخُ الصُّوفِيَّةِ كافَّةً مُسْتَرْشِدُونَ ومُرْشِدُونَ بِإِسْلامِ الأُمَّةِ الوَسَطِيَّةِ ، سَلَكَنا المَوْلَى فِي جَمْعِهِمْ لِنَحْظَى بِالسَّعادَةِ الأَزَلِيَّةِ الأَبَدِيَّةِ .

وسَنَدُ الصُّوفِيَّةِ مِنْ حَيْثُ الطَّرِيقَةُ مَوْصُولٌ بِحَضْرَتِهِ ﷺ عَنْ طَرِيقَيْنِ :

الأَوَّلُ : عَنْ سَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه وتَرْجِعُ إِلَيْهِ الطَّرِيقَةُ النَّقْشَبَنْدِيَّةُ فَقَطْ ، وأَخَذَتْ عَنْهُ التَّلْقِينَ بِلَفْظِ الجَلالَةِ : ﴿ٱللَّهُ﴾ .

الثَّانِي : عَنْ سَيِّدِنا عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، وتَرْجِعُ إِلَيْهِ باقِي الطُّرُقِ كُلِّها (كالرِّفاعِيَّةِ ، والقادِرِيَّةِ ، والبَدَوِيَّةِ ، والدُّسُوقِيَّةِ ، والشَّاذُلِيَّةِ ، والسَّهْرَوَرْدِيَّةِ ، والخَلْوَتِيَّةِ ، والتِّجانِيَّةِ ، والإِدْرِيسِيَّةِ) ، وما تَوَسَّعَ عَنْها مِنَ الطُّرُقِ الفَرْعِيَّةِ ، وأَخَذَتْ هَذِهِ الطُّرُقُ عَنْهُ التَّلْقِينَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيد : ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ .

وحَسْبُ كُلِّ قُطْبٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ كانَ وَلِيًّا مُرْشِداً كامِلاً ، ولِتَرْبِيَةِ النُّفُوسِ وتَزْكِيَتِها بِالحُسْنَى واصِلاً ، ولِلْعِلْمِ والصَّلاحِ والسُّلُوكِ بِالقالِ والحالِ

ناشِراً ، ولِرايَةِ الزِّيادَةِ مِنْ بَعْدِهِ مُسَلِّماً جيلاً مُتَعاقِباً بِهِ مُتَواصِلاً ، وما زالَ فِي بَرْزَخِهِ المُحيطِ بِإِذْنٍ مِنْ مَوْلاهُ مُتَصَرِّفاً ومُتابِعاً مُلازِماً : اخْتارَهُمْ مَوْلاهُمْ لِجَنابِهِ المُقَدَّسِ أَحْباباً ، ولِنَبِيِّهِ ﷺ نُوَّاباً ، ولإِعْلاءِ مَجْدَيِ الشَّرِيعَةِ والطَّرِيقَةِ أَرْكاناً ، ولِلْمَحْبُوبِينَ فِي كُلِّ زَمَنٍ ذِكْراً ووُدًّا وأُنْساً ، وهُمُ المُزارَةُ رَوْضاتُهُمْ ومَقاماتُهُمْ ما دامَ فِي الأَحْياءِ نَفَساً : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ .

فَهَذِهِ أَيُّها المُحِبُّ فائِدَةُ وُجُودِ الأَوْلِياءِ وظُهُورِهِمْ ، وسَماعِ أَخْبارِهِمْ ، فالعِظاتُ تُغْتَنَمُ والرَّحَماتُ تَتَنَزَّلُ بِذِكْرِهِم : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ ، وبِالجُمْلَةِ فَنِعَمُ اللهِ عَلَيْنا لا تُحْصَى ، وما غابَ عَنَّا أَكْثَرُ ، فَلَهُ الحَمْدُ حَتَّى يَرْضَى ، فَإِنَّا لَوْ تَتَبَّعْنا ما لِلْقَوْمِ رضي الله عنهم مِنَ الأَقْوالِ والأَفْعالِ والأَحْوالِ ، وما مُنِحُوا بِهِ مِنْ مَحاسِنِ الخِلالِ ، لَكانَ لا يَسَعُنا الوَقْتُ لِضِيقِ الزَّمانِ ، فَلْنَطْوِ العَنانَ ، ولْنَكْتَفِ بِذِكْرِ الأَقْطابِ الأَرْبَعَةِ الأَرْكانِ (الرِّفاعِيِّ والجِيلانِيِّ والبَدَوِيِّ والدُّسُوقِيِّ أَبِي العَيْنَيْنِ) وهُمْ جِبالُ السُّنَّةِ والدِّين ، وأَعْلامُ المُتَّقِينَ والمُهْتَدِين ، ورُوَّادُ المُرْشِدِينَ والمُسَلِّكِينَ عَلَى هُدًى وبَصِيرَةٍ ويَقِين ، والَّذِينَ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمُ السَّوادُ الأَعْظَمُ مِنَ الأُمَّةِ بِحُسْنِ الاعْتِقادِ والقَبُولِ والاسْتِحْسان ، فَهُمْ رضي الله عنهم رُمُوزٌ

لأَئِمَّةِ العِرْفان ، وكُنُوزُ طاقَةٍ لِصالِحي بَنِي الإنْسان ، ومَظاهِرُ لفُيُوضاتِ الرَّحْمٰن ، أَدامَ اللّٰهُ فَضْلَهُمْ ، وأَعْلَى ذِكْرَهُمْ ، وأَباحَهُمْ يَغْتَرِفُونَ مِنْ بَحْرِ المَواهِبِ والامْتِنان ، ويَقْتَطِفُونَ أَزْهارَ اللَّطائِفِ والمَعارِفِ مِنْ مَعْدِنِ الجُودِ والإحْسان ، وكَيْفَ لا ؟ وهُمُ الْقَوْمُ الَّذينَ اصْطَفاهُمُ الْحَقُّ لِخِدْمَتِهِ ، وجَعَلَهُمْ أَهْلاً لِمُناجاتِهِ وحَضْرَتِهِ ، وأَشْهَدَهُمْ أَنْوارَ جَمالِهِ وإحْسانِهِ ، وأَجْلَسَهُمْ عَلَى بِساطِ كَمالِهِ وامْتِنانِهِ ، وهُمُ القَوْمُ الَّذينَ شَرِبُوا مِنْ مَحَبَّتِهِ فَطابُوا ، وتَحَيَّرَتْ قُلُوبُهُمْ فِي عَظَمَتِهِ فَغابُوا ؛ فَنالُوا مِنْ مَوْلاهُمْ ما طَلَبُوا ، وساعَدَهُمُ الوَقْتُ فِيما رَغِبُوا ، فَهُمُ السَّاداتُ والأُمَرا ، والسَّلاطِينُ فِي زِيِّ الفُقَرا ، الَّذينَ صَلَحُوا أَنْ يَكُونُوا قادَةً لِخَلِيقَتِهِ ، مُمْتَثِلِينَ قائِمِينَ بِخِدْمَتِهِ عَلَى وَفْقِ حِكْمَتِهِ ومَشِيئَتِهِ ، فَلا تَصْفُو الحَياةُ إلَّا بِهِمْ ، ولا تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ إلَّا بِذِكْرِهِمْ ؛ فَفِي ذِكْرِهِمْ ذِكْرُ عَظَمَةِ رَبِّهِمْ ؛ فَهُمْ شَعائِرُ اللّٰهِ وصِلَتُهُ المُتَحَقِّقَةُ بِوَصْلِهِمْ .

وحِينَ هاجَتِ القَرِيحَةُ بِحُبِّهِمْ ، صاحَتْ ونادَتْ فِي حَيِّهِمْ عَلَى جِهَةِ الافْتِخارِ بِقُرْبِهِمْ ، فَقالَتْ :

فَوَاللّٰهِ ما طابَ الزَّمانُ سِوَى بِهِمْ

فَلَوْلاهُمُ ما كُنْتُ أَرْضَى بِعِيشَتِي

فَما الْعَيْشُ إِلَّا بَيْنَهُمْ تَحْتَ ظِلِّهِمْ

وهُمْ راحَتِي أُنْسِي وسُؤْلِي وبُغْيَتِي

لَقَدْ سَكَنُوا قَلْبِي وما لِيَ غَيْرُهُمْ

عَلَيْهِمْ مِنَ الرَّحْمٰنِ أَزْكَى تَحِيَّةِ

ولِلّٰهِ دَرُّ حَكِيمِ القَوْمِ ابنِ عَطاءِ اللّٰهِ فِي قَوْلِهِ :

(سُبْحانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الدَّلِيلَ عَلَى أَوْلِيائِهِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ ، ولَمْ يُوَصِّلْ إِلَيْهِمْ إِلَّا مَنْ أَرادَ أَنْ يُوَصِّلَهُمْ إِلَيْهِ) .

فَلْتَهْنَأْ أَيُّها العاشِقُ لِجَمالِهِمْ ، والمُحِبُّ لِطَرِيقِهِمْ وكَمالِهِمْ ، وقَرَّ عَيْناً بِهِمْ وتَعَلَّقْ بِأَذْيالِهِمْ ، ولا تَلْتَفِتْ إِلَى شَيْءٍ يَصُدُّكَ عَنْ جَنابِهِمْ ، ولْتَغْتَبِطْ بِما أَرْسُمُهُ لَكَ فِي هَذا المَكْتُوبِ الكَرِيمِ مِنْ شَمائِلِهِمْ وخَصائِصِهِمْ .

تَشاغَلَ بِالْمَوْلَى رِجالٌ فَأَصْبَحَتْ

مَنازِلُهُمْ تَنْمُو بِمَجْدٍ مُؤَثَّلِ

رِجالٌ لَهُمْ حالٌ مَعَ اللّٰهِ صادِقٌ

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ بِهِمْ فَتَوَسَّلِ

وقُلْ بِمِلْءِ فِيكَ مُعَبِّراً عَنْ عَظِيمِ ما أَوْدَعَهُ اللّٰهُ فِيكَ :

كَفانِي إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ أَنَّنِي مَعَهُمْ لِقَوْلِهِ ﷺ : (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) .

وإِنِّي لَمَّا مَنَّ اللهُ عَلَيَّ بِسُلُوكِ طَرِيقِ القَوْمِ ومَعْرِفَتِهِمْ ، والحِسْبَةِ عَلَى زُمْرَتِهِمْ وجَمْعِهِمْ ، ورَأَيْتُ مِنْ شِيَمِهِمْ ومَحاسِنِهِمْ وفَضائِلِهِمْ ، وسَمِعْتُ مِنْ كَلامِهِمْ ومَعارِفِهِمْ وإِشاراتِهِمْ ولَطائِفِهِمْ ما عَزَّ وُجُودُهُ وقَلَّ وُرُودُهُ وعُدِمَ مِثْلُهُ وفُقِدَ شَكْلُهُ ، مِمَّا هُوَ جَدِيرٌ أَنْ يُفادَ ويُسْتَفادَ ، ويُقْصَدَ إِلَيْهِ ويُرادَ ، وتُسَطِّرُهُ فِي الطُّرُوسِ الأَقْلامُ ، وتُدَوِّنُهُ فِي الدَّواوِينِ الأَعْلامُ ؛ حَدانِي ذَلِكَ مَعَ ما طَلَبَهُ مِنِّي بَعْضُ أَهْلِ الفَضْلِ والعِرْفانِ ، والأَحِبَّاءِ الأَعْيانِ ، أَنْ أَتَعَرَّضَ لِما تَيَسَّرَ لَدَيَّ وساقَهُ اللهُ إِلَيَّ مِنَ التَّعْرِيفِ بِهِمْ وبِطَرِيقِهِمْ ، وعِرْفانِهِمْ وتَحْقِيقِهِمْ ، ونَشْأَتِهِمْ وسِيرَتِهِمْ ، وخُلُقِهِمْ وشِيَمِهِمْ ، وكَلامِهِمْ وإِشاراتِهِمْ ومُكاشَفاتِهِمْ وكَراماتِهِمْ ، وغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَآثِرِهِمْ وأَوْرادِهِمْ (فَمَدَدُ المُرِيدِ فِي وِرْدِهِ ومَنْ لا وِرْدَ لَهُ لا وارِدَ لَهُ) ، فَجَمَعْتُ فِي هَذا التَّأْلِيفِ ما اسْتَحْضَرْتُهُ مِنْ ذَلِكَ ، مِمَّا هُوَ بَعْضُ ما هُنالِكَ ، إِسْعافاً لِمَنْ طَلَبَ ، وإِتْحافاً لِمَنْ رَغِبَ ، وإِعانَةً لِذَوِي الاعْتِبارِ ، وإِبانَةً لِذَوِي الاسْتِبْصارِ ، وإِفادَةً لأَهْلِ المَحَبَّةِ والوِدادِ ، وهِدايَةً لِذَوِي الانْتِسابِ والاسْتِنادِ ؛ إِذِ التَّعَلُّقُ بِأَهْلِ اللهِ واللِّياذُ بِجَنابِهِمْ والانْحِياشُ إِلَيْهِمْ والوُقُوفُ بِأَبْوابِهِمْ تَعَلُّقٌ

بِجَنابِ اللهِ الكَرِيمِ ، ووُقُوفٌ ببابِهِ العَظِيمِ ، وتَعَرُّضٌ لِرَحْمَتِهِ العَمِيمَةِ ومِنَّتِهِ الجَسِيمَةِ .

وما أَحْوَجَنا فِي ظِلِّ هَذِهِ الغَفْلَةِ ، وفِي غَمْرَةِ هَذِهِ الحَياةِ المادِّيَّةِ وشَواغِلِها الدُّنْيَوِيَّةِ الدَّنِيَّةِ ، والقُلُوبُ والأَفْئِدَةُ تَتَطَلَّعُ إِلَى مَنْ يَفُكُّ أَسْرَها ، ومَنْ يُنَوِّرُ بَصَرَها وبَصِيرَتَها ، ويَرْقَى بِها أَعْلَى دَرَجاتِ الحُبِّ والقُرْبِ ، ويَسْبَحُ بِها فِي مَلَكُوتِ اللهِ ، ومَهْما بَحَثْنا وفَتَّشْنا فَلَنْ نَجِدَ خَيْراً لَنا مِمَّنْ يَجْمَعُنا عَلَى ذِكْرِ اللهِ جَلَّ فِي عُلاه ، وعَلَى الصَّلاةِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وعَلَى الإِخاءِ والإِيثارِ فِي اللهِ وباللهِ وللهِ ؛ فَهُمْ سُفُنُ النَّجاةِ والعُرْوَةُ الوُثْقَى الَّتِي لا انْفِصامَ لَها فِي خِضَمِّ هَذِهِ الحَياةِ الفانِيَةِ الزَّائِلَةِ ، مِصْداقاً لِقَوْلِ رَبِّنا : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾ .

إِلَى السَّيِّدِ الْقُطْبِ الرِّفاعِي إِمامِنا
وشَيْخِ الْحِمَى الْجِيلِيِّ مَنْ قامَ بِالرُّشْدِ
وحامِي حِمَى أَقْصَىٰ الْعَرِيشِ بِطَنْتِدا
هُوَ السَّيِّدُ الْبَدَوِيُّ شَيْخُ أُولِي الْمَجْدِ
وبَعْدَهُمُ الْمَوْلَى الدُّسُوقِي حِمَىٰ الْوَرَى
ومَصْدَرُ فَيْضِ اللهِ مِنْ جانِبِ الْفَرْدِ

وفِي سَيْرِنا السَّاعِي يُغَنِّي بِشَيْخِهِ

وَيَطْلُبُهُ لِلرُّشْدِ دَهْراً ولِلْمَدِّ

كَفَىٰ شَرَفاً أَنِّي إِلَى الْغَوْثِ يَنْتَمِي

طَرِيقِي كَفَىٰ عِزًّا كَفَىٰ هَيْبَةً عِنْدِي

وفِي حَدِيثِ الطَّبَرانِي : (إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحاتٍ ، أَلا فَتَعَرَّضُوا لَها لَعَلَّهُ أَنْ تُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْها فَلا تَشْقَوْنَ بَعْدَها أَبَداً) .

فَيا فَوْزَ الَّذِينَ نَهَضُوا إِلَيْها وتَعَرَّضُوا لَها ، فاسْتَمَدُّوا مِنْ تِلْكَ النَّفْحَةِ إمْداداً وإِسْعاداً ، وإِذا كانَ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ كَما فِي الأَثَرِ المَوْقُوفِ والخَبَرِ المَعْرُوفِ تَتَنَزَّلُ الرَّحَمات ، وتَهِبُّ عَواطِفُ النَّسَمات ، فَما بالُكَ بِنَشْرِ مَحاسِنِهِمْ ومَفاخِرِهِمْ وتَعْدادِ مَناقِبِهِمْ ومَآثِرِهِمْ ، وذِكْرِ سِيَرِهِمُ النَّبَوِيَّة ، وأَخْلاقِهِم المُصْطَفَوِيَّة ، الَّتِي هِيَ هُدًى ونُور ، وشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُور ، ودَواءٌ لِلقُلُوب ، وجَلاءٌ لِلكُرُوب ، وفَتْحٌ لِلبَصائِر ، ونَفْعٌ لِلسَّرائِر ، وهُدًى لِلسَّالِكِ والسَّائِر ، يُطْرِبُ السَّامِعَ حَدِيثُها ، ويَحِثُّ الأَشْواقَ إِلَى حَضْرَتِهِمْ حَثِيثُها ، وما مُلِئَتِ الدَّواوِينُ والدَّفاتِرُ ، ولا فاهَتِ الأَفْواهُ والمَحابِرُ بَعْدَ شَمائِلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وسِيَرِهِ وشِيَمِهِ الطَّاهِرَةِ ومَناقِبِ أَصْحابِهِ ﷺ ، بِأَفْضَلَ مِنْ مَكارِمِهِمْ ومَآثِرِهِمْ ؛

إِذْ هُمْ أَحْبابُهُ الَّذي نَوَّهَ بِالشَّوْقِ إِلَيْهِمْ ، ووُرَّاثُهُ الَّذينَ سَرَى سِرُّهُ ﷺ لَدَيْهِمْ .

وجَديرٌ لِمَنْ رَدَّدَ أَخْبارَهُمْ واسْتَمَعَ إِلَى آثارِهِمْ وأَكْثَرَ حَديثَهُمْ وأَحَبَّ جَمْعَهُمْ ونَهَجَ مَنْهَجَهُمْ أَن يَدْخُلَ مَعِيَّتَهُمْ ويَنالَ بِرَّهُمْ أَوْ يَعْلَقَ مِنْها بِفائِدَةٍ تَكُونُ مَنْفَعَتُها عَلَيْهِ عائِدَةً ، وفِي مَعْنَى ذَلِكَ قِيلَ :

حَدِّثِ السَّمْعَ بِالْمَحاسِنِ مِنْهُمْ
فَالْحَديثُ لَنا نَديمُ النُّفُوسِ

فَإِذا ما سُقِيتَ مِنْها بِكاسٍ
زالَ عَنْكَ مِنَ الْعَنا كُلُّ بُوسِ

ولَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قالَ :

فَكَرِّرْ عَلَيَّ حَديثَهُمْ يا حادِي
فَحَديثُهُمْ يَجْلُو الْفُؤادَ الصَّادِي

جَبَرَ اللَّهُ تَقْصِيرَنا بِمَحَبَّتِهِمْ ومَوَدَّتِهِمْ ، وأَفاءَ عَلَيْنا فِي الدَّارَيْنِ مِنْ بَرَكَتِهِمْ ، بِجاهِ مَنْبَعِ الحُبِّ ومَوْئِلِهِمْ ، والقائِلِ ﷺ : (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) ، والقائِلِ ﷺ : (مَنْ أَحَبَّ قَوْماً كانَ مِنْهُمْ) ، وما يُقالُ : (هُمُ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) .

اللهُمَّ كَما مَنَنْتَ عَلَيْنا أَوَّلاً بِمَعْرِفَتِهِمْ فَلا تَحْجُبْنا عَنْ مَحَبَّتِهِمْ ومَعِيَّتِهِمْ ، واحْمِلْنا عَلَى سُنَّتِهِمْ وطَرِيقَتِهِمْ ، ولا تَحُلْ بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ حَتَّى تُحِلَّنا مَحِلَّهُمْ وتُدْخِلَنا مُدْخَلَهُمْ يا رَبَّ العالَمِين ، وأَسْأَلُكَ اللهُمَّ أَنْ تَغْفِرَ لَنا ما طَغَى بِهِ القَلَمُ وزَلَّتْ بِهِ القَدَمُ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ اللّٰهُ ذُو الجُودِ والكَرَمِ ، وأَسْأَلُكَ أَنْ لا تَجْعَلَ ما نُسَطِّرُهُ حُجَّةً عَلَيْنا واجْعَلْهُ حُجَّةً لَنا يا رَبَّ العالَمِين ، ومُنَّ عَلَيْنا بِالكَمالِ ونَحْنُ مَحَلُّ النَّقْصِ والخَطَأِ قاصِرِينَ فِي السَّعْيِ عَنْ مَدِّ الخُطا ، لَكِنَّ الظَّنَّ بِالسَّاداتِ جَمِيلٌ ؛ إِذْ هُمْ مَحَلُّ الكَرَمِ الجَزِيلِ ، وحاشا لِمَنْ تَعَلَّقَ بِأَذْيالِهِمْ أَنْ يُهْمِلُوهُ ، أَوْ تَحَيَّزَ لِجَنابِهِمْ أَنْ يَتْرُكُوهُ ، فَإِنَّ قاصِدَ ساحَتِهِمْ لا يُرَدُّ وعَنْ بابِهِمْ لا يُصَدُّ ، ولِلّٰهِ دَرُّ قائِلِهِمْ :

هُمْ سادَتِي هُمْ راحَتِي هُمْ مُنْيَتِي
أَهْلُ الصَّفا حازُوا الْمَعالِي الفاخِرَهْ
حَاشَا لِمَنْ حَبَّهُمْ أَوْ زارَهُمْ
أَنْ يُهْمِلُوهُ سادَتِي فِي الآخِرَهْ

داوِمْ يا حَبِيبُ عَلَى زِيارَتِهِمْ لِتَدْخُلَ فِي جَمْعِهِمْ وتُجْمَعَ عَلَى مَنْ زارَهُمْ ، ولِسانُ حالِكَ يَلْهَجُ قائِلاً : زِيارَتُنا زِيارَةُ الأَشْباحِ والأَرْواحِ

وليَسَتْ زيارَةَ الأَحْجارِ والأَلْواحِ ؛ فَإِعْظامُ الأَمْكِنَةِ بِأَصْحابِها الوُرَّاثِ ، وزِيارَتُها بِمُتابَعَةِ الاسْتِفاضَةِ مِنْهُمْ ، والإِجْلالُ يَكُونُ بِحُسْنِ المُعْتَقَدِ وسَلامَةِ الصَّدْرِ ومُوافَقَةِ الأَمْرِ ومُتابَعَةِ الطَّرِيقِ بِإِخْلاصٍ ومَحَبَّة .

اللهُمَّ يا رَبَّنا أَدِمْ عَلَيْنا وعَلَى أَحْبابِنا صِحَّةَ الاعْتِقادِ ونِعْمَةَ المَحَبَّةِ والوِداد ، وأَدْرِكْنا بِها رُتْبَةَ المَحْبُوبِيَّةِ والاسْتِناد ، بِجاهِ أَكْرَمِ نَبِيٍّ ﷺ وأَعْظَمِ هادٍ الَّذي مَدَدْتَ بِهِ أَهْلَ الطَّاعَةِ الأَقْطابَ بِالصَّلاحِ والإِسْعاد ، وفَتَقْتَ لَهُمْ رَتْقَ الحُجُبِ فَسَعِدُوا بِالمُشاهَدَةِ والإِمْداد ، ونَفَعْتَ بِهِمْ أَهْلَ عَصْرِهِمْ ومَنْ جاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ فَأَبْقَيْتَ ذِكْرَهُمْ مَتْلُوًّا فِي الصُّحُفِ وعَلَى أَلْسُنِ العِباد ، وجَعَلْتَ مَثْواهُمْ رَوْضاتٍ يَسْتَرْوِحُ بِها كُلُّ رائِحٍ وغادٍ ، وخَصَصْتَهُمْ بِبَوارِقِ الفَتْحِ والمَنْحِ فَكانُوا سادَةَ أَهْلِ الرُّشْدِ والرَّشاد .

المُتَعَرِّضُ لِنَفَحاتِ سادَتِهِ الأَجْواد

خادِمُ الأَعْتاب

وخُوَيْدِمُ السَّادَةِ الأَنْجاب

والرَّاجِي عَفْوَ رَبِّهِ الجَوَّاد

سعيد أبو الأسعاد

تَذْكِرَةٌ مُهِمَّة . . لأَحْبابِ التُّحْفَة

فِي مَراتِبِ الإنْكارِ والأُلْفَة

إنَّ أَوْلَى ما تَنافَسَ فِيهِ الأَكْياس ، وأَجَلَّ ما أُنْفِقَتْ فِيهِ بَضائِعُ الأَنْفاس ، وأَفْضَلَ ما صَرَفَ إِلَيْهِ اللَّبِيبُ عَنانَ اهْتِمامِهِ ، وجَعَلَهُ الأَرِيبُ مَطْمَحَ عَيْنِ قَلْبِهِ فِي لَيالِيهِ وأَيَّامِهِ ، سُلُوكُ طَرِيقِ أَهْلِ اللهِ الأَوْلِياء ، والتَّمَسُّكُ بِعَهْدِ خاصَّتِهِ الأَصْفِياء ، ونَقْلُ الأَقْدامِ بِالمُسْتَطاعِ مِنَ الأَعْمالِ عَلَى أَثَرِهِمْ ، والاسْتِضاءَةُ فِي عُمُومِ الأَوْقاتِ والأَحْوالِ بِلَوامِعِ أَنْوارِهِمْ ؛ إِذْ بِذَلِكَ يَتَحَلَّى العَبْدُ بِمَلابِسِ العِرْفان ، وبِهِ يَرْتَقِي أَعْلَى الدَّرَجاتِ مِنْ مَقامِ الإِحْسان ، وبِهِ يَتَهَيَّأُ لِقَبُولِ الإِمْداداتِ القُدْسِيَّة ، ويَسْتَعِدُّ لِتَلَقِّي وارِداتِ الأَنْوارِ العُلْوِيَّة ، والنَّاسُ فِي هَذا ؛ أَيْ فِي الانْتِفاعِ بِطَرِيقِ الأَوْلِيا ، أَرْبَعَةٌ لا خامِسَ لَها :

إِمَّا مُحِبٌّ حَدا بِهِ صِدْقُ الحالِ مَعَ سابِقِ عِنايَةِ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ والآلِ ، قَدْ دَخَلَ فِي الطَّرِيق ، وتَمَسَّكَ فِي السِّرِّ والعَلانِيَةِ بِحَبْلِها الوَثِيق ، حَتَّى خامَرَ قَلْبَهُ نُورُ اليَقِينِ والتَّصْدِيق ، فَانْقَدَحَ لَهُ فِي باطِنِهِ مِنْ عُلُومِ الطَّرِيقِ وأَسْرارِها بَعْضُ أَذْواقِ التَّحْقِيق ؛ فَحَظُّ هَذا مِنَ الانْتِفاعِ بِمُراجَعَتِهِ ما يَفِيضُ فِي قَلْبِهِ عِنْدَ مُطالَعَتِهِ مِنْ شَواهِدِ الوِجْدانِ

الحاليَّةِ ، ودَلائِلِ وارِداتِ الأَنْوارِ العِرْفانِيَّةِ ، فَيَكُونُ دَلِيلُهُ عَلَى صِحَّةِ ما ذَكَرْناهُ لَهُ المُشاهَدَةُ والعَيانُ وما بَعْدَ العَيانِ بَيانٌ ، وإِمَّا **مُحِبٌّ أَيْضاً** قَدْ أَخَذَ بِقِسْطٍ مِنَ التَّصْدِيقِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَحْظَ بَعْدُ بِالدُّخُولِ فِي الطَّرِيقِ ، والانْخِراطِ فِي سِلْكِ هَذا الفَرِيقِ ، وهَذا يُرْجَى لَهُ بِبَرَكَةِ ما مَعَهُ مِنَ التَّسْلِيمِ أَنْ يَرْقَى بِأَدْنَى مَمَاسَّةٍ لِمَسائِلِهِ إِلَى دَرَجَةِ أَهْلِ الذَّوْقِ السَّلِيمِ فَيَلْتَحِقَ عَنْ قَرِيبٍ بِأَوَّلِ فَرِيقٍ ويُسْقَى مِنْ مَخْتُومِ هَذا الرَّحِيقِ ، وإِمَّا **خالٍ** عَنْ كِلْتا الحالَتَيْنِ تَتَجاذَبُهُ أَيْدِي القَبْضَتَيْنِ وهَذا يُرْجَى لَهُ أَيْضًا إِنْ ساعَدَتْهُ الأَقْدارُ الإِلَهِيَّةُ ووافَقَتْهُ المَشِيئَةُ الرَّبَّانِيَّةُ فَتَحَلَّى بِحِلْيَةِ الأَشْراف ، واتَّصَفَ بِأَكْمَلِ الأَوْصاف ، ونَظَرَ فِيما اشْتَمَلَ عَلَيْهِ بِعَيْنِ الإِنْصاف ، أَنْ يُشْرِفَ عَلَى مَدارِكِ التَّحْقِيقِ أَيَّ إِشْراف ، ويَقِفَ مِنْ عَيْنِ الحَقِّ عَلَى ما يَتَخَلَّى بِهِ إِنْ شاءَ اللَّهُ تَعالَى عَنْ شُبَهِ الاعْتِساف ، وعِنْدَ ذَلِكَ يَمِيلُ إِلَى الشَّوْقِ مَيْلا ، ويُخَيِّمُ بِحَيِّ لَيْلَى ، واللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ والهِدايَة ، ولا سَبَبٌ فِي الحَقِيقَةِ إِلَّا العِنايَة ، وإِمَّا **مُبْغِضٌ** والعِياذُ بِاللَّهِ تَعالَى قَدِ انْهارَ بِهِ جُرُفُ هَواهُ ، فِي نارِ جَهَنَّمَ القَطِيعَةِ وبِئْسَ مَثْواهُ ، وهَذا لَيْسَ مِمَّنْ يُواجَهُ بِهَذا الخِطاب ، ولا مَنْ يُرْفَعُ لَهُ عَنْ وُجُوهِ مُخَدَّراتِهِ النِّقاب ، لأَنَّهُ كَما قالَ الشَّيْخُ العارِفُ

بِاللَّهِ تَعالَى أَبو سُلَيْمانَ سَيِّدِي داوُدُ الباخِلِّي (نَزِيلُ الإِسْكَنْدَرِيَّة بِمِصْرَ الفَتِيَّة) فِي شَرْحِهِ لِحِزْبِ البَحْرِ الَّذي سَمَّاهُ (اللَّطِيفَةُ المَرْضِيَّةُ فِي شَرْحِ دُعاءِ الشَّاذُلِيَّة) : لا يَنْفَعُ فِيهِ البَيان ، ولا يَنْجَعُ فِيما قامَ بِقَلْبِهِ مِنَ الإِعْراضِ عَنِ اللَّهِ تَعالَى واضِحُ البُرْهان ، لأَنَّهُ صَرَفَهُ الهَوَى عَنِ اتِّباعِ سَبِيلِ الهُدَى ، ثُمَّ قالَ أَعْنِي سَيِّدِي داوُد رضي الله عنه : ومُوجِبُ بُغْضِهِ إِمَّا لأَنَّهُ مُحِبٌّ لِلدُّنْيا مَشْغُولٌ بِها عَنِ اللَّهِ تَعالَى فَهُوَ أَبَداً يُعادِي الآخِرَةَ وأَهْلَها بِطَبْعِ نَفْسِهِ ، ويُعادِي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَوْلِياءَ اللَّهِ تَعالَى عَداوَةً باطِنَةً زَرَعَها الشَّيْطانُ فِي قَلْبِهِ ، وإِمَّا مُتَرَشِّحٌ بِظاهِرِ طَرِيقِ أَثَرِ النِّعْمَتَيْنِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ فَثارَ مِنْ قَلْبِهِ ثائِرُ الحَسَدِ لِما جُبِلَتِ الطِّباعُ عَلَيْهِ مِنْ حَسَدِ مَنْ كانَ مُماثِلاً أَوْ مُشارِكاً فِي صِفَةٍ ؛ كَما قالَ سُفْيانُ بنُ عُيَيْنَة : (مَكْتُوبٌ فِي بَعْضِ الكُتُبِ : عَدُوُّكَ مَنْ عَمِلَ بِعَمَلِكَ) ، وإِمَّا مُنْتَسِبٌ إِلَى الفِقْهِ وَقَفَ مَعَ الظَّاهِرِ ، وجَمَدَ عَنِ النَّظَرِ فِي أَرْواحِ المَعانِي ولُبابِ العُلُومِ ؛ يَسْمَعُ أَسْرارَ العُلُومِ ولا يَجِدُها تَنْطَبِقُ عَلَيْها قَوالِبُ الأَلْفاظِ ولا بَعْضُ الظَّواهِرِ ، بِمُقْتَضَى حَظِّهِ مِنَ الفَهْمِ فَيَنْقَبِضُ عَنْ قَبُولِها ، وإِمَّا مَحْجُوبٌ وَقَفَ مَعَ صُوَرِ ظَواهِرِ العِباداتِ البَدَنِيَّةِ دُونَ أَسْرارِها وفِقْهِها ، ولَمْ تُفْتَحْ لَهُ أَبْوابُ المَعارِفِ ولا عَرَفَ

العُلُومَ القَلْبِيَّةَ ولا أَعْمالَ القُلُوبِ ولا ذاقَ شَيْئاً مِنْها ، بَلْ يَظُنُّ أَنَّ اللّهَ تَعالَى لا يُعْبَدُ إلَّا بِحَرَكَةِ الجَسَدِ واللِّسانِ فَقَط ؛ فَتَراهُ إذا سَمِعَ العُلُومَ الرُّوحانِيَّةَ والأَعْمالَ القَلْبِيَّةَ والأَسْرارَ اللَّدُنِّيَّةَ وَقَفَ قَلْبُهُ ونَفَرَ عَنْها وقالَ لَعَلَّ هَذا غَيْرُ دِينِ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ ، وعادَى مَنْ ظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ ، ثُمَّ قالَ بَعْدَ كَلامٍ نَقَلَهُ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي الحَسَنِ قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ (لَيْسَ مِنْ غَرَضِنا الآنَ نَقْلُهُ) ما نَصُّهُ : فَهَؤُلاءِ الطَّوائِفُ يَعِزُّ إيمانُها بِأَهْلِ الطَّرِيقِ ومَحَبَّتُهُمْ لَهُمْ وقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ مَشايِخُ الطَّرِيق .

وقَدْ وَصَفَهُمُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الطَّاهِرُ الحامِدِي (١٣٣١ هـ) - طَيَّبَ اللّهُ ثَراهُ وجَعَلَ الجَنَّةَ مَثْواهُ - فِي (مَطِيَّة السَّالِك) بِقَوْلِهِ : قَوْمٌ تَعَلَّقُوا بِالظَّاهِرِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ المَعْنَى جُمْلَةً ؛ وهَؤُلاءِ أَهْلُ الجُمُودِ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ ، لا عِبْرَةَ بِهِمْ .

قالَ السَّمَرْقَنْدِي : لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ شَكَتِ الأَرْضُ إلَى بارِئِها عَزَّ وجَلَّ أَنَّهُ ما بَقِيَ يَمْشِي عَلَيَّ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِياءِ إلَى يَوْم القِيامَة ، فَأَوْحَى اللّهُ تَبارَكَ وتَعالَى إلَيْها أَنِّي جاعِلٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ رِجالاً قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِ الأَنْبِياء .

قالَ العَلَّامَةُ ابْنُ حَجَرٍ فِي (شَرْحِ الهَمْزِيَّة) : إنَّ اللّهَ تَعالَى خَصَّ

هَذِهِ الأُمَّةَ فِي التَّوْراةِ بِخَصائِصَ لَمْ يُؤْتِها لِغَيْرِهِمْ تَكْرِمَةً لِنَبِيِّهِمْ ﷺ وزِيادَةً فِي شَرَفِهِ ، ثُمَّ عَدَّ مِنْها إِلَى أَنْ قالَ : وإِنَّ فِيهِمْ أَقْطاباً ، وأَوْتاداً ، ونُقَباءَ ، ونُجَباءَ ، وأَبْدالاً : أَي لا يَنْقَطِعُونَ [1] .

قالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الشَّهِيرُ بِالأَعْرَجِ فِي كِتابِ مَواعِظِهِ : وأَخْفَى اللَّهُ تَعالَى وَلِيَّهُ بَيْنَ النَّاسِ لِيُعَظِّمُوا الكُلَّ ، كَما أَخْفَى الاسْمَ الأَعْظَمَ لِيُعَظِّمُوا كُلَّ الأَسْماءِ ، والصَّلاةَ الوُسْطَى ؛ لِيُحافِظُوا عَلَى كُلِّ صَلاةٍ ، وساعَةَ الإِجابَةِ فِي الجُمُعَةِ ؛ لِيُداوِمُوا عَلَى الدُّعاءِ فِي كُلِّ الجُمُعَةِ ، ولَيْلَةَ القَدْرِ ؛ لِيُحْيِيَ مَنْ يُرِيدُها لَيالِيَ كَثِيرَةً ، ورِضاهُ فِي الطَّاعَةِ ؛ لِيَرْغَبُوا فِي الكُلِّ ، وغَضَبَهُ فِي المَعاصِي ؛ لِيَتَجَرَّدُوا عَنِ الكُلِّ ، ووَقْتَ المَوْتِ ؛ لِيَكُونَ المُكَلَّفُ عَلَى احْتِياطٍ فِي جَمِيعِ الأَوْقاتِ .

وكانَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بنُ عَرَبِي قُدِّسَ سِرُّهُ يَقُولُ : ومِنْ أَيْنَ لِعامَّةِ النَّاسِ أَنْ يَعْلَمُوا أَسْرارَ الحَقِّ تَعالَى فِي خَواصِّ عِبادِهِ مِنَ الأَوْلِياءِ ، وشُرُوقَ نُورِهِ فِي قُلُوبِهِمْ ، ولِذَلِكَ لَمْ يَجْعَلْهُمْ إِلَّا مَسْتُورِينَ عَنْ غالِبِ خَلْقِهِ ؛ لِجَلالَتِهِمْ عِنْدَهُ ، ولَوْ كانُوا ظاهِرِينَ فِيما بَيْنَهُمْ وآذاهُمْ إِنْسانٌ لَكانَ قَدْ بارَزَ الحَقَّ تَعالَى بِالمُحارَبَةِ ، فَأَهْلَكَهُ اللَّهُ تَعالَى ، فَكانَ

---

(١) رَواهُ ابنُ عَدِيٍّ فِي (الكامِلِ) ، والحَكِيمُ التِّرْمِذِي فِي (النَّوادِرِ) .

سَتْرُهُمْ عَلَى الخَلْقِ شَفَقَةً عَلَى مَنْ آذاهُمْ .

ومَنْ ظَهَرَ مِنَ الأَوْلياءِ لِلْخَلْقِ إنَّما ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ حَيْثُ ظاهِرُ عِلْمِهِ ودَلالَتِهِ ، وأَمَّا مِنْ حَيْثُ سِرُّ وِلايَتِهِ فَهُوَ باطِنٌ لَمْ يَزَلْ .

وكانَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ الشَّاذُلِي قُدِّسَ سِرُّهُ يَقُولُ : لِكُلِّ وَلِيٍّ سِتْرٌ أَوْ أَسْتارٌ نَظِيرَ السَّبْعِينَ حِجاباً الَّتِي وَرَدَتْ فِي حَقِّ الحَقِّ سُبْحانَهُ وتَعالَى ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يُعْرَفْ إِلَّا مِنْ وَرائِها فَكَذَلِكَ الوَلِيُّ .

فَمِنْهُمْ : مَنْ يَكُونُ سِتْرُهُ بِالأَسْبابِ .

ومِنْهُمْ : مَنْ يَكُونُ سِتْرُهُ بِظُهُورِ العِزَّةِ والسَّطْوَةِ والقَهْرِ عَلَى حَسَبِ ما يَتَجَلَّى الحَقُّ تَعالَى لِقَلْبِهِ ، فَيَقُولُ النَّاسُ : حاشا لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ هَذا وَلِيًّا لِلَّهِ تَعالَى ، وهُوَ فِي هَذِهِ النَّفْسِ أَوِ التَّعاظُمِ ؛ وذَلِكَ لأَنَّ الحَقَّ تَعالَى إِذا تَجَلَّى فِي قَلْبِ العَبْدِ بِصِفَةِ القَهْرِ كانَ قَهَّاراً ، أَوْ بِصِفَةِ الانْتِقامِ كانَ مُنْتَقِماً ، أَوْ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ كانَ رَحِيماً مُشْفِقاً وهَكَذا ، ثُمَّ لا يَصْحَبُ ذَلِكَ الوَلِيَّ المُتَجَلْبَبَ ظاهِراً بِمَظْهَرِ العِزِّ والسَّطْوَةِ والانْتِقامِ مِنَ المُرِيدِينَ إِلَّا مَنْ مَحَقَ اللَّهُ تَعالَى نَفْسَهُ وهَواهُ ، ولَمْ يَزَلْ فِي كُلِّ عَصْرٍ وأَوانٍ أَوْلياءُ وعُلَماءُ تَذِلُّ لَهُمْ مُلُوكُ الزَّمانِ ، ويُعامِلُونَهُمْ بِالسَّمْعِ والطَّاعَةِ والإِذْعانِ .

ومِنْهُمْ : مَنْ يَكُونُ سِتْرُهُ بالاشْتِغالِ بالعِلْمِ الظَّاهِرِ ، والجُمُودِ عَلَى ظاهِرِ النُّقُولِ ، حَتَّى لا تَكادَ تُخْرِجُهُ عَنْ آحادِ طَلَبَةِ العِلْمِ القاصِرِينَ .

ومِنْهُمْ : مَنْ يَكُونُ سِتْرُهُ بِالمُزاحَمَةِ عَلَى الدُّنْيا ، وتَظاهُرِهِ بِحُبِّ الرِّئاسَةِ والمَلابِسِ الفاخِرَةِ وهُوَ عَلَى قَدَمٍ عَظِيمٍ فِي الباطِنِ .

ومِنْهُمْ : مَنْ يَكُونُ سِتْرُهُ كَثْرَةَ التَّرَدُّدِ إلَى المُلُوكِ والأَغْنِياءِ وسُؤالَهُمُ الدُّنْيا وغَيْرَ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ القَصِيرُ الفَهْمِ والإدْراكِ : لَوْ كانَ هَذا وَلِيًّا لِلّهِ ما تَرَدَّدَ إلَى هَؤُلاءِ الأُمَراءِ ، أَوِ الأَغْنِياءِ ، أَوْ لأَيِّ شَيْءٍ ، أَما جَلَسَ فِي زاوِيَتِهِ أَوْ بَيْتِهِ يَشْتَغِلُ بِعِبادَةِ رَبِّهِ ؟! ورَحِمَ اللّهُ الأَوْلِياءَ الماضِينَ الَّذِينَ كانُوا فِي الزَّمَنِ الماضِي ، ونَحْوَ ذَلِكَ مِنْ أَلْفاظِ الجَوْرِ .

ولَو اسْتَبْرَأَ هَذا القائِلُ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ لَتَوَقَّفَ وتَبَصَّرَ فِي أَمْرِ هَؤُلاءِ الأَوْلِياءِ والعُلَماءِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَنْقِدَ عَلَيْهِمْ ، فَرُبَّما كانَ تَرَدُّدُهُمْ لِكَشْفِ ضَرَرٍ أَوْ خَلاصِ مَظْلُومٍ مِنْ سِجْنٍ أَوْ قَضاءِ حاجَةٍ مَثَلاً ، فَيَجِبُ عَلَيْهِمُ الدُّخُولُ لِتِلْكَ المَصالِحِ ، ويَحْرُمُ عَلَيْهِمُ التَّخَلُّفُ عَنْهُم ، لا سِيَّما إذا رَأَيْنا المُتَرَدِّدَ مِنَ الأَوْلِياءِ والعُلَماءِ زاهِداً فِيما أَيْدِيهِم ، مُتَعَزِّزاً بِعِزِّ الإيمانِ وَقْتَ مُجالَسَتِهِمْ ، آمِراً لَهُمْ بالمَعْرُوفِ ، وناهِياً لَهُمْ عَنِ المُنْكَرِ ، لا يَقْبَلُ هَدِيَّةً مِمَّنْ شَفَعَ لَهُ عِنْدَهُمْ ، فَإِنَّ هَذا مِنَ

المُحْسِنِينَ ، ولا يَجُوزُ الاعْتِراضُ عَلَيْهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ .

قالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الوَهَّابِ الشَّعْرانِي : سَمِعْتُ سَيِّدِي عَلِيًّا الخَوَّاصَ يَقُولُ : إِذا عَلِمَ الفَقِيرُ (أي الصُّوفِيُّ الوَرِعُ) مِنْ أُمَراءِ الجَوْرِ أَنَّهُمْ يَقْبَلُونَ نُصْحَهُ لَهُمْ وشَفاعَتَهُ عِنْدَهُمْ ، وَجَبَ عَلَيْهِ صُحْبَتُهُمْ والدُّخُولُ عَلَيْهِمْ ، وصاحِبُ النُّورِ يَعْرِفُ ما يَأْتِي وما يَذَرُ .

وقالَ رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى : ومِنَ الأَوْلِياءِ مَنْ يَكُونُ سِتْرُهُ قَبُولَهُ مِنَ الخَلْقِ ما يُعْطُونَهُ مِنَ الهَدايا والصَّدَقات ، ويَمْدَحُ الَّذينَ أَعْطَوْهُ بِالكَرَمِ ، وهَذا مِنْ أَكْبَرِ أَخْلاقِ الرِّجالِ الَّذِينَ أَخْلَصُوا فِي مُعامَلَةِ اللّهِ تَعالَى ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذا قَبِلَ مِنَ الخَلْقِ صَغُرَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ضَرُورَةً ، كَما أَنَّ مَنْ رَدَّ عَلَيْهِمْ كَبُرَ فِي أَعْيُنِهِمْ ، ولَعَلَّ ذَلِكَ الرَّادَّ إِنَّما رَدَّ رِياءً وسُمْعَةً واسْتِئْلافاً لِقُلُوبِ النَّاسِ ؛ لِيَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِالتَّعْظِيمِ والتَّبْجِيلِ ، ويُطْلِقُوا أَلْسِنَتَهُمْ بِالثَّناءِ الحَسَنِ .

وقَدْ قالَ الفُضَيْلُ بنُ عِياض - رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى : مَنْ طَلَبَ الحَمْدَ مِنَ النَّاسِ بِتَرْكِهِ الأَخْذَ مِنْهُمْ فَإِنَّما يَعْبُدُ نَفْسَهُ وهَواهُ ، ولَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ .

وقالَ الشَّيْخُ الأَكْبَرُ مُحْيِي الدِّينِ بنُ عَرَبِي - قُدِّسَ سِرُّهُ : ومِمَّا يَفْتَحُ

بابَ قِلَّةِ الاعْتِقادِ فِي أَوْلِياءِ اللهِ تَعالَى وُقُوعُ زَلَّةٍ مِمَّنْ تَزَيَّا بِزِيِّهِمْ ، وانْتَسَبَ إِلَى مِثْلِ طَرِيقِهِمْ ، والوُقُوفُ مَعَ ذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ القَواطِعِ عِنْدَ اللهِ تَعالَى .

قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ (1) ، فَمِنْ أَيْنَ يَلْزَمُ مِنْ إِساءَةِ واحِدٍ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ أَهْلِ حِرْفَتِهِ كَذَلِكَ ؟! ما هَذا إِلَّا مَحْضُ عِنادٍ ، وتَعَصُّبٌ بِباطِلٍ .

قالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الوَهَّابِ الشَّعْرانِي - رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى : ومِنْ أَشَدِّ حِجابٍ عَنْ مَعْرِفَةِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَوْلِياءَ اللهِ تَعالَى شُهُودُ المُماثَلَةِ والمُشاكَلَةِ ، وهُوَ حِجابٌ عَظِيمٌ قَدْ حَجَبَ اللهُ تَعالَى بِهِ الأَكْثَرِينَ مِنَ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ كَما قالَ تَعالَى حاكِياً عَنْ قَوْمٍ : ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ (2) ، ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (3) ، ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ (4) ، ونَحْوَ ذَلِكَ ، ولَكِنْ إِذا أَرادَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى أَنْ يُعَرِّفَ عَبْداً مِنْ عِبادِهِ بِوَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيائِهِ لِيَأْخُذَ عَنْهُ الأَدَبَ ويَقْتَدِيَ بِهِ فِي الأَخْلاقِ طَوَى عَنْهُ شُهُودَ بَشَرِيَّتِهِ ، وأَشْهَدَهُ

---

(1) سُورَةُ الأَنْعامِ : مِنَ الآيَة ١٦٤ .
(2) سُورَةُ الفُرْقان : مِنَ الآيَة ٧ .
(3) سُورَةُ المُؤْمِنون : مِنَ الآيَة ٣٣ .
(4) سُورَةُ القَمَر : مِنَ الآيَة ٢٤ .

وَجْهَ الخُصُوصِيَّةِ فِيهِ ، فَيَعْتَقِدُهُ بِلا شَكٍّ ، ويُحِبُّهُ أَشَدَّ المَحَبَّةِ ، وأَكْثَرُ النَّاسِ الَّذِينَ يَصْحَبُونَ الأَوْلِياءَ لا يَشْهَدُونَ مِنْهُمْ إِلَّا وَجْهَ البَشَرِيَّةِ ، فَلِذَلِكَ قَلَّ نَفْعُهُمْ ، وعاشُوا عُمُرَهُمْ كُلَّهُ مَعَهُمْ ولَمْ يَنْتَفِعُوا مِنْهُمْ بِشَيْءٍ .

قالَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَنِ الشَّاذُلِي قُدِّسَ سِرُّهُ : ولَقَدِ ابْتَلَى اللهُ تَعالَى هَذِهِ الطَّائِفَةَ الشَّرِيفَةَ بِالخَلْقِ خُصُوصاً بِأَهْلِ الجَدَلِ ؛ فَقَلَّ أَنْ تَجِدَ مِنْهُمْ أَحَداً شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلتَّصْدِيقِ بِوَلِيٍّ مُعَيَّنٍ ؛ بَلْ يَقُولُ لَكَ : نَعَمْ ، إِنَّ لِلّهِ تَعالَى أَوْلِياءَ وأَصْفِياءَ مَوْجُودُونَ ولَكِنْ أَيْنَ هُمْ ؟ فَلا تَذْكُرُ أَحَداً إِلَّا ويَأْخُذُ بِدَفْعِهِ ، ويَرُدُّ خُصُوصِيَّةَ اللّهِ تَعالَى لَهُ ، ويُطْلِقُ اللِّسانَ عَلَى كَوْنِهِ غَيْرَ وَلِيٍّ لِلّهِ تَعالَى ، وغابَ عَنْهُ أَنَّ الوَلِيَّ لا يَعْرِفُ صِفاتِهِ إِلَّا الأَوْلِياءُ ، فَمِنْ أَيْنَ لِغَيْرِ الوَلِيِّ نَفْيُ الوِلايَةِ عَنْ إِنْسانٍ ؟ ما ذاكَ إِلَّا مَحْضُ تَعَصُّبٍ وبُهْتانٍ .

ولِلّهِ دَرُّ الإِمامِ الرَّوَّاسِ مُخاطِباً وارِثَهُ السَّيِّدَ مُحَمَّداً أَبا الهُدَى الصَّيَّادِي :

إذا رَأَيْـتَ هِـلالاً ❁ يـا أَيُّـها المُـتَـكَلِّمْ
وراحَ يَجْـحَـدُ هَـذا ❁ حُـوَيْـسِـدٌ مُـتَأَلِّـمْ
فاقْنَعْ بِعَيْنِكَ واصْبِرْ ❁ ولِلْمُحِـبِّ فَعَـلِّمْ

وَدُلَّـهُ أَيْـنَ حَيًّا ۞ مِنَ الظَّلامِ الْمُعَتِّمْ
وَاجْمَعْ عَلَيْهِ عُيُوناً ۞ مَتَى رَأَتْهُ تُتَرْجِمْ
وَقُلْ لِصاحِبِ عَقْلٍ ۞ مُشَكِّكاً لَيْسَ يَجْزِمْ
أَنْتَ اللَّبِيبُ إِذا لَمْ ۞ تَرَ الْهِلالَ فَسَلِّمْ

فاحْذَرْ يا أَخِي مِمَّنْ كانَ لِفَضْلِ اللهِ عَلَى أَوْلِيائِهِ هَذا وَصْفُهُ ، وفِرَّ مِنْ مُجالَسَتِهِ فِرارَكَ مِنَ السَّبُعِ الضَّارِي ، جَعَلَنا اللهُ وإِيَّاكُمْ مِنَ المُصَدِّقِينَ لأَوْلِيائِهِ ، المُسَلِّمِينَ لِما مَنَّ المَوْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ وآلائِهِ .

فَجالِسْهُمْ تُجانِسْهُمْ وتَضْحَىٰ
سَعِيداً فِي الْحَياةِ وفِي الْمَماتِ
وصاحِبْهُمْ عَلَى ما يَرْتَضُوهُ
وكُنْ عَبْداً عَلَى قَدَمِ الثَّباتِ

عَنْ سُفْيانَ بنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ قالَ : عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ .

اللهُمَّ إِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِحُبِّهِمْ فَإِنَّهُمْ أَحَبُّوكَ ولَمْ يُحِبُّوكَ حَتَّى أَحْبَبْتَهُمْ فَبِحُبِّكَ إِيَّاهُمْ وَصَلُوا إِلَى حُبِّكَ ، ونَحْنُ لَمْ نَصِلْ إِلَى حُبِّهِمْ فِيكَ إِلَّا بِحَظِّنا مِنْكَ ، فَتَمِّمْ لَنا ذَلِكَ ، واجْعَلْنا مِنْ أَهْلِ قُرْبِكَ وعَطائِكَ .



تَذْكِيرٌ بِبَعْضِ ما يَخْتَصُّ بِالمُرِيدِ مِنْ آدابِ الصُّحْبَةِ والأُخُوَّة وبَيانُ ما يَلْزَمُهُ مِنَ الوَفاءِ وكَمالِ الفُتُوَّة

الصُّحْبَةُ هِيَ الطَّرِيقُ الأَسْوَى والسَّبَبُ الأَقْوَى فِي حُصُولِ ثَمَرَةِ السُّلُوكِ وبِها يَصِلُ المَمْلُوكُ إِلَى دَرَجاتِ المُلُوكِ ؛ قالَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى فِي مُحْكَمِ كِتابِهِ المُبِين : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ، وقالَ تَعالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ ، وقالَ تَعالَى : ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ ، وقالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام : (المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخالِل) ، ووَرَدَ أَيْضاً : (الصُّحْبَةُ مَعَ العاقِلِ زِيادَةٌ فِي الدِّينِ والدُّنْيا والآخِرَةِ ، والصُّحْبَةُ مَعَ الأَحْمَقِ نُقْصانٌ فِي الدِّينِ والدُّنْيا وحَسْرَةٌ ونَدامَةٌ عِنْدَ المَوْتِ وخَسارَةٌ فِي الآخِرَة) ، ووَرَدَ أَيْضاً : (ما أَحْدَثَ عَبْدٌ أَخاً فِي اللهِ عَزَّ وجَلَّ إِلَّا أَحْدَثَ اللهُ لَهُ دَرَجَةً فِي الجَنَّة) .

والصُّحْبَةُ تَوْأَمُ المَحَبَّةِ ، والمَحَبَّةُ سِمَةُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الصُّوفِيَّة ؛ أَيْ عَلامَةُ طائِفَةِ السَّائِرِينَ إِلَى اللهِ وسِيماهُمْ ، بِها يُعْرَفُونَ وإِلَيْها يُنْسَبُون .

كَما أَنَّ المَحَبَّةَ هِيَ قُطْبُ هَذا الشَّأْن (أَي السُّلُوكُ إِلَى اللهِ تَعالَى)

وعَلَيْها مَدارُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ؛ لأَنَّ العُمْدَةَ فِي السُّلُوكِ هِيَ تَرْكُ الأَغْراضِ والأَعْواضِ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ تَعالَى ، ولا يَطْلُبُ مَحْضَ الحَقِيقَةِ إِلَّا صاحِبُ هَذِهِ المَحَبَّةِ .

اعْلَمُوا أَيُّها الأَحِبَّةُ أَنَّ دَرَجَةَ الصُّحْبَةِ والأُخُوَّةِ عِنْدَ اللهِ تَعالَى دَرَجَةٌ شَرِيفَةٌ ، ومَرْتَبَتَها مِنَ الطَّرِيقِ مَرْتَبَةٌ سامِيَةٌ مُنِيفَةٌ ؛ فَقَدِ اخْتارَها ورَغَّبَ فِيها وآثَرَها جَمْعٌ مِنَ السَّلَفِ ، وتابَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الجَمُّ الغَفِيرُ مِنْ جَماهِيرِ الخَلَفِ ، ومِمَّا اسْتَنَدُوا إِلَيْهِ فِيما ذَهَبُوا إِلَيْهِ مِنَ اخْتِيارِها ، واسْتَأْنَسُوا بِهِ لِما اعْتَمَدُوهُ مِنْ إِيثارِها ما رَأَوْا مِنْ أَنَّ اللهَ تَعالَى مَنَّ عَلَى أَهْلِ الإِيمانِ حَيْثُ جَعَلَهُمْ إِخْواناً ؛ فَقالَ سُبْحانَهُ وتَعالَى : ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ (١) ، وقالَ سُبْحانَهُ وتَعالَى : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ (٢) ، فَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الإِشارَةُ الكَرِيمَةُ عَلَى أَنَّ الصُّحْبَةَ والأُخُوَّةَ مِنَّةٌ عَظِيمَةٌ ونِعْمَةٌ جَسِيمَةٌ امْتَنَّ اللهُ تَعالَى بِها عَلَى مَنْ شاءَ مِنْ عِبادِهِ المُؤْمِنِينَ المُتَحابِّينَ فِي جَلالِهِ المُتَآخِينَ فِي طَلَبِ مَرْضاتِهِ والوُصُولِ إِلَى حَضْرَةِ كَمالِهِ ، وفِي ذَلِكَ كَما لا يَخْفَى غايَةُ الحَثِّ عَلَيْها والتَّرْغِيبِ

---

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرانَ : مِنَ الآيَةِ ١٠٣ .

(٢) سُورَةُ الأَنْفالِ : مِنَ الآيَتَيْنِ ٦٢ ، ٦٣ .

فِيها والنَّدْبِ إِلَيْها ، وقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ المُطَهَّرَةُ عَلَى ذَلِكَ أَيْضاً .

فَفِي الدُّرِّ المَنْثُور : أَخْرَجَ ابنُ مَرْدَوَيْه عَنْ سَعْدِ بن مُعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (إِذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ انْقَطَعَتِ الأَرْحامُ وقَلَّتِ الأَسْبابُ وذَهَبَتِ الأُخُوَّةُ إِلَّا الأُخُوَّةُ فِي اللهِ تَعالَى ؛ وذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى : ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (١).

وفِي وَصِيَّةِ سَيِّدِنا عُمَرَ الفارُوقِ المُثْنَى عَلَيْهِ بِأَنَّ الحَقَّ يَنْطِقُ عَلَى لِسانِ عُمَرَ ، والَّذِي أُمِرْنا بالاقْتِداءِ بِهِ فِي قَوْلِهِ ﷺ : (اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وعُمَر) ، يَقُولُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : عَلَيْكَ بِإِخْوانِ الصِّدْقِ تَعِشْ فِي أَكْنافِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ زِينَةٌ فِي الرَّخاءِ وعُدَّةٌ فِي البَلاءِ .

وذُكِرَ فِي العَوارِفِ عَنْ سَيِّدِنا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضاً أَنَّهُ قالَ : لَوْ أَنَّ رَجُلاً صامَ النَّهارَ وقامَ اللَّيْلَ وتَصَدَّقَ وجاهَدَ ولَمْ يُحِبَّ فِي اللهِ ولَمْ يُبْغِضْ فِي اللهِ ما نَفَعَهُ ذَلِك .

ومِنْ لَوازِمِ الحُبِّ فِي اللهِ تَعالَى المُؤاخاةُ فِيهِ ، ولِذَلِكَ يُطْلَقُ أَحَدُهُما عَلَى الآخَر .

ورُوِيَ فِي العَوارِفِ أَيْضاً بِسَنَدِهِ إِلَى الأُسْتاذ أَبِي القاسِمِ القُشَيْرِي

---

(١) سُورَةُ الزُّخْرُف : الآيَة ٦٧ .

أَنَّهُ قالَ : سَمِعْتُ أَبا عَبْدِ الرَّحْمٰنِ السُّلَمِي يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللّٰهِ بنَ المُعَلِّمِ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبا بَكْرٍ الطَّمَسْتانِي يَقُولُ : اصْحَبُوا مَعَ اللّٰهِ فَإِنْ لَمْ تُطِيقُوا فاصْحَبُوا مَعَ مَنْ يَصْحَبُ مَعَ اللّٰهِ لِتُوَصِّلَكُمْ بَرَكَةُ صُحْبَتِهِ إِلَى صُحْبَةِ اللّٰه .

ورُوِيَ فِيها أَيْضاً بِسَنَدِهِ إِلَى الشَّيْخ أَبِي جَعْفَرٍ الحَدَّاد - رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعالَى - أَنَّهُ سَمِعَ الشَّيْخَ عَلِيَّ بنَ مَهْلٍ يَقُولُ : الأُنْسُ بِاللّٰهِ أَنْ يَسْتَوْحِشَ مِنَ الخَلْقِ إِلَّا مِنْ أَهْلِ وِلايَةِ اللّٰهِ ، فَإِنَّ الأُنْسَ بِأَهْلِ وِلايَةِ اللّٰهِ هُوَ الأُنْسُ بِاللّٰه .

وذُكِرَ فِيها أَيْضاً : إِنَّ اللّٰهَ تَعالَى أَوْحَى إِلَى سَيِّدِنا داوُودَ عليه السلام قالَ : يا داوُودُ مالِي أَراكَ مُنْتَبِذاً وَحْدانِيًّا ، قالَ : إِلَهِي قَلَيْتُ الخَلْقَ مِنْ أَجْلِكَ ، فَأَوْحَى اللّٰهُ إِلَيْهِ : يا داوُودُ كُنْ يَقْظاناً وارْتَدِ لِنَفْسِكَ إِخْواناً ، وكُلُّ خِدْنٍ لا يُوافِقُكَ عَلَى مَسَرَّتِي فَلا تَصْحَبْهُ فَإِنَّهُ لَكَ عَدُوٌّ يُقَسِّي قَلْبَكَ ويُباعِدُكَ مِنِّي .

ولِهَذا كانَتِ الصُّحْبَةُ والصَّداقَةُ عِنْدَ الأَحْرارِ يُراعَى لَها مِنَ الحُقُوقِ ما يُرَاعَى لأُخُوَّةِ النَّسَبِ عَلَى ما قِيلَ : الصَّداقَةُ لُحْمَةٌ كَلُحْمَةِ النَّسَبِ ، بَلِ الحَقُّ أَنَّها (أَعْنِي الصَّداقَةَ والأُخُوَّةَ فِي اللّٰهِ) آكَدُ حَقًّا مِنْ أُخُوَّةِ

النَّسَبِ ، قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : أَيُّهُما أَحَبُّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَوْ صَدِيقُكَ ؟ قالَ : إِنَّما أُحِبُّ أَخِي إِذا كانَ صَدِيقِي .

قالَ الشَّيْخُ زَرُّوق : قالَ العُلَماءُ : القَرابَةُ قَرابَتان : قَرابَةٌ دِينِيَّةٌ وهِيَ أَوْلَى مِنَ القَرابَةِ الطِّينِيَّة .

وذَكَرَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بنُ عَرَبِي فِي الفُتُوحاتِ المَكِّيَّة : أَنَّ شَخْصاً دَخَلَ عَلَى شَيْخِهِ فَفاوَضَهُ فِي مَعْنَى قَوْلِهِمْ : الأَقْرَبُونَ أَوْلَى بِالمَعْرُوفِ ، قالَ : فَقالَ الشَّيْخُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ : إِلَى اللهِ ، يا فُلان ؛ يَعْنِي الأَقْرَبُونَ إِلَى اللهِ أَوْلَى بِالمَعْرُوفِ مِنَ الأَقْرَبِينَ مِنْ جِهَةِ النَّسَب .

وقالَ الشَّيْخُ زَرُّوق : الصَّداقَةُ مِنْ قَواعِدِ الدِّينِ والدُّنْيا .

ومِمَّا يُشِيرُ إِلَى شَرَفِ مَنْزِلَتِها وكَمالِ فَضِيلَتِها زِيادَةً عَلَى ما تَضَمَّنَتْهُ إِشاراتُ هَؤُلاءِ الأَعْلام ، ما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الفَوائِدِ العِظامِ والكَراماتِ والبَرَكاتِ والخَيْراتِ الجِسام ، ثُمَّ الفَوائِدُ المَطْلُوبَةُ مِنَ الصُّحْبَةِ دِينِيَّةٌ ودُنْيَوِيَّةٌ ؛ أَمَّا الدُّنْيَوِيَّةُ فَكالانْتِفاعِ بِالمالِ والجاهِ ولَيْسَ ذَلِكَ مِنْ غَرَضِنا ، وأَمَّا الدِّينِيَّةُ فَتَجْتَمِعُ فِيها أَغْراضٌ مُخْتَلِفَةٌ ؛ إِذْ مِنْها الاسْتِفادَةُ بِالعِلْمِ والعَمَلِ ، ومِنْها الاسْتِفادَةُ فِي الجاهِ تَحَصُّناً مِنْ إِيذاءِ مَنْ يُشَوِّشُ القَلْبَ ويَصُدُّ عَنِ العِبادَةِ ، ومِنْها التَّبَرُّكُ بِالدُّعاءِ ، ومِنْها انْتِظارُ الشَّفاعَةِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِك .

وقَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : (المُؤْمِنُ كَثِيرٌ بأَخِيهِ) ، وفِي الخَبَرِ عَنْهُ ﷺ : (المُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنِ كالبُنْيانِ المَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً) .

وفِي العَوارِفِ أَيْضاً : أَنَّ مِنْ فَوائِدِ الصُّحْبَةِ والأُخُوَّةِ أَنَّها تَفْتَحُ مَسامَّ الباطِنِ ، ويَكْتَسِبُ الإنْسانُ بِها عِلْمَ الحَوادِثِ والعَوارِضِ ؛ أَيْ أَنَّهُ يَتَقَوَّى نُورُ الفِراسَةِ الإيمانِيَّةِ بِاسْتِمْدادِ البَعْضِ مِنَ البَعْضِ وسَرَيانِ سِرِّ البَعْضِ إِلَى البَعْضِ ، إِذْ مِنْ فَوائِدِها ما يَسْرِي مِنَ الفاضِلِ إِلَى المَفْضُولِ مِنَ السِّرِّ الباطِنِي الَّذِي هُوَ مُنْتَهَى القَصْدِ مِنَ الصُّحْبَةِ وغايَةُ السُّؤْلِ .

وقَدْ قِيلَ مَنْ تَحَقَّقَ بِحالَةٍ لَمْ يَخْلُ حاضِرُوهُ مِنْها ، وأَقَلُّ النَّاسِ مَرْتَبَةً فِي مَقامِ الصُّحْبَةِ للأَخْيارِ المُحِبُّ لَهُمْ فَقَط ، وكَفاهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ أَنَّهُ مَعَهُمْ ، لِحَدِيثِ : (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) .

وفِي مُخْتَصَرِ الإحْياءِ لِحُجَّةِ الإسْلامِ الغَزالِي بَعْدَ كَلامٍ فِي الصُّحْبَةِ ما نَصُّهُ : فاصْحَبِ الأَخْيارَ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ فَأَنْتَ مَعَهُمْ ؛ يُرِيدُ اصْحَبْهُمْ بِالمَحَبَّةِ والتَّسْلِيمِ لِتَكُونَ مَعَهُمْ وإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ ، فَإِنَّ المَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ .

يُرْوَى عَنْ عَلِيٍّ الكَرَّارِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شِعْرٌ مِنْهُ :

يُقاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ ❁ إذا ما هُــوَ ماشــاهُ

ولِلشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ ❁ مَقـاييسٌ وأَشْــباهُ

قالَ القُطْبُ الشَّهيرُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي الكَبير : ذِكْرُ اللهِ يَثْبُتُ فِي القَلْبِ بِبَرَكَةِ الصُّحْبَة : (المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِه) ، ثُمَّ إِنَّ كُلَّا مِنَ الصَّاحِبِ والمَصْحُوب ؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ شَيْخاً ، وإِمَّا أَنْ يَكُونَ أَخاً ، وإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُرِيداً ؛ فَإِنْ كانَ شَيْخاً فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُرْشِداً كامِلاً مُتَشَرِّعاً مُتَدَيِّناً عارِفاً فِي أُصُولِ الطَّرِيقَةِ وأَرْكانِها وآدابِها وخَلَواتِها وجَلَواتِها وأَذْكارِها وأَسْرارِها وسُلُوكِها مُطابِقاً لِلشَّرْعِ الشَّرِيفِ فِي أَقْوالِهِ وأَفْعالِهِ وأَحْوالِهِ ، عارِياً مِنَ الكِبْرِ والعُجْبِ والحِقْدِ والحَسَدِ والكَذِبِ ، خالِياً مِنْ دَسائِسِ النَّفْسِ مُتَواضِعاً ذا حُرْمَةٍ لِلفُقَراءِ والمَشايِخِ والغُرَباء ، طَلْقَ اللِّسانِ فِي تَعْرِيفِ السُّلُوكِ ، غَيْرَ عَيٍّ فِي الجَوابِ ، مُهَذَّبَ الأَخْلاقِ ، صاحِبَ قَلْبٍ ولِسانٍ ، ثابِتَ قَدَمٍ ، مُتَسَلْسِلاً بِإِجازَةٍ واصِلَةٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ .

قالَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ عِزُّ الدِّينِ الصَّيَّادِي : اعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَصَدَّرَ لِلمَشْيَخَةِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ عالِماً بِما أَمَرَهُ اللهُ ونَهاهُ عَنْهُ ؛ فَقِيهاً فِي الأُمُورِ

التَّعَبُّدِيَّةِ ، حَسَنَ الأَخْلاقِ ، طاهِرَ العَقِيدَةِ ، عارِفاً بِأَحْكامِ الطَّرِيقَةِ ، سالِكاً مُسَلِّكاً كامِلاً ، شَيْخاً زاهِداً مُتَواضِعاً حَمُولاً للأَثْقالِ ، صاحِبَ وَجْدٍ وحالٍ وصِدْقِ مَقالٍ ، ذا فِراسَةٍ وطَلاقَةِ لِسانٍ فِي تَعَرُّفِ أَحْكامِ الطَّرِيقَةِ ، مُتَبَرِّئاً عَنْ عَوائِقِ الشَّطْحِ ، طارِحاً رِبْقَةَ الدَّعْوَى والغُلُوِّ ، مُحِبًّا لِشَيْخِهِ ، حافِظاً شَأْنَ حُرْمَتِهِ فِي حَياتِهِ وبَعْدَ مَماتِهِ ، يَدُورُ مَعَ الحَقِّ أَيْنَ ما دارَ ، مُنْصِفاً فِي أَقْوالِهِ وأَفْعالِهِ ، مُتَّكِلاً عَلَى اللهِ فِي جَمِيعِ أَحْوالِهِ ، وذَكَرَ السَّيِّدُ مُحَمَّد أَبو الهُدَى الصَّيَّادِي فِي كِتابِهِ (العِقْدُ النَّضِيد فِي آدابِ الشَّيْخِ والمُرِيد) ، فَقالَ : ويَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ الشَّيْخُ المُسَلِّكُ بِاثْنَتَي عَشْرَةَ صِفَةً : صِفَتانِ مِنْ حَضْرَةِ اللهِ تَعالَى وهُما الحِلْمُ والسَّتْرُ ، وصِفَتانِ مِنْ حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وهُما الرَّأْفَةُ والرَّحْمَةُ ، وصِفَتانِ مِنْ حَضْرَةِ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ رضي الله عنه وهُما الصِّدْقُ والتَّصْدِيقُ ، وصِفَتانِ مِنْ حَضْرَةِ الفارُوقِ الأَعْظَمِ رضي الله عنه وهُما الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ ، وصِفَتانِ مِنْ حَضْرَةِ عُثْمانَ ذِي النُّورَيْنِ رضي الله عنه وهُما الحَياءُ والتَّسْلِيمُ ، وصِفَتانِ مِنْ حَضْرَةِ عَلِيٍّ الكَرَّار رضي الله عنه وهُما الزُّهْدُ الأَتَمُّ والشَّجاعَةُ ؛ ومَتَى اتَّصَفَ الشَّيْخُ بِهَذِهِ الأَوْصافِ وتَمَكَّنَ قَدَمُهُ وزَكَتْ شِيَمُهُ صَلَحَ أَنْ يَكُونَ قُدْوَةً فِي الطَّرِيقِ .

وإذا كانَ الصَّاحِبُ أَوِ المَصْحُوبُ أَخاً فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لإخْوانِهِ يُبادِرُ إلَى خِدْمَتِهِمْ ، واقِفاً عَلَى حاجاتِهِمْ بِانْشِراحِ صَدْرٍ وفَرَحٍ وسُرُورٍ مُتَلَذِّذاً بِخِدْمَتِهِمْ ، باذِلاً جُهْدَهُ فِي رِضاهُمْ ، فَقَدْ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (الخادِمُ فِي أَمانِ اللهِ ما دامَ فِي خِدْمَةِ أَخِيهِ المُؤْمِنِ) .

قالَ القُطْبُ الخاشِعُ الخاضِعُ الدَّاعِي السَّيِّدُ أَحْمَدُ الكَبِيرُ الرِّفاعِي :

اصْحَبْ مِنَ الإخْوانِ مَنْ قَلْبُهُ
أَصْفَى مِنَ الياقُوتِ والجَوْهَرِ
ومَنْ إذا سِرَّكَ أَوْدَعْتَهُ
لَمْ يَظْهَرِ السِّرُّ إلَى المَحْشَرِ
ومَنْ إذا أَذْنَبْتَ ذَنْباً أَتَى
مُعْتَذِراً عَنْكَ كَمُسْتَغْفِرِ
ومَنْ إذا غِبْتَ عَنْ عَيْنِهِ
أَقْلَقَهُ الشَّوْقُ ولَمْ يَصْبِرِ

ومِنْ آدابِ الأُخُوَّةِ التَّوَدُّدُ والتَّأَلُّفُ بِكُلِّ ما يَقْدِرُ عَلَيْهِ ويُسْتَطاعُ فِعْلُهُ مَعَ الأَخِ مِنَ الأَفْعالِ الَّتِي تُسْتَجْلَبُ بِها مَوَدَّتُهُ وتَصْفُو بِها أُخُوَّتُهُ ؛ وهَذا الأَدَبُ هُوَ الأَصْلُ الجامِعُ لِسائِرِ الآدابِ كُلِّها وإلَيْهِ مَرْجِعُ الأَخْلاقِ

الحَسَنَةِ بِأَسْرِها ، ولِهَذا كانَ رَأْسَ العَقْلِ كَما فِي الحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : (رَأْسُ العَقْلِ بَعْدَ الإِيمانِ بِاللهِ تَعالَى التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاس) ، ويَكُونُ التَّوَدُّدُ بِأُمُورٍ هِيَ مُعْظَمُ آدابِ الأُخُوَّةِ فِي اللهِ تَعالَى ، ومِنْها أَنْ يَحْفَظَ الأَخُ قَلْبَهُ بِقَدْرِ اسْتِطاعَتِهِ مِنْ أَنْ يُضْمِرَ فِيهِ سُوءاً لأَخِيهِ إِذا رَأَى مِنْهُ ما يَكْرَهُ ، وحِفْظُ القَلْبِ مِنْ ذَلِكَ يَكُونُ بِتَنْبِيهِهِ إِيَّاهُ عَلَى ما كَرِهَهُ مِنْهُ ، لَكِنْ بِلَطافَةٍ وحُسْنِ سِياسَةٍ بِحَيْثُ يُفارِقُ ما كَرِهَهُ مِنْهُ وهُوَ لا يَشْعُرُ أَنَّهُ مَقْصُودٌ مِنْ أَخِيهِ بِذَلِكَ التَّنْبِيهِ ، وهَذا أَوْلَى مَتَى أَمْكَنَ لِجَرْيِهِ عَلَى سُنَنِ الأَخْلاقِ المُحَمَّدِيَّةِ ، ولِبُعْدِهِ عَنْ مَظانِّ الضَّغِينَةِ وغَيْرِها مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى فَسادِ الطَّوِيَّةِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذا وأَدَّى الحالُ إِلَى التَّنْبِيهِ بِالكَلامِ ، فَلْيَكُنْ فِي الخَلا لا فِي المَلا ، وبِتَقْدِيمِ تَمْهِيدٍ يَأْنَسُ بِهِ المَنْصُوحُ بِحَيْثُ يَقَعُ فِي نَفْسِهِ ذَمُّ ما أَرادَ أَنْ يَأْمُرَهُ النَّاصِحُ بِالتَّخْلِيَةِ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُ بِذَلِكَ ، وبِإِخْلاصِ القَصْدِ فِي ذَلِكَ لِلّهِ تَعالَى ، والعَزْمِ عَلَى أَنْ لا يَذْكُرَ ذَلِكَ لأَحَدٍ كائِناً مَنْ كان .

ومِنْ آدابِ المَنْصُوحِ هُنا : أَنْ يُرَوِّضَ نَفْسَهُ لِتَلَقِّي نَصِيحَةِ أَخِيهِ بِالقَبُولِ ، ويَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّما فَعَلَ مَعَهُ ذَلِكَ لِكَمالِ مَوَدَّتِهِ وصَفاءِ إِخائِهِ ، فَيُثْنِيَ عَلَيْهِ ويُجازِيَهُ بِدُعاءِ الخَيْرِ عَلَى ما أَسْداهُ إِلَيْه .

وقَدْ رُوِيَ عَنْ سَيِّدِنا عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ كانَ يَقُولُ : (رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي) ، ومَعْلُومٌ أَنَّ الصَّادِقَ يُحِبُّ مَنْ يُصَدِّقُهُ والكاذِبُ بِخِلافِهِ لا يُحِبُّ النَّاصِحَ ، كَما قالَ تَعالَى : ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (١).

ولْيَحْذَرِ المَنْصُوحُ مِنْ ثَوْرَةِ النَّفْسِ عِنْدَ سَماعِهِ النَّصِيحَةَ ، فَيَحْتَقِرَ النَّاصِحَ ويَقُولُ لَهُ : (مِثْلُكَ يَنْصَحُنِي) أَوْ ما فِي مَعْنَى ذَلِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الجَفاءِ ومِنْ أَعْظَمِ أَسْبابِ الانْتِكاسِ والسُّقُوطِ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ ، والعِياذُ بِاللَّهِ تَعالَى .

قالَ ابنُ عَرَبِي : ومَنْ قالَ لِناصِحِهِ عَلَى سَبِيلِ شُفُوفِ نَفْسِهِ عَلَيْهِ ، مِثْلُكَ يَنْصَحُنِي أَوْ لِمِثْلِي يُقالُ هَذا ، فاعْلَمْ أَنَّهُ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ تَعالَى ، وقَدْ حَجَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ عَنْ عُبُودِيَّتِهِ وعَنِ الإِيمانِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعالَى يَقُولُ : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) .

وبِالجُمْلَةِ فَالَّذِي عَلَيْهِ المَدارُ فِي هَذا الأَدَبِ هُوَ حِفْظُ القَلْبِ مِنْ إِضْمارِ السُّوءِ لِلأَخِ ، فَإِنْ أَمْكَنَ تَنْبِيهُهُ عَلَى الكَيْفِيَّةِ السَّابِقَةِ أَوِ التَّسَبُّبُ فِي إِزالَةِ الوَصْفِ المَكْرُوهِ مِنْهُ بِشَيْءٍ فَذاكَ ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَلْيَجْتَهِدْ فِي الدُّعاءِ لَهُ بِظَهْرِ الغَيْبِ مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ وهَذا أَدْنَى الدَّرَجاتِ

---

(١) سُورَةُ الأَعْراف : مِنَ الآيَة ٧٩ .
(٢) سُورَةُ الذَّارِيات : الآيَة ٥٥ .

فِيما يُطْلَبُ مِنْ حُقُوقِ الأُخُوَّةِ فِي هَذا الباب ، ولْيُجاهِدْ نَفْسَهُ بَعْدَ هَذا فِي التَّخَلِّي عَنْ إِضْمارِ السُّوءِ لأَخِيهِ ما أَمْكَنَهُ ، وذَلِكَ لأَنَّهُمْ نَصُّوا عَلَى أَنَّ أَحَدَ الأَخَوَيْنِ إذا أَضْمَرَ لأَخِيهِ سُوءاً أَوْ إذا أَضْمَرَ كُلٌّ مِنْهُما لِلآخَرِ ذَلِكَ والعِياذُ بِاللهِ تَعالَى فَقَدِ ارْتَفَعَتْ بَيْنَهُما الأُخُوَّةُ مِنْ أَصْلِها ، إِذِ الأُخُوَّةُ مُواجَهَةٌ كَما أَفادَهُ مِنْ طَرِيقِ الإِشارَةِ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ (١) ، ومَتَى وَقَعَ إِضْمارُ السُّوءِ مِنْ أَحَدِهِما أَوْ مِنْهُما ارْتَفَعَتِ المُواجَهَةُ وحَصَلَتِ المُدابَرَةُ ، وبِالمُدابَرَةِ يَرْتَفِعُ وَصْفُ الأُخُوَّةِ مِنْ بَيْنِهِما والعِياذُ بِاللهِ تَعالَى .

واخْتُلِفَ إذا ظَهَرَ مِنْ أَحَدِ المُتَآخِيْنِ ما يُوجِبُ المُقاطَعَةُ هَلْ يَهْجُرُ أَمْ لا ؟

وكانَ سَيِّدُنا أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه يَقُولُ : (إذا انْقَلَبَ الأَخُ عَمَّا كانَ عَلَيْهِ أَبْغَضْتُهُ مِنْ حَيْثُ أَحْبَبْتُهُ) ، وذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّ الأَخَ لا يُبْغَضُ بَعْدَ الصُّحْبَةِ ولَكِنْ يُبْغَضُ فِعْلُهُ كَما قالَ تَعالَى : ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٢) ؛ ولَمْ يَقُلْ جَلَّ وعَلا : إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ ، وكانَ

---

(١) سُورَةُ الحِجْر : الآيَة ٤٧ .

(٢) سُورَةُ الشُّعَراء : الآيَة ٢١٦ .

سَيِّدُنا عَلِيٌّ زَيْنُ العابِدِينَ ﷺ يَقُولُ : لا تُبْغِضْ ذاتَ أَخِيكَ وابْغُضْ فِعْلَهُ ، فَإِنْ تابَ مِنْهُ فَهُوَ أَخُوكَ .

والَّذي عَلَيْهِ المُحَقِّقُونَ ويُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كالجَمْعِ بَيْنَ القَوْلَيْنِ السَّابِقَيْنِ التَّفْصِيلُ فِيما يَظْهَرُ مِنْ مُوجِبِ البُغْضِ ، فَإِنْ كانَ المُوجِبُ فَسادَ عَقِيدَةٍ وسُوءَ ظَنٍّ وفَسْخَ عَهْدٍ عَمَداً بِانْقِلابٍ عَنِ الحالَةِ الأُولَى جِهاراً بِإِبْداءِ العَداوَةِ والتَّجاهُرِ بِالمُخالَفَةِ والعِياذُ بِاللهِ تَعالَى ، فَإِنَّ صاحِبَ هَذا الحالِ يَجِبُ هَجْرُهُ وإِبْعادُهُ مُوافَقَةً لِلْحَقِّ فِيهِ لا احْتِقاراً لَهُ ، وعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ سَيِّدِنا أَبِي ذَرٍّ ﷺ : (أَبْغَضْتُهُ مِنْ حَيْثُ أَحْبَبْتُهُ) فَلا خَيْرَ فِي مُوالاتِهِ إِلَّا إِذا تابَ ورَجَعَ نادِماً مُسْتَغْفِراً مُسْتَقْبِلاً مُعْتَرِفاً مُنْكَسِراً ، وإِنْ كانَ المُوجِبُ ارْتِكابَ ذَنْبٍ لا يَرْضاهُ رَبُّهُ ، والتَّلَبُّسَ بِشَيْءٍ مِمَّا يَشْتَبِهُ عِنْدَ النَّاسِ مُلابَسَتُهُ وقُرْبُهُ ، أَوْ عَثْرَةً حَدَثَتْ أَوْ هَفْوَةً وَقَعَتْ وكانَ بِحَيْثُ تُرْجَى تَوْبَتُهُ وتُتَوَقَّعُ فَيْئَتُهُ فَهَذا لا يَنْبَغِي أَنْ يُعامَلَ بِالبُغْضِ لِذاتِهِ ولَكِنْ بُغْضُ فِعْلِهِ وما تَلَبَّسَ بِهِ مِنْ عَوارِضِ هَفَواتِهِ ، ويُلْحَظُ مَعَ ذَلِكَ بِعَيْنِ الوِدادِ ويُنْتَظَرُ لَهُ الفَرَجُ والعَوْدُ إِلَى مَواطِنِ الصُّلْحِ مِنْ مَواطِنِ الجَفاءِ والبِعادِ ؛ وهَذا هُوَ الَّذي يَجِبُ عَلَى أَخِيهِ أَنْ يُعامِلَهُ بِجَمِيعِ ما تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وأَنْ يَتَحَفَّظَ غايَةَ التَّحَفُّظِ مِنْ

أَنْ يَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ باطِنُهُ وسِرُّهُ ، وأَحْرَى أَنْ لا يَشْتِمَهُ مُشافَهَةً أَوْ يُعَيِّرَهُ بِفِعْلِهِ مُواجَهَةً ؛ وقَدْ قالَ ﷺ لِمَنْ شَتَمَ الرَّجُلَ الَّذي أَتَى بِفاحِشَةٍ : (مَهْ لا تَكُونُوا أَعْواناً لِلشَّيْطانِ عَلَى أَخِيكُمْ) ، وقالَ إِبْراهِيمُ النَّخْعِي : لا تَقْطَعْ أَخاكَ ولا تَهْجُرْهُ عِنْدَ الذَّنْبِ لِذَنْبِهِ فَإِنَّهُ يَرْتَكِبُهُ اليَوْمَ ويَتْرُكُهُ غَداً ، خُصُوصاً إِذا كانَ هَذا الأَخُ الَّذي صَدَرَتْ مِنْهُ هَذِهِ العَثْرَةُ أَوْ دَهَمَتْهُ هَذِهِ الفَتْرَةُ مِمَّنْ تَقَدَّمَ لَهُ مُمارَسَةٌ بِالطَّرِيقِ وإِشْرافٌ عَلَى مَدارِجِ الأَذْواقِ والتَّحْقِيقِ ، فَإِنَّهُ تَجِبُ مُعامَلَتُهُ بِالإِغْضاءِ ومَزِيدِ البِرِّ والإِرْضاءِ ، وفِي الخَبَرِ : (اتَّقُوا زَلَّةَ العالِمِ ولا تَقْطَعُوا وانْتَظِرُوا فَيْئَتَهُ) ، ومِنَ الأَدَبِ هُنا أَنْ يُكْثِرَ الأَخُ مِنَ الاسْتِغْفارِ لأَخِيهِ المُبْتَلَى بِما ذُكِرَ بِظَهْرِ الغَيْبِ ، وأَنْ يَهْتَمَّ لَهُ غايَةَ الاهْتِمامِ ويَتَوَجَّهَ إِلَى اللهِ بِقَدْرِ الإِمْكانِ فِي كَشْفِ ما نَزَلَ بِهِ ، وأَنْ لا يُقَصِّرَ فِي نُصْحِهِ لَكِنْ عَلَى الحَدِّ الَّذي تَقَدَّمَ وَجْهُهُ .

ورُوِيَ عَنْ سَيِّدِنا عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ كانَ آخَى رَجُلاً فِي اللهِ تَعالَى ، فَخَرَجَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى الشَّامِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ سَيِّدُنا عُمَرُ رضي الله عنه بَعْضَ مَنْ قَدِمَ مِنَ الشامِ ، فَقالَ ما فَعَلَ أَخِي ؟ فَقالَ : ذَلِكَ أَخُو الشَّيْطانِ ، قالَ : مَه ، قالَ : إِنَّهُ قارَفَ الكَبائِرَ حَتَّى وَقَعَ فِي الخَمْرِ ،

فَقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِذَلِكَ الرَّجُلِ : إذا أَرَدْتَ الخُرُوجَ (يَعْنِي إِلَى الشَّام) فَآذِنِّي ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ سَيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ (١) ، ثُمَّ عاتَبَهُ تَحْتَ ذَلِكَ وعَزَلَهُ ، فَلَمَّا قَرَأَ الكِتابَ بَكَى وقالَ : صَدَقَ اللهُ ونَصَحَ عُمَرُ ، فَتابَ ورَجَعَ .

ومِنَ الأَدَبِ فِي هَذا البابِ أَيْضاً إِذا وَقَعَ ونَزَلَ وحَصَلَتْ فُرْقَةٌ ومُبايَنَةٌ أَنْ لا يَذْكُرَهُ إِلَّا بِخَيْرٍ ؛ لِما رُوِيَ عَنْ بَعْضِ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَنَّهُ كانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ لا تُرْضِيهِ أَخْلاقُها فَكانَ إِذا اسْتُخْبِرَ عَنْ حالِها يَقُولُ : لا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ فِي أَهْلِهِ إِلَّا خَيْراً ، ثُمَّ فارَقَها وطَلَّقَها ، فاسْتُخْبِرَ عَنْ حالِها فَقالَ : بَعِدَتْ مِنِّي ولَيْسَتْ مِنِّي بِشَيْءٍ كَيْفَ أَذْكُرُها ؟! قالَ السَّهْرَوَرْدِي بَعْدَ حِكايَتِهِ لِهَذا : وهَذا مِنَ التَّخَلُّقِ بِأَخْلاقِ اللهِ تَعالَى الَّذي أَظْهَرَ الجَمِيلَ وسَتَرَ القَبِيحَ .

ومِنْها أَيِ الأُمُورُ الَّتي يَنْشَأُ عَنْها التَّوَدُّدُ والتَّآلُفُ ؛ وهِيَ كَما أَسْلَفْناهُ مُعْظَمُ الآدابِ المُوافِقَةِ وتَرْكُ المُخالَفَةِ مَعَ الإِخْوَةِ والأَصْحابِ ، ويَكُونُ

---

(١) سُورَةُ غافِر : الآيات ١ ـ ٣ .

ذَلِكَ بِتَرْكِ المِراءِ والجِدالِ ، ولا يُنْتَزَعُ المِراءُ إلَّا مِنْ نُفُوسٍ زَكِيَّةٍ قَدِ انْتُزِعَ مِنْها الغِلُّ وغَيْرُهُ مِنَ الأَخْلاقِ الرَّدِيَّةِ ، واتَّصَفَتْ بِالأَخْلاقِ الحَسَنَةِ المَرْضِيَّةِ ؛ إذْ وُجُودُ الغِلِّ فِي النُّفُوسِ كَما قِيلَ مِراءٌ ، وإذا انْتُزِعَ المِراءُ مِنَ الباطِنِ ذَهَبَ مِنَ الظَّاهِرِ ، وأَكْثَرُ ما يَنْشَأُ عَنْهُ الغِلُّ فِي الباطِنِ المُزاحَمَةُ عَلَى الحُظُوظِ العاجِلَةِ بِكَثْرَةِ المُنافَسَةِ فِيها خُصُوصاً مِمَّنْ كانَ بَيْنَهُما مُشاكَلَةٌ ومُمَاثَلَةٌ ومُجانَسَةٌ ، ومَنِ اسْتَقْصَى فِي تَذْوِيبِ حُظُوظِ النَّفْسِ بِأَنْوارِ الذِّكْرِ عَلَى سَبِيلِ التَّزْكِيَةِ بِالسُّلُوكِ عَلَى أَيْدِي الكُمَّلِ مِنْ أَهْلِ التَّرْبِيَةِ تَنَحَّى الغِلُّ مِنْ باطِنِهِ بِحَيْثُ لا تَبْقَى فِيهِ بَقِيَّةٌ وتَصِيرُ نَفْسُهُ أُخْرَوِيَّةً بَعْدَ أَنْ كانَتْ دُنْيَوِيَّةً ، فَلا يُنافِسُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ مِنَ الحُظُوظِ العاجِلَةِ مِنْ جاهٍ أَوْ مالٍ لِكَمالِ تَعَلُّقِ قَلْبِهِ بِحَضْرَةِ مَوْلاهُ ذِي الجَلالِ .

كَيْفَ يَبْقَى كَما قِيلَ : الغِلُّ فِي قُلُوبٍ ائْتَلَفَتْ بِاللهِ واتَّفَقَتْ عَلَى مَحَبَّتِهِ ، واجْتَمَعَتْ عَلَى مَوَدَّتِهِ ، وأَنِسَتْ بِذِكْرِهِ ، واسْتَغْرَقَتْ فِي شُكْرِهِ ؛ فَإِنَّ تِلْكَ قُلُوبٌ تَصَفَّتْ مِنْ هَواجِسِ النُّفُوسِ وظُلُماتِ الطَّبائِعِ بَلْ تَكَحَّلَتْ بِنُورِ التَّوْفِيقِ مِنْ فَضْلِ المَلِكِ الصَّانِعِ ، ولا مَحالَةَ أَنَّ هَذِهِ القُلُوبَ هِيَ قُلُوبُ أَهْلِ اللهِ المُجْتَمِعِينَ عَلَى الكَلِمَةِ الواحِدَةِ مَعَ التَّعَلُّقِ بِشُرُوطِ

الطَّرِيقِ والانْكِبابِ عَلَى طَلَبِ الحَقِّ بِكَمالِ الصِّدْقِ والتَّصْدِيقِ .

قالَ أَئِمَّةُ الطَّرِيقِ رضي الله عنهم : والنَّاسُ فِي هَذا رَجُلانِ : رَجُلٌ طالِبٌ ما عِنْدَ اللهِ ، ويَدْعُو إلَى ما عِنْدَ اللهِ نَفْسَهُ وغَيْرَهُ فَما لِلحَقِّ مَعَ هَذا مُنافَسَةٌ ولا مِراءٌ ولا غِلٌّ لأَنَّهُ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ واحِدَةٍ ووِجْهَةٍ واحِدَةٍ فَهُوَ أَخُوهُ ومُعِينُهُ ، (والمُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنِ كالبُنْيانِ المَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً) ، ورَجُلٌ مُفْتَتِنٌ - والعِياذُ بِاللهِ تَعالَى - بِشَيْءٍ مِنْ مَحَبَّةِ الجاهِ والمالِ والرِّياسَةِ ونَظَرِ الخَلْقِ ، فَما لِلحَقِّ مَعَ هَذا أَيْضاً مُنافَسَةٌ لأَنَّهُ زَهِدَ فِيما رَغِبَ فِيهِ ، فَهُوَ فِي وادٍ وذاكَ فِي وادٍ .

ومِنَ الأَدَبِ أَنْ يَنْظُرَ إلَى مِثْلِ هَذا نَظَرَ شَفَقَةٍ ورَحْمَةٍ ، فَلا يَنْطَوِي لَهُ عَلَى غِلٍّ ولا يَشْتَغِلُ مَعَهُ بِمِراءٍ ولا مُجادَلَةٍ لِعِلْمِهِ بِظُهُورِ نَفْسِهِ الأَمَّارَةِ فِي ذَلِكَ مِمَّا تَقْتَضِيهِ المُجانَسَةُ الظَّاهِرَةُ والمُشاكَلَة ؛ وتَرْكُ المِراءِ خَيْرٌ عَلَى كُلِّ حال ، وفِي الحَدِيثِ : (مَنْ تَرَكَ المِراءَ وهُوَ مُبْطِلٌ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ ، ومَنْ تَرَكَ المِراءَ وهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي وَسَطِها ، ومَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ بُنِيَ لَهُ فِي أَعْلاها) .

ومِنَ الأُمُورِ الَّتِي يَكُونُ بِها التَّوَدُّدُ والتَّآلُفُ أَيْضاً إيثارُ الأَخِ أَخاهُ فِي أَمْرِ دُنْياهُ ، قِيلَ وكَذا فِيما يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ أُخْراهُ ، والأَصْلُ الَّذِي اسْتَنَدَ إلَيْهِ

أَهْلُ الطَّرِيقِ فِي هَذا الباب قَوْلُ اللهِ جَلَّ فِي عُلاهُ فِي حَقِّ الأَنْصارِ ﷺ : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (١) .

سُئِلَ الشَّيْخُ أَبو الحَسَن البُوشَنْجِي عَنِ الفُتُوَّة ؟ فَقالَ : الفُتُوَّةُ عِنْدِي ما وَصَفَ اللهُ تَعالَى بِهِ الأَنْصارَ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (٢) .

قالَ ابنُ عَطاء : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ : جُوداً وكَرَماً .

﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ : جُوعٌ وفَقْرٌ .

وأَمَّا الإِيثارُ بِأُمُورِ الآخِرَةِ : فَمِنْ ذَلِكَ ما ذُكِرَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ لَقِيَ أَخاً لَهُ فَلَمْ يُظْهِرِ البِشْرَ الكَثِيرَ فِي وَجْهِهِ ، فَأَنْكَرَ أَخُوهُ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَقالَ يا أَخِي سَمِعْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : (إِذا الْتَقَى المُسْلِمانِ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِما مِائَةُ رَحْمَةٍ ؛ تِسْعُونَ لأَكْثَرِهِما بِشْراً وعَشْرٌ لأَقَلِّهِما بِشْراً) ؛ فَأَرَدْتُ أَنْ تَكُونَ أَكْثَرَ مِنِّي بِشْراً لِيَكُونَ لَكَ الأَكْثَرُ .

وانْظُرْ ما ذَكَرُوهُ مِنْ أَنَّ المُرِيدَ لا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُؤْثِرَ بِفَضْلَةِ الشَّيْخِ ونَحْوِهِ

---

(١) سُورَةُ الحَشْرِ : مِنَ الآيَةِ ٩ .   (٢) سُورَةُ الحَشْرِ : الآيَةَ ٩ .

مِمَّا يَخُصُّهُ بِهِ ؛ كَما قالَ الشَّيْخُ زَرُّوق فِي قَواعِدِهِ : ومَتَى أَعْطاكُمْ مَأْكُولاً أَوْ غَيْرَهُ فَلا تُؤْثِرُوا بِهِ الغَيْرَ ولا تُشارِكُوا قَرِيباً ولا بَعِيداً فِيهِ ، فَقَدْ يَكُونُ جَمَعَ لَكُمْ فِيهِ سِرًّا فَيَفُوتَ مِنَ المَدَدِ بِحَسَبِ الشِّرْكَةِ فِيه .

هَلْ هُوَ مُسْتَثْنًى مِمَّا تَقَدَّمَ أَوْ لا ؟ والظَّاهِرُ واللهُ تَعالَى أَعْلَمُ أَنَّ المُرِيدِينَ المُتَآخِينَ فِي اللهِ تَعالَى الصَّادِقِينَ فِي طَرِيقِ الإِرادَةِ مَوْكُولُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى ما تُنْتِجُهُ لَهُمْ أَحْوالُ مَحَبَّتِهِمْ وصِدْقِهِمْ ؛ فَلا يُعْتَرَضُ عَلَى مَنِ امْتَنَعَ مِنْهُمْ مِنَ الإِيثارِ ، كَما لا يُعْتَرَضُ عَلَى مَنْ جَنَحَ إِلَيْهِ ؛ إِذْ كُلٌّ مِنْهُما عَلَى صَوابٍ بِحُكْمِ ما أَنْتَجَهُ لَهُ حالُ صِدْقِهِ ومَحَبَّتِهِ .

ومِنْ ذَلِكَ أَيْضاً وهُوَ مِنْ آكَدِها مُواساةُ الأَخِ أَخاهُ مِنْ مالِهِ ، وكَذا مِنْ جاهِهِ بِالمَقْدُورِ ، ومُواصَلَتُهُ بِطَرِيقِ المُجامَلَةِ والمُكارَمَةِ فِي الوُرُودِ والصُّدُورِ ، والأَدَبُ فِي هَذا الخُلُقِ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِ الكَمالِ حَتَّى لا يَحْصُلَ بِهِ شَيْءٌ مِمَّا يَتَأَذَّى بِهِ المُواسَى ؛ كالمَنِّ وما فِي مَعْناهُ مِمَّا جُبِلَتْ عَلَيْهِ أَنْفُسُ اللِّئامِ مِنَ النَّاس ، ومِمَّا هُوَ فِي مَعْنَى المَنِّ جَعْلَها فِي مُقابَلَةِ غَرَضٍ مِنَ الأَغْراضِ أَوْ عِوَضٍ مِنَ الأَعْواضِ ولَوِ الجَزاءُ مِنَ الشُّكْرِ عَلَيْها مِنَ المُواسَى والثَّناءُ مِنْ غَيْرِهِ ؛ لأَنَّ الحامِلَ عَلَى الإِيثارِ والمُواساةِ طَهارَةُ النَّفْسِ وشَرَفُ غَرِيزَتِها ، وهَذا الوَصْفُ

فِي النَّفْسِ لا يَتَكامَلُ إلَّا فِي أَهْلِ طَرِيقِ اللهِ تَعالَى وهُوَ المُعَبَّرُ عَنْهُ بالسَّخاءِ وفِي مُقابَلَتِهِ الشُّحُّ ، كَما أَنَّ الجُودَ فِي مُقابَلَتِهِ البُخْلُ ؛ والفَرْقُ أَنَّ الجُودَ والبُخْلَ يَتَطَرَّقُ إلَيْهِما الاكْتِسابُ بِطَرِيقِ العادَةِ ، بِخِلافِ السَّخاءِ والشُّحِّ إذْ كانا مِنْ غَرائِزِ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ ؛ فَكُلُّ سَخِيٍّ جَوادٌ ولا عَكْسَ ، والجُودُ يَتَطَرَّقُ إلَيْهِ الرِّياءُ لِما فِيهِ مِنَ التَّطَلُّعِ إلَى العِوَضِ بِمُقابَلَةٍ ما ولَوْ بِالثَّناءِ ، والسَّخاءُ لا يَتَطَرَّقُ إلَيْهِ الرِّياءُ لأَنَّهُ يَنْبُعُ مِنَ النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ والهِمَمِ المُرْتَفِعَةِ عَنِ الأَعْواضِ كَيْفَما كانَتْ ؛ فَكُلُّ مَنْ كانَتْ غَرِيزَتُهُ أَسْخَى تَكُونُ مَرْتَبَتُهُ فِي الصَّفاءِ أَعْلَى ، قالَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَى : ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (١) ، فَحَكَمَ سُبْحانَهُ فِي هَذِهِ الآيَةِ بِالفَلاحِ لِلسَّخِيِّ ؛ والفَلاحُ أَجْمَعُ اسْمٍ لِسَعادَةِ الدّارَيْنِ ..

ومِنْها أَيْضاً : أَي مِنَ الأَخْلاقِ المُنْتِجَةِ لِلتَّوَدُّدِ والتَّأَلُّفِ مُداراةُ الإِخْوَةِ واحْتِمالُ الأَذَى مِنْهُمْ ؛ وقَدْ قالُوا لا شَيْءَ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى قُوَّةِ عَقْلِ المَرْءِ ووُفُورِ عِلْمِهِ وحِلْمِهِ كَحُسْنِ المُداراةِ ، وقالُوا : لِكُلِّ شَيْءٍ جَوْهَرٌ وجَوْهَرُ الإِنْسانِ العَقْلُ ، وجَوْهَرُ العَقْلِ الصَّبْرُ ، ولِهَذا قِيلَ : بِاحْتِمالِ

---

(١) سُورَةُ الحَشْرِ : مِنَ الآيَةِ ٩ .

الأذى يَظْهَرُ جَوْهَرُ النَّفْسِ ؛ وبَيانُ ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ لا تَزالُ تَشْمَئِزُّ مِمَّنْ يَعْكِسُ مُرادَها ويَسْتَفِزُّها الغَيْظُ والغَضَبُ ، وبِالمُداراةِ والاحْتِمالِ قَطْعُ حَمِيَّتِها ورَدُّ طَيْشِها وكَظْمُ غَيْظِها ؛ ويَكْفِي فِي الحَثِّ عَلَى هَذا الأَدَبِ والتَّرْغيبِ فِيهِ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [1] .

وفِي الحَديث : (مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ ، دَعاهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شاءَ) .

وتَشْتَبِهُ المُداراةُ بِالمُداهَنَةِ ؛ والفَرْقُ بَيْنَهُما أَنَّ المُداراةَ ما أَرَدْتَ بِهِ صَلاحَ أَخِيكَ فَدارَيْتَهُ رَجاءَ إِصْلاحِهِ واحْتَمَلْتَ مِنْهُ ما تَكْرَهُ ، والمُداهَنَةُ ما قَصَدْتَ بِهِ شَيْئاً مِنَ الهَوَى كَطَلَبِ حَظٍّ وإِقامَةِ جاهٍ ؛ فالأُولَى مِنْ أَخْلاقِ الأَخْيارِ ، والثَّانِيَةُ مِنْ سِماتِ الأَشْرارِ ، وقِيلَ فِي الفَرْقِ بَيْنَ حَقِيقَتِهِما : أَنَّ المُداراةَ بَذْلُ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيا لإِصْلاحِ الدِّينِ ، والمُداهَنَةُ بَذْلُ الدِّينِ لإِصْلاحِ الدُّنْيا .

---

(١) سُورَةُ آلِ عِمْران : الآيتان ١٣٣ ، ١٣٤ .

وهَذا الأَدَبُ قاسِمٌ مُشْتَرَكٌ أَكَّدَ عَلَيْهِ جَمِيعُ مَشايِخِ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ فِي مَناهِجِ تَرْبِيَتِهِمْ لِمُرِيدِيهِمْ ؛ فَهُوَ داخِلٌ فِي عُمُومِ الأَمْرِ بِتَجَنُّبِ كُلِّ ما يُوجِبُ ضَغِينَةً فِي قُلُوبِ الإِخْوانِ ، والأَمْرِ بِالإِكْثارِ مِنَ العَفْوِ عَنِ الزَّلَلِ وغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ تَتَبُّعُهُ وحَصْرُهُ ، فَلْيَجْتَهِدِ المُرِيدُ فِي العَمَلِ عَلَيْهِ ، ولْيُجاهِدْ نَفْسَهُ ما اسْتَطاعَ بِتَرْكِ ما يُبْعِدُ عَنْهُ وارْتِكابِ ما يُوَصِّلُ إِلَيْهِ ، واللهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .

ومِنْها أَيْ مِنَ الأَخْلاقِ الَّتِي تُنْتِجُ التَّوَدُّدَ والتَّأَلُّفَ : أَنْ لا يُحْوِجَ الأَخُ أَخاهُ إِلَى المُداراةِ ولا يُلْجِئَهُ إِلَى الاعْتِذارِ ، ولا يُكَلِّفَهُ ما يَشُقُّ عَلَيْهِ لِقَوْلِ مَوْلانا الإِمامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه وكَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : شَرُّ الأَصْدِقاءِ مَنْ أَحْوَجَكَ إِلَى مُداراةٍ وأَلْجَأَكَ إِلَى الاعْتِذارِ وتَكَلَّفْتَ لَهُ .

والجَمْعُ بَيْنَ هَذا الخُلُقِ والَّذِي قَبْلَهُ مِنْ أَكْمَلِ أَوْصافِ أَهْلِ الطَّرِيقِ وذَلِكَ بِأَنْ يُعامِلَ أَخاهُ بِحُسْنِ المُداراةِ ولا يُحْوِجَهُ هُوَ إِلَى أَنْ يُعامِلَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وهَذا مِنْ أَعْظَمِ أَخْلاقِ الفُتُوَّةِ لأَنَّ فِيهِ بَذْلَ الإِنْصافِ لِلأَخِ وتَرْكَ المُطالَبَةِ بِالإِنْصافِ مِنْهُ ، وهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَخْلاقِهِمْ وأَكْمَلِ آدابِهِمْ .

قالَ الشَّيْخُ أَبو عُثْمانَ الحِيرِي : حَقُّ الصُّحْبَةِ أَنْ تُوَسِّعَ عَلَى أَخِيكَ

بمالِكَ ولا تَطْمَعَ أَنْتَ فِي مالِهِ ، وتُنْصِفَهُ مِنْ نَفْسِكَ ولا تَطْلُبَ مِنْهُ الإنْصافَ ، وتَكُونَ تَبَعاً لَهُ ولا تَطْمَعَ أَنْ يَكُونَ تَبَعاً لَكَ ، وتَسْتَكْثِرَ ما يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُ وتَسْتَقِلَّ ما يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْكَ .

ومِنَ الأَخْلاقِ المُنْتِجَةِ لِلتَوَدُّدِ والتَّأَلُّفِ أَيْضاً تَرْكُ تَكَلُّفِ الأَخِ لأَخِيهِ فِي جَمِيعِ مُعامَلَتِهِ مَعَهُ ، وذَلِكَ لأَنَّ التَّكَلُّفَ تَصَنُّعٌ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ وما كانَ كَذَلِكَ لا يَلْبَثُ أَنْ يَضْمَحِلَّ ويَنْقَلِبَ عَلَى الضِّدِّ أَمْرُهُ .

والتَّكَلُّفُ يَكُونُ بِالمَلْبُوسِ كَأَنْ يَلْبَسَ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ صالِحَةٍ فِي ذَلِكَ ، وبِالكَلامِ أَيْضاً ؛ وذَلِكَ بِأَنْ يَخْرُجَ فِي المُلاطَفَةِ إِلَى حَدِّ التَّمَلُّقِ ، وقَدْ يَتَمَلَّقُ الإنْسانُ إِلَى حَدٍّ يُخْرِجُهُ إِلَى حَدِّ النِّفاقِ والعِياذُ بِاللهِ تَعالَى ، ويَكُونُ التَّكَلُّفُ أَيْضاً بِالطَّعامِ الَّذِي يُقَدَّمُ لِلضَّيْفِ ونَحْوِهِ ، والفُتُوَّةُ تَرْكُ التَّكَلُّفِ وإِحْضارُ ما حَضَرَ ، وبِذَلِكَ يَسْتَوِي مَقامُ الضَّيْفِ وذَهابُهُ ؛ وفِي الحَدِيثِ : (مِنْ مَكارِمِ الأَخْلاقِ التَّزاوُرُ فِي اللهِ ، وحَقٌّ عَلَى المَزُورِ أَنْ يُقَرِّبَ إِلَى أَخِيهِ ما تَيَسَّرَ عِنْدَهُ وإِنْ لَمْ يَجِدْ إِلَّا جَرْعَةَ ماءٍ ، وإِنِ احْتَشَمَ أَنْ يُقَرِّبَ إِلَى أَخِيهِ ما تَيَسَّرَ لَهُ لَمْ يَزَلْ فِي مَقْتِ اللهِ يَوْمَهُ ولَيْلَتَهُ) .

وهَذا لا يَتَعارَضُ مَعَ مَنْ يُقَدِّمُ لإِخْوانِهِ فِي اللهِ الأَحْباب ، ما لَذَّ مِنَ

الطَّعامِ والشَّرابِ وطاب ، فَلا يَكُونُ مَذْمُوماً بَلْ ذَلِكَ مَعْدُودٌ عِنْدَهُمْ مِمَّا يُسْتَجْلَبُ بِهِ رِضا اللهِ تَعالَى ؛ وعَلَى هَذا يَجْري قَوْلُ بَعْضِهِمْ : إذا زارُوكَ قَدِّم المَوْجُود ، وإذا اسْتُزِرْتَ فابْذُلِ المَجْهُود .

وكَذَلِكَ المَلْبَسُ المُنْتَخَبُ إذا كانَ بِقَصْدٍ صَحِيحٍ ونِيَّةٍ صالِحَةٍ كالتَّجَمُّلِ لِلوُفُودِ ولِلأَعْيادِ والجُمُعَةِ واجْتِماعِ الأَحِبَّةِ ونَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ سُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لا يَكُونُ مِنْ تَكَلُّفِ المَلْبَسِ المَذْمُومِ ، وكَذَلِكَ ما يَصُوغُهُ الصَّادِقُونَ مِنَ الأَحِبَّةِ فِي مَدْحِ مَشايِخِهِمْ وإِخْوانِهِمْ مِنَ القَصائِدِ الشِّعْرِيَّةِ ونَحْوِها مِمَّا يُحْمَلُ عَلَيْهِ صِدْقُ المَحَبَّةِ وصَفاءُ المَوَدَّةِ لا يُعَدُّ مِنْ تَكَلُّفِ الكَلامِ المَذْمُومِ .

ومِنَ الأَخْلاقِ الَّتي يَدُومُ بِها التَّوَدُّدُ والتَّأَلُّفُ أَيْضاً مُحافَظَةُ الأَخِ عَلَى مُساعَدَةِ أَخِيهِ وتَرْكُ مُخالَفَتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ دَقَّ أَوْ جَلَّ إلَّا فِيما يُخالِفُ الشَّرِيعَةَ المُطَهَّرَة .

ومِنْ تِلْكَ الأَخْلاقِ أَيْضاً مُحافَظَةُ الأَخِ عَلَى سَتْرِ عَوْرَةِ أَخِيهِ بِما أَمْكَنَ ؛ ويُرْوَى أَنَّ سَيِّدَنا عِيسَى عليه السلام قالَ لأَصْحابِهِ كَيْفَ تَصْنَعُونَ إذا رَأَيْتُمْ أَخاكُمْ نائِماً فَكَشَفَتِ الرِّيحُ عَنْ ثَوْبِهِ ؟ قالُوا : نَسْتُرُهُ ونُغَطِّيهِ ، فَقالَ : بَلْ تَكْشِفُونَ عَوْرَتَهُ ، قالُوا : سُبْحانَ اللهِ مَنْ يَفْعَلُ هَذا ؟ قالَ : أَحَدُكُمْ

يَسْمَعُ فِي أَخِيهِ الكَلِمَةَ فَيَزِيدُ عَلَيْها ويُشِيعُها بِأَعْظَمَ مِنْها .

ومِنْ تِلْكَ الأَخْلاقِ الَّتي يَدُومُ بِها التَّوَدُّدُ والتَّأَلُّفُ أَيْضاً تَقْدِيمُ مَنْ يَعْرِفُ الإِخْوَةُ فَضْلَهُ مِنْ إِخْوانِهِمْ والتَّوْسِعَةُ لَهُ فِي المَجْلِسِ وإِيثارُهُ بِالمَوْضِعِ ؛ ومُسْتَنَدُهُمْ فِي هَذا ما رُوِيَ : (أَنَّهُ ﷺ كانَ جالِساً فِي صُفَّةٍ ضَيِّقَةٍ فَجاءَهُ قَوْمٌ مِنَ البَدْرِيِّينَ فَلَمْ يَجِدُوا مَوْضِعاً يَجْلِسُونَ فِيهِ فَأَقامَ ﷺ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ فَجَلَسُوا مَكانَهُمْ ، فاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَنَزَلَتِ الآيَةُ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١) ، ومَعْلُومٌ قِيامُ الصِّدِّيقِ الأَكْبَرِ سَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه لِمَوْلانا عَلِيٍّ - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ - وإِيثارُهُ بِالمَجْلِسِ بِجَنْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وقَوْلُهُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : (إِنَّما يَعْرِفُ الفَضْلَ لأَهْلِ الفَضْلِ ذَوُوهُ) .

وخُلاصَةُ القَوْلِ : إِنَّ اخْتِيارَ الصُّحْبَةِ والأُخُوَّةِ عَمَلٌ ، وإِنَّ كُلَّ عَمَلٍ يَحْتاجُ إِلَى حُسْنِ الابْتِداءِ وهُوَ النِّيَّةُ عَلَى الوَجْهِ الَّذي تَقَدَّمَ بَيانُهُ ،

---

(١) سُورَةُ المُجادِلَة : الآيَة ١١ .

وقَدْ قالُوا إنَّ العَمَلَ كَما يَحْتاجُ إلَى حُسْنِ الابْتِداءِ كَذلِكَ يَحْتاجُ إلَى حُسْنِ الاخْتِتامِ ؛ فَحُصُولُ النَّتِيجَةِ فِي الصُّحْبَةِ والأُخُوَّةِ مَشْرُوطٌ بِحُسْنِ الاخْتِتامِ ، وقَدْ قالَ ﷺ فِي خَبَرِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللّٰهُ تَبارَكَ وتَعالَى بِظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ : (ورَجُلانِ تَحابَّا فِي اللّٰهِ اجْتَمَعا عَلَيْهِ وتَفَرَّقا عَلَيْهِ) .

قالَ فِي عَوارِفِ المَعارِف : فِيهِ إشارَةٌ إلَى أَنَّ الأُخُوَّةَ والصُّحْبَةَ مِنْ شَرْطِهِما حُسْنُ الخاتِمَةِ حَتَّى يُكْتَبَ لَهُما ثَوابُ المُؤاخاةِ ، قالَ : ومَتَى فَسَدَتِ المُؤاخاةُ بِتَضْيِيعِ الحُقُوقِ فِيها ؛ يَعْنِي فِي آخِرِ الأَمْرِ ، فَسَدَ العَمَلُ مِنَ الأَوَّلِ ، ومِنْ هُنا كانَ الشَّيْطانُ - لَعَنَهُ اللّٰهُ - أَشَدَّ حِرْصاً عَلَى إفْسادِ ما بَيْنَ المُتَآخِيَيْنِ فِي اللّٰهِ تَعالَى ، وقَدْ قالُوا : ما حَسَدَ الشَّيْطانُ مُتَعاوِنَيْنِ عَلَى بِرٍّ حَسَدَهُ عَلَى مُتَآخِيَيْنِ مُتَحابَّيْنِ فِيهِ ، فَإنَّهُ يُجْهِدُ نَفْسَهُ ويُحِثُّ قَبِيلَهُ عَلَى إفْسادِ ما بَيْنَهُما ؛ أَي يُوقِعُ بَيْنَهُما المُخالَفَةَ فِي أَمْرٍ ما فَيَسْتَوْحِشُ بَعْضُهُما مِنَ البَعْض .

قالَ شَيْخُ الطَّائِفَةِ الإمامُ الجُنَيْد : ما تَآخَى اثْنانِ فِي اللّٰهِ تَعالَى ، واسْتَوْحَشَ أَحَدُهُما مِنْ صاحِبِهِ إلَّا لِعِلَّةٍ فِي أَحَدِهِما ؛ فالمُؤاخاةُ فِي اللّٰهِ أَصْفَى مِنَ الزُّلالِ ، وما كانَ لِلّٰهِ فاللّٰهُ يُدِيمُ الصَّفاءَ فِيهِ ، والأَصْلُ فِي دَوامِ صَفائِهِ عَدَمُ المُخالَفَةِ .

لَفْتَةٌ دَقِيقَة : قالُوا : إنَّ أَقَلَّ ما يُزَيِّنُهُ الشَّيْطانُ للأَخ فِي مُعامَلَةِ أَخِيهِ التَّساهُلُ فِي القِيامِ بِحَقِّهِ اتِّكالاً عَلَى ما بَيْنَهُما مِنَ المَوَدَّةِ ؛ وهَذا مِنْ مَكْرِهِ الخَفِيِّ والعِياذُ بِاللهِ ، ولِذَلِكَ نَبَّهَ عَلَيْهِ مَشايِخُ الطَّرِيقَة .

قالَ عَبْدُ اللهِ بنُ الجَلَّاء : لا تُضَيِّعْ حَقَّ أَخِيكَ بِما بَيْنَكَ وبَيْنَهُ مِنَ المَوَدَّةِ والصَّداقَةِ ، فَإنَّ اللهَ تَعالَى فَرَضَ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ حُقُوقاً لا يُضَيِّعُها إلَّا مَنْ لَمْ يُراعِ حُقُوقَ اللهِ تَعالَى .

خاتِمَةٌ مُهِمَّة : فِي الحَدِيثِ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : (**المُتَحابُّونَ فِي اللهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ ياقُوتَةٍ حَمْراءَ ، فِي رَأْسِ العَمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ مُشْرِفُونَ عَلَى أَهْلِ الجَنَّةِ يُضِيءُ حُسْنُهُمْ لأَهْلِ الجَنَّةِ كَما تُضِيءُ الشَّمْسُ لأَهْلِ الدُّنْيا ، فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ انْطَلِقُوا بِنا نَنْظُرُ إلَى المُتَحابِّينَ فِي اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، فَإذا أَشْرَفُوا عَلَيْهِمْ أَضاءَ لَهُمْ حُسْنُهُمْ كَما تُضِيءُ الشَّمْسُ لأَهْلِ الدُّنْيا ، عَلَيْهِمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٍ مَكْتُوبٌ عَلَى جِباهِهِمْ هَؤُلاءِ المُتَحابُّونَ فِي اللهِ**) .

وعَنْ سَيِّدِنا مُعاذٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قالَ لِمَنْ قالَ لَهُ إنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ : أَبْشِرْ ثُمَّ أَبْشِرْ فَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : (**تُنْصَبُ لِطائِفَةٍ مِنَ** النَّاسِ كَراسِيُّ حَوْلَ العَرْشِ يَوْمَ القِيامَةِ وُجُوهُهُمْ كالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ

يَفْزَعُ النَّاسُ ولا يَفْزَعُونَ ، ويَخافُ النَّاسُ ولا يَخافُونَ ، وهُمْ أَوْلِياءُ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُون) ، فَقِيلَ : مَنْ هَؤُلاءِ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قالَ : (المُتَحابُّونَ فِي اللهِ عَزَّ وجَلَّ) .

ورَوَى عُبادَةُ بنُ الصَّامِت رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ : (يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلمُتَحابِّينَ فِيَّ والمُتَزاوِرِينَ فِيَّ والمُتَباذِلِينَ فِيَّ والمُتَصادِقِينَ فِيَّ) .

وفِي هَذا القَدْرِ مِمَّا قَصَدْنا إيرادَهُ فِي هَذا المَطْلَبِ كِفايَة ، واللهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ والهِدايَة .

تَجْلِيَةٌ تَوْرِيَة : اعْتادَ أَهْلُ الحَقِّ العارِفُونَ بِرَبِّهِمْ عَلَى إطْلاقِ كَلِمَةِ (فَقِير) عَلَى كُلِّ مَنِ انْتَسَبَ إلَيْهِمْ وتَحَقَّقَ بِوَصْفِهِمْ ؛ وفِي ذَلِكَ قالَ قائِلُهُمْ :

فاءُ الْفَقِيرِ فَناؤُهُ فِي ذاتِهِ ۞ وَفَراغُهُ مِنْ نَعْتِهِ وَصِفاتِهِ
وَالْقافُ قُوَّةُ قَلْبِهِ بِحَبِيبِهِ ۞ وَقِيامُهُ لِلّهِ فِي مَرْضاتِهِ
وَالْياءُ يَرْجُو رَبَّهُ وَيَخافُهُ ۞ وَيَقُومُ بِالتَّقْوَىٰ بِحَقِّ تُقاتِهِ
وَالرَّاءُ رِقَّةُ قَلْبِهِ وَصَفاؤُهُ ۞ وَرُجُوعُهُ لِلّهِ عَنْ شَهَواتِهِ



لَطِيفَةٌ فِي ذِكْرِ آدابِهِمْ فِي الوَجْدِ والسَّماع وأَهَمِّيَّتُهُ فِي تَرْقِيقِ الطِّباع

السَّماعُ : هُوَ اسْتِماعُ صَوْتٍ طَيِّبٍ مَوْزُونٍ مَفْهُومِ المَعْنَى مُحَرِّكٍ لِلقَلْبِ ، ولَيْسَ فِي جُمْلَةِ ذَلِكَ إِلَّا الْتِذاذُ حاسَّةِ السَّمْعِ والقَلْبِ ؛ فَهُوَ كالْتِذاذِ حاسَّةِ البَصَرِ بالنَّظَرِ إِلَى الخُضْرَةِ ، والْتِذاذِ القَلْبِ بِهِ ، وقَدْ قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ (١) ؛ فَفَسَّرُوهُ بالصَّوْتِ الحَسَنِ (٢) ، وقالَ اللهُ تَعالَى : ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ (٣) ، وقالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ : ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ (٤) ، قالَ مُجاهِد : يَسْتَمِعُون .

وقَدْ وَرَدَ فِي مَعْرَضِ المَدْحِ لِسَيِّدِنا داوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كانَ حَسَنَ الصَّوْتِ فِي تِلاوَةِ الزَّبُورِ ، حَتَّى كانَ يَجْتَمِعُ الإِنْسُ والجِنُّ والوُحُوشُ والطَّيْرُ لِسماعِ صَوْتِهِ (٥) .

وقَدْ قالَ الحَبِيبُ الأَعْظَم ﷺ فِي أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مادِحاً لَهُ : (لَقَدْ أُوتِيَ مِزماراً مِنْ مَزامِيرِ آلِ داوُود) (٦) .

---

(١) سُورَةُ فاطِر : مِنَ الآيَة ١ .
(٢) الدُّرُّ المَنْثُور فِي التَّفْسِير بالمَأْثُور : السُّيُوطِي .
(٣) سُورَةُ المائِدَة : مِنَ الآيَة ٨٣ .
(٤) سُورَةُ الرُّوم : مِنَ الآيَة ١٥ .
(٥) تَفْسِيرُ الطَّبَري ، وابنِ كَثير .
(٦) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .

وفِي الحَدِيثِ : (ما أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ كَإِذْنِهِ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ) [١].

وقَدْ دَلَّ قَوْلُ الحَقِّ جَلَّ فِي عُلاه : ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [٢] ، عَلَى مَدْحِ الصَّوْتِ الحَسَنِ وأَنَّ الأُذُنَ تَأْلَفُهُ وتَهْواه .

ومُحالٌ أَنْ يُقالَ هُوَ مُباحٌ لِكِتابِ اللهِ تَعالَى وتِلاوَتِهِ وفَقَطْ ؛ فَإِنَّ اسْتِماعَ صَوْتِ العَنْدَلِيبِ مُباحٌ ، فَإِذا كانَ اسْتِماعُ الصَّوْتِ الطَّيِّبِ مُباحاً فَبِأَنْ يَكُونَ مَوْزُوناً لا يَحْرُمُ ، كَيْفَ وأَصْواتُ العَنادِلِ مَوْزُونَةٌ نَوْعاً مِنَ الوَزْنِ لَها مَقاطِعُ ومَبادٍ مُتَناسِبَةٌ ، وهَذا لا يَخْتَلِفُ بِخُرُوجِ هَذا الصَّوْتِ الطَّيِّبِ مِنْ حَلْقِ آدَمِيٍّ أَوْ طَيْرٍ أَوْ غَيْرِهِما ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُقاسَ عَلَى أَصْواتِ الطُّيُورِ ما يَخْرُجُ مِنَ الأَجْسامِ كالطَّبْلِ والدُّفِّ والقَصَبِ وما يُقاسُ عَلَيْها ، فَلا يُسْتَثْنَى مِنْ جُمْلَتِها إِلَّا ما وَرَدَ النَّصُّ بِتَحْرِيمِهِ ، وذَلِكَ كالمَزامِيرِ الَّتِي كانَتْ مُعْتادَةً لِلشُّرْبِ ، إِذِ اقْتَضَى المَنْعُ مِنْ شُرْبِ الخَمْرِ أَنْ يَمْنَعَ مِنْ مُتَمِّماتِهِ وتَوابِعِهِ مُبالَغَةً فِي الفِطامِ ، حَتَّى اقْتَضَى ذَلِكَ كَسْرُ الدِّنانِ فِي الابْتِداءِ .

رُوِيَ عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّها قالَت : كانَتْ عِنْدِي جارِيَةٌ تُسْمِعُنِي ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وهِيَ عَلَى حالَتِها ، ثُمَّ دَخَلَ

---

(١) شَمائِلُ التِّرْمِذِي .

(٢) سُورَةُ لُقْمان : مِنَ الآيَةِ ١٩ .

عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَفَرَّتْ ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : ما يُضْحِكُكَ يا رَسُولَ اللَّه ؟ فَحَدَّثَهُ ، فَقَالَ : لا أَخْرُجُ حَتَّى أَسْمَعَ ما سَمِعَهُ رَسُولُ اللَّه ، فَأَمَرَها فَأَسْمَعَتْهُ .

ورُوِيَ فِي الصَّحِيحَيْنِ حَدِيثُ عَقِيلٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ أَبا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَيْها وعِنْدَها جارِيَتانِ فِي أَيَّامِ (مِنَى) تُدَفِّفانِ وتَضْرِبانِ ، والنَّبِيُّ ﷺ مُتَغَشٍّ بِثَوْبِهِ ، فانْتَهَرَهُما أَبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ وَجْهِهِ ، وقالَ : (دَعْهُما يا أَبا بَكْرٍ فَإِنَّها أَيَّامُ عِيدٍ) ، وفِي حَدِيثٍ آخَرَ نَحْوَهُ ، وفِيهِ : (تُغَنِّيانِ وتَضْرِبانِ) ، فَهَذِهِ الأُمُورُ دَلَّتْ قَطْعاً عَلَى إباحَةِ السَّماعِ ، ودَلَّتْ عَلَى إباحَةِ صَوْتِ النِّساءِ إذا لَمْ يَكُنْ بِحَيْثُ يُخافُ الفِتْنَة .

وإذا كانَتِ الأَلْحانُ تَعْنِي النَّغَماتِ المَوْزُونَةَ الَّتِي يَتَرَقْرَقُ فِيها الصَّوْتُ الحَسَنُ الحامِلُ لِلْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ النَّافِعَةِ المُؤَثِّرَةِ ، فَما أَرْوَعَها إذاً مِنْ صِيغَةٍ يَتَبَنَّاها العَقْلُ المُتَدَيِّنُ والدِّينُ المُتَعَقِّلُ .

وقَدْ أَكَّدَ ﷺ بِواقِعِيَّةِ ذَلِكَ يَوْمَ صَدَرَ تَشْرِيعُ الأَذانِ ، فَقالَ ﷺ لـ (عَبْدِ اللَّهِ بنِ زَيْدٍ) وهُوَ الَّذِي رَأَى فِي مَنامِهِ كَيْفِيَّةَ الأَذانِ وكَلِماتِهِ وأُقِرَّ عَلَى ذَلِكَ : (لَقِّنْها بِلالاً فَإِنَّهُ أَنْدَى مِنْكَ صَوْتاً) (١) .

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، وأَبُو داوُدَ فِي سُنَنِهِ .

ويَدْعُو النَّبيُّ ﷺ إلَى لَحْنٍ يُناسِبُ الكَلِمَةَ فِي جِنْسِيَّتِها فيَقُولُ : (اقْرَؤُوا القُرْآنَ بِلُحُونِ العَرَبِ) (١) .

ولَعَلَّ الأَمْرَ لا يَقْتَصِرُ فقَطْ عَلَى الكَلِمَةِ الجادَّةِ مِنْ أَجْلِ تَقْدِيمِها عَبْرَ قَناةِ الأَلْحانِ والتَّغَنِّي ، بَلْ هُناكَ مُمارَساتٌ نَبَوِيَّةٌ تُؤَكِّدُ تَبَنِّي الكَلِمَةِ المُسَلِّيَةِ والفَرْحَةِ لِتُصاغَ فِي قالَبٍ لَحْنِيٍّ ، فتَتَشَكَّلُ مِساحَةٌ فَنِّيَّةٌ تَرْفِيهِيَّةٌ ضَرُورِيَّةٌ لِهَذا الإِنْسانِ المُثْقَلِ بالهُمُومِ والدَّواعِي ؛ فَفِي الإسْلامِ فُسْحَةٌ كَما يَقُولُ ﷺ : (لِتَعْلَمَ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنا فُسْحَةً ، إنَّما بُعِثْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ) ، والفُسْحَةُ رِئَةٌ فِي جِسْمِ الحَياةِ ، أَوْ بالأَحْرَى مُتَنَفَّسٌ يُجَدِّدُ عَبْرَها الإنْسانُ نَشاطَهُ حَتَّى يُتابِعَ المَسِيرَ والمَسِيرَةَ بِفاعِلِيَّةٍ وانْسِجامٍ ؛ ولِذَلِكَ أَيْضاً جاءَ الحَدِيثُ العَظِيمُ لِيَقُولَ : (رَوِّحُوا القُلُوبَ ساعَةً فَساعَةً) (٢) .

وأَخْرَجَ الإمامُ البُخارِيُّ بِسَنَدِهِ عَنِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها : أَنَّها زَفَّتِ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصارِ ، فَقالَ لَها نَبِيُّ اللهِ ﷺ : (يا عائِشَةُ ، ما كانَ مَعَكُمْ مِنْ لَهْوٍ ؟ فَإِنَّ الأَنْصارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوَ) ، وفِي رِوايَةٍ : (أَدْرِكِيها بِزَيْنَبَ) (٣) ؛ وزَيْنَبُ امْرَأَةٌ كانَتْ تُغَنِّي بالمَدِينَةِ .

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبرانِي فِي الأَوْسَطِ . (٢) أَخْرَجَهُ الإمامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ .

(٣) صَحِيحُ البُخارِي .

السَّماعُ وآثارُ الأَسْرارِ والأَنْوار :

مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُحَرِّكٌ لِلقَلْبِ ، ومُهَيِّجٌ لِما هُوَ غالِبٌ عَلَيْهِ ؛ فَالقَوْلُ فِيهِ : إِنَّ للهِ تَعالَى سِرًّا فِي مُناسَبَةِ الأَصْواتِ المَوْزُونَةِ للأَرْواحِ فَتُؤَثِّرُ فِيها تَأْثِيراً غَرِيباً ، فَتُورِّثُها الحُزْنَ مَرَّةً ، والفَرَحَ مَرَّةً ، والبُكاءَ مَرَّةً ، والضَّحِكَ أُخْرَى ، وتُوجِبُ حَرَكاتٍ فِي الأَعْضاءِ غَرِيبَةً عَجِيبَةً ، ولا تَظُنَّ أَنَّ ذَلِكَ لِفَهْمِ المَعْنَى فَحَسْب ، بَلْ ذَلِكَ مُشاهَدٌ فِي الحَيَواناتِ ، خُصُوصاً فِي الإِبِلِ ، ومُشاهَدٌ فِي الطِّفْلِ الَّذي لا يَتَكَلَّمُ ولا يَفْهَمُ ، ومُشاهَدٌ فِي أَصْواتِ الأَوْتارِ الَّتِي لا تَفْهَمُ ، وعَلَى الخُصُوصِ فِي الإِبِلِ ؛ فَإِنَّها كُلَّما طالَتْ عَلَيْها البَرارِي ، وزادَ إِعْياؤُها تَحْتَ الأَحْمال ، وتَسْمَعُ الحُداءَ ، فَتَمِدُّ أَعْناقَها ، وتَطْوِي المَراحِل .

وكُلُّ إِنْسانٍ سَلِيمُ الطَّبْعِ يَمِيلُ بِطَبْعِهِ إِلَى السَّماع ، وهَذا هُوَ المُشاهَدُ فِي حالِ كُلِّ صُوفِيٍّ صافِي مِنَ السَّماعِ الرُّوحانِي ، وما عَدا السَّماعَ الرُّوحانِي فَهُوَ لَهْوٌ ولَعِبٌ وحَظُّ نَفْسٍ شَيْطانِي .

ويَبْلُغُ إِنْسانُ السَّماعِ الرَّحْمانِي حالَةً مِنَ التَّواجُدِ الرُّوحانِي سَواءٌ ظَلَّ فِي الكُمُونِ الوِجْدانِي ، أَوْ ظَهَرَتْ آثارُهُ واضِحَةً عَلَى الظَّاهِرِ الجِسمانِي .

والنَّفْسُ الزَّكِيَّةُ تَسْتَنْشِقُ عَبِيرَ القُرْبِ والمَحَبَّةِ مِنَ الحَقِّ بِالسَّماعِ بِالذَّوْقِ والشَّوْقِ .

فإِذاً لِلسَّماعِ تَأْثِيرٌ غَرِيبٌ ، ومَنْ لَمْ يُحَرِّكْهُ السَّماعُ فَهُوَ ناقِصٌ ، مائِلٌ عَنِ الاعْتِدالِ ، بَعِيدٌ عَنِ الرُّوحانِيَّةِ ، ورَحِمَ اللهُ مَنْ قالَ : مَنْ لَمْ يَهُزَّهُ العُودُ وأَوْتارُهُ ، والرَّبِيعُ وأَزْهارُهُ ، فَهُوَ فاسِدُ المَزاجِ ، لَيْسَ لَهُ عِلاجٌ .

وعَلَى الجُمْلَةِ فَالسَّماعُ مُهَيِّجٌ لِما فِي القَلْبِ ، فَإِنْ كانَ فِي قَلْبِهِ عِشْقٌ مُباحٌ فَتَهْيِيجُهُ جائِزٌ ، وإِنْ كانَ حَراماً فَتَهْيِيجُهُ غَيْرُ جائِزٍ ، وهَذا فِي سَماعِ أَهْلِ الغَفْلَةِ .

وأَمَّا سَماعُ أَرْبابِ القُلُوبِ الَّذِينَ اشْتُهِرُوا بِحُبِّ اللهِ تَعالَى والشَّوْقِ إِلَيْهِ ، وهُمْ لا يَنْظُرُونَ إِلَى شَيْءٍ إِلَّا ويَرَوْنَهُ فِيهِ ، ولا يَقْرَعُ سَمْعَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا وسَمِعُوا مِنْهُ أَوْ فِيهِ ، فَسَماعُهُمْ مُؤَكِّدٌ لِلْحُبِّ والعِشْقِ ، مُهَيِّجٌ لِلشَّوْقِ ، ومُشْعِلٌ لِزِنادِ القُلُوبِ ، ومُسْتَخْرِجٌ لِضُرُوبِ المُكاشَفاتِ والمُلاطَفاتِ ؛ لا يُحِيطُ الوَصْفُ بِها ، يَعْرِفُها مَنْ ذاقَها ، ويُنْكِرُها مَنْ كَلَّ حِسُّهُ عَنْ دَرْكِها ، ويُسَمَّى فِي لِسانِ الصُّوفِيَّةِ وَجْداً ، وما يَزِيدُ فِي حُبِّ اللهِ تَعالَى والشَّوْقِ إِلَيْهِ إِنْ لَمْ يُعَدَّ مِنَ الفَرائِضِ فَلا أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُباحاتِ ، كَيْفَ وهُوَ مُشِيرٌ لِما اسْتَدْعاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِدُعائِهِ

حَيْثُ قالَ : (اللهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ ، وحُبَّ مَنْ أَحَبَّكَ ، وحُبَّ ما يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ) .

وإذا اتَّفَقَ مَجْلِسُ السَّماعِ بَدَأُوا بالقُرْآنِ ، وخَتَمُوا بِهِ ؛ فَقَدْ حُكِيَ عَنْ مِمْشادِ الدَّيْنُورِي [1] ، أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي المَنام فَسَأَلَهُ عَنِ اجْتِماعِ القَوْمِ لِلسَّماعِ ، فَقالَ ﷺ : (لا بَأْسَ ، ابْدَأُوا بِالقُرْآنِ ، واخْتِمُوا بِالقُرْآنِ) .

والمُدَّاحُ فِي عَسْكَرِ القَوْمِ كالطَّبْلِ فِي عَسْكَرِ الحَرْبِ ، فَكَما أَنَّ طَبْلَ عَسْكَرِ الحَرْبِ يُحَرِّكُ الفُرْسانَ عَلَى الاقْتِحامِ لِنارِ الهَيْجاءِ ، كَذَلِكَ المادِحُ يُحَرِّكُ كَوامِنَ النَّفْسِ عَلَى الاهْتِمامِ بِالذِّكْرِ ، والوُلُوجِ فِي حَلَقَتِهِ ومَجالِسِهِ ، وكَما أَنَّ الطَّبْلَ يُحَصِّلُ لِلعَسْكَرِ رَوْنَقاً ، كَذَلِكَ صَوْتَ المُدَّاحِ بِمَجْلِسِ ذِكْرِ القَوْمِ يُحْدِثُ رَوْنَقاً .

سُئِلَ ذُو النُّونِ المِصْرِي عَنِ السَّماعِ فَقالَ : وارِدُ حَقٍّ يُزْعِجُ القُلُوبَ الحَقَّ ؛ فَمَنْ أَصْغَى إِلَيْهِ بِحَقٍّ تَحَقَّقَ ، ومَنْ أَصْغَى إِلَيْهِ بِنَفْسٍ تَزَنْدَقَ .

وقالَ سَرِيٌّ : تَطْرَبُ قُلُوبُ المُحِبِّينَ عِنْدَ السَّماعِ ، وتَخافُ قُلُوبُ المُشْتاقِينَ .

---

(١) سَيِّدِي مِمْشادُ الدَّيْنُورِي : كانَ مِنْ مَشايِخِ القَوْمِ ، صَحِبَ ابنَ الجَلَّاءِ ومَنْ فَوْقَهُ مِنَ المَشايِخِ ، عَظِيمَ المَرْمَى فِي عُلُومِ القَوْمِ ، كَبِيرَ الحالِ ، ظاهِرَ الفُتُوَّةِ ، تُوفِّيَ سَنَةَ ٢٩٧ هـ ، وكانَ يَقُولُ : طَرِيقُ الحَقِّ بَعِيدٌ ، والصَّبْرُ مَعَ اللهِ شَدِيدٌ .

وقِيلَ : السَّماعُ يُحَرِّكُ ما تَنْطَوي عَلَيْهِ القُلُوبُ مِنَ السُّرُورِ والحُزْنِ ، والخَوْفِ والرَّجاءِ ، والشَّوْقِ ، فَرُبَّما يُحَرِّكُهُ إِلَى البُكاءِ ، ورُبَّما يُحَرِّكُهُ إِلَى الطَّرَبِ .

وقِيلَ : السَّماعُ فِيهِ حَظٌّ لِكُلِّ عُضْوٍ ، فَرُبَّما يَبْكِي ، ورُبَّما يَصْرُخُ ، ورُبَّما يُصَفِّقُ ، ورُبَّما يُغْمَى عَلَيْهِ .

وقِيلَ أَهْلُ السَّماعِ ثَلاثَةٌ : مُسْتَمِعٌ بِرَبِّهِ ، ومُسْتَمِعٌ بِقَلْبِهِ ، ومُسْتَمِعٌ بِنَفْسِهِ .

حُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ قالَ : رَأَيْتُ الخَضِرَ عليه السلام ، فَقُلْتُ : ما تَقُولُ فِي السَّماعِ الَّذِي عَلَيْهِ أَصْحابُنا ؟ فَقالَ : هُوَ الصَّفاءُ الَّذي لا تَثْبُتُ عَلَيْهِ إِلَّا أَقْدامُ العُلَماء .

وقِيلَ : السَّماعُ قَدَّاحَةٌ سُلْطانِيَّةٌ لا تَقَعُ نِيرانُها إِلَّا فِيمَنْ قَلْبُهُ مُوَلَّعٌ بِالمَحَبَّةِ ، ونَفْسُهُ مُحْتَرِقَةٌ بِالمُجاهَدَةِ .

ومِنْ آدابِهِمْ فِي ذَلِكَ أَنْ لا يَتَكَلَّفُوا فِيهِ ، ولا يَكُونَ لَهُمْ وَقْتٌ مَعْلُومٌ لِذَلِكَ ، ومَنْ لا يَعْلَمُ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَقْصِدَ مَنْ يُؤَدِّبُهُ فِيهِ .

وسُئِلَ بَعْضُ المَشايِخِ عَنْ شُرْبِ القُلُوبِ مِنَ السَّماعِ ، وشُرْبِ الأَرْواحِ مِنْهُ ، وشُرْبِ النُّفُوسِ مِنْهُ ، فَقالَ : شُرْبُ القُلُوبِ الحِكَمُ ، وشُرْبُ

الأَرْواحِ النَّغَمُ ، وشُرْبُ النُّفُوسِ ذِكْرُ ما يُوافِقُ طَبْعَها مِنَ الحُظُوظِ .

وسُئِلَ عَنِ التَّكَلُّفِ فِي السَّماعِ ، فَقالَ : هُوَ عَلَى ضِرْبَيْنِ :

تَكَلُّفٌ مِنَ المُسْتَمِعِ لِطَلَبِ الجاه ، أَوْ مَنْفَعَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ ، وذَلِكَ تَلْبيسٌ وخِيانَةٌ .

وتَكَلُّفٌ مِنْهُ لِطَلَبِ الحَقِيقَةِ ؛ كَمَنْ طَلَبَ الوَجْدَ بِالتَّواجُدِ ، وهُوَ بِمَنْزِلَةِ البُكاء ، قالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام : (إِذا رَأَيْتُمْ أَهْلَ البَلاءِ فابْكُوا ، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَباكَوْا) .

قالَ أَبُو نَصْرٍ السَّرَّاج : أَهْلُ السَّماعِ عَلَى ثَلاثِ طَبَقات :

طَبَقَةٌ مِنْهُمْ يَرْجِعُونَ فِي سَماعِهِمْ إِلَى مُخاطَباتِ الحَقِّ لَهُمْ فِيما يَسْمَعُونَ ، وطَبَقَةٌ مِنْهُمْ يَرْجِعُونَ فِيما يَسْمَعُونَ إِلَى مُخاطَبَةِ أَحْوالِهِمْ ومَقاماتِهِمْ وأَوْقاتِهِمْ ؛ فَهُمْ مُرْتَبِطُونَ بِالعِلْمِ ومُطالَبُونَ بِالصِّدْقِ فِيما يُشِيرُونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، وطَبَقَةٌ مِنْهُمُ الفُقَراءُ المُجَرَّدُونَ (الصُّوفِيَّةُ المُخْلَصُونَ) الَّذِينَ قَطَعُوا العَلائِقَ ، ولَمْ تَسْتَحْوِذْ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَحَبَّةُ الدُّنْيا والجَمْعُ والمَنْعُ (١) ؛ فَهُمْ يَسْمَعُونَ بِطِيبَةِ قُلُوبِهِمْ ، ويَلِيقُ بِهِمُ السَّماعُ ؛ فَهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى السَّلامَةِ ، وأَسْلَمُهُمْ مِنَ الفِتْنَةِ ،

---

(١) أي : جَمْعُ الدُّنْيا ومَنْعُها عَنْ مُسْتَحِقِّيها شُحًّا وبُخْلاً وحِرْصاً .

وسَماعُهُمْ سَماعُ سَجيَّةٍ وتَأَلُّف ، وأَمَّا القَلْبُ المُشْرَبُ المُسْتَغْرِقُ بِحُبِّ الدُّنْيا فَسَماعُهُ سَماعُ طَبْعٍ وتَكَلُّف .

قالَ سَيِّدِي أَبُو مَدْيَن الغَوْث : السَّماعُ جَوْهَرَةٌ لا يَطَّلِعُ عَلَيْها إِلَّا الفُضَلاءُ ، فَإِذا حَضَرْتُمُ السَّماعَ فَأَغْلِقُوا أَبْوابَكُمْ ، وإِذا أَحْضَرْتُمُ الطَّعامَ فافْتَحُوها .

تَخْلِيَةُ طَرِيقِ الكُمَّلِ السَّادات مِمَّن اسْتَهْواهُ الخَوْضُ فِي الشَّطَحات

وقَدْ زَلَّ عَنْ طَرِيقِ الصَّوابِ أُناسٌ ؛ فَصَرَعَهُمْ مَيْلُ نُفُوسِهِمْ إِلَى القَوْلِ بِالشَّطَحاتِ مِنْ ثَلاثَةِ وُجُوهٍ :

١) الوَجْهُ الأَوَّلُ : ظَنُّوا بِها تَحَقُّقَ صاحِبِها فِي مَنْزِلَةِ دَعْواهُ ، وأَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهِ مَقاماً ومَنْزِلَةً .

٢) والثَّانِي : فَرِحَتْ بِكَلِمَةِ التَّزَحْزُحِ والتَّجاوُزِ نُفُوسُهُمْ ، لِمُمازَجَتِها تِلْكَ الكَلِمَةَ المَشُوبَةَ بِثائِرَةِ النَّفْسِ ، وظُلْمَةِ الطَّبْعِ ، الَّتِي تَمْنَعُ أَنْوارَ المُشاهَدَةِ ، فانْبَسَطُوا لَها ، وطابَتْ بِها خَواطِرُهُمْ ، وذَهَبَتْ لِمُجانَسَتِها جَمَحاتُ نُفُوسِهِمْ ، حِينَ وافَقَ أَغْراضَها طَبْعُ تِلْكَ الكَلِمَةِ ، فَقالُوا بِها ، وانْصَرَفُوا للاحْتِجاجِ بِها ، لِمُشارَكَةٍ فِيهِمْ لَها بِسائِقِ عَزْمِ النُّفُوسِ مِنْ دُونِ عِلْمٍ مِنْهُمْ .

٣) والثَّالِثُ : اعْتِقادُهُم القُوَّةَ الفَعَّالَةَ بذَلِكَ الشَّطَّاح ، وأَنَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ لَهُمْ بِدَلالَةِ أَقْوالِهِ الشَّاطِحَةِ ما تُؤَمِّلُهُ نُفُوسُهُمْ ، وتَتَهافَتُ عَلَيْهِ هِمَمُهُمْ :

هِمَمٌ تَطَرَّقَها الزَّلَلْ ❁ وطَوَىٰ عَزائِمَها الْخَلَلْ
سَبَحَتْ بِمَوْجاتِ الْهَوَىٰ ❁ غَيًّا عَلَى شَوْطِ الأَمَلْ
واسْتَقْبَلَتْ لِضَلالِها ❁ وَجْهَ السِّوَىٰ بِئْسَ الْعَمَلْ
هَذا يَقُولُ وقَوْلُهُ ❁ عَيْنُ السَّرابِ بِلا بَلَلْ
وهُناكَ ذاكَ يَصُولُ عَنْ ❁ طَيْشٍ إفادَتُهُ الْعِلَلْ
وهُنا يُعَوِّلُ ذا عَلَى ❁ تَقْدِيرِ زَعْمٍ مُحْتَمَلْ
الْكُلُّ بَعْدَ اللهِ بُهْـ ❁ ـتانٌ وقائِلُها هَزَلْ
فالْزَمْ طَرِيقَ الْمُصْطَفَىٰ ❁ واطْرَحْ أَباطِيلَ الْحِيَلْ
واسْأَلْ كَرِيماً عَزَّ شَأْ ❁ ناً لا يُخَيِّبُ مَنْ سَأَلْ
واجْعَلْ لِرَبِّكَ دائِماً ❁ أَبَداً هُرُوعَكَ لَمْ يَزَلْ
واسْلُكْ طَرِيقَةَ مَنْ عَلَيْـ ❁ ـهِ كِتابُهُ الأَهْدَىٰ نَزَلْ
واعْمَلْ بِسُنَّةِ تابِعِيـ ❁ ـهِ فَكُلُّهُمْ مِثْلُ الْجَبَلْ
واهْجُرْ صُنُوفَ الشَّطْحِ إنَّ ❁ الشَّطْحَ داعِيَةُ الزَّلَلْ
واقْطَعْ صَنِيعَ عَلائِقِ الشَّـ ❁ ـطَّاحِ واهْجُرْ ما فَعَلْ
هُوَ واهِمٌ إنْ لَمْ يَزِ ❁ لَّ فَكُلُّ مَنْ يَتْبَعُهُ زَلّ

وطَريقُ العِرْفانِ مِنْ حَيْثُ المَقامُ يَمْنَعُ عَنْ سَماعِ كَلِماتِ الشَّطّاحِين ، فَضْلاً عَنِ القَوْلِ بِها والاعْتِقادِ بِما انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الطّامّاتِ ، وإِنَّ طَرِيقَةَ الذَّوْقِ فِي مُشارَفَةِ الشُّهُودِ الأَتَمِّ الفُرْقانِي حُجَّةٌ دامِغَةٌ، تَرُدُّ كُلَّ هَذِهِ المُنافَساتِ ، مَعَ تَحْقِيقِ القَوْلِ بِالتَّحَدُّثِ بِالنِّعْمَةِ مِنْ طَرِيقِ المُطابَقَةِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ ، والمُوافَقَةِ لِحالِهِ .

وإِنَّ طَرِيقَةَ الاسْتِسْلامِ لِقَضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ ، والإيمانَ بِأَنَّ القَدَرَ خَيْرَهُ وشَرَّهُ مِنَ اللهِ تَعالَى ، تَدْفَعُ الأَقْدامَ عَنْ هَذِهِ المَزالَقاتِ ؛ إِذِ الحُكْمُ صائِلٌ ، والأَمْرُ حاصِلٌ ، وذِراعُ القَدَرِ طائِلٌ ، والعَبْدُ مَحْكُومٌ مَقْدُورٌ ، مَحْجُورٌ مَقْصُورٌ ، وعَلَى تَزَحْزُحِهِ وتَجاوُزِهِ غَيْرُ مَعْذُورٍ .

وما ثَمَّ إِلَّا إِماطَةُ هَذِهِ الحُجُبِ بِيَدِ الشَّرْعِ ، وصَفْعُ أُبَّهَةِ الطَّبْعِ بِنَعْلِ الأَدَبِ ، انْغِماساً فِي بَحْرِ المُتابَعَةِ المَحْضَةِ لِصاحِبِ الشَّرِيعَةِ ﷺ ، وهَذا - و ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ - هُوَ المَقامُ الجامِعُ الكامِلُ الأَتَمُّ ، الَّذِي تَحَقَّقَ بِهِ وتَخَلَّقَ بِهِ شَيْخُنا وشَيْخُ مَشايِخِ الإِسْلامِ سَيِّدُنا السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي رضي الله عنه وعَنَّا بِهِ [1]، وهُوَ طَرِيقُ الصَّحابَةِ والصَّدْرِ الأَوَّلِ مِنْ أَعاظِمِ الآلِ الكِرامِ عليهم السلام ، ونَفَعَ بِهِمْ ، إِنَّهُ المُجِيبُ لِلسّائِلِين .

---

(١) القائِلُ سَيِّدِي مُحَمَّد مَهْدِي الرَّوّاس (ت ١٢٨٧ هـ) ؛ وهُوَ الإِمامُ الحُجَّةُ المُحَدِّثُ الفَقِيهُ المُجْتَهِدُ الأُصُولِيُّ المُفَسِّرُ الرِّفاعِي .

ومِنْ تُحَفِ المُؤانَسَةِ ، انفِتاقُ سِرٍّ طالِعٍ مِنْ سَماءِ الشُّهُودِ كَوْكَبُهُ ، مَرْبُوطٌ بيافُوخِ المُراقَبَةِ مِنْ سِدْرَةِ الاتِّصالِ الأَجْمَعِ طَنَبُهُ ، يَقُولُ قائِلُهُ : الوَقْتُ مائِدَةٌ مِنْ مَوائِدِ الرَّحْمٰنِ ، تُمَدُّ عَلَى غَيْرِ مِيعادٍ ، فَمَنْ فاتَهُ لَذِيذُ تِلْكَ المائِدَةِ وانْصَرَفَ عَنْها بِغِشِّ نَفْسِهِ إِلَى الكَسَلِ فَهُوَ مِنَ البَطَّالِينَ ، وكُلَّما تَجَدَّدَ الزَّمَنُ وانْبَسَطَ بِساطُ الوَقْتِ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ العاقِلُ بِالهِمَّةِ الفَعَّالَةِ ؛ فَلا يَفُوتُهُ شَأْنٌ مِنْ شُؤُوناتِ الوَقْتِ ، أَعْنِي الشُّؤُوناتِ الَّتِي تَعُودُ إِلَى اللهِ ، وتُعَوِّلُ فِي كُلِّها عَلَى اللهِ .

إِدْراكُ ما يُعَوَّلُ عَلَيْهِ وتَرْكُ ما لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ

وفِي الشُّؤُوناتِ مِنَ المُجانَساتِ بِالشَّكْلِ ، والمُخالَفاتِ بِالنَّوْعِ ؛ قِسْمانِ : قِسْمٌ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ ، وقِسْمٌ يُهْجَرُ ولا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ :

فَمِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : طارِقُ خاطِرٍ يَقُودُ إِلَى عَزِيمَةٍ لَمْ تَكُنْ شَرْعِيَّةً ، بِجَمْعِ الهِمَّةِ عَلَيْها ؛ بِمَعْنَى أَنَّها مُقَرِّبَةٌ إِلَى اللهِ تَعالَى .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : مُشارَفَةُ طَوْرٍ إِطْلاقِيٍّ شَكْلُهُ ، مُقَيَّدٌ نَوْعُهُ ، عَلَى مادَّةٍ مِنْ مَوادِّ الغَيْبِ ؛ لا يَسْتَنِدُ شارِفُ ذَلِكَ الطَّوْرِ إِلَى عِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ إِلَى هَدْيٍ مِنَ اللهِ تَعالَى يَرْجِعُ تَحْقِيقُهُ إِلَى شَرِيعَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ إِلَى الكِتابِ المُنِيرِ المُنَزَّلِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : انْفِتاقُ رَوْزَنَةٍ خَيالِيَّةٍ تُقِيمُ لِمِيانِ الوَهْمِ مَنابِرَ صُعُودٍ ، فِيها دَرَجاتُ ارْتِقاءٍ إِلَى حَدٍّ تَقْصُرُ عَنْهُ هِمَّةُ السَّالِكِ ؛ فَإِنَّ رَوَازِنَ الخَيالِ تَنْفَتِقُ مِنْ طَرِيقِ الواهِمَةِ الكَثِيرَةِ التَّفَكُّرِ بِما لا يَسُوقُ إِلَيْهِ الشَّرْعُ ؛ إِذْ رُبَّ ذاكِرٍ يَذْكُرُ اللهَ تَعالَى وفِكْرَةُ واهِمَتِهِ حالَةَ ذِكْرِهِ تَسُوقُ إِلَى الذِّكْرِ لِيَصِيرَ بِذَلِكَ مُكاشِفاً ويَطَّلِعَ عَلَى الأَسْرارِ الغَيْبِيَّةِ والمُحاضَراتِ السَّماوِيَّةِ ؛ وفِي تِلْكَ الحالَةِ تَنْفَتِقُ رَوْزَنَةُ خَيالِهِ فَيَرَى بَيْنَ الوَهْمِ أَسْراراً وآثاراً وكُلُّها رَدٌّ لا حَقِيقَةَ لها ، و﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : مُحادَثاتٌ تَرِنُّ فِي الخاطِرِ أَلْقَى بِها إِلَيْهِ مُجَرَّدُ بَقايا الآثارِ الَّتِي فِي زَوايا النَّفْسِ أَوْ طَوارِقُ السَّمْعِ المُنْصَرِفَةُ إِلَيْهِ مِنْ أَلْسُنِ أَرْبابِ الأَغْراضِ الخَسِيسَةِ فَيَظُنُّها الواهِمُ مِنَ الإِلْهامِ الحَقِّ ويَسْبَحُ مَعَها ؛ وهِيَ فِي صُقْعٍ لا يُدْنِي مِنْ آثارِ حَقِيقَةٍ ، والأَخْذُ بِها جَهْلٌ فِي مَوارِدِ الإِلْهامِ ، ورَدُّها والإِعْراضُ عَنْها مِنْ أَحْكامِ الفِقْهِ الإِلَهِيِّ ، وكَذَلِكَ حالُ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعالَى .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : الرُّؤْيا الَّتِي لا يُؤَيِّدُها عَمَلٌ صالِحٌ وحالٌ مُوافِقٌ لِحُكْمِ الشَّرْعِ ؛ والمُؤْمِنُ : مَنْ أَحْكَمَتْ مَنارَ إِيمانِهِ التَّقْوَى ؛ كَما أَنَّ

المُسْلِمَ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ ولِسانِه .

فَإِنْ أَيَّدَ الرُّؤْيا عَمَلٌ صالِحٌ وحالٌ مُوافِقٌ لِحُكْمِ الشَّرْعِ ؛ هُناكَ تُعَبَّرُ الرُّؤْيا بِحُكْمِها وبِما سِيقَ فِيها مِنْ تَنَزُّلاتِ أَسْرارِ الغَيْبِ ، ويَجِبُ الإيمانُ بِها عَمَلاً بِمَضْمُونِ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ (١)، وقَوْلِهِ سُبْحانَهُ : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٢)؛ فَقَدْ لَحِقَ الإيمانُ بِالغَيْبِ إقامَةَ الصَّلاةِ والإنْفاقَ مِمَّا رَزَقَ اللهُ سُبْحانَهُ لِلعَبْدِ فِي سَبِيلِهِ - تَعالَتْ قُدْرَتُهُ وجَلَّتْ عَظَمَتُهُ - وفِي ذَلِكَ سِرٌّ يُفِيدُ حُسْنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ ، وصِدْقَ الثِّقَةِ بِهِ عَزَّ شَأْنُهُ وجَلَّ سُلْطانُهُ .

وإلَّا فالرُّؤْيا الَّتِي لا يُؤَيِّدُها العَمَلُ الصَّالِحُ والحالُ المُوافِقُ لِحُكْمِ الشَّرْعِ تَكُونُ مِنْ نَتائِجِ أَعْمالِ الوالِدَيْنِ إنْ كانا مِنَ الصَّالِحِينَ ، أَوْ مِنْ نَتائِجِ أَحْوالِ المَشايِخِ إنْ كانُوا مِنَ الواصِلِينَ ، أَوْ مِنْ بَرَكَةِ صَدَقَةٍ وَقَعَتْ مَوْقِعاً مَقْبُولاً ، أَوْ مِنْ رَفْعِ قَدَمٍ إلَى زِيارَةِ وَلِيٍّ مِنَ المُنْتَقِلِينَ أَوْ المُعاصِرِينَ نَشَأَ عَنْ إخْلاصٍ ، أَوْ مِن انْتِصارٍ لِعَبْدٍ مِنْ عِبادِ اللهِ المُقَرَّبِينَ بِظَهْرِ

---

(١) سُورَةُ الفَتْحِ : مِنَ الآيَةِ ٢٧ .

(٢) سُورَةُ البَقَرَةِ : الآيَتانِ ٢ ، ٣ .

الغَيْبِ ، أَوْ مِنْ رَأْفَةِ قَلْبٍ بِشَأْنِ فَقِيرٍ مِنْ فُقَراءِ المُسْلِمِينَ ، أَوْ مِنْ تَعْظِيمٍ يَطْرُقُ القَلْبَ لِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيما .

وظُهُورُ آثارِها فِي الرَّائِي تَحْصُلُ بِنِسْبَةِ سَبَبِها ، وكُلَّما ازْدادَ حالُ طَوْرِهِ أَوْ طَوْرُ حالِهِ ارْتِقاءً فِي مِعْراجِ الصَّلاحِ وطُرُقِ الفَلاحِ تَقَدَّمَ لِظُهُورِ آثارِ رُؤْياهُ فِيهِ ، وتَقَدَّمَتِ الآثارُ بِظُهُورِها فِيهِ إِلَيْهِ ، وكَذَلِكَ الأَمْرُ ، و ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ (١) .

وإِلَّا فَإِذا لَمْ يَزْدَدْ حالُ طَوْرِ الرَّائِي أَوْ طَوْرِ حالِهِ تَرَقِيًّا فِي مَعارِيجِ التَّقْوَى والتَّقَرُّبِ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ إِلَى اللهِ تَعالَى ، فَرُؤْياهُ عِبارَةٌ عَنْ إِراءَةِ أَسْرارِ المَلَكُوتِ ؛ لِيَعْتَبِرَ بِحُكْمِها مِنْ مَقامِهِ ؛ فَإِنَّ الطَّالِحَ قَدْ يَرَى مَرائِيَ الصَّالِحِينَ ، والمَحْجُوبَ قَدْ يَرَى مَرائِيَ الصِّدِّيقِينَ ، ولَكِنْ يَبْقَى مُنْتَظِراً بُرُوزَ الآثارِ مِنْ دُونِ اهْتِمامٍ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ والانْسِلاكِ بِالطَّرِيقِ الرَّابِحِ النَّاجِحِ ، فَلا تَبْرُزُ تِلْكَ الآثارُ الَّتِي ظَنَّ بُرُوزَها ، فَتَبْقَى مَرائِيهِ حَسَراتٍ فِي نَفْسِه .

ولا يُلْتَفَتُ أَيْضاً إِلَى الرُّؤْيا الَّتِي تَنْشَأُ عَنْ عَمَلٍ صالِحٍ وفِيها إِشارَةٌ تُفَتِّرُ الهِمَّةَ عَنِ السَّعْيِ والقِيامِ بِخِدْمَةِ اللهِ تَعالَى .

---

(١) سُورَةُ الرُّومِ : مِنَ الآيَةِ ٤ .

ومِنْ عَلاماتِ الفَلاحِ : عَدَمُ الاغْتِرارِ بالمَناماتِ ، ونَهْضَةُ العَزْمِ بها للإكْثارِ مِنَ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ ، والأَخْذُ بالتِّجارَةِ الرَّابِحَةِ ، قالَ رَبِّي وهُوَ أَصْدَقُ القائِلِينَ : ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (١).

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إلَيْهِ : أَخْبارُ سِرٍّ بِحُصُولِ غايَةٍ تَدْفَعُ العَبْدَ عَنِ الأَعْمالِ للإهْمالِ ؛ كَأَنْ يَقُولَ لَهُ حالُهُ : وَصَلْتَ إلَى مَقامٍ سَقَطَتْ فِيهِ عَنْكَ التَّكالِيفُ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ نَزْغِ الشَّيْطانِ ، واعْتِقادُهُ مَحْضُ ضَلالَةٍ ، ومُصادَمَةٍ للكِتابِ الكَرِيمِ والسُّنَّةِ السَّنِيَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ .

والحالُ القائِلُ بِذَلِكَ ظُلْمَةٌ مِنْ بَقايا سَرِيرَةٍ اسْتَوْعَبَ مَجْمُوعُها خِداعَ الشَّيْطانِ ، وانْطَلَقَ مَعَهُ الهَوَى ، وسَكَتَتْ لِمُوافَقَتِهِ النَّفْسُ ، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ (٢) ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إلَيْهِ : كَثْرَةُ ظُهُورِ الكَراماتِ ؛ فَإِنَّ الكَرامَةَ إكْرامٌ مِنَ اللهِ للعَبْدِ ، فَإِنْ بَقِيَتِ النِّسْبَةُ الإضافِيَّةُ لِلمُكْرِمِ - سُبْحانَهُ وتَعالَى - فَقَدْ ثَبَتَ التَّجْرِيدُ مِنَ الكَرامَةِ ولَزِمَ عَدَمُ الالْتِفاتِ إلَيْها لِكَيْلا يَشْتَغِلَ العَبْدُ بالكَرامَةِ عَنِ المُكْرِمِ ، وإنْ تَحَوَّلَتِ النِّسْبَةُ فَقِيلَ : كَرامَةُ فُلانٍ ،

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : مِنَ الآيَة ١٩٧ .

(٢) سُورَةُ يُوسُف : مِنَ الآيَة ٥٣ .

وقَبِلَها الرَّجُلُ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ ، فَقَدْ أَطْعَمَ نَفْسَهُ السُّمَّ القاتِلَ ، ونادَي عَلَيْهِ بِالحِرْمانِ ، وعَلَى هَذا فَعَدَمُ الالْتِفاتِ للكَرامَةِ أَوْلَى .

هَذا مَعَ إِعْظام شَأْنِ الكَرامَةِ ، والشُّكْرِ للهِ تَعالَى عَلَيْها شُكْراً عَظِيماً ، عَلَى أَنَّها مِنْ عَظائِمِ النِّعَمِ ومِنْ أَجَلِّ الاخْتِصاصِ ، واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١).

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : البُرُوزُ بِخِلْعَةِ الظُّهُورِ فِي حَفْلَةِ المَظْهَرِ ، إِعْظاماً لِجَلالِ المُظْهِرِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ ؛ فَإِنَّهُ - سُبْحانَهُ - يَتَصَرَّفُ بِمُلْكِهِ كَيْفَما شاءَ .

وكَذَلِكَ يَلْزَمُ بِالبُرُوزِ فِي الخِلْعَةِ الظُّهُورِيَّةِ شُكْرٌ لِمُظْهِرِ النِّعَمِ ؛ فَإِنَّ الإِبْرازَ بِمَظاهِرِ الإِعْزازِ شَأْنٌ مِنْ شُؤُوناتِ الحَقِّ يَعْرِفُهُ أَهْلُ الخُصُوصِيَّةِ ، والظَّاهِرُ بِها ما لَهُ سِوَى سَهْمِ الإِظْهارِ ، واللهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ ويَخْتار .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : الانْطِواءُ بِخِلْعَةِ الخَفاءِ عَنِ المَظاهِرِ البارِزَةِ ، والاشْتِغالُ بِالمُقِيمِ عَنْها ؛ فَإِنَّ خِلْعَةَ الخَفاءِ صِيانَةٌ فِي مَقامِ حِمايَةٍ ، ووِقايَةٌ فِي خِدْرِ عِنايَةٍ ، ويَلْزَمُ الشُّكْرُ عَلَيْها لِما فِيها مِنْ حَقِيقَةِ

---

(١) سُورَةُ آلِ عِمْران : مِنَ الآيَة ٧٤ .

الإقامَةِ فِي ساحَةِ الاسْتِخْلاص إِلَيْهِ سُبْحانَهُ ، مَعَ صَرْفِ نَظَرِ العَبْدِ عَنِ الأَكْوانِ وصَرْفِ الأَنْظارِ عَنْهُ ؛ لِيَبْقَى مَشْغُولاً بِهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ ، مَأْنُوساً بِنَفْحَتِهِ ، رَيِّضَ القَلْبِ بِطافِحِ نُورِ قُرْبِهِ ، ماحِقاً كُلِّيَّتَهُ بِمَقامِ شُهُودِهِ سِرَّ اللهِ فِي كُلِّ حَقِيقَةٍ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ (١).

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : الرُّجُوعُ فِي فِقْهِ الحالِ ؛ فَإِنَّ الحالَ غَيْرُ المَقامِ ، حُكْمُهُ مُوَطَّدٌ عَلَى مَتْنِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، لا يُنازِعُهُ فِي مَعْنًى ولا فِي صُورَةٍ مِنْ صُوَرِ السَّيْرِ كَيْفَ بَرَزَتْ ؛ ولِذَلِكَ عُبِّرَ عَنْهُ بِالمَقامِ ؛ لِتَحَكُّمِهِ فِي مَنْزِلَتِهِ مِنْ جِهَةِ نَوْعِهِ المُؤَيَّدِ بِحُكْمِ الثُّبُوتِ مِنْ حَضْرَةِ الأَزَلِ ، إِذِ الشَّرْعُ كَلِماتُ اللهِ ، و﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ (٢).

فالرُّجُوعُ إِلَى فِقْهِ المَقامِ اسْتِقْرارٌ مَعَ ظاهِرِ الحُكْمِ الشَّرْعِيِّ ، وهَذا أَمْرٌ لا يَحْتاجُ لِلتَّأْوِيلِ ، وأَمَّا الرُّجُوعُ إِلَى فِقْهِ الحالِ فَهُوَ انْبِساطٌ بِغَرِيبِ ما يُبْرِزُهُ الحالُ مِنَ التَّأْوِيلاتِ الَّتِي أُمُّها تَحَوُّلاتُ الطَّوْرِ إِلَى ما يُلائِمُ صَلافَةَ الوَقْتِ كَيْفَ كانَتْ ، وفِي هَذا جَمْعٌ عَلَى ما لا يَصِحُّ ، وفَرْقٌ عَمَّا يَلْزَمُ فِيهِ الجَمْعُ ، والحالُ يُحَوَّلُ ، والرُّجُوعُ لا يَنْبَغِي إِلَّا إِلَى الفِقْهِ المُحَمَّدِيِّ المُدَوَّنِ المَعْرُوفِ الشَّأْنِ البَيِّنِ الظَّاهِرِ الحُكْمِ والحِكْمَةِ فِي

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : مِنَ الآيَة ١٥٦ .

(٢) سُورَةُ يُونُس : مِنَ الآيَة ٦٤ .

الآخِرَةِ والأُولَى ، ﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [(١)].

وممَّا لا يُلْتَفتُ إليْه : التَّشَدُّقُ بما أَبهَمَهُ وأَوْهَمَهُ المُبْتَدِعَةُ أَهْلُ الوَحْدَةِ المُطْلَقَةِ مِنَ الأَباطِيلِ المُلَفَّقَةِ والأَناسِيجِ المُمَزَّقَةِ والتَّراكِيبِ الفاسِدَةِ والتَّأْوِيلاتِ البارِدَةِ فِي كُلِّ طَرِيقٍ ذاتِيٍّ أَوْ صِفاتِيٍّ وعَلَى كُلِّ نَوْعٍ مَلَكِيٍّ أَوْ مَلَكُوتِيٍّ وفِي كُلِّ انْطِلاقٍ إِبْداعِيٍّ أَوِ اخْتِراعِيٍّ ومَعَ كُلِّ مَشْهَدٍ فَنائِيٍّ أَوْ بَقائِيٍّ .

الحادِثُ حادِثٌ ، والقَدِيمُ قَدِيمٌ ، تَعالَى اللهُ عَمَّا يَصِفُونَ وتَنَزَّهَ عَمَّا يَقُولُونَ ، وإِنَّ المَيْلَ ولَوْ عَلَى وَهْلَةٍ تَرَدُّدٍ إِلَى أَقْوالِهِمْ مِنْ مَزالِقِ الأَقْدامِ الدَّافِعَةِ - والعِياذُ بِاللهِ - إِلَى النَّارِ ، وكُلُّ ما لَفَّقُوهُ وانْتَحَلُوهُ باطِلٌ مَحْضٌ مَرْدُودٌ فِي كُلِّ كِتابٍ لِلهِ أُنْزِلَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ للهِ ، فَكُلُّ فَلْتَةٍ مِنْ فَلَتاتِ أَلْسُنِ القائِلِينَ بِالوَحْدَةِ المُطْلَقَةِ فِيها قَطِيعَةٌ وسُقُوطٌ مِنْ عَيْنِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ .

الأَسْبابُ الدَّاعِيَةُ إِلَى القَوْلِ بِالوَحْدَةِ المُطْلَقَةِ
حَمانا اللهُ !

وسَبَبُ هَذِهِ المَزالِقِ وارْتِكابِ هَذِهِ البَوائِقِ الانْكِبابُ عَلَى كَلِماتِ القَوْمِ أَصْحابِ الاسْتِغْراقِ الَّذِينَ انْقَطَعُوا عَنْهُمْ وعَنِ الأَكْوانِ إِلَى اللهِ

(١) سُورَةُ الانْفِطارِ : مِنَ الآيَةِ ١٩ .

تَعالَى ، فَأَوْهَمُوا بِما أَبْهَمُوا مِنَ الكَلِماتِ عُقُولَ أَهْلِ النَّقْصِ وأَوْقَعُوا بِخَواطِرِهِمْ هَجْسَ الوَحْدَةِ .

وإنَّ المُنْكَبِّينَ عَلَى كَلامِهِمْ قَبْلَ الوُصُولِ إلَى مَقامِهِمْ لا بُدَّ أَنْ تَزِلَّ بِهِمْ أَقْدامُهُمْ ، لِما يُشارِفُهُمْ مِنْ طَوارِقِ الكَلامِ مِنْ نَسَقِ عِبارَةٍ بَدِيعَةٍ قائِلَةٍ بِالوَحْدَةِ ، لا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِها عَنِ الذِّهْنِ الفاتِرِ ، ولا يَتَمَكَّنُ مِنْ صَرْفِها عَنِ الخاطِرِ الحائِرِ مَنْ كانَ قَلِيلَ البِضاعَةِ قاصِرَ التَّصَرُّفِ ؛ ولِهَذا حَرَّمَ القَوْمُ مُطالَعَةَ كُتُبِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ وأَضْرابِهِ قَبْلَ التَّمْكِينِ ، ورَدُّوا أَقْوالَ ابنِ سَبْعِينَ ، وسَدُّوا البابَ عَلَى العَفِيفِ وكَلِماتِهِ ، وعَلَى ابْنِ الفارِضِ وأُحْدُوثاتِهِ ، وإنْ يَكُنْ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ ، ولِكُلِّ جُمَلِهِمْ مَعانٍ مُفَصَّلَةٌ ، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ [1] .

دَعْ وَهْمَ أَهْلِ الْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَهْ ۞ وافْهَمْ رُمُوزَ الْجَمْعِ والتَّفْرِقَهْ [2]
كُلُّ اتِّحادٍ حُكْمُهُ باطِلٌ ۞ وشاهِدُ الظّاهِرِ قَدْ مَزَّقَهْ
مَنْ غَيَّرَ الأَيّامُ أَحْوالَهُ ۞ وشَيَّبَتْ رَغْماً لَهُ مِفْرَقَهْ
ثُمَّ حَنَتْهُ ثُمَّ طاحَتْ بِهِ ۞ تَحْتَ الثَّرَىٰ فِي حُفْرَةٍ مُغْلَقَهْ
ومَنْ يَرَى الْفَقْرَ ويَلْقَى الْعَنَىٰ ۞ وتَعْتَرِيهِ النُّوَبُ الْمُقْلِقَهْ

(١) سُورَةُ التَّوْبَة : مِنَ الآيَة ٤٠ .

(٢) دِيوانُ المِشْكاة : السَّيِّد مُحَمَّد مَهْدِي الرَّوّاس الرِّفاعِي .

وكُـلَّ وَقْـتٍ كُلُّـهُ حـاجَـةٌ ۞ لِـثَـوْبِـهِ والْخُـبْـزِ والْمِلْـعَقَهْ
وتَكْتَنِـفْهُ فِـي الْخَـلا وَحْـشَةٌ ۞ ويَتَّـزِرْهُ الأُنْـسُ بِـالطَّقْـطَقَهْ
يَبُـولُ مَقْـهُوراً وتَلْـوِي بِـهِ ۞ لِـنَـوْمِـهِ جُـثَّـتُـهُ الْمُـغْـرَقَـهْ
يَكُـونُ عَـيْنَ اللهِ عَـزَّ اسْـمُـهُ ۞ حاشا وذا مِنْ دَنَسِ الزَّنْدَقَهْ
فَـنَـزِّهِ الْخالِـقَ عَـنْ قَـوْلِ مَـنْ ۞ أَشْرَكَ واطْرَحْ هَذِهِ الشَّقْشَقَهْ
مـا وَحَّـدَ اللهَ تَعـالَى امْـرُؤٌ ۞ مُعْتَـقِدٌ بِـالْوَحْـدَةِ الْمُطْـلَقَهْ

وإنَّ مَنْ أَوْهَمَ قَوْلُهُ جَمْعَ ذاتٍ أَوْ جَمْعَ صِفاتٍ ولَمْ يَرْفَعْ بِالقَوْلِ عَلَمَ التَّنْزِيهِ عَنِ المُجانَسَةِ والتَّقْدِيسِ عَنْ سِماتِ المُحْدثاتِ ؛ فَهُوَ ضالٌّ مُبْتَدِعٌ بَلْ يَكْفُرُ والعِياذُ بِاللهِ تَعالَى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ (١) .

وأَمَّا ما تَشابَهَ عَلَى أَهْلِ الانْحِطاطِ عَنْ مَرْتَبَةِ الفِقْهِ الإلَهِيِّ مِنْ أَرْبابِ الانْكِبابِ عَلَى كَلامِ القَوْمِ مِنْ كَلامِ المُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَعْيانِ السَّلَفِ رِجالِ الخِرْقَةِ ؛ مِثْلَ الإمامِ الجُنَيْدِ البَغْدادِي ، حَيْثُ يُنْقَلُ عَنْهُ قَوْلُهُ :

رَقَّ الزُّجاجُ وراقَتِ الْخَمْرُ ۞ فَتَشابَها وتَشـاكَلَ الأَمْـرُ
فَكَأَنَّما خَـمْرٌ ولا قَـدَحٌ ۞ وكَأَنَّما قَـدَحٌ ولا خَـمْـرُ

---

(١) سُورَةُ الكَهْفِ : مِنَ الآيَة ١١٠ .

فَهُوَ مِن امْتِزاجِ طَبْعِ السَّالِكِ بِالذِّكْرِ امْتِزاجاً اسْتِغراقِيًّا يُفْنِيهِ عَنْ رُؤْيَتِهِ حَتَّى يَرَى انْمِحاقَهُ فِي مَحَبَّةِ مَذْكُورِهِ ، وانْطِماسُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ لا يُفِيدُ اتِّحادَ العَيْنِيَّةِ ؛ فَإِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ بِالماءِ ورَشَشْتَهُ عَلَى مَلابِسِكَ يَنْطَمِسُ بِها ولَكِنْ لا يَكُونُ عَيْنَها ، والأَمْرُ كَذَلِكَ . ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ .

وكَقَوْلِ الشِّبْلِي :

عَجِبْتُ مِنْكَ ومِنِّي ❁ أَفْنَيْتَنِي بِكَ عَنِّي
أَدْنَيْتَنِي مِنْكَ حَتَّى ❁ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَنِّي

كَلامٌ يَقْطُرُ مِنْهُ التَّوْحِيدُ ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ : عَجِبْتُ مِنْكَ حائِراً بِكَ ، قاصِراً عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِكَ ، فَإِنَّكَ أَفْنَيْتَنِي بِكَ مِنْ حَيْثُ ذِكْرُكَ واعْتِبارِي بِمَصْنُوعاتِكَ ، فانْمَحَى بِذَلِكَ مِنِّي شُهُودُ نَفْسِي ، وصَغُرَتْ بَلِ انْطَمَسَتْ وبَقِيَتْ ساقِطَةً كَأَنْ لَمْ تَكُنْ لِما شاهَدَتْهُ مِنْ عَظَمَتِكَ وجَلالَةِ سُلْطانِكَ ؛ ولِذَلِكَ (أَعْنِي بَعْدَ انْسِلاخِي عَنْ شُهُودِ نَفْسِي) أَدْنَيْتَنِي مِنْكَ ، فَقَرَّبْتَنِي إِلَيْكَ بِالنَّوافِلِ فَظَنَنْتُ لانْطِماسِي عَنِّي أَنَّ أَنِّي الَّذِي يُحِيطُ الظَّنُّ بِهِ ، وتَكْتَنِفُ الخَواطِرُ والأَبْصارُ والمَدارِكُ كُلَّ كُنْهِهِ وماهِيَّتِهِ وما قامَ بِهِ هُوَ أَنَّكَ ، وأَنْتَ مُنَزَّهٌ عَنِ الأَنِّ والأَيْنِ ، مُقَدَّسٌ عَنِ الإِحاطَةِ بِخاطِرٍ أَوْ عَيْنٍ ، وأَنْتَ هُوَ الإِلَهُ العَظِيمُ القَدِيرُ

الَّذي ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إلَيْهِ : لَمَعانُ أنْوارٍ تُشْرِقُ لِلسَّالِكِ مِنْ حَضْرَةِ خَيالِهِ ، فَتَتَمَثَّلُ لِعِيانِهِ ؛ فَإِنَّ طَوارِقَ الوَهْمِ فَوْقَ هَذا بِالتَّأْثِيرِ ، ولَها مَعارِيجُ تُنْصَبُ ، ومَيازِيبُ تَنْصَبُّ ، ولَيْسَتْ بِشَيْءٍ ولا عَلَى شَيْءٍ .

وبَعْضُ ضِعافِ المُرِيدِينَ يَظُنُّها مِنْ أَعْمالِ الشَّيْطانِ ، والحالُ أَنَّ شَيْطانَهُ وَهْمُهُ ، ومَنْ غَلَبَهُ خَيالُهُ أَوْقَعَتْهُ بِوَهْدَةِ الشُّطُوحاتِ أَحْوالُهُ ؛ فَإِنَّ أُمَّ الشَّطْحِ الحالُ ، وآفَتَهُ الخَيالُ :

اِطْمِسْ مَشاهِدَكَ الَّتِي ❁ تَبْدُو وأَنْتَ الْمَنْبَعُ [1]
يَعْلُو خَيالُكَ طافِحاً ❁ يُعْطِي هُناكَ ويَمْنَعُ
ويَطِيرُ لِلْمَلأِ الْعَلِـ ❁ ـيِّ وعِشُّهُ لا يُقْطَعُ
هَجَسَ الْخَيالُ طَرائِقاً ❁ وجَمِيعُها لا تَنْفَعُ
أَوْهامُ مَصْرُوعِ الْحَضِيـ ❁ ـضِ إلَى الْعُلا يَتَطَلَّعُ
وأَخُو الْكَمالِ بِطَبْعِهِ ❁ عَنْ طَوْرِها يَتَرَفَّعُ
وبِغَيْرِ قَوْلِ الْمُصْطَفَىٰ ❁ وكِتابِهِ لا يَقْنَعُ

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إلَيْهِ : انْبِساطُ النَّفْسِ حالَةَ الاشْتِغالِ بِالأَعْمالِ

---

(١) دِيوانُ المِعْراجِ : السَّيِّدُ مُحَمَّد مَهْدِي الرَّوَّاس الرِّفاعِي

الصَّالِحَةِ ، انْبِساطاً تَتَعَلَّقُ أَشِعَّتُهُ اللَّاهِبَةُ بِأَطْرافِ الرِّياءِ الَّذي هُوَ الشِّرْكُ الخَفِيُّ ، وإِنَّ مِنَ الحِكْمَةِ إِذا انْبَسَطَتِ النَّفْسُ حالَةَ العَمَلِ الصَّالِحِ أَنْ يَأْخُذَ بِزِمامِها السَّالِكُ إِلَى ذِكْرِ هادِمِ اللَّذَّاتِ ؛ فَإِذا ذَكَرَ المَوْتَ ارْتاحَ القَلْبُ لِلعَمَلِ ومَحَقَ انْبِساطَ النَّفْسِ وبَقِيَ العَمَلُ خالِصاً لِما يُصادِمُ ذَلِكَ الانْبِساطَ مِنْ صادِمِ مُحاضَرَةِ ذِكْرِ المَوْتِ :

أَوَّاهُ مِنْ بَسْطِ النُّفُوسِ فَإِنَّهُ
داءٌ يُحَقِّقُ حُكْمَهُ طَوْرُ الْهُدَى[1]

يَرْمِي الرَّفِيعَ بِسَهْمِهِ فَتَراهُ فِي
وَحْلِ الْحَضِيضِ وكانَ فِي بُرْجِ الْعُلا

فَإِذا أَقامَ الْبَسْطُ عِنْدَكَ مِنْبَراً
لِلنَّفْسِ ذَكِّرْها بِجِيلٍ قَدْ مَضَى

واصْرَعْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ فارِسَ عَزْمِها
واقْطَعْ حِبالَ الْغَيْرِ حُكْماً والسِّوَى

واعْمَلْ بِفِقْهِ الْهاشِمِيِّ فَكُلُّ مَنْ
لَمْ يَنْتَفِعْ بِطَرِيقِهِ الْأَهْدَى هَوَى

(١) دِيوانُ المِعْراج : السَّيِّد مُحَمَّد مَهْدِي الرَّوَّاس الرِّفاعِي .

هَـذا طَـرِيقُ أُولِـي الْوُصُـولِ لِرَبِّـهِمْ

نِعْمَ الطَّرِيقُ طَرِيقُ طَهَ الْمُصْطَفَىٰ

وفِي مُنازَلاتِ التَّدَلِّياتِ المُنْقَلِبَةِ مِنْ طَوْرِ النَّفْسِ ما يُشابِهُ المُنازَلاتِ المُتَدَلِّيَةَ مِنْ طَوْرِ الفَضْلِ ، تَنْكَشِفُ بِذِكْرِ المَوْتِ ، ولِذَلِكَ أَمَرَنا الكَرِيمُ العَظِيمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ ﷺ بِقَوْلِهِ : (أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هادِمِ اللَّذَّاتِ)(١) ، وقالَ لِلفارُوقِ الجَلِيلِ رضي الله عنه وعَنَّا بِهِ : (كَفَى بِالمَوْتِ واعِظاً يا عُمَر) (٢).

ولِهَذا الشَّأْنِ سِرٌّ يَعْرِفُهُ أَهْلُ التَّحْقِيقِ المُنْقَطِعُونَ عَنْ دَوائِرِ الانْبِساطاتِ النَّفْسِيَّةِ والخَيالِيَّةِ : ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣).

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : عَلاقَةُ كَشْفٍ تَطْرقُ عَنْ فِكْرَةٍ وجَمْعِ خَيالٍ مِنْ طَرِيقِ الخاطِرِ لا مِنْ مَحْضَرِ القَلْبِ والرُّوح .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : طارِقُ قَبْضٍ يَدْفَعُ الهِمَّةَ عَنِ الارْتِياحِ بِالعَمَلِ للاشْمِئْزازِ ، وهُناكَ يَلْزَمُ أَنْ يُرَوِّحَ السَّالِكُ قَلْبَهُ بِمَضْمُونِ ما جاءَ فِي الخَبَرِ : (رَوِّحُوا القُلُوبَ تارَةً فَتارَةً) (٤).

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي فِي سُنَنِهِ . والنَّسائِي فِي السُّنَن .

(٢) أَوْرَدَهُ الهَيْثَمِي فِي مَجْمَعِ الزَّوائِد . (٣) سُورَةُ الفُرْقان : مِنَ الآيَة ٣١ .

(٤) ذَكَرَهُ العَجْلونِي فِي (كَشْفِ الخَفاء) بِلَفْظِ : ساعةً وساعة ، ويَشْهَدُ لَهُ ما فِي مُسْلِمٍ وغَيْرِهِ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : (يا حَنْظَلَةُ ساعةً وساعة) .

وتَرْوِيحُ القَلْبِ لا يُفِيدُ تَرْكَ العَمَلِ ؛ بَلْ لَوْ قِيلَ : رَوِّحُوا النُّفُوسَ ، لأفادَ ذَلِكَ تَرْكَ العَمَلِ ؛ وإنَّما تَرْوِيحُ القَلْبِ بِسُكُونِهِ أَعْمالَ الجَسَدِ ، وإشْغالِ القَلْبِ بِذِكْرِ اللهِ تَعالَى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [1].

ومِنَ الأَسْرارِ الكامِنَةِ فِي النَّفْسِ اشْمِئْزازُها مِنْ كُلِّ عَمَلٍ يَقْمَعُها ، وعَلَى هَذا فالعارِفُ إذا رَآها اشْمَأَزَّتْ ، يَطِيبُ قَلْبُهُ لِعِلْمِهِ أَنَّ قَمْعَها قَرُبَ ، ويَرْتاحُ سِرُّهُ لِذَلِكَ ، فَيَغْلِبُ بِسُلْطانِ القَلْبِ ثائِرَةَ النَّفْسِ ، ويَعْمَلُ عَلَى إخْمادِ نارِ الوَسْواسِ النَّاشِئِ عَنْ ثَوْرَةِ نَفْسِهِ بِتَرْكِ الزَّوائِدِ مِنْ أَعْمالِ الجَسَدِ ، ولَكِنْ مَعَ إشْغالِ القَلْبِ كُلَّ الإشْغالِ بِذِكْرِ اللهِ تَعالَى ؛ وهَذا حالُ العارِفِينَ بِرَبِّهِمْ العالِمِينَ بِأَحْكامِ قَمْعِ النَّفْسِ .

ومَتَى ارْتاحَ القَلْبُ وانْطَمَسَ الوَسْواسُ وقَلَّ قالُها وقِيلُها (أَعْنِي النَّفْسَ) جَرَّدَ عَزْمَ العَزِيمَةِ لِلعَمَلِ الصَّالِحِ ، وتَقَرَّبَ إِلَى اللهِ بِالنَّوافِلِ ، و ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إلَيْهِ : كَشْفٌ أَوْ إلْهامٌ أَوْ رُؤْيا رَأَى بِها السَّالِكُ نَبِيَّهُ أَوْ شَيْخَهُ فَأَمَرَهُ بِأَمْرٍ يُخالِفُ ظاهِرَ شَرِيعَةِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَإنَّهُ إنْ كانَ المَرْئِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَهِيَ إشارَةٌ صَرِيحَةٌ إلَى أَنَّ السَّالِكَ مُرْتَكِبٌ

---

(١) سُورَةُ الرَّعْد : مِنَ الآيَة ٣٨ .

يَلْزَمُهُ الجِدُّ والجُهْدُ والتَّوْبَةُ وتَصْحِيحُ العَزْمِ والعَزِيمَةِ باتِّباعِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وإِنْ كانَ مِنَ الكَشْفِ فَهُوَ طارِقُ هَوًى ، وإِنْ كانَ مِنَ الإِلْهامِ فَهُوَ فُجُورٌ ، وإِنْ كانَ رُؤْيا شَيْخٍ أَوْ غَيْرِهِ ، فَهُوَ مِثالٌ شَيْطانِيٌّ لا يُعْبَأُ بِهِ ، ويَلْزَمُ العَمَلُ بِعَكْسِهِ مِنَ الاهْتِمامِ بِمُتابَعَةِ ظاهِرِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ - عَلَى مُشَيِّدِ أَرْكانِهِ ومُحْكِمِ بُنْيانِهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : تَمَكُّنُ المُرِيدِ مِنَ الطَّيَرانِ فِي الهَواءِ والمَشْيِ عَلَى الماءِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ خِدْعَةٌ إِدْلالِيَّةٌ مِنْ لُبابِ مَعالِمِ الإِدْلالِ ؛ فَإِنِ انْقَطَعَ بِرُؤْيَتِها المُرِيدُ عَنِ التَّرَقِّي فِي مِنْهاجِهِ والتَّرَفُّعِ بِأَعْمالِهِ الصَّالِحَةِ واشْتَغَلَ بِما يَفْعَلُهُ الطَّيْرُ والحُوتُ فَقَدْ نادَى عَلَى نَفْسِهِ بِالغُرُورِ والبُعْدِ والعِياذُ بِاللَّهِ تَعالَى .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : انْكِشافُ العَوالِمِ إِدْلالاً وإِراءَةً لِلسَّالِكِ ؛ فَإِنِ اشْتَغَلَتْ هِمَّتُهُ بِاسْتِكْشافِ طَوائِفِ العَوالِمِ ، وسَبَحَ شاطِحاً بِمُطالَعاتِ صُحُفِها فَهُوَ مَشْغُولٌ قَدْ يَسْبِقُهُ الرَّكْبُ ، فَلْيَبْكِ عَلَى نَفْسِهِ ، وإِنْ طَرَحَها واشْتَغَلَ بِمُنْشِئِها ومُصَوِّرِها اتِّباعاً بِمَحَلِّ مِدْحَةِ : ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [1] ، فَقَدِ اهْتَدَى واتَّبَعَ الهُدَى ، واتَّصَلَ بِالمَقامِ الأَعْلَى .

---

(١) سُورَةُ النَّجْمِ : مِنَ الآيَةِ ١٧ .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : شِدَّةُ انْجِذابِ القُلُوبِ إِلَى الفَقِيرِ ؛ كَأَنْ يَرَى مِنْهُ تَسْخِيراً فِي الأَفْئِدَةِ يَجْذِبُها لِمَحَبَّتِهِ والمَيْلِ إِلَيْهِ وصِحَّةِ الاعْتِقادِ ، فَتَكْثُرُ حَوْلَهُ حِلَقُ المُعْتَقِدِينَ ، فالالْتِفاتُ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ قاتِلٌ ، حَمانا اللهُ !

قالَ سَيِّدُنا ومَوْلانا السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي رضي الله عنه وعَنَّا بِهِ : كَمْ طَيَّرَتْ طَقْطَقَةُ النِّعالِ حَوْلَ الرِّجالِ مِنْ رَأْسٍ ، وكَمْ أَذْهَبَتْ مِنْ دِينٍ ؟! والرَّجُلُ : مَنْ جَمَعَ النَّاسَ عَلَى اللهِ لا عَلَى نَفْسِهِ ، وجَذَبَهُمْ لِلَّهِ لا إِلَى نَفْسِهِ ، وبَقِيَ قَلْبُهُ عَنْهُمْ بِمَعْزِلٍ ، وهُوَ ذاكَ الفارِسُ البَطَلُ .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : نَفْرَةُ القُلُوبِ مِنَ الفَقِيرِ وإِعْراضُهُمْ عَنْهُ ، وعَدَمُ اعْتِقادِهِمْ بِهِ ، ومَيْلُهُمْ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّ هَذا أَهْدَىٰ لِلسِّرِّ وأَجْمَعُ لِلعَبْدِ الكامِلِ العاقِلِ عَلَى اللهِ تَعالَى ، لِبَقائِهِ فِي ساحَةِ انْفِرادِهِ لِرَبِّهِ ، وهَذا دَأْبُ العُقَلاءِ مِنَ المُوَفَّقِينَ .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : مَيْلُ النَّفْسِ لِتَطَلُّبِ مَقامٍ أَوْ حالٍ أَوْ طَوْرٍ أَوْ شَأْنٍ ، ولَوْ زُيِّنَ ذَلِكَ المَيْلُ بِأَنَّ النَّتِيجَةَ تَؤُولُ إِلَى اللهِ تَعالَى ؛ لأَنَّ أَهْلَ الكَمالِ لا يَخْتارُون .

نُودِيَ سَيِّدُنا الإِمامُ الرِّفاعِيُّ فِي الحَضْرَةِ مِنْ مَقامِ العَلِيِّ : ما تُرِيدُ

يا أَحْمَد ؟ فَقالَ : يا رَبِّ ، أَنْتَ المُرادُ ، أُرِيدُ أَنْ لا أُرِيد ، وأَخْتارُ أَنْ لا أَخْتار .

فَمَنْ كانَ مِنَ القَوْمِ أَهْلِ الذَّوْقِ السَّلِيم والطَّبْعِ الخالِصِ يَعْمَلُ بما قالَهُ هَذا السَّيِّدُ الجَلِيلُ القُدْوَةُ رضي الله عنه ، وهُوَ طَرِيقُ أَهْلِ السَّلامَةِ ، نَفَعَ اللّٰهُ بِهِمْ أَجْمَعِين .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : قُدْرَةٌ فِي المَقام نافِذَةٌ ، وحالٌ مُؤَثِّرٌ ؛ فَإِنَّ طَرْحَ النَّظَرِ إِلَى هَذا مِنْ شَأْنِ المُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، بِإِرْشادِ رَبِّهِ تَعالَى لَهُ : ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (١).

وهَذِهِ الانْفِعالاتُ الَّتِي تَجْرِي عَلَى يَدِ أَهْلِ الحالِ مِنَ النُّفُوذِ والتَّأْثِيرِ دُونَ مَراتِبِ أَهْلِ التَّمْكِينِ الَّذِينَ يُعْرِضُونَ عَنْها لِفاعِلِها ، وما هِيَ إِلَّا شُؤُوناتٌ إِلَهِيَّةٌ يُحَوِّلُها إِلَى ما يَشاءُ ، ويُقَلِّبُها سُبْحانَهُ كَيْفَ شاءَ . فَلْيَتْرُكِ اللَّبِيبُ الفِعْلَ لِفاعِلِهِ ، ولْيَقْعُدْ عَلَى ساحِلِ السَّلامَةِ والسَّلام .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : بُرُوزُ سُلْطانٍ مِنْ طارِقَةِ الحالِ ، يَزْعُمُ بِهِ المُبْتَدِئُ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى مُنازَعَةِ الأَقْدارِ بِالأَقْدار .

تِلْكَ واهِمَةُ البارِزِ ، ما هِيَ إِلَّا عُقَدٌ عَقَدَها تَعالَى وحَلَّها ، فَمَنِ المُنازِعُ ؟

---

(١) سُورَةُ يُونُس : مِنَ الآيَة ٤٩ .

وما الَّذي نازَعَ بِهِ إِلَّا أَغْلاطٌ سَقِيمَةٌ ، لا يَقُولُ بِها ذُو فِقْهٍ فِي مُنازَلاتِ الحَقِيقَةِ ، آمَنَّا بِاللهِ وبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ مِنَ اللهِ تَعالَى .

ومَنْ ذا الَّذي يَأْخُذُ بِأَزِمَّةِ القَدَرِ فَيَلْفِتُها عَنْ حُكْمِها ويُنازِعُ واضِعَها بِقُدْرَتِهِ ؟ تَعالَى اللهُ عُلُوًّا كَبِيراً .

وإِنْ قالَ قَوْمٌ : أَرادَ بِالنِّزاعِ الشَّفاعَةَ ، وأَنَّ شَفاعَتَهُ مُؤَثِّرَةٌ .

قُلْنا: قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ (١) ، ومَتَى كانَتِ الشَّفاعَةُ عَنْ إِذْنٍ فَهُناكَ سَقَطَتْ كَلِمَةُ المُنازَعَةِ ، وبَقِيَتْ كَلِمَةُ الضَّراعَةِ مِنَ العَبْدِ ، والرَّحْمَةُ مِنَ الرَّبِّ ، والحَوْلُ والقُوَّةُ والقُدْرَةُ لِلهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : شُرُوقُ فِقْهٍ ولَوْ فِي مَسْأَلَةٍ فَرْعِيَّةٍ يُخالِفُ حُكْمُهُ ظاهِرَ الشَّرْعِ فِي تِلْكَ المَسْأَلَةِ ؛ بِمَعْنَى أَنَّ الفِقْهَ الَّذي انْجَلَى لِقَلْبِ السَّالِكِ كانَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ؛ بَلَّغَ وأَدَّى الأَمانَةَ ، ولَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَمْ يَكْشِفْ لِلأُمَّةِ قِناعَهُ ، وقَدْ كَمُلَ الدِّينُ ، ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

وعَلَى هَذا فالرُّجُوعُ إِلَى الشَّرْعِ الطَّرِيقُ الأَحَقُّ والقَوْلُ الحَقُّ ، والسَّلام .

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : مِنَ الآيَة ٢٥٥ .

الرَّدُّ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الوَلِيَّ الكامِلَ لا يُقَلِّدُ مَذْهَباً

وقَدْ ذَهَبَ أُناسٌ إلَى القَوْلِ : بِأَنَّ الوَلِيَّ الكامِلَ لا يُقَلِّدُ مَذْهَباً ، بَلْ يَأْخُذُ جُمْلَةَ الأَحْكامِ مِنَ السُّنَّةِ والكِتابِ ويَعْمَلُ ، وإذا أُشْكِلَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اسْتَفْتَى فِي عالَمِ البَصِيرَةِ النَّافِذَةِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، وعَمِلَ بِفَتْواهُ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلَواتِ اللهِ وتَسْلِيماتِه .

وهَذا القَوْلُ خَطَأٌ ، والعَمَلُ بِهِ نَقْصٌ عَظِيمٌ ؛ فَإِنَّ الوَلِيَّ الكامِلَ لا يَهْتِكُ حُرْمَةَ التَّقَيُّدِ بِالمَذْهَبِ ، ولا يَخْرُجُ مِنَ السَّوادِ الأَعْظَمِ ، ولَوْ أَحاطَ بِأَسْرارِ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ والنَّصِّ القُرْآنِيِّ ، عَلَى أَنَّ الأَئِمَّةَ المُجْتَهِدِينَ الَّذِينَ دَوَّنُوا لَنا المَذاهِبَ المُبارَكَةَ وقَرَّرُوها هُمْ أَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ الوَلِيِّ بِمَدارِكِ السُّنَّةِ خَبَراً ، وإِنْ حَصَلَ لِذَلِكَ الوَلِيِّ الوُقُوفُ عَلَى مَدارِكِ السُّنَّةِ فَهْماً وإِلْهاماً ؛ فَإِنَّ فَهْمَهُ وإِلْهامَهُ لا يُعْتَبَرُ لا عِنْدَهُ ولا عِنْدَ غَيْرِهِ إذا عارَضَهُ الخَبَرُ .

نَعَمْ .. تُعْتَبَرُ هَذِهِ الأَفْهامُ والإِلْهاماتُ فِي زَوائِدِ الأَعْمالِ مِنَ النَّوافِلِ ، بِشَرْطِ عَدَمِ مُعارَضَةِ الخَبَرِ ، وأَمَّا قَوْلُهُمْ : إِنَّهُمْ يَسْتَفْتُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَهُوَ اسْتِفْتاءٌ زائِدٌ ؛ لأَنَّهُ ﷺ ما قَضَى حَتَّى بَلَّغَ ، وتَرَكَ الأُمَّةَ عَلَى مَحَجَّةٍ بَيْضاءَ لا ضَلالَ بَعْدَها أَبَداً ، فَكَيْفَ يُسْتَفْتَى عَنْ

شَيْءٍ بَلَّغَهُ وأَوْضَحَهُ واسْتَوْدَعَهُ عُلماءَ الأُمَّةِ ، وهُمُ الَّذِينَ يُسْأَلُونَ عَنْهُ فِي كُلِّ عَصْرٍ بِشاهِدِ قَوْلِهِ تعالَى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)، وهَذا أَمْرٌ شَمِلَ كُلَّ مُسْلِمٍ .

نَعَمْ .. اجْتَهَدَ الأَئِمَّةُ بَعْدَ تَوَفُّرِ الأَدِلَّةِ والشَّواهِدِ لَدَيْهِمْ بِتَرْجِيحِ الأَحْكامِ المُسْتَنْبَطَةِ مِنَ الأَحادِيثِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى بَعْضِها ، وانْقَطَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ رُتْبَةُ الاجْتِهادِ لِعَدَمِ تَوَفُّرِ شُرُوطِها فِي أَحَدٍ بَعْدَ السَّلَفِ مِنَ المُجْتَهِدِينَ رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .

وإِنَّ كُمَّلَ الأَوْلياءِ - قُدِّسَتْ أَسْرارُهُمُ العَلِيَّةُ - وإِنْ بَلَغَتْ مَقادِيرُهُمْ رُتْبَةَ مَقادِيرِ الأَئِمَّةِ المُجْتَهِدِينَ فَضْلاً وعِلْماً وإِرْشاداً ، لَكِنْ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِمْ أَخْبارُ السُّنَّةِ والكِتابِ كَما وَصَلَتْ إِلَى الأَئِمَّةِ المُجْتَهِدِينَ تَلَقِّياً وإِسْناداً .

فَإِذَنْ هُمْ مُكَلَّفُونَ بِالأَخْذِ عَنِ الأَئِمَّةِ المُجْتَهِدِينَ ، ولا يُلْتَفَتُ إِلَى قَوْلِ مَنْ أَسْقَطَ التَّقْلِيدَ فِي الأَحْكامِ اكْتِفاءً بِالكِتابِ والسُّنَّةِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ جَهِلَ أَنَّهُ قَلَّدَ بِتَلَقِّي السُّنَّةِ والكِتابِ ، وأَرادَ بَعْدَ كُلِّ هَذا أَنْ يَنْزِعَ طَوْقَ التَّقْلِيدِ الشَّرِيفِ مِنْ عُنُقِهِ طَيْشاً ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ المُنْكِرُ

---

(١) سُورَةُ النَّحْلِ : مِنَ الآيَةِ ٤٣ .

الحَدِيثَ الَّذِي يَرْوِيهِ ويَسْتَدِلُّ بِهِ لاحْتاجَ إلَى إسْنادِ الحَدِيثِ ، ومَتَى أَسْنَدَ فَقَدْ قَلَّدَ راوِيَهُ (أَعْنِي بِأَخْذِ الحَدِيثِ)، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ الحَدِيثَ قَبْلَ أَخْذِهِ عَنْ مَنْ أَسْنَدَهُ إلَيْهِ .

والتَّقْلِيدُ الَّذِي كَثُرَ فِيهِ القالُ والقِيلُ ، يَنْتَهِي عِنْدَ عُلَماءِ الكَلامِ إلَى وَجْهَيْنِ : الوَجْهُ الأَوَّلُ : قَوْلُهُمْ بِعَدَمِ صِحَّةِ التَّقْلِيدِ فِي العَقائِدِ الدِّينِيَّةِ ؛ فَإِنْ كانَ المُقَلِّدُ قادِراً عَلَى النَّظَرِ والاسْتِدْلالِ وقَلَّدَ فَهُوَ مُؤْمِنٌ عاصٍ ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ قادِراً عَلَى النَّظَرِ والاسْتِدْلالِ فَلا يَكُونُ عاصِياً .

ومِنْهُمْ مَنْ حَرَّمَ النَّظَرَ ، ومِنْهُمْ مَنْ أَوْجَبَهُ وقالَ : إنَّ تَرْكَهُ مَعْصِيَةٌ ، وأَطالَ الجَماعَةُ فِي طُرُقِ هَذا الوَجْهِ .

والوَجْهُ الثَّانِي : تَكْفِيرُ المُقَلِّدِ عِنْدَ قَوْمٍ ، وجَعْلُهُ عاصِياً عِنْدَ آخَرِينَ ، والقَوْلُ بِإِيمانِهِ عِنْدَ طائِفَةٍ أُخْرَى أَلْبَتَّةَ .

ومُلَخَّصُ الصَّوابِ : أَنَّ التَّكْفِيرَ مَرْدُودٌ لِشُمُولِهِ العَوامَّ الَّذِينَ هُمْ غالِبُ الأُمَّةِ ، والقَوْلُ بِالمَعْصِيَةِ فِيهِ ما فِيهِ ؛ لأَنَّ مَنْ تَلَقَّى عِلْمَ العَقائِدِ مِنْ شَيْخٍ لا يَلْزَمُ مِنْ تَلَقِّيهِ عَنْهُ أَنْ يَكُونَ مُقَلِّداً لَهُ ، حَتَّى يُجْرِيَ الخِلافَ فِي صِحَّةِ إيمانِهِ أَوْ جَعْلِهِ عاصِياً ، وإِنَّما هُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ سَأَلَ رَجُلاً عَنِ الهِلالِ فَدَلَّهُ عَلَيْهِ بِتَعْرِيفاتٍ وإِشاراتٍ وإِراءَةِ مَنْزِلَتِهِ ، ثُمَّ اهْتَدَى

إِلَيْهِ ، فَأَمْعَنَ النَّظَرَ وتَحَقَّقَهُ ، وصارَ يُخْبِرُ بِرُؤْياهُ عَنْ يَقِين .

وعَلَى هَذا طَبَقاتُ الأُمَّةِ بِلا شُبْهَةٍ ؛ فَإِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِما أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ إِيماناً بَتًّا مَحْضاً لا تَمَسُّهُ شَوائِبُ الشُّبُهاتِ ، إِيقاناً وإِذْعاناً بِعِصْمَتِهِ وأَخْذاً عَنْهُ ﷺ ، وانْقِياداً لأَوامِرِ اللهِ تَعالَى وإِيماناً بِهِ سُبْحانَهُ ، وإِلَّا فَلا يُقَلِّدُونَ غَيْرَ المَعْصُومِ اعْتِماداً عَلَى قَوْلِهِ ، ولا يَعْمَلُونَ بِالهَوَى ، بَلْ يَتَّبِعُونَ النَّصَّ القُرْآنِيَّ والحُكْمَ الرَّبَّانِيَّ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى عَبْدِهِ المُصْطَفَى الَّذِي لا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى .

هَذا، ولا رَيْبَ فِي أَنَّ الأَوْلِياءَ لَهُمْ شَرَفُ المُلاقاةِ المَعْنَوِيَّةِ مَعَ الحَضْرَةِ الجَلِيلَةِ النَّبَوِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّها تَشْتَغِلُ أَبْصارُهُمْ وبَصائِرُهُمْ بِاقْتِباسِ نُورِ جَمالِهِ عَنِ السُّؤالِ عَمَّا أَوْضَحَهُ لأُمَّتِهِ بِالأَسانِيدِ الصَّحِيحَةِ مِنْ جَلِيلِ أَقْوالِهِ وأَفْعالِهِ .

وهَذا القَوْلُ الصَّحِيحُ الصَّرِيحُ المُبَرَّأُ مِنْ شَوائِبِ الاعْوِجاجِ وشُبَهِ التَّلْمِيحِ والتَّلْوِيحِ .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : كَرامَةٌ تَحْدُثُ فِي حالَةِ غَفْلَةٍ عَنِ اللهِ تَعالَى ؛ فَإِنَّ تِلْكَ مَعُونَةٌ ، وهِيَ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي يَجِبُ الشُّكْرُ لِلَّهِ عَلَيْها ، والتَّنَبُّهُ بِها ، وعَدَمُ الانْحِجابِ بِبارِزِها ، وأَنْ لا يَسْتَعِينَ بِها بَعْدَ بُرُوزِها عَلَى

مَعْصِيَةِ الغَفْلَةِ والأَمْنِ مِنَ اللهِ تَعالَى ، وإِهْمالِ ما أُمِرَ بِهِ ؛ فَإِنَّها رُبَّما تُعْقِبُ نَدامَةً .

وهَذا نَصُّ سَيِّدِنا ومَوْلانا صاحِبِ الطَّرِيقَةِ القَوِيمَةِ والمَحَجَّةِ المُسْتَقِيمَةِ أَبِي العَلَمَيْنِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الرِّفاعِي ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : رُبَّ كَرامَةٍ يَعْقِبُها نَدامَةٌ ، ورُبَّ نِعْمَةٍ يَتْبَعُها غُمَّةٌ ؛ يُرِيدُ أَنَّ الكَرامَةَ إِذا انْحَجَبَ بِها المُكْرَمُ أَعْقَبَتْهُ نَدامَةً ، وإِنَّ النِّعْمَةَ إِذا قَطَعَتِ المُنْعَمَ عَنِ المُنْعِمِ أَعْقَبَتْهُ غُمَّةً ؛ كَنِعْمَةِ قارُون .

ثُمَّ قالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وأَشْرَفُ الكَراماتِ ما زادَكَ انْسِلاخاً مِنْ أَنانِيَّتِكَ ، وحَجَبَكَ عَنْ رُؤْيَةِ نَفْسِكَ ، وأَجَلُّ النِّعَمِ ما قَطَعَكَ عَنْكَ ودَلَّكَ عَلَى رَبِّكَ .

فانْظُرْ أَيُّها اللَّبِيبُ بِعَيْنِ اعْتِبارِكَ هَذِهِ الحِكَمَ الأَحْمَدِيَّةَ الَّتِي تَتَفَجَّرُ مِنْ يَنابِيعِ الخِزانَةِ المُحَمَّدِيَّةِ ، واعْمَلْ بِها ، وأَنْتَ إِنْ شاءَ اللهُ مِنَ الآمِنِين .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : سُقُوطُ دَنانِيرَ مِنَ الهَواءِ لِلفَقِيرِ حالَةَ اضْطِرارِهِ ، لِيَدْفَعَ بِها ما أَلَمَّ بِهِ مِنَ الضَّرُورَةِ ، فَإِنَّ قَبُولَهُ حالَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْلَى لَهُ فِي مُنازَلاتِ فِقْهِهِ إِنْ كانَ مِنَ الصَّابِرِينَ : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ

أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١).

عَلَى أَنَّ الهِمَّةَ تَسْتَرِيحُ لِهَذِهِ العِنايَةِ ، فَرُبَّما انْبَسَطَتْ وأَعْقَبَها الانْبِساطُ انْحِطاطاً عَنِ العَزِيمَةِ ، وقَدْ عُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ الكَرِيم جِبالُ مَكَّةَ أَنْ تَصِيرَ لَهُ ذَهَباً فَأَباها إِيماناً بِاللّٰهِ ورِضاءً بِما رَضِيَ اللّٰهُ لَهُ .

والإِمامُ السَّعِيدُ الشَّهِيدُ السِّبْطُ الحُسَيْنُ رضي الله عنه يَقُولُ : مَنِ اعْتَمَدَ عَلَى حُسْنِ اخْتِيارِ اللّٰهِ لَهُ لَمْ يَتَمَنَّ غَيْرَ ما اخْتارَهُ اللّٰهُ لَهُ .

فَإِنْ قُلْتَ : إِنْ سَقَطَتِ الدَّنانِيرُ بِغَيْرِ طَلَبٍ ولا تَمَنٍّ ، قُلْنا : لَزِمَ الشُّكْرُ والاعْتِبار ، وطَرْحُ الدُّنْيا عَنِ الأَفْكار ، والاشْتِغالُ بِالمُؤَثِّرِ عَنِ الآثار ، إِذْ ما فِي الدَّارِ غَيْرُهُ دَيَّار .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : حالٌ يَنْبَسِطُ لَهُ الخاطِرُ ، فَيُنْتِجُ دَعْوَى يَلْفِظُ بِها اللِّسانُ ارْتِياحاً لِلحالِ ؛ قالَ سَيِّدُنا المُرَبِّي الكامِلُ حَكِيمُ عَساكِرِ الأَوْلِياءِ وسُلْطانُ أَئِمَّةِ الحُكَماءِ السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي : الدَّعْوَى رُعُونَةُ نَفْسٍ لا يَحْتَمِلُها القَلْبُ ، فَيُلْقِيها إِلَى اللِّسانِ ، فَيَنْطِقُ بِها الرَّجُلُ الأَحْمَقُ .

وقالَ أَيْضاً : آفَةُ الحالِ الارْتِياحُ إِلَى الدَّعْوَى ، ومَنْ لَمْ يُرَبِّ بِحالِهِ لَمْ يُرَبِّ بِمَقالِهِ .

---

(١) سُورَةُ الزُّمَر : مِنَ الآيَة ١٠ .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إلَيْهِ : عِلْمٌ وَسِيعٌ فِي فُنُونٍ مَقْرُوءَةٍ مَعْلُومَةٍ يَسُوقُ صاحِبَهُ لِرُؤْيا التَّفَوُّقِ عَلَى غَيْرِهِ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ فِي تِلْكَ الفُنُونِ والعُلُومِ ، فَكَمْ مِنْ لِسانِ عالِمٍ بِفَمِ رَجُلٍ ذِي قَلْبٍ جاهِلٍ ، وكَمْ مِنْ لِسانِ جاهِلٍ بِفَمِ رَجُلٍ ذِي قَلْبٍ عالِمٍ .

فَإِذا كُنْتَ فِي مَحافِلِ العُلَماءِ قَيِّدْ لِسانَكَ ، وإِذا كُنْتَ فِي مَحافِلِ طُلَّابِ الحَقِّ قَيِّدْ قَلْبَكَ ، واطْرَحْ عَنْكَ رُؤْيا عِلْمِكَ ، فالعِلْمُ سِرٌّ يَقُودُ العَبْدَ إلَى مُفارَقَةِ الطُّرُقِ الَّتِي تُبْرِزُ الأَمْراضَ لِطارِقِها ، ويَأْخُذُ بِصاحِبِهِ إلَى سُلُوكِ الطُّرُقِ الَّتِي تُنْتِجُ الإِسْعافَ فِي أَمْرِ القَلْبِ والرُّوحِ والعَقْلِ ، وتَنْهَضُ بِها إلَى اللهِ تَعالَى .

قالَ إمامُنا الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه :

شَكَوْتُ إلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ۞ فَأَرْشَدَنِي إلَى تَرْكِ الْمَعاصِي
وأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ ۞ ونُورُ اللهِ لا يُهْدَىٰ لِعاصِي

ورَحِمَ اللهُ صاحِبَ الزُّبَدِ ، حَيْثُ قالَ :

وعالِمٌ بِعِلْمِهِ لَمْ يَعْمَلَنْ ۞ مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عابِدِ الْوَثَنْ
وكُلُّ مَنْ بِغَيْرِ عِلْمٍ يَعْمَلُ ۞ أَعْمالُهُ مَرْدُودَةٌ لا تُقْبَلُ

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : اسْتِغْراقٌ بِعِبادَةٍ قامَ أَساسُها عَلَى جَهْلٍ بِحُكْمِ العِبادَةِ ؛ فَإِنَّ العِبادَةَ لا تُقْبَلُ بالرَّأْيِ ، وإِنَّما هِيَ مَشْرُوعَةٌ مُعَرَّفَةٌ غَيْرُ مُنْكَرَةٍ ، فَمَنْ عَمِلَ بِرَأْيِهِ فَعَمَلُهُ مَضْرُوبٌ بِهِ وَجْهَهُ ؛ جاءَ فِي الخَبَرِ : (لا يَكُونُ أَحَدُكُمْ مُؤْمِناً حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تَبَعاً لِما جِئْتُ بِهِ) [1].

ونَقْنَعُ مِنَ العامِلِ بِمَعْرِفَةِ حُكْمِ العَمَلِ عَلَى الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ المَرْضِيِّ ، ولا نُكَلِّفُهُ تَعَلُّمَ عِلْمِ النَّحْوِ والعَرُوضِ والبَدِيعِ والبَيانِ والفَلْسَفَةِ والهَنْدَسَةِ وأَشْباهِ ذَلِكَ مِنَ العُلُومِ الزَّائِدَةِ ، ونُكَلِّفُهُ تَعَلُّمَ العِلْمِ النَّافِعِ الشَّرْعِيِّ ؛ وهُوَ أَنْ يَعْلَمَ ما لَهُ وما عَلَيْهِ ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : حُبُّ الخَلْوَةِ ؛ فَإِنَّ فِيها آفاتٍ ، يُقالُ : كَمْ مِنْ راكِعٍ فِي الحَرَمِ المَكِّيِّ وهُوَ يُرائِي أَهْلَ خُراسان .

وأَدَبُ الخَلْوَةِ صِحَّةُ الانْسِلاخِ عَنْ رُؤْيَةِ الخَلْوَةِ مَعَ حُسْنِ الارْتِياحِ لِذِكْرِ اللهِ بِعَزْمٍ خالِصٍ ونِيَّةٍ صَحِيحَةٍ وهِمَّةٍ عالِيَةٍ مُنْقَبِضَةٍ عَنْ الانْقِباضِ والانْبِساطِ ، راجِعَةٍ فِي كُلِّ شُؤُونِها إِلَى اللهِ تَعالَى .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : حُبُّ السِّياحَةِ ؛ فَإِنَّ فِيها آفاتٍ ، كَتَأْخِيرِ بَعْضِ أَوْقاتِ الصَّلاةِ ، وانْشِراحِ النَّفْسِ بِرُؤْيَةِ البُلْدانِ الشَّاسِعَةِ والأَقْطارِ

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي ، وأَبو نُعَيْمٍ فِي (الأَرْبَعِين) .

الفَسِيحَةِ ، والاشْتِغالِ بِها عَنْ صانِعِها .

وأَدَبُ السِّياحَةِ حِفْظُ النَّفْسِ مِنَ الانْقِباضِ ، والعَيْنِ مِنْ مُحَرَّمِ النَّظَرِ ، والخاطِرِ مِنَ الطَّلَبِ ، واليَدِ مِنَ السُّؤالِ ، ومَعَ كُلِّ هَذا فالأَهَمُّ قَمْعُ ثائِرَةِ الشَّهْوَةِ ، وهَدْمُ صَوْمَعَةِ الهَوَى ، والقِيامُ بِإِفْساحِ الخاطِرِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، والرِّضا عَنِ اللهِ ، والاعْتِبارُ بِمَصْنُوعاتِهِ اعْتِباراً يَرْفَعُ بِالعَزْمِ للأَخْذِ بِالعَزائِمِ مِنْ دُونِ رُؤْيا العَمَلِ فِي كُلِّ حالٍ مِنْ هَذِهِ الأَحْوالِ ، و ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ .

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : سَماعُ هاتِفٍ يُشِيرُ إِلَى أَمْرٍ غَيْبِيٍّ مِنْ حَوادِثِ الأَكْوانِ ، مُسِرٍّ أَوْ مُضِرٍّ ؛ تَهْفِتُ النَّفْسُ لِظُهُورِهِ ، فَيَشْتَغِلُ سامِعُ ذَلِكَ الهاتِفِ عَنْ خِدْمَةِ رَبِّهِ بِانْتِظارِ ظُهُورِ ما فِي بُطُونِ الغَيْبِ .

وقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ الهاتِفُ لا مِنْ هَواتِفِ الحَقِّ ؛ بَلْ هُوَ مِنْ هَواتِفِ الشَّياطِينِ ، أَوْ يَكُونُ طارِقاً مِنْ طَوارِقِ النَّفْسِ ، والعارِفُ لا يَشْتَغِلُ عَنْ خِدْمَتِهِ ، ولا يَكْشِفُ الغِطاءَ ، فَضْلاً عَنِ الأَخْبارِ بِما وَراءَهُ ، وما أَحْسَنَ قَوْلَ الإِمامِ الأَكْبَرِ الرِّفاعِي :

تَوَشَّحْ بِهَذا الْبابِ بُرْدَةَ خائِفٍ
وسِرْ بِإِشاراتِ الرَّسُولِ اللَّطائِفِ

ولا تَنْقَطِعْ طَيْشاً بِحالِ مَظاهِرٍ

ولا بِكُشُوفاتٍ وأَخْبارِ هاتِفِ

فَإِنَّ دِثارَ الْخَوْفِ عُدَّةُ عارِفٍ

تَدَلَّى دُنُوًّا لِلْعُلا بِالرَّفارِفِ

ومِمَّا لا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ : انْقِيادُ عَوالِمِ الجِنِّ والإِنْسِ لِخِدْمَةِ الفَقِيرِ ، تَجَرُّداً مِنَ الاسْتِخْدامِ بِالخِدْمَةِ ؛ فَإِنَّ مَنْ كانَ هَمُّهُ خِدْمَةَ رَبِّهِ لا يَرْتاحُ بِاسْتِخْدامِ غَيْرِهِ لَهُ ؛ عَلَى أَنَّ لَذَّةَ خِدْمَتِهِ لِمَوْلاهُ فَوْقَ لَذَّةِ خِدْمَةِ غَيْرِهِ لَهُ بِدَرَجاتٍ كَثِيرَةٍ ، وهَذا مَقامُ التَّحَقُّقِ بِالعُبُودِيَّةِ والتَّخَلُّقِ بِالعَبْدِيَّةِ ، ويَقُولُ القائِلُ :

لا تَدْعُنِي إِلَّا بِيا عَبْدَها ۞ فَإِنَّهُ أَشْرَفُ أَسْمائِيا

وكُلُّ مَراتِبِ أَهْلِ التَّرَقِّي فِي مَعارِيجِ القُرْبِ مِنْ حَضْرَةِ القُدْسِ كَيْفَ كانَتْ وإِلَى أَيْنَ انْتَهَتْ دُونَ هَذا المَقامِ (أَعْنِي مَقامَ العُبُودِيَّةِ) ، وبَعْدَ هَذِهِ الرُّتْبَةِ (أَعْنِي رُتْبَةَ العَبْدِيَّةِ) ، وصَلَّى اللهُ عَلَى عَبْدِهِ سَيِّدِ العَوالِمِ وسَيِّدِ أَهْلِ الهِمَمِ وآلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم .

وقَدْ آنَ الشُّرُوعُ فِي المَقْصُودِ ، والدُّخُولُ إِلَى حَضَراتِ أَهْلِ الفَضْلِ المَمْدُودِ ، والجُودُ والمَدَدُ مِنَ المَلِكِ المَعْبُودِ :

(١) القُطْبُ الرِّفاعِي

(٥١٢ - ٥٧٨ هـ)

وِلادَتُهُ بُشْرَىٰ وللهِ عُمْرُهُ

٥١٢ ٦٦

وجاءَتْهُ بُشْرَى اللهِ بِالْقُرْبِ والزُّلْفَى

٥٧٨

وهُوَ الإمامُ الجَلِيل ، والعَلَمُ الطَّوِيل ، والوارِثُ لِجَدِّهِ الأَعْظَمِ صاحِبِ جِبْرِيل ، عَلَيْهِ أَجَلُّ صَلَواتِ وتَسْلِيماتِ الحَقِّ الوَكِيل .

وهُوَ فِي القَوْمِ سَيْفُ المَدَدِ المَشْهُور ، وعَلَمُ اللهِ المَنْشُور ، رَئِيسُ حَضْرَتَي الخَفاءِ والظُّهُور ، المَنْدُوبُ فِي مُهِمَّاتِ الأُمُور ، المُغِيثُ بِإِذْنِ اللهِ مَنْ ناداهُ فِي الفَضاءِ والبَرارِي والبُحُور ، نائِبُ السِّبْطَيْنِ ، وارِثُ جَدِّهِ أَسَدِ اللهِ أَبِي الحَسَنَيْنِ ، شَيْخُ الطَّائِفَتَيْنِ ، أُسْتاذُ الفَرِيقَيْنِ ، غَوْثُ الثَّقَلَيْنِ ، مَنْ ثَبَتَتْ كَراماتُهُ بِالتَّواتُرِ فِي المَشْرِقَيْنِ والمَغْرِبَيْنِ ، أَبُو العَلَمَيْنِ ، قُرَّةُ عَيْنِ أَبِيهِ الإمامِ الحُسَيْنِ ، مُقَبِّلُ يَدِ سَيِّدِ الكَوْنَيْنِ ، مُحْيِي المِلَّةِ والدِّينِ ، نَبْعُ الشَّرِيعَةِ ، وشَيْخُ الطَّرِيقَةِ ، وإمامُ الحَقِيقَةِ ، شَيْخُ الشُّيُوخِ ، ومَعْدِنُ الحَقِيقَةِ والرُّسُوخ ، صَباحُ العِرْفانِ الواضِحِ

المُنِير ، المُلْحِقُ (بما خَصَّهُ اللهُ) الصَّغِيرَ بالكَبير ، والمُقْتَفِي أَثَرَهُ كُلُّ تَقِيٍّ نَقِيٍّ وزَكِيٍّ شَهِير ، مَوْلانا وسَيِّدُنا الشَّيْخُ : أَحْمَدُ الرِّفاعِي الكَبِير ، نَوَّرَ اللهُ ضَرِيحَهُ ، ورَزَقَنا بِبَرَكَتِهِ الكَشْفَ صَرِيحَهُ وصَحِيحَهُ .

يا بَحْرَ كُلِّ الْمَزايا ۞ ويا مُجِيبَ الدَّواعِي

شَيْخِي بِعَهْدٍ وَثِيقٍ ۞ قُطْبُ الْوُجُودِ الرِّفاعِي

قَلائِدُ الزَّبَرْجَد

فِي انْتِساب الرِّفاعِي أَحْمَد

لِلنَّبِيِّ مُحَمَّد ﷺ

١- السَّيِّدُ الشَّرِيفُ النَّسِيبُ الحَسِيبُ أَحْمَدُ ابنُ ٢- السَّيِّدِ أَبِي الحَسَنِ عَلِيٍّ (دَفِين بَغْداد) ٣- ابنِ السَّيِّد يَحْيَىٰ (نَقِيب البَصْرَةِ ، المُهاجِرِ مِنَ المَغْرِب) ٤- ابنِ السَّيِّد ثابت (أَبِي حازِم) ٥- ابنِ السَّيِّد عَلِيٍّ الحازِم (أَبِي الفوارِس) ٦- ابنِ السَّيِّدِ أَبِي عَلِيٍّ أَحْمَدَ المُرْتَضَى ٧- ابنِ السَّيِّد عَلِيٍّ (أَبِي الفَضائِل) ٨- ابنِ السَّيِّدِ الحَسَنِ الأَصْغَر (رِفاعَةَ الهاشِمِيِّ المَكِّيِّ ، نَزِيلِ إِشْبِيلِيَّةَ بالمَغْرِب) ٩- ابنِ السَّيِّدِ المَهْدِيِّ (أَبِي رِفاعَةَ) ١٠- ابنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ (أَبِي القاسِم) ١١- ابنِ السَّيِّدِ الحَسَنِ (أَبِي مُوسَى ، رَئِيسِ بَغْدادَ ، نَزِيلِ مَكَّةَ) ١٢- ابنِ السَّيِّدِ الحُسَيْنِ (الرَّضِيِّ

المُحَدِّث) ١٣- ابن السَّيِّدِ أَحْمَدَ الصَّالِح (ويُقالُ لَهُ الأَكْبَرُ) ١٤- ابنِ السَّيِّدِ مُوسَى الثَّانِي (ويُقالُ لَهُ أَبُو يَحْيَىٰ وأَبُو سُبْحَة) ١٥- ابنِ السَّيِّدِ إِبْراهِيمَ المُرْتَضَىٰ ١٦- ابنِ السَّيِّدِ الإِمامِ مُوسَى الكاظِم ١٧- ابنِ السَّيِّدِ الإِمامِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ ١٨- ابنِ السَّيِّدِ الإِمامِ مُحَمَّدٍ الباقِرِ ١٩- ابنِ السَّيِّدِ الإِمامِ عَلِيٍّ زَيْنِ العابِدِينَ ٢٠- ابنِ السَّيِّدِ الإِمامِ الحُسَيْنِ (الشَّهِيدِ بِكَرْبَلاء) ٢١- ابنِ السَّيِّدِ الإِمامِ أَميرِ المُؤْمِنِينَ أَسَدِ اللهِ الغالِبِ سَيِّدِنا ومَوْلانا عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ زَوْجِ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ ابْنَةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ والأَنْبِياءِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ .

نَسَبُهُ النَّجَّارِيُّ الأَنْصارِيُّ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ

ونَسَبُهُ رضي الله عنه مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ ؛ هُوَ كَما صَحَّحَهُ الثِّقاتُ الأَثْباتُ : ابنُ وَلِيَّةِ اللهِ ، الحَسِيبَةِ المُعَمَّرَةِ الزَّاهِدَةِ العابِدَةِ الصَّالِحَةِ أُمِّ الفَضْلِ : (فاطِمَةَ الأَنْصارِيَّة)؛ أُخْتِ الشَّيْخِ الرَّبَّانِي (مَنْصُورٍ البَطائِحِيِّ) لأَبَوَيْهِ .

وأَبُوهُما : العارِفُ الكَبِيرُ الشَّيْخُ يَحْيَىٰ النَّجَّارِي ، ابنُ الشَّيْخِ مُوسَىٰ أَبِي سَعِيدٍ ، ابنِ الشَّيْخِ كامِلٍ ، ابنِ الشَّيْخِ يَحْيَىٰ الكَبِير ، ابنِ الإِمامِ الصُّوفِيِّ الشَّهِيرِ مُحَمَّدٍ أَبِي بَكْرٍ الواسِطِي .

ابنِ مُوسَىٰ ، بنِ مُحَمَّدِ بنِ مَنْصُورِ بنِ خالِدِ بنِ زَيْدِ بنِ مَتٍّ (وهُوَ

أَيُّوبُ) بن خالِدِ بنِ زَيْدٍ (وهُوَ أبُو أَيُّوبَ الأَنْصارِي) الصَّحابِيُّ الجَلِيلُ رضي الله عنه وعَنْ أَصْحابِ رَسُولِ اللّهِ أَجْمَعِين .

نَسَبُ السَّيِّدِ يَحْيَىٰ جَدِّ الإمامِ الكَبيرِ لأَبِيهِ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ

فَهُوَ يَحْيَى بنُ آمِنَةَ ، بِنْتُ يَحْيَىٰ العُقيلِي ، ابنِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللّهِ (عَلِيٍّ) مَلِكِ الأَنْدَلُسِ ، ابنِ أَحْمَدَ بنِ مَيْمُونِ بنِ أَحْمَدَ بنِ عَلِيٍّ بنِ عَبْدِ اللّهِ بنِ عُمَرَ بنِ إِدْرِيسَ ، بنِ إِدْرِيسَ الأَكْبَرِ (الَّذِي فَتَحَ اللّهُ الغَرْبَ عَلَى يَدَيْهِ) بنِ عَبْدِ اللّهِ المَحْضِ ، بنِ الحَسَنِ المُثَنَّىٰ بنِ السَّيِّدِ الإمامِ الحَسَنِ سِبْطِ النَّبِيِّ ﷺ .

نَسَبُ الشَّيْخِ يَحْيَىٰ جَدِّ السَّيِّدِ أَحْمَدَ لأُمِّهِ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ

فَهُوَ : يَحْيَىٰ بنُ عَلَوِيَّة ، ويُقالُ : عالِيَة ، بِنْتِ الحَسَنِ اللاَّع ، ابنِ مُحَمَّدِ ابنِ يَحْيَىٰ بنِ الحُسَيْنِ (مَلِكِ اليَمَنِ ومَكَّةَ) ابنِ القاسِمِ (أَبِي مُحَمَّدٍ الرَّسِّي) ابنِ إبْراهِيمَ طَباطَبا ، ابنِ إسْماعِيلَ بنِ إبْراهِيمَ الغَمْرِ[1] ، ابنِ الحَسَنِ المُثَنَّى ابنِ الإمامِ الحَسَنِ السِّبْطِ رضي الله عنه وعَنْهُمْ أَجْمَعِين .

اتِّصالُ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بِسَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه

ويَتَّصِلُ نَسَبُ السَّيِّدِ أَحْمَد الرِّفاعِي بالخَلِيفَةِ الأَوَّلِ لِسَيِّدِنا رَسُولِ اللّهِ

(١) الغَمْرُ : واسِعُ الخُلُقِ ، كَثِيرُ المَعْرُوفِ سَخِيٌّ .

ﷺ (سَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه) مِنْ طَرِيقِ جَدِّهِ الإِمام جَعْفَرٍ الصَّادِق ؛ فَإِنَّ أُمَّ الإمامِ جَعْفَرٍ أُمُّ فَرْوَةَ : بِنْتُ القاسِمِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ سَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه .

ووالِدَةُ أُمِّ فَرْوَةَ المَذْكُورَةِ : أَسْماءُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ أَبي بَكْرٍ رضي الله عنه ؛ ولِهَذا كانَ الإمامُ جَعْفَرٌ الصَّادِقُ يَقُولُ : وَلَدَنِي الصِّدِّيقُ مَرَّتَيْن (١) .

اتِّصالُهُ بِعَمِّهِ الإمام الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه

ويَتَّصِلُ نَسَبُهُ بِعَمِّهِ الإمامِ الحَسَنِ السِّبْطِ ، مِنْ طَرِيقِ جَدِّهِ الإمامِ مُحَمَّدٍ الباقِرِ ؛ فَإِنَّ أُمَّ الباقِرِ فاطِمَةَ أُمَّ عَبْدِ اللهِ هِيَ رضي الله عنها بِنْتُ الحَسَنِ السِّبْطِ رضي الله عنه .

بِشاراتُ أَهْلِ التَّمْكِينِ بِقُدُومِهِ قَبْلَ وِلادَتِهِ

قالَ الواسِطِيُّ فِي (تِرْياقِهِ) : وبَشَّرَ أَهْلُ التَّمْكِينِ مِنْ أَعْيانِ القَوْمِ بِقُدُومِهِ قَبْلَ وِلادَتِهِ ، وقالُوا : إِنَّ الذُّلَّ والانْكِسارَ سَيَكُونانِ مَحَجَّتَهُ (٢) فِي طَرِيقَتِهِ وإِفادَتِهِ .

وقَدْ صَحَّ مِنْ طُرُقٍ عَدِيدَةٍ : أَنَّ الشَّيْخَ الأَكْبَرَ تاجَ العارِفِينَ السَّيِّدَ

---

(١) تِرْياقُ المُحِبِّين : للإمام تَقِيِّ الدِّين عَبْدِ الرَّحْمٰن بنِ عَبْدِ المُحْسِنِ الواسِطِي الشَّافِعِي (ت ٧٤٤ هـ) .

(٢) مَحَجَّتُهُ : أي جادَّتُهُ ؛ لأَنَّ المَحَجَّةَ هِيَ جادَّةُ الطَّرِيقِ .

أَبا الوَفا ، مَرَّ يَوْماً بأُمِّ عَبيدَة [1] ، فَقالَ لِمَنْ مَعَهُ : سَيَظْهَرُ بَعْدِي فِي هَذِهِ القَرْيَةِ السَّعِيدَةِ رَجُلٌ تُشَدُّ إلَيْهِ الرِّحال ، وتُذَلُّ لَهُ رِقابُ الرِّجال ، يَتَواضَعُ لَهُ كُلُّ صاحِبِ سَجَّادَةٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ ، يَسْلُكُ طَرِيقاً لَمْ يَسْلُكْهُ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الخِرْقَةِ قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ ، وهُوَ طَرِيقُ الذُّلِّ والانْكِسارِ والمَسْكَنَةِ والافْتِقار ؛ وهِيَ أَصْعَبُ الطُّرُقِ إلَى اللهِ ، والدَّوْلَةُ لَهُ بَعْدَنا ، وهُوَ صاحِبُ الأَمْرِ والنَّهْيِ والتَّصَرُّفِ فِي البَواطِنِ والظَّواهِرِ بِإِذْنِ اللهِ تَعالَى .

وقالَ العِزُّ الحافِظُ الفارُوثِيُّ فِي (النَّفْحَةِ المِسْكِيَّة) عِنْدَ ذِكْرِ مَنْ بَشَّرَ بِهِ، ما نَصُّهُ : وقَدْ بَشَّرَ بِهِ قَبْلَ وِلادَتِهِ بِسَنَتَيْنِ أَكابِرُ الأَوْلِياءِ ، وانْتَظَرَ ظُهُورَهُ أَماجِدُ الأَصْفِياءِ ، وأَمَرُوا إِخْوانَهُمْ إذا رَأَوْهُ وصارُوا فِي زَمانِهِ ، أَنْ يَعْرِفُوا حَقَّ حُرْمَتِهِ وعَظِيمَ مَنْزِلَتِهِ .

ومِمَّنْ بَشَّرَ بِهِ بِالأَسانِيدِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ الشَّيْخُ أَحْمَدُ كَنْزُ العارِفِينَ الزَّاهِدُ ، والشَّيْخُ نَصْرُ الهُمامانِي ، والشَّيْخُ أَحْمَدُ بنُ خَمِيس ، والشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ النَّجَّارِيُّ الأَنْصارِيُّ ، والشَّيْخُ الرَّبَّانِيُّ مَنْصُورٌ البَطائِحِيُّ ، وغَيْرُهُمْ .

---

(١) وهِيَ القَرْيَةُ الَّتِي وُلِدَ بِها الإِمامُ الرِّفاعِي ، وفِيها الآنَ ضَرِيحُهُ ومَقامُهُ ، وتَتْبَعُ واسِطَ التَّابِعَةَ لِبَصْرَةَ العِراق .

مَوْلِدُهُ ونَشْأَتُهُ :

قَدِمَ والِدُهُ السَّيِّدُ عَلِيٌّ العِراقَ وسَكَنَ البَطائِحَ بِقَرْيَةِ أُمِّ عَبِيدَةَ ، فَتَزَوَّجَ بِالسَّيِّدَةِ فاطِمَةَ أُخْتِ القُطْبِ الرَّبَّانِي الشَّيْخِ مَنْصُور البَطائِحِي ، ورُزِقَ مِنْها أَوْلادٌ أَعْظَمُهُمْ قَدْراً وأَرْفَعُهُمْ ذِكْراً السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرِّفاعِيُّ الكَبِير - قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ .

وكانَتْ وِلادَتُهُ ﷺ فِي يَوْمِ الخَمِيسِ مِنَ النِّصْفِ الأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ عَلَى الصَّحِيحِ المُتَّفَقِ عَلَيْه وذَلِكَ سَنَةَ اثْنَتَي عَشْرَةَ وخَمْسِمِائَةٍ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ (٥١٢ هِجْرِي) .

ولَمَّا كانَ فِي الكُتَّابِ لِحِفْظِ القُرْآنِ ، كانَ يَتَحَمَّلُ أَذِيَّةَ الصِّغارِ ولا يَحْرَدُ مِنْهُمْ ، ويَقْضِي حَوائِجَهُمْ ، حَتَّى كانَ يَمْسَحُ الأَلْواحَ للأَطْفالِ فِي شِدَّةِ البَرْدِ ويَقُولُ لَهُمْ : مَنْ كانَ مِنْكُمْ يَخْشَى البَرْدَ مِنْ مَسِّ الماءِ ، يُعْطِينِي لَوْحَهُ أَغْسِلُهُ .

وفِي زَمَنِ الطُّفُولِيَّةِ ما لَعِبَ مَعَ الأَوْلادِ قَطُّ ، وكانَ وهُوَ طِفْلٌ مِنْ عَوائِدِهِ الحَسَنَةِ : أَنَّهُ يَجْمَعُ الخُبْزَ لِلغُرَباءِ والضُّعَفاءِ وقَلِيلِي الطَّاقَةِ والجُهْدِ ، ويَسْتَسْقِي لَهُمُ الماءَ ، ويُعْطِيهِ لَهُمْ ، ويَتَقَيَّدُ بِخِدْمَتِهِمْ .

وكانَ يُحِبُّ الصَّالِحِينَ ويَزُورُهُم ، ويَتَرَدَّدُ إِلَيْهِمْ ، ويَغْتَنِمُ بَرَكَتَهُم ،

وَيَسْأَلُهُمُ الدُّعاءَ وَيُقَبِّلُ أَيادِيَهُمْ .

وكانَ مِنْ عوائِدِهِ : أَنَّهُ يَزُورُ المَهْجُورَ مِنَ المَساجِدِ ، وَيَزُورُ المَقابِر .

طَلَبُهُ لِلْعِلْمِ ؛ (وكَيْفَ أَنَّ كُمَّلَ الصُّوفِيَّةِ لا يَأْلُونَ جُهْداً فِي تَحْصِيلِ العُلُومِ الكَسْبِيَّةِ اكْتِفاءً بِما حَباهُمُ المَوْلَى مِنَ العُلُومِ الوَهْبِيَّةِ) :

قالَ العِزُّ الحافِظُ فِي (إِرْشادِهِ) : تُوفِّيَ السَّيِّدُ عَلِيٌّ والِدُ سَيِّدِنا السَّيِّدِ أَحْمَدَ بِبَغْدادَ ، ولِلسَّيِّدِ أَحْمَدَ إِذْ ذاكَ مِنَ العُمُرِ سَبْعُ سِنِين .

فَبَعْدَ وَفاةِ أَبِيهِ كَفَلَهُ خالُهُ البازُ الأَشْهَبُ الشَّيْخُ مَنْصُور ، ونَقَلَهُ هُوَ ووالِدَتَهُ وإِخْوَتَهُ إِلَى بَلْدَتِهِ نَهْر دَقْلَى مِنْ أَعْمالِ واسِط .

وكانَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ قَدْ أَكْمَلَ يَؤْمَئِذٍ قِراءَةَ القُرْآنِ العَظِيمِ حِفْظاً وتَرْتِيلاً بِكُتَّابِ القَرْيَةِ عَلَى الشَّيْخِ الوَرِعِ المُقْرِئِ الصَّالِحِ الأَصِيلِ عَبْدِ السَّمِيعِ الحَرْبُونِي - رَحِمَهُ اللهُ .

فَلَمَّا صارَ إِلَى كَنَفِ خالِهِ ، أَخَذَهُ إِلَى (واسِطَ)[1] بِأَمْرٍ سَبَقَ لَهُ مِنَ المُصْطَفَى ﷺ فِي المَنام .

وما زالَ حَتَّى أَدْخَلَهُ عَلَى الإِمامِ الفَقِيهِ العَلَّامَةِ الزَّاهِدِ المُقْرِئِ المُفَسِّرِ الواعِظِ المُحَدِّثِ الرُّحْلَةِ الصُّوفِيِّ الشَّيْخ عَلِيٍّ أَبِي الفَضْلِ

---

(١) مَدِينَة بِالعِراق .

الواسِطي ؛ فَتَوَلَّى أَمْرَهُ ، وقامَ بتَرْبِيَتِهِ وتَعْليمِهِ امْتِثالاً للأَمْرِ النَّبَوِيِّ ، فَبَرَعَ فِي العُلُومِ النَّقْلِيَّةِ والعَقْلِيَّةِ ، ومَهَرَ واشْتَهَرَ ، وأَحْرَزَ قَصَبَ السَّبْقِ عَلَى أَقْرانِهِ ، وتَفَرَّدَ بالعُلُومِ والمَزايا فِي زَمانِهِ .

وكانَ يُلازِمُ دَرْسَ خالِهِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ الواسِطِي ، ويَتَرَدَّدُ إِلَى حَلْقَةِ خالِهِ الشَّيْخِ مَنْصُورٍ الرَّبَّانِي ، ويَتَلَقَّى بَعْضَ العُلُومِ عَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ المَلِكِ الحَرْبُونِي .

وحَفِظَ كِتابَ (التَّنْبِيه) للإمامِ أَبِي إِسْحاقَ الشِّيرازِي عَلَى ظاهِرِ قَلْب ، واقْتَفَى آثارَ النَّبِيِّ ﷺ ، وعَظَّمَ الشُّيُوخَ ، واسْتَغْرَقَ أَوْقاتَهُ بِجَمِيعِ المَعارِفِ الدِّينِيَّةِ ، وأَفاضَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ لَدُنْهُ عِلْماً خاصًّا ، حَتَّى رَجَعَ مَشايِخُهُ إِلَيْهِ ، وتَأَدَّبَ مُؤَدِّبُوهُ (لِجَلالَةِ قَدْرِهِ) بَيْنَ يَدَيْه .

ولَمَّا بَلَغَ عُمُرُهُ المُبارَكُ عِشْرِينَ سَنَةً ، أَجازَهُ شَيْخُهُ عَلِي أَبو الفَضْلِ مُحَدِّثُ واسِطَ وشَيْخُها إِجازَةً عامَّةً بِجَمِيعِ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ والطَّرِيقَةِ ، وأَلْبَسَهُ خِرْقَتَهُ المُبارَكَةَ ، ونَوَّهَ بِذِكْرِهِ ، وأَعْظَمَ شَأْنَهُ ، ولَقَّبَهُ بـ (أَبِي العَلَمَيْنِ) لإِشارَةٍ سَماوِيَّةٍ ظَهَرَتْ لَهُ ، فَهِمَ مِنْها : أَنَّهُ قائِدُ الظَّاهِرِ والباطِنِ ، وبابُ النَّجاحِ فِي أَمْرَي الدُّنْيا والآخِرَة .

وانْعَقَدَ عَلَيْهِ فِي حَياةِ مَشايِخِهِ الإِجْماعُ ، واتَّفَقَتْ بِشَأْنِهِ ورِفْعَةِ

قَدْرِهِ الكَلِمَةُ .

وأَقامَ بِنَهْرِ دَقْلَىٰ مُدَّةً يَسِيرَةً ، ورَجَعَ إِلَى رِواقِ أَبِيهِ بِقَرْيَةِ حَسَن ، فاشْتَهَرَ كُلَّ الاشْتِهار ، ومَعَ ذَلِكَ فكانَ يَتَباعَدُ عَنْ طَقْطَقَةِ النِّعال ، وحُبِّ الشُّهْرَةِ ، ويَخْلُو بِرَبِّهِ عَلَى أَكْمَلِ وَقارٍ وأَحْسَنِ سَكِينَةٍ ، مُلازِماً الذُّلَّ والانْكِسارَ ، والمَسْكَنَةَ والافْتِقارَ ، لِلّٰهِ الواحِدِ القَهَّار ، مُتَخَلِّياً لِعِبادَةِ رَبِّهِ ، لا يَعْرِفُ الرَّاحَةَ ، ولا يُواصِلُ الاسْتِراحَةَ ، هَمُّهُ رَبُّهُ دُونَ الأَكْوان .

فَفِي سَنَةِ تِسْعٍ وثَلاثِينَ وخَمْسِ مِئَةٍ تُوفِّيَ شَيْخُهُ الشَّيْخُ عَلِيٌّ الواسِطِي ؛ فَأَكْمَلَ أَمْرَهُ وقَضَى مِنَ الفِطامِ فِي الطَّرِيقِ وَطَرَهُ : عَلَى يَدِ خالِهِ الشَّيْخِ مَنْصُور .

ودَخَلَتْ سَنَةُ أَرْبَعِينَ وخَمْسِ مِئَةٍ ، وتَمَّ لِلسَّيِّدِ أَحْمَدَ إِذْ ذاكَ مِنَ العُمُرِ ثَمانٍ وعِشْرُونَ سَنَةً ، فَعَهِدَ الشَّيْخُ مَنْصُورٌ لَهُ بِمَشْيَخَةِ الشُّيُوخِ ، وبِمَشْيَخَةِ الأَرْوِقَةِ والرُّبُطِ المَنْسُوبَةِ إِلَيْهِ ، وفِي تِلْكَ السَّنَةِ تُوفِّيَ الشَّيْخُ مَنْصُور ، وكانَ لَمَّا عَهِدَ لَهُ أَمَرَهُ بِالإِقامَةِ فِي أُمِّ عَبِيدَةَ بِرِواقِ أَبِيهِ الشَّيْخِ يَحْيَىٰ النَّجَّارِي ، فَأَقامَ بِها ، وتَصَدَّرَ عَلَى سَجَّادَةِ الإِرْشادِ بِذَلِكَ العامِ .

فَلَمَّا دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعٍ وأَرْبَعِينَ وخَمْسِ مِئَةٍ : حُصِيَتِ الرِّقاعُ الَّتِي وَرَدَتْ إِلَى السَّيِّدِ أَحْمَدَ رضي الله عنه مِنْ مُرِيدِيهِ الَّذِينَ دَخَلُوا الخَلْوَةَ المُحَرَّمِيَّةَ ، فَزادَتْ عَلَى سَبْعِ مِئَةٍ أَلْفِ رُقْعَةٍ .

وقالَ أَبو الحَسَنِ الواسِطِي فِي كِتابِهِ (خُلاصَة الإِكْسِير)، ما نَصُّهُ : حَدَّثَنِي الشَّيْخُ جُمُعَةُ قالَ : سَمِعْتُ سَيِّدِي نَجْمَ الدِّين أَحْمَدَ بنَ عَلِيٍّ - قَدَّسَ اللّٰهُ تَعالَى رُوحَهُ - يَقُولُ : كانَ أَخِي سَيِّدِي إِبْراهِيمُ الأَعْزَبُ - رَحِمَهُ اللّٰهُ - يَقُولُ : كانَ سَيِّدِي أَحْمَدُ رضي الله عنه يَحْفَظُ القُرْآنَ ، ويَشْرَحُهُ ، وكانَ يَكْتُبُ خَطَّهُ عَلَى الفَتْوَى ، وكانَ نَحْوِيًّا ، لُغَوِيًّا ، عالِماً، عارِفاً ، بارِعاً ، يَتَكَلَّمُ شَرِيعَةً وحَقِيقَةً .

وكانَ - قَدَّسَ اللّٰهُ تَعالَى رُوحَهُ - إِذا أَشْكَلَ عَلَى الفُقَهاءِ أَمْرٌ ، رَجَعُوا فِيهِ إِلَيْهِ ، فَيُفْصِحُهُ لَهُمْ .

وكانَ يَقْرَأُ القُرْآنَ بِواسِطَ ، ويَحْضُرُ مَعَ الفُقَهاءِ الدَّرْسَ ، فَيَسْكُتُ ويُنْصِتُ ، فَإِذا فَرِغُوا مِمَّا يَتَكَلَّمُونَ بِهِ ، حَفِظَ كُلَّ ما قالُوهُ وتَكَلَّمُوا بِهِ ، وكُلَّ ما شَرَحَهُ لَهُمُ الشَّيْخُ ، فَيَقْرَأُ عَلَى كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ ما دَرَسَهُ وشَرَحَهُ ، فَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ ذَلِكَ ، ويَقُولُونَ لِلمُدَرِّسِ ، فَيَتَعَجَّبُ ويَقُولُ : هَذا رَجُلٌ سَعِيدٌ ، قَدْ أَعْطاهُ اللّٰهُ تَعالَى عَطاءً بِغَيْرِ حِسابٍ ولا تَعَبٍ .

وكانَ إذا سَمِعَ الحَديثَ حِينَ يَحْضُرُ الحَديثَ ، فَكَأَنَّما يَضَعُهُ عَلَى قَلْبِهِ ، فَلا يَنْسَى مِنْهُ حَرْفاً واحِداً .

وقالَ الإمامُ عَبْدُ الكَريمِ الرَّافِعِيُّ القَزْوِينِيُّ فِي مُخْتَصَرِهِ (سَواد العَيْنَيْن)، ما نَصُّهُ : (حَدَّثَنِي الشَّيْخُ الإمامُ أَبو شُجاعِ الشَّافِعِيُّ فِيما رَواهُ قائِلاً : كانَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرِّفاعِيُّ رضي الله عنه عَلَماً شامِخاً ، ورَجُلاً راسِخاً ، وعالِماً جَلِيلاً ؛ مُحَدِّثاً ، فَقِيهاً ، مُفَسِّراً ، ذا رِواياتٍ عالِياتٍ ، وإِجازاتٍ رَفِيعاتٍ ، قارِئاً ، مُجَوِّداً ، حافِظاً ، مُجِيداً ، حُجَّةً ، رُحْلَةً ، مُتَمَكِّناً فِي الدِّين ، سَهْلاً عَلَى المُسْلِمِين ، صَعْباً عَلَى الضَّالِّين ، هَيِّناً ، لَيِّناً ، هَشًّا ، بَشًّا، لَيِّنَ العَرِيكَة ، حَسَنَ الخَلْق ، كَرِيمَ الخُلُقِ ، حُلْوَ المُكالَمَةِ ، لَطِيفَ المُعاشَرَةِ ، لا يَمَلُّهُ جَلِيسُهُ ، ولا يَنْصَرِفُ عَنْ مُجالِسِهِ إِلَّا لِعِبادَةٍ ، وَفِيًّا إذا عاهَدَ ، صَبُوراً عَلَى المَكارِهِ ، جَواداً مِنْ غَيْرِ إِسْرافٍ ، مُتَواضِعاً مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ ، كاظِماً لِلغَيْظِ مِنْ غَيْرِ حِقْدٍ ، أَعْلَمَ أَهْلِ عَصْرِهِ بِكِتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ ، وأَعْمَلَهُمْ بِها ، بَحْراً مِنْ بِحارِ الشَّرْعِ ، سَيْفاً مِنْ سُيُوفِ اللهِ ، وارِثاً أَخْلاقَ جَدِّهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ) .

وجاءَ فِي (المَعارِفِ المُحَمَّدِيَّةِ فِي الوَظائِفِ الأَحْمَدِيَّة) لِسِبْطِهِ الإمامِ

القُدْوَةِ السَّيِّدِ عِزِّ الدِّين أَحْمَد الصَّيَّادِ ، ما يَلِي : (وقَدْ أَجازَهُ - أَي : شَيْخُهُ عَلِي القارِئ - بالعِلْم والطَّرِيقِ ، ولَمْ يَسْمَحْ بإجازَتِه لِغَيْرِهِ مِنْ أَصْحابِهِ ، فَعُوتِبَ عَلَى ذَلِكَ ؟! فَقالَ : يَجِبُ عَلَى مَنْ أَنْجَبَ مِثْلَ السَّيِّدِ أَحْمَد : أَنْ يَنْقَرِضَ مِنْ غَيْرِهِ ؛ يُرِيدُ أَنْ لا يَكُونَ لَهُ خَلِيفَةٌ غَيْرُهُ ، وكانَ أَصْحابُ الشَّيْخِ عَلِيٍّ الواسِطِيِّ مِنْ أَهْلِ الأَحْوالِ والعِرْفانِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفاً ، وكانَ إِذا رَأَى بِأَحَدِهِمُ الاسْتِعْدادَ لِلفِطام ، يَأْمُرُهُ بِمُلازَمَةِ السَّيِّدِ أَحْمَد ، وتَجْدِيدِ البَيْعَةِ عَلَى يَدَيْهِ ، فَيُقالُ لَهُ : أَما أَنْتَ شَيْخُهُ ؟! فَيَقُولُ : نَحْنُ أَشْياخُ الجُسُوم ، وهُوَ شَيْخُ الأَرْواح ، ورُبَّما قالَ : لَوْلا أَمْرٌ سَبَقَ ، لأَخَذْتُ البَيْعَةَ مِنْهُ ، وتَشَرَّفْتُ بِمُلازَمَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ اللهِ مُطَلْسَمٌ ، اسْتَوْدَعَ اللهُ قَلْبَهُ أَسْرارَ القُرْآنِ ، وأَقامَهُ بِعِنايَتِهِ نائِباً عَنْ جَدِّهِ ﷺ) .

زَواجُهُ ، وعَقِبُهُ (ذُرِّيَّتُهُ) :

مَنْزِلُنا رَحْبٌ لِمَنْ زارَنا ۞ نَحْنُ سَواءٌ فِيهِ والطَّارِقُ

فَمَنْ أَتانا نالَ ما يَبْتَغِي ۞ ورَبُّنا الواسِعُ والرَّازِقُ

قالَ الحافِظُ العِزُّ الفارُوثِيُّ فِي (إِرْشادِهِ) : وأَمَّا شَيْخُنا ووَسِيلَتُنا وقُدْوَتُنا السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرِّفاعِيُّ رضي الله عنه فَإِنَّهُ تَزَوَّجَ فِي بِدايَتِهِ بِالشَّيْخَةِ

العارِفَةِ الصَّالِحةِ وَلِيَّةِ اللّهِ تَعالَي وبِنْتِ وَلِيِّهِ : السِّتِّ خَدِيجَةَ بِنْتِ سَيِّدِنا الإمامِ العارِفِ الكَبِيرِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ الواسِطِيِّ النَّجَّارِي ، أَخِي الإِمامِ البازِ الأَشْهَبِ الشَّيْخِ مَنْصُورٍ الرَّبَّانِيِّ النَّجَّارِي ؛ فَأَوْلَدَها السَّيِّدَةَ فاطِمَةَ ذاتَ النُّورِ ، والسَّيِّدَةَ زَيْنَبَ أُمَّ المَكارِمِ (والِدَةَ الأَقْطابِ)، ثُمَّ تُوفِّيَتْ سَنَةَ ثَلاثٍ وخَمْسِينَ وخَمْسِ مِئَةٍ ، ودُفِنَتْ بِمَشْهَدِ أَبِيها وجَدِّها بِأُمِّ عَبِيدَة .

ثُمَّ تَزَوَّجَ سَيِّدُنا السَّيِّدُ أَحْمَدُ بَعْدَها بِأُخْتِها البَرَّةِ النَّقِيَّةِ وَلِيَّةِ اللّهِ تَعالَى السَّيِّدَةِ رابِعَةَ أُمِّ الفُقَراءِ ، فَأَوْلَدَها السَّيِّدَ صالِحاً قُطْبَ الدِّينِ والَّذِي تُوفِّيَ فِي حَياةِ والِدِهِ .

فَأَمَّا السَّيِّدَةُ فاطِمَةُ ذاتُ النُّورِ فَقَدْ زَوَّجَها أَبُوها السَّيِّدُ أَحْمَدُ بِابْنِ أُخْتِهِ السَّيِّدَةِ سِتِّ النَّسَبِ وهُوَ السَّيِّدُ عَلِيٌّ مُهَذِّبُ الدَّوْلَة (وقَدْ لَقَّبَهُ بِهَذا اللَّقَبِ الخَلِيفَةُ الناصِرُ لِدِينِ اللّهِ أَحْمَدُ ، وقَدْ كانَ السَّادَةُ الرِّفاعِيَّةُ بَعْدَ وَفاةِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الرِّفاعِي يَتَوارَثُونَ الوِلايَةَ عَلَى البِلادِ كَما يَتَوارَثُونَ الوِلايَةَ القَلْبِيَّةَ) .

وزَوَّجَ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ أُمَّ المَكارِمِ بِالسَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحِيمِ مُمَهِّدِ الدَّوْلَة (وهُوَ شَقِيقُ السَّيِّدِ عَلِيٍّ مُهَذِّبِ الدَّوْلَة) .

فالسَّيِّدُ عَلِيٌّ أَعْقَبَ مِنَ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ القُطْبَيْنِ الجَلِيلَيْنِ العالِمَيْنِ العَلَمَيْنِ : (السَّيِّدَ إبْراهِيمَ الأَعْزَب ، والسَّيِّدَ أَحْمَدَ الأَخْضَر) ولَمْ تُعْقِبْ غَيْرَهُما ، وتُوفِّيَتْ بِأُمِّ عَبيدَةَ سَنَةَ تِسْعٍ وستِّ مِئَةٍ ، ودُفِنَتْ بالقُبَّةِ الأَحْمَدِيَّةِ المُبارَكَة .

تَزَوَّجَ السَّيِّدُ عَلِيٌّ بَعْدَها بِنَفِيسَةَ بِنْتِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ بن القاسِمِيَّةِ ، وهُوَ مِنْ أَرْحامِهِمْ ، فَأَوْلَدَها : السَّيِّدَ إسْماعِيلَ ، والسَّيِّدَ عُثْمانَ ، والسَّيِّدَةَ عائِشَةَ ، والسَّيِّدَةَ زَيْنَبَ ، والسَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ ، والسَّيِّدَةَ فاطِمَةَ ، وعَقِبُهُمْ مُنْتَشِرٌ .

وأَمَّا السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحِيم فَإِنَّهُ أَعْقَبَ مِنَ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ بِنْتِ الإمام الرِّفاعِي ساداتِنا : السَّيِّدَ شَمْسَ الدِّينِ مُحَمَّداً ، والسَّيِّدَ قُطْبَ الدِّينِ أَحْمَدَ ، والسَّيِّدَ أَبا الحَسَنِ عَلِيًّا ، والسَّيِّدَ عَبْدَ المُحْسِنِ أَبا الحَسَنِ ، والسَّيِّدَ أَحْمَدَ أَبا القاسِم ، والسَّيِّدَ عِزَّ الدِّينِ أَحْمَدَ الصَّيَّادَ ، والسَّيِّدَةَ عائِشَةَ ، والسَّيِّدَةَ فاطِمَةَ (ولَقَبُها مَلِكَة) - قَدَّسَ اللهُ أَرْواحَهُمْ ونَفَعَنا بِهِمْ .

إشارَةٌ اخْتِصاصِيَّةٌ لأَهْلِ الخُصُوصِيَّة : اشْتُهِرَ فِي مِصْرَ المَحْرُوسَة مَسْجِدُ الرِّفاعِي بالقَلْعَة (وهُوَ تُحْفَةٌ مِعْمارِيَّةٌ خَلَّابَة) فِي مُواجَهَةِ

مَسْجِدِ السُّلْطان حَسَن ، والضَّرِيحُ الَّذي بِمَسْجِدِ الرِّفاعِي يَسْكُنُهُ سَيِّدِي عَلِيٌّ أَبُو شُبَّاك ؛ ابنُ السَّيِّدِ عِزِّ الدِّين أَحْمَدَ الصَّيَّادِ سِبْطِ الحَضْرَةِ الرِّفاعِيَّةِ المُعَظَّمَة (أَي ابنِ بِنْتِ سَيِّدِي أَحْمَدَ الرِّفاعِي) .

مُؤَلَّفاتُهُ وفُتُوحاتُهُ

أَمَّا تُراثُهُ المَنْظُورُ فِي الكُتُبِ والسُّطُورِ فَهُوَ :

١) الصِّراطُ المُسْتَقِيمُ فِي مَعانِي ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ .

٢) البُرْهانُ المُؤَيَّدُ لِصاحِبِ مَدِّ اليَدِ .

لَعَمْرُكَ بُرْهانُ الرِّفاعِي سَيْفُهُ
لأَعْناقِ أَصْحابِ الضَّلالَةِ قاطِعُ
مُرَصَّعَةٌ آياتُهُ بِجَواهِرٍ
حَقائِقُها مِنْها البُدُورُ القَواطِعُ

٣) حالَةُ أَهْلِ الحَقِيقَةِ مَعَ اللهِ .

٤) البَهْجَة .

٥) الحِكَمُ الرِّفاعِيَّة .

٦) شَرْحُ كِتاب (التَّنْبِيه) لأَبِي إِسْحاقَ الشِّيرازِي ؛ وهُوَ كِتابٌ فِي الفِقْهِ الشَّافِعِي .

وأَمَّا تُراثُهُ المَسْتُورُ فِي الصُّدُورِ فَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَر ؛ فَكَمْ فَتَحَ اللّهُ بِهِ ويَفْتَحُ بِهِ عَلَى أَهْلِ النُّورِ والحُضُور ، ما لا تُحْصِيهِ السُّطُورُ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ والنُّشُور .

لُبْسُ الخِرْقَة

(وهِيَ إِيذانٌ بِأَخْذِ الطَّرِيقِ وإِفْراغِ مَدَدِ الشَّيْخِ عَلَى مُرِيدِه)

وهِيَ فِي الحَقِيقَةِ كِنايَةٌ عَنْ لِباسِ التَّقْوَى ؛ فَبَعْدَ أَنْ كَلَّفَ المُرِيدُ قَلْبَهُ لِباسَ الخَشْيَةِ ، وظاهِرَهُ لِباسَ الأَدَب ، ونَفْسَهُ لِباسَ الذُّلِّ ، وأَنانِيَّتَهُ لِباسَ المَحْوِ ، ولِسانَهُ لِباسَ الذِّكْرِ ، وتَخَلَّصَ مِنْ كَثافَةِ الحُجُب ، فَصارَ أَهْلاً لِلطَّرِيقَةِ والتَّزَيِّي بِزِيِّ أَهْلِها .

(وغالِباً ما يَكُونُ لِلخِرْقَةِ مَظْهَراً حِسِّيًّا مَلْمُوساً بِأَنْ يُلْبِسَ الشَّيْخُ مُرِيدَهُ جُبَّةً أَوْ عَباءَةً أَوْ ما شابَهَ ذَلِك مِنْ قَمِيصٍ أَوْ طاقِيَّةٍ أَوْ عِمامَة) .

والقَوْمُ طائِفَةُ الصُّوفِيَّةِ : اسْمُهُمْ سَمْتُهُمْ ؛ فَهُمْ طائِفَةٌ صَفَتْ مَناهِلُهُمْ ، وعَذُبَتْ مَشارِبُهُمْ ، أَمْكَنُوا فِي القُلُوبِ مِنْ مَحَبَّةِ اللّهِ الأَساس ، وتَزَيَّوا بَعْدَ ذَلِكَ مِمَّا يَلِيقُ لَهُمْ مِنَ الزِّيِّ واللِّباس .

رِجالٌ إِذا الدُّنْيا دَجَتْ أَشْرَقَتْ بِهِمْ
وإِنْ أَجْدَبَتْ يَوْماً بِهِمْ يَنْزِلُ القَطْرُ

أَقامُوا بِظَهْرِ الأَرْضِ فاخْضَرَّ عُودُها

وحَلُّوا بِبَطْنِ الأَرْضِ فاسْتَوْحَشَ الظَّهْرُ

لَبِسَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الرِّفاعِيُّ الخِرْقَةَ وأَخَذَ العَهْدَ والطَّرِيقَةَ مِنْ طَريقَيْنِ :

الأَوَّل : مِنْ شَيْخِهِ الشَّيْخِ عَلِيٍّ الواسِطِيِّ القارِئِ ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ أَبي الفَضْلِ بنِ كامِخ ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ غُلامِ بنِ تُرْكان ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ أَبي عَلِيٍّ الرُّوذباري ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ عَلِيٍّ العَجَمِي ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ أَبي بَكْرٍ الشِّبْلِي ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ الإِمامِ أَبي القاسِمِ الجُنَيْدِ ، وهُوَ لَبِسَها مِنْ خالِهِ الشَّيْخِ سَرِيٍّ السَّقَطِي ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ مَعْرُوفٍ الكَرْخِي ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ داوُدَ الطَّائِي ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ حَبِيبٍ العَجَمِي ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ أَبي سَعِيدٍ سَيِّدِنا الحَسَنِ البَصْرِي ، وهُوَ لَبِسَها مِنْ زَوْجِ البَتُول ، وابنِ عَمِّ الرَّسُول ﷺ مَوْلانا وسَيِّدِنا الإِمامِ عَلِيِّ بنِ أَبي طالِبٍ - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ و رضي الله عنه وعَنْهُمْ أَجْمَعِين ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ النَّبِيِّ الأَعْظَم والرَّسُولِ المُكَرَّم ﷺ .

والطَّرِيق الآخَر : أَخَذَ سَيِّدُنا السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي الكَبِيرُ الطَّرِيقَةَ

ولَبِسَ الخِرْقَةَ مِنْ يَدِ خالِهِ شَيْخِ الشُّيُوخِ صاحِبِ الفَتْحِ الصَّمَدانِي سَيِّدِنا مَنْصُورٍ البَطائِحِيِّ الرَّبَّانِي ، وهُوَ لَبِسَها مِنْ خالِهِ سَيِّدِنا الشَّيْخِ أَبي المَنْصُورِ الطَّيِّبِ ، وهُوَ لَبِسَها مِن ابْنِ عَمِّهِ الشَّيْخِ أَبي سَعِيدٍ يَحْيَىٰ النَّجَّارِي الأَنْصارِي ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ أُبَيٍّ القُرْمُزِي ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ أَبي القاسِمِ السُّنْدُوسِي الكَبِير ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ أَبي مُحَمَّدٍ رُوَيْم البَغْدادِي ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ الإمام تاج العارِفِينَ أَبي القاسِمِ الجُنَيْدِ البَغْدادِي ، وهُوَ لَبِسَها مِنْ خالِهِ الشَّيْخِ سَرِيٍّ السَّقَطِي ، وهُوَ لَبِسَها مِنَ الشَّيْخِ مَعْرُوفٍ الكَرْخِي ، وهُوَ لَبِسَها مِنْ إمام الزَّمانِ وحُجَّةِ أَهْلِ العِرْفانِ الإمامِ ابْنِ الإمامِ عَلِيٍّ الرِّضا ، وهُوَ لَبِسَها مِنْ أَبِيهِ نُورِ حَدَقَةِ العِنايَةِ والإمامَةِ ونُورِ حَدَقَةِ الوِلايَةِ والكَرامَةِ ، مَلْجَأ الأَوْلِياءِ الأَعاظِمِ ، الإمامِ أَبي الحَسَنِ مُوسَى الكاظِم ، وهُوَ لَبِسَها مِنْ أَبِيهِ صاحِبِ القَدَمِ السَّابِقِ الإمامِ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ ، وهُوَ لَبِسَها مِنْ أَبِيهِ صاحِبِ السِّرِّ الطَّاهِرِ الإمامِ مُحَمَّدٍ الباقِرِ ، وهُوَ لَبِسَها مِنْ أَبِيهِ كَهْفِ المُحْتاجِينَ وإمامِ الأَفْرادِ أَبي مُحَمَّدٍ الإمامِ زَيْنِ العابِدِينَ عَلِيٍّ السَّجَّادِ ، وهُوَ لَبِسَها مِنْ أَبِيهِ سِبْطِ رَسُولِ اللهِ ، شَهِيدِ كَرْبَلاءَ أَبي عَبْدِ اللهِ الإمامِ الحُسَيْنِ ، وهُوَ لَبِسَها مِنْ أَبِيهِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ

الإمامِ أَبي الحَسَنِ عَلِيٍّ ﵁ وعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، وهُوَ لَبِسَها مِنْ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وأَكْرَمِ المَخْلُوقِينَ وحَبِيبِ رَبِّ العالَمِينَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ وعَلَى آلِهِ وأَصْحابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَجْمَعِينَ ، آمِين .

لَنا فِي حَضْرَةِ التَّقْرِيبِ قَوْمٌ
شُؤُونُهُمُ الْمَكارِمُ والسَّماحُ

عَلَوْا فِي مَنْهَجِ الْعِرْفانِ طَوْراً
فَطَوْرُهُمُ الْكَرامَةُ والصَّلاحُ

تَعالَوْا فِي سَماواتِ الْمَعالِي
شُمُوساً فِي مَطالِعِها ولاحُوا

قَضَوْا ومَضَوْا وفِي الْأَكْوانِ مِنْهُمْ
لِطُلَّابِ الْهُدَى النَّهْجُ الصِّراحُ

و مِنْ آياتِ أَخْلاقٍ إِذا ما
تَلاها الْعَبْدُ صاحَبَهُ الْفَلاحُ

تَبِعْنا إِثْرَهُمْ وهُمْ كِرامٌ
بِإِثْرِ الْمُصْطَفَى جاؤُوا وراحُوا

عَقِيدَةُ الطَّرِيقَةِ الرِّفاعِيَّةِ الصُّوفِيَّة

تَجْسِيدٌ لِما عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ والجَماعَةِ المَرْضِيَّة

العَقِيدَةُ فِي اللُّغَة : هِيَ ما انْعَقَدَ عَلَيْهِ القَلْبُ واسْتَمْسَكَ بِهِ ، وتَعَذَّرَ تَحْوِيلُهُ عَنْهُ .

العَقِيدَةُ اصْطِلاحاً : هِيَ التَّصَوُّرُ الإِسْلامِيُّ الكُلِّيُّ اليَقِينِيُّ عَنِ اللّٰهِ الخالِقِ ، وعَنِ الكَوْنِ والإِنْسانِ والحَياةِ ، وعَمَّا قَبْلَ الحَياةِ الدُّنْيا وعَمَّا بَعْدَها ، وعَنِ العَلاقَةِ بَيْنَ ما قَبْلَها وما بَعْدَها .

الاعْتِقادُ الصَّحِيحُ واجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ؛ لِذَلِكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَعَلِّماً يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُقْتَدِياً ، قالَ اللّٰهُ تَعالَى : ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [١] ، وقالَ تَعالَى : ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [٢] .

عَقِيدَةُ أَهْلِ التَّصَوُّف : قالَ الإِمامُ الرَّوَّاس عَنْ عَقِيدَةِ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ أَبْناءِ الطَّرِيقَةِ الرِّفاعِيَّةِ العَلِيَّةِ فِي كِتابِهِ (بَوارِق الحَقائِق) :

صِحَّةُ الاعْتِقاد : وهُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ المَرْءُ أَنَّ اللّٰهَ واحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ ، فَرْدٌ لا مِثْلَ لَهُ ، صَمَدٌ لا ضِدَّ لَهُ ، مُنْفَرِدٌ لا نِدَّ لَهُ ، أَزَلِيٌّ لا بِدايَةَ لَهُ ،

---

(١) سُورَةُ مُحَمَّد : مِنَ الآيَة ١٩ . (٢) سُورَةُ الزُّمَر : الآيَة ٦٥ .

مُسْتَمِرُّ الوُجُودِ لا آخِرَ لَهُ ، أَبَدِيٌّ لا نِهايَةَ لَهُ ، قَيُّومٌ لا انْقِطاعَ لَهُ ، دائِمٌ لا انْصِرامَ لَهُ ، وهُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ ، والظَّاهِرُ والباطِنُ ، لا يُماثِلُ مَوْجُوداً ، ولا يُماثِلُهُ مَوْجُودٌ ، ولَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، ولا هُوَ مِثْلُ شَيْءٍ ، لا يَحِدُّهُ المِقْدارُ ، ولا تَحْوِيهِ الأَقْطارُ ، ولا تُحِيطُ بِهِ الجِهاتُ ، ولا تَكْتَنِفُهُ السَّمَواتُ ، العَرْشُ وحَمَلَتُهُ مَحْمُلُونَ بِلُطْفِ قُدْرَتِهِ ومَقْهُورُونَ فِي قَبْضَتِهِ ، بائِنٌ بِصفاتِهِ عَنْ خَلْقِهِ ، لَيْسَ فِي ذاتِهِ سِواهُ ، ولا فِي سِواهُ ذاتُهُ ، مُقَدَّسٌ عَنِ التَّغَيُّرِ والانْتِقال ، مُنَزَّهٌ عَنِ الغَيْبَةِ والزَّوال ، حَيٌّ قادِرٌ جَبَّار ، قاهِرٌ لا يَعْتَرِيهِ قُصُورٌ ولا عَجْزٌ ، ولا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ ، ولا يُعارِضُهُ فَناءٌ ولا مَوْتٌ ، ذُو المُلْكِ والمَلَكُوتِ ، والعِزَّةِ والجَبَرُوتِ ، ولَهُ السُّلْطانُ والقَهْرُ ، والخَلْقُ والأَمْرُ ، عالِمٌ بِجَمِيعِ المَعْلُوماتِ ، مُوجِدٌ لِلكائِناتِ ، مُدَبِّرٌ لِلحادِثاتِ ، وهُوَ المُبْدِئُ المُعِيدُ ، الفَعَّالُ لِما يُرِيدُ ، لا رادَّ لِحُكْمِهِ ، ولا مُعَقِّبَ لِقَضائِهِ ، ولا مَهْرَبَ لِعَبْدٍ عَنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ ورَحْمَتِهِ ، ولا قُوَّةَ لِطاعَتِهِ إِلَّا بِمَحَبَّتِهِ وإِرادَتِهِ ، سَمِيعٌ بَصِيرٌ ، لا يَعْزُبُ عَنْ سَمْعِهِ مَسْمُوعٌ وإِنْ خَفِي ؛ ولا يَغِيبُ عَنْ رُؤْيَتِهِ مَرْئِيٌّ وإِنْ دَقَّ ، مُتَكَلِّمٌ آمِرٌ ، ناهٍ واعِدٌ ، مُتَوَعِّدٌ بِكَلامٍ أَزَلِيٍّ قَدِيمٍ ، قائِمٌ بِذاتِهِ لا يُشْبِهُ كَلامَ الخَلْقِ ؛ لَيْسَ بِصَوْتٍ يَحْدُثُ

مِنَ انْسِلالِ الهَواءِ واصْطِكاكِ أَجْرام ولا بِحَرْفٍ يَتَقَطَّعُ بِإِطْباقِ شَفَةٍ أَوْ تَحْرِيكِ لِسانٍ ، وأَنَّ القُرْآنَ والتَّوْراةَ والإِنْجِيلَ والزَّبُورَ كُتُبُهُ المُنَزَّلَةُ عَلَى رُسُلِهِ ، وأَنَّ القُرْآنَ مَقْرُوءٌ بِالأَلْسِنَةِ ، مَكْتُوبٌ فِي المَصاحِفِ ، مَحْفُوظٌ فِي القُلُوبِ ، قَدِيمٌ قائِمٌ بِذاتِ اللهِ لا يَقْبَلُ الانْفِصالَ والفِراقَ بِالانْتِقالِ إِلَى القُلُوبِ والأَوْراقِ ، وأَنَّ سَيِّدَنا مُوسَى عليه السلام سَمِعَ كَلامَ اللهِ بِغَيْرِ صَوْتٍ ولا حَرْفٍ ، كَما تَرَى الأَبْرارُ ذاتَ اللهِ مِنْ غَيْرِ جَوْهَرٍ ولا عَرَضٍ ، وإِذا كانَتْ لَهُ هَذِهِ الصِّفاتُ كانَ جَلَّ عُلاهُ حَيًّا عالِماً قادِراً مُرِيداً سَمِيعاً بَصِيراً بِالحَياةِ ، والعِلْمِ ، والقُدْرَةِ ، والإِرادَةِ ، والسَّمْعِ ، والبَصَرِ ، والكَلامِ لا بِمُجَرَّدِ الذَّاتِ ، ويَجِبُ أَيْضاً عَلَى المَرْءِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ اللهَ حَكِيمٌ فِي أَفْعالِهِ ، عادِلٌ فِي أَقْضِيَتِهِ ، يُثِيبُ عِبادَهُ عَلَى الطَّاعاتِ بِحُكْمِ الكَرَمِ والوَعْدِ لا بِحُكْمِ الاسْتِحْقاقِ واللُّزُومِ إِذْ لا يَجِبُ عَلَيْهِ فِعْلٌ ولا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ ظُلْمٌ ، ولا يَجِبُ لأَحَدٍ عَلَيْهِ حَقٌّ ، بَعَثَ الرُّسُلَ وأَظْهَرَ صِدْقَهُمْ بِالمُعْجِزاتِ الظَّاهِرَةِ فَبَلَّغُوا أَمْرَهُ ونَهْيَهُ ووَعْدَهُ ووَعِيدَهُ وأَوْجَبَ عَلَى الخَلْقِ تَصْدِيقَهُمْ فِيما جاؤُوا بِهِ ، وبَعَثَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ القُرَشِيَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً صلى الله عليه وسلم بِرِسالَتِهِ كافَّةً لِلْعَرَبِ والعَجَمِ والجِنِّ والإِنْسِ فَنَسَخَ بِشَرْعِهِ الشَّرائِعَ إِلَّا ما قَرَّرَهُ ، وفَضَّلَهُ عَلَى سائِرِ

الأَنْبياءِ ، وجَعَلَهُ سَيِّدَ البَشَرِ ، ومَنَعَ كَمالَ الإيمانِ بِشَهادَةِ التَّوْحيدِ وهِيَ قَوْلُ : ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ما لَمْ تَقْتَرِنْ بِها شَهادَةُ الرَّسُولِ وهِيَ قَوْلُ : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ، وأَلْزَمَ الخَلْقَ بِتَصْديقِهِ فِي جَميعِ ما أَخْبَرَ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا والآخِرَةِ .

ويَجِبُ عَلَى المَرْءِ أَنْ يُؤْمِنَ بِما أَخْبَرَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ بَعْدَ المَوْتِ ؛ وذَلِكَ سُؤالُ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ ، وشَأْنُ القَبْرِ والمِيزانِ ، والصِّراطِ والحِسابِ والقَضاءِ العَدْلِ فِي أَمْرِ الخَلْقِ بَعْدَ حِسابِهِمْ ، وتَفاوُتُ الخَلْقِ فِي الحِسابِ إِلَى مُناقَشٍ فِيهِ ومُسامَحٍ ، ومَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ ، وأَنْ يُؤْمِنَ بِالحَوْضِ المَوْرُودِ حَوْضِ سَيِّدِ الوُجُودِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَشْرَبُ مِنْهُ المُؤْمِنُونَ قَبْلَ دُخُولِ الجَنَّةِ وبَعْدَ جَوازِ الصِّراطِ ؛ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَها أَبداً ، وأَنْ يُؤْمِنَ بِإِخْراجِ المُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ الانْتِقامِ حَتَّى لا يَبْقَى فِي جَهَنَّمَ مُوَحِّدٌ بِفَضْلِ اللهِ تَعالَى ، ويُؤْمِنُ بِشَفاعَةِ الأَنْبياءِ ثُمَّ العُلَماءِ ثُمَّ الشُّهَداءِ ثُمَّ سائِرِ المُؤْمِنِينَ كُلٌّ عَلَى حَسَبِ جاهِهِ ومَنْزِلَتِهِ ، ومَنْ بَقِيَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ولَمْ يَكُنْ لَهُ شَفِيعٌ أُخْرِجَ بِفَضْلِ اللهِ ، ولا يَخْلُدُ فِي النَّارِ مَنْ كانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنَ الإيمانِ ، وأَنْ يَعْتَقِدَ فَضْلَ الصَّحابَةِ الكِرامِ ﷺ وتَرْتِيبَهُمْ ، وأَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِهِمْ جَمِيعاً ، ويُثْنِيَ

عَلَيْهِمْ كَمَا أَثْنَى اللهُ ورَسُولُهُ عَلَيْهِمْ .

ولِلّٰهِ دَرُّ سَيِّدِي أَبِي الهُدَى الصَّيَّادِي فِي قَوْلِه :

اللهُ أَوْجَبَ أَنْ نُنَزِّهَ ذاتَهُ
عَنْ رَأْيِ كُلِّ مُشَبِّهٍ كَذَّابِ
إِذْ لَيْسَ قَطُّ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ولا
يُعْزَىٰ إِلَى جِهَةٍ عَظِيمُ جَنابِ
نُورُ السَّما والأَرْضِ جَلَّ جَلالُهُ
مُجْرِي الرِّياحِ مُسَبِّبُ الأَسْبابِ
وَهْوَ الْغَنِيُّ بِذاتِهِ عَنْ صاحِبٍ
فِي شَأْنِ قُدْرَتِهِ وعَنْ بَوَّابِ
لا كَيْفَ لا تَمْثِيلَ لا تَجْسِيمَ لا
تَشْبِيهَ يَصْلُحُ فِيهِ لِلأَلْبابِ
بِالْعَدْلِ يَمْنَعُ ثُمَّ يَرْزُقُ مَنْ يَشا
فَضْلاً وإِحْساناً بِغَيْرِ حِسابِ
فِي الأَرْضِ قُدْرَتُهُ ودَوْلَةُ أَمْرِهِ
فَوْقَ السَّما نَفَذَتْ عَلَى الأَرْبابِ

وجَمِيعُ ذَرَّاتِ الْوُجُودِ فَقِيرَةٌ

مَقْهُورَةٌ لِجَنابِهِ بِالْبابِ

ومِنَ العَقِيدَةِ الإيمانُ بِالكَراماتِ :

والكَرامَةُ : هِيَ أَمْرٌ خارِقٌ لِلعادَةِ يُظْهِرُهُ اللهُ عَلَى يَدِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ مِنْ أَتْباعِ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ السَّلامُ - المُلْتَزِمِينَ لأَحْكامِ الشَّرِيعَةِ الرَّبَّانِيَّةِ مِنْ غَيْرِ شُذُوذٍ ولا مُخالَفَةٍ ، فَضْلاً مِنَ اللهِ وإِكْراماً لَهُمْ ، وهِيَ غَيْرُ مَقْرُونَةٍ بِدَعْوَى النُّبُوَّةِ ، وهِيَ فِي حَقِيقَتِها تَأْيِيدٌ وتَأْكِيدٌ لِرِسالَةِ الرَّسُولِ ﷺ بِاعْتِبارِ أَنَّ اللهَ أَظْهَرَها عَلَى يَدِ صُلَحاءِ أُمَّتِهِ ، وتابِعٍ مِنْ أَتْباعِهِ .

قالَ الإمامُ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحاوِي فِي عَقِيدَتِهِ : (ولا نُفَضِّلُ أَحَداً مِنَ الأَوْلِياءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ونَقُولُ نَبِيٌّ واحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِياءِ ، ونُؤْمِنُ بِما جاءَ مِنْ كَراماتِهِمْ ، وصَحَّ عَنِ الثِّقاتِ مِنْ رِواياتِهِمْ) .

وقالَ الإمامُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي الكَبِير فِي كِتاب (حِكَمُ الشَّيْخ أَحْمَدَ الرِّفاعِي) : غايَةُ المَعْرِفَةِ بِاللهِ الإِيقانُ بِوُجُودِهِ تَعالَى بِلا كَيْفٍ ولا مَكانٍ .

وفِي كِتاب (إجابَةُ الدَّاعِي) قالَ الإمامُ الرِّفاعِي : وإنَّهُ (أي اللهُ) لا يَحُلُّ فِي شَيْءٍ ولا يَحُلُّ فِيهِ شَيْءٌ ، تَعالَى أَنْ يَحْوِيَهُ مَكانٌ ، كَما تَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَحُدَّهُ زَمانٌ ، بَلْ كانَ قَبْلَ خَلْقِ الزَّمانِ والمَكانِ ، وهُوَ الآنَ عَلَى ما عَلَيْهِ كانَ .

وقالَ الإمامُ الرِّفاعِي أَيْضاً فِي كِتاب (البُرْهانُ المُؤَيَّد) : أَي سادَة ، نَزِّهُوا اللهَ عَنْ سِماتِ المُحْدَثِينَ وصِفاتِ المَخْلُوقِينَ ، وطَهِّرُوا عَقائِدَكُمْ مِنْ تَفْسِيرِ مَعْنَى الاسْتِواءِ فِي حَقِّهِ تَعالَى بِالاسْتِقْرارِ كاسْتِواءِ الأَجْسام عَلَى الأَجْسام المُسْتَلْزِمِ لِلحُلُول ، تَعالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ ، وإيَّاكُمْ والقَوْلَ بِالفَوْقِيَّةِ والسُّفْلِيَّةِ والمَكانِ واليَدِ والعَيْنِ بِالجارِحَةِ والنُّزُولِ والإتْيانِ والانْتِقالِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ ما جاءَ فِي الكِتابِ والسُّنَّةِ مِمَّا يَدُلُّ ظاهِرُهُ عَلَى ما ذُكِرَ فَقَدْ جاءَ فِي الكِتابِ والسُّنَّةِ مِثْلُهُ ما يُؤَيِّدُ المَقْصُودَ ، فَما بَقِيَ إلَّا ما قالَهُ صُلَحاءُ السَّلَفِ وهُوَ الإيمانُ بِظاهِرِ كُلِّ ذَلِكَ ورَدُّ عِلْم المُرادِ إلَى اللهِ ورَسُولِهِ مَعَ تَنْزِيهِ البارِي تَعالَي عَن الكَيْفِ وسِماتِ الحُدُوث .

وقالَ فِي الكِتابِ نَفْسِهِ : قالَ الشَّافِعِيُّ لَمَّا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ : آمَنْتُ بِلا تَشْبِيهٍ ، وصَدَّقْتُ بِلا تَمْثِيلٍ ، واتَّهَمْتُ نَفْسِي عَنِ الإدْراكِ ، وأَمْسَكْتُ عَنِ الخَوْضِ فِيهِ كُلَّ الإمْساكِ ، وقالَ : وقَدْ جَمَعَ إمامُنا

الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه جَمِيعَ ما قِيلَ فِي التَّوْحِيدِ بِقَوْلِهِ : مَنِ انْتَهَضَ لِمَعْرِفَةِ مُدَبِّرِهِ فانْتَهَى إِلَى مَوْجُودٍ يَنْتَهِي إِلَيْهِ فِكْرُهُ فَهُوَ مُشَبِّهٌ ، وإِنِ اطْمَأَنَّ إِلَى العَدَمِ الصِّرْفِ فَهُوَ مُعَطِّلٌ ، وإِنِ اطْمَأَنَّ لِمَوْجُودٍ واعْتَرَفَ بِالعَجْزِ عَنْ إِدْراكِهِ فَهُوَ مُوَحِّدٌ أَي مُؤْمِنٌ .

وقالَ : سُئِلَ بَعْضُ العارِفِينَ عَنِ الخالِقِ تَقَدَّسَتْ أَسْماؤُهُ ، فَقالَ لِلسَّائِلِ : إِنْ سَأَلْتَ عَنْ ذاتِهِ فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وإِنْ سَأَلْتَ عَنْ صِفاتِهِ فَهُوَ أَحَدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد ، وإِنْ سَأَلْتَ عَنِ اسْمِهِ فَهُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمُنُ الرَّحِيم ، وإِنْ سَأَلْتَ عَنْ فِعْلِهِ فَكُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ؛ أَي يَرْفَعُ قَوْماً ويَضَعُ آخَرِينَ ، كُلَّ يَوْمٍ تَتَغَيَّرُ فِيهِ الأَحْوالُ بِفِعْلِ اللهِ ومَشِيئَتِهِ ، واللهُ لا يَتَغَيَّرُ .

وقالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بنُ أَسْعَدَ اليافِعِي اليَمَنِي (٧٦٨ هـ) بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ عَقِيدَةَ الصُّوفِيَّةِ فِي تَنْزِيهِ اللهِ عَنِ الجِهَةِ والمَكانِ فِي كِتاب (رَوْضُ الرَّياحِين) : فَأَنا أَذْكُرُ الآنَ عَقِيدَتِي مَعَهُمْ عَلَى وَجْهِ الاخْتِصارِ فَأَقُولُ وبِاللهِ التَّوْفِيق : الَّذِي نَعْتَقِدُهُ أَنَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي قالَهُ وبِالمَعْنَى الَّذِي أَرادَهُ اسْتِواءً مُنَزَّهاً عَنِ الحُلُولِ والاسْتِقْرارِ والحَرَكَةِ والانْتِقالِ ، لا يَحْمِلُهُ العَرْشُ بَلِ العَرْشُ وحَمَلَتُهُ

مَحْمُولُونَ بِلُطْفِ قُدْرَتِهِ ، لا يُقالُ : أَيْنَ كانَ ولا كَيْفَ كانَ ، ولا مَتَى ؟ كانَ ولا مَكانَ ولا زَمانَ ، وهُوَ الآنَ عَلَى ما عَلَيْهِ كانَ ، تَعالَى عَنِ الجِهاتِ والأَقْطارِ والحُدُودِ والمِقْدار .

(والإِمامُ اليافِعِي شافِعِيُّ المَذْهَبِ قادِرِيٌّ شاذُلِيُّ الطَّرِيقَة) .

وقالَ صاحِبُ كِتاب (نَهْجُ الرَّشاد فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الوَحْدَةِ والحُلُولِ والاتِّحاد) : حَدَّثَنِي الشَّيْخُ كَمالُ الدِّينِ المَراغِي قالَ : اجْتَمَعْتُ بِالشَّيْخِ أَبِي العَبَّاسِ المُرْسِي (٦٨٦ هـ) تِلْمِيذِ الشَّيْخِ الكَبِيرِ أَبِي الحَسَنِ الشَّاذُلِي (٦٥٦ هـ) وفاوَضْتُهُ فِي هَؤُلاءِ الاتِّحادِيَّة (أَي الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ العالَمَ أَجْزاءٌ مِنَ اللهِ وإِنَّ اللهَ هُوَ العالَمُ والعالَمُ هُوَ اللهُ) فَوَجَدْتُهُ شَدِيدَ الإِنْكارِ عَلَيْهِمْ والنَّهْي عَنْ طَرِيقِهِمْ ، وقالَ : أَتَكُونُ الصَّنْعَةُ هِيَ الصَّانِع ؟! وسَيِّدُنا المُرْسِيُّ هُوَ خَلِيفَةُ قُطْبِ المَعالِي الشَّاذُلِي رضي الله عنه .

وقَدْ قالَ القاضِي عِياضٌ المالِكِي (٥٤٤ هـ) فِي (الشِّفا) : أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى كُفْرِ أَصْحابِ الحُلُولِ ومَنِ ادَّعَى حُلُولَ البارِي سُبْحانَهُ فِي أَحَدِ الأَشْخاص ، وقالَ فِي فَصْلِ حَدِيثِ الإِسْراءِ ما نَصُّهُ : اعْلَمْ أَنَّ ما وَقَعَ مِنْ إِضافَةِ الدُّنُوِّ والقُرْبِ هُنا مِنَ اللهِ ؛ فَلَيْسَ بِدُنُوِّ مَكانٍ ولا قُرْبِ مَدًى ، بَلْ كَما ذَكَرْنا عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِق رضي الله عنه : لَيْسَ بِدُنُوِّ

حَدٌّ ؛ وإنَّما دُنُوُّ النَّبيِّ ﷺ مِنْ رَبِّهِ وقُرْبُهُ مِنْهُ إبانَةُ عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ وتَشْرِيفُ رُتْبَتِهِ .

وقالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بنُ عَطاءِ اللهِ السَّكَنْدَرِي الشَّاذُلِي (٧٠٧ هـ) : وُصُولُكَ إِلَى اللهِ وُصُولُكَ إِلَى العِلْمِ بِهِ وإلَّا فَجَلَّ رَبُّنا أَنْ يَتَّصِلَ بِهِ شَيْءٌ أَوْ يَتَّصِلَ هُوَ بِشَيْءٍ .

وقالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ العارِفُ عَبْدُ الغَنِي النَّابُلْسِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الحَنَفِيُّ مَذْهَباً القادِرِيُّ النَّقْشَبَنْدِيُّ طَرِيقَةً (١١٤٣ هـ) : فَيَتَنَزَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى عَنْ جَمِيعِ الأَمْكِنَةِ العُلْوِيَّةِ والسُّفْلِيَّةِ وما بَيْنَهُما ، ثُمَّ ذَكَرَ كَلاماً فِي تَنْزِيهِ اللهِ عَنِ الجِهاتِ والمَكانِ ؛ ذَكَرَهُ فِي كِتاب (رائِحَةُ الجَنَّة شَرْحُ إِضاءَةِ الدُّجَنَة) .

وقالَ الشَّيْخُ الصُّوفِيُّ العارِفُ العَلَّامَةُ خالِدُ النَّقْشَبَنْدِيُّ القادِرِيُّ (دَفِينُ دِمَشْقَ) : أَشْهَدُ بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِجِسْمٍ ولا جَوْهَرٍ ولا عَرَضٍ ، وكَذَلِكَ صِفاتُهُ ، لا يَقُومُ بِهِ حادِثٌ ولا يَحُلُّ فِي شَيْءٍ ولا يَتَّحِدُ بِغَيْرِهِ ، مُقَدَّسٌ عَنِ التَّجْسِيمِ وتَوابِعِهِ وعَنِ الجِهاتِ والأَقْطارِ ؛ مِنْ كِتاب (عُلَماءُ دِمَشْقَ وأَعْيانُها فِي القَرْنِ الثالِثَ عَشَرَ الهِجْرِي) .

وقالَ العارِفُ بِاللهِ العَلَّامَةُ الشَّيْخُ مُحَمَّد مَهْدِي بنُ عَلِيٍّ الصَّيَّادِي

الحُسَيْنِي الشَّافِعِيُّ مَذْهَباً والرِّفاعِيُّ طَرِيقَةً المَشْهُورُ بالرَّوَّاس (١٢٨٧ هـ) : الوَسِيلَةُ الأُولَى صِحَّةُ الاعْتِقادِ ، ولْنَذْكُرْ ذَلِكَ بالاخْتِصارِ عَلَى الوَجْهِ الكافِي : وهُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ المَرْءُ أَنَّ اللّهَ واحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ وهُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والباطِنُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ؛ لا يَحُدُّهُ المِقْدارُ ولا تَحْوِيهِ الأَقْطارُ ولا تُحِيطُ بِهِ الجِهاتُ ولا تَكْتَنِفُهُ السَّمَوات .

وقالَ أَيْضاً فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الوَحْدَةِ المُطْلَقَةِ وأَهْلِ الحُلُولِ أَبْياتاً ، نَذْكُرُ بَعْضَها ، وقَدْ مَرَّ مَعَنا جُلُّها :

دَعْ وَهْمَ أَهْلِ الْوَحْدَةِ الْمُطْلَقَةْ ۞ وافْهَمْ رُمُوزَ الْجَمْعِ والتَّفْرِقَهْ

كُلُّ اتِّحادٍ حُكْمُهُ باطِلٌ ۞ وشاهِدُ الظَّاهِرِ قَدْ مَزَّقَهْ

وقالَ الشَّيْخُ يُوسُفُ النَّبَهانِي الشَّافِعِيُّ مَذْهَباً القادِرِيُّ طَرِيقَةً دَفِينُ بَيْروت (١٣٥٠ هـ) فِي كِتابِهِ (الرَّائِيَّةُ الكُبْرَى) :

فَلا جِهَةٌ تَحْوِيهِ ولا جِهَةٌ لَهُ ۞ تَنَزَّهَ رَبِّي عَنْهُما وعَلا قَدْرا

وقالَ الشَّيْخُ العارِفُ بِاللّهِ عَبْدُ الفَتَّاحِ الزُّعْبِي الطَّرابُلْسِي اللُّبْنانِي القادِرِيُّ نَسَباً وطَرِيقَةً (١٣٥٥ هـ) فِي كِتاب (المَواعِظُ الحَمِيدِيَّةُ) ما نَصُّهُ : كَيْفَ يُحِيطُ العَقْلُ بِمَنْ تَقَدَّسَ عَنِ الكَمِّيَّةِ والكَيْفِيَّةِ والأَيْنِيَّةِ ؟! فَنَزِّهُوا رَبَّكُمْ وقَدِّسُوهُ عَنِ الخَواطِرِ الفِكْرِيَّة .

وقالَ فِي الكِتابِ نَفْسِهِ : كُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ صانِعٍ مُنَزَّهٍ عَنِ الكَيْفِيَّةِ والمِثْلِيَّةِ ومُقَدَّسٌ عَنْ خَطَراتِ الأَوْهامِ ومَزاعِمِ الحُلُولِيَّةِ .

وقالَ فِيهِ أَيْضاً عِنْدَما تَحَدَّثَ عَنْ مِعْراجِ الرَّسُولِ ﷺ ورُؤْيَتِهِ لِلذَّاتِ المُقَدَّسِ بِفُؤادِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الذَّاتُ فِي مَكانٍ ما نَصُّهُ : مَعَ شُهُودٍ مُنَزَّهٍ عَنِ الكَيْفِيَّةِ ، وقُرْبٍ مُقَدَّسٍ عَنِ المَكانِ والأَيْنِيَّةِ ، إِذِ الحَقُّ لَمْ يَفْتَقِرْ إِلَى شَيْءٍ فَيَتَّخِذَ لَهُ تَعالَى مَحَلًّا ، ولَكِنْ دَعاهُ الحَقُّ تَعالَى إِلَى ذَلِكَ المَكانِ لِيُرِيَهُ مِنْ آياتِهِ عَجائِبَ بَدائِعِ الإِمْكانِ .

وقالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الكَرِيمِ الرِّفاعِي الدِّمَشْقِي (١٣٩٣ هـ) أَحَدُ خَواصِّ تَلامِيذِ الشَّيْخِ العارِفِ المُحَدِّثِ بَدْرِ الدِّينِ الحَسَنِي القادِرِي ، فِي كِتاب (المَعْرِفَةُ فِي بَيانِ عَقِيدَةِ المُسْلِم) ما نَصُّهُ : يَسْتَحِيلُ عَلَى اللهِ التَّقَيُّدُ بِالمَكانِ لأَنَّ المُتَمَكِّنَ فِيهِ إِمَّا ساكِنٌ أَوْ مُتَحَرِّكٌ ، وقَدْ تَقَدَّمَ اسْتِحالَةُ الحَرَكَةِ والسُّكُونِ عَلَى اللهِ تَعالَى ؛ فَإِذاً اسْتَحالَ عَلَى اللهِ تَعالَى أَنْ يَتَقَيَّدَ بِالمَكانِ ، ويَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الإِلَهُ فِي جِهَةٍ أَوْ يَكُونَ لَهُ جِهَةٌ ؛ لأَنَّ الجِهَةَ الَّتِي هِيَ الفَوْقُ والتَّحْتُ والأَمامُ والوَراءُ واليَمِينُ والشِّمالُ لا تُتَصَوَّرُ ولا تُعْقَلُ إِلَّا مُلازِمَةً لِلْجِرْمِ ، وقَدْ تَقَدَّمَ اسْتِحالَةُ الجِرْمِيَّةِ عَلَيْهِ ، فَإِذاً لا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ لَهُ جِهَةٌ أَوْ يَكُونَ فِي جِهَةٍ .

وقالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُلَّا عَلِي القارِي الحَنَفِيُّ المَذْهَب القادِرِيُّ الطَّرِيقَة (١٠١٤ هـ) فِي شَرْحِ الفِقْهِ الأَكْبَرِ لأَبي حَنِيفَةَ النُّعْمان رضي الله عنه ما نَصُّهُ: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ أَوِ ادَّعَى ادِّعاءً مُعَيَّناً مُشْتَمِلاً عَلَى إِثْباتِ المَكانِ والهَيْئَةِ والجِهَةِ مِنْ مُقابَلَةٍ وثُبُوتِ مَسافَةٍ وأَمْثالِ تِلْكَ الحالَةِ، فَيَصِيرُ كافِراً لا مَحالَة، وقالَ فِي الكِتاب نَفْسِهِ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ الأَشْياءَ قَبْلَ وُقُوعِها فَهُوَ كافِرٌ وإِنْ عُدَّ قائِلُهُ مِنْ أَهْلِ البِدْعَةِ، وكَذا مَنْ قالَ: بِأَنَّهُ سُبْحانَهُ جِسْمٌ ولَهُ مَكانٌ ويَمُرُّ عَلَيْهِ زَمانٌ ونَحْوَ ذَلِكَ، حَيْثُ لَمْ يُثْبِتْ لَهُ حَقِيقَةَ الإِيمان.

وقالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بنُ عَرَبي (٦٣٨ هـ) قُدِّسَ سِرُّهُ، فِي بِدايَةِ كِتابِهِ (الفُتُوحاتُ المَكِّيَّة) فِي عَقِيدَتِهِ الَّتِي هِيَ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ، ما نَصُّهُ: لَيْسَ (أَي اللهُ) بِجَوْهَرٍ فَيُقَدَّرُ لَهُ المَكانُ، ولا بِعَرَضٍ فَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ البَقاءُ، ولا بِجِسْمٍ فَيَكُونُ لَهُ الجِهَةُ والتِّلْقاءُ؛ مُقَدَّسٌ عَنِ الجِهاتِ والأَقْطارِ، اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ كَما قالَهُ وعَلَى المَعْنَى الَّذِي أَرادَهُ، كَما أَنَّ العَرْشَ وما حَواهُ بِهِ اسْتَوَى، ولَهُ الآخِرَةُ والأُولَى، ولا يَحُدُّهُ زَمانٌ ولا يَحْوِيهِ مَكانٌ، بَلْ كانَ ولا مَكانَ وهُوَ الآنَ عَلَى ما عَلَيْهِ كانَ؛ لأَنَّهُ خَلَقَ المُتَمَكِّنَ والمَكانَ، وأَنْشَأَ الزَّمانَ، تَعالَى اللهُ أَنْ تَحِلَّهُ

الحَوادِثُ أَوْ يَحِلَّها ، أَوْ تَكُونَ قَبْلَهُ أَوْ يَكُونَ بَعْدَها .

وهَذا يُؤَكِّدُ أَنَّ ما فِي كُتُبِهِ مِمَّا يُخالِفُ العَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ مَدْسُوسٌ عَلَيْهِ كَما قالَ الشَّعْرانِي والفَيْروزأَبادِي ، وأَيْضاً الذَّهَبِي قالَ فِي (سِيَر الأَعْلام) : ولا رَيْبَ أَنَّ كَثِيراً مِنْ عِباراتِهِ لَهُ تَأْوِيلٌ ، إِلَّا كِتابَ فُصُوص الحِكَم ، ورَدُّنا عَلَى ذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ ما يُنْسَبُ إِلَى الشَّيْخِ مِنْ ضَلالاتٍ مُهْلِكاتٍ إِنَّما دُسَّ عَلَيْهِ .

ومِثْلُهُ قالَ ابنُ حَجَرٍ الهَيْتَمِي (٩٧٤ هـ) فِي كِتابِهِ (الفَتاوَى الحَدِيثِيَّة) .

وكَذَلِكَ الإِمامُ الغَزالِي (٥٠٥ هـ) قُدِّسَ سِرُّهُ ، ذَكَرَ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الجُزْءِ الأَوَّلِ مِنْ كِتابِهِ (الإِحْياء) والَّتِي هِيَ مُوافِقَةٌ لِعَقِيدَةِ مَنْ ذَكَرْنا أَقْوالَهُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ، كَذَلِكَ الإِمامُ الشَّعَرانِي الشَّافِعِيُّ المَذْهَب السَّهْرَوَرْدِيُّ الطَّرِيقَة (٩٧٣ هـ) هَذِهِ هِيَ عَقِيدَتُهُ الَّتِي بَيَّنَها فِي كِتابِهِ (اليَواقِيتُ والجَواهِر) .

وهِيَ أَيْضاً عَقِيدَةُ أَتْباعِ الإِمامِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَل ﷺ الَّتِي بَيَّنَها الإِمامُ ابنُ الجَوْزِيِّ الحَنْبَلِي (٥٩٧ هـ) فِي كُتُبِهِ كَكِتاب (دَفْعُ شُبَهِ مَنْ شَبَّهَ وتَمَرَّدَ) وكِتاب (الباز الأَشْهَب فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ خالَفَ المَذْهَب) ، وأَيْضاً الإِمامُ أَبُو الوَفاءِ عَلِيُّ بنُ عَقِيلِ البَغْدادِيُّ شَيْخُ الحَنابِلَةِ فِي

زَمانِهِ (٥١٣ هـ) وغَيْرُهُما .

وقَدْ قالَ الإمامُ أبو مَنْصُورٍ عَبْدُ القاهِرِ بنُ طاهِرٍ التَّمِيمِيُّ البَغْدادِيُّ الإِسْفَرايِنِيُّ (٤٢٩ هـ) فِي كِتابِهِ (الفَرْقُ بَيْنَ الفِرَق) : وأَجْمَعُوا (أي أَهْلُ السُّنَّةِ) عَلَى أَنَّهُ (أَي اللَّهُ) لا يَحْوِيهِ مَكانٌ ولا يَجْرِي عَلَيْهِ زَمان .

وقالَ شَيْخُ الفَرِيقَيْنِ بازُ اللهِ الأَشْهَبُ القُطْبُ عَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي كَيَّفَ الكَيْفَ وتَنَزَّهَ عَنِ الكَيْفِيَّةِ ، وأَيَّنَ الأَيْنَ وتَعَزَّزَ عَنِ الأَيْنِيَّةِ ، ووُجِدَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وتَقَدَّسَ عَنِ الظَّرْفِيَّة ، وحَضَرَ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ وتَعالَى عَنِ العِنْدِيَّة .

قالَ : فَهُوَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ ولَيْسَ لَهُ آخِرِيَّة ، إِنْ قُلْتَ : أَيْنَ ؟ فَقَدْ طالَبْتَهُ بِالأَيْنِيَّة ، وإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ ؟ فَقَدْ طالَبْتَهُ بِالكَيْفِيَّة ، وإِنْ قُلْتَ : مَتَى ؟ فَقَدْ زاحَمْتَهُ بِالوَقْتِيَّة ، وإِنْ قُلْتَ : لَيْسَ ، فَقَدْ عَطَّلْتَهُ عَنِ الكَوْنِيَّة ، وإِنْ قُلْتَ : لَوْ ، فَقَدْ قابَلْتَهُ بِالنَّقْصِيَّة ، وإِنْ قُلْتَ : لِمَ ، فَقَدْ عارَضْتَهُ فِي المَلَكُوتِيَّة .

سُبْحانَهُ وتَعالَى لا يُسْبَقُ بِقَبْلِيَّة ، ولا يُلْحَقُ بِبَعْدِيَّة ، ولا يُقاسُ بِمِثْلِيَّة ، ولا يُقْرَنُ بِشَكْلِيَّة ، ولا يُعابُ بِزَوْجِيَّة ، ولا يُعْرَفُ بِجِسْمِيَّة .

سُبْحانَهُ وتَعالَى ، لَوْ كانَ شَخْصاً لَكانَ مَعْرُوفَ البِنْيَةِ ، ولَوْ كانَ جِسْماً

لَكانَ مَعْرُوفَ الكَمِّيَّةِ ، بَلْ هُوَ واحِدٌ ، رَدًّا عَلَى البَنَوِيَّة (أَي النَّصارَى الَّذينَ قالُوا إِنَّ اللّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وإِنَّ اللّهَ تَجَسَّدَ فِي عِيسَى المَسِيح عليه السلام) قالَ : صَمَدٌ (أَي الله) ، رَدًّا عَلَى الوَثَنِيَّة (أَي الَّذينَ عَبَدُوا الأَوْثانَ والحِجارَةَ الَّتِي صَنَعُوها بأَيْدِيهِمْ ، واللّهُ تَعالَى صَمَدٌ أَي كُلُّ شَيْءٍ بِحاجَةٍ إِلَيْهِ وهُوَ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، لَيْسَ بِحاجَةٍ إِلَى أَحَدٍ) .

قالَ : لا مِثْلَ لَهُ (أَي الله) طَعَناً عَلَى الحَشَوِيَّة (أَي المُشَبِّهَةِ المُجَسِّمَةِ الَّذينَ وَصَفُوا اللّهَ بِالجِسْمِ والأَعْضاءِ والحَدِّ والجِهَةِ) .

قالَ : لا كُفْءَ لَهُ (أَي الله) رَدًّا عَلَى مَنْ أَلْحَدَ بِالوَصْفِيَّةِ (أَي المُعَطِّلَةِ الَّذينَ يَنْفُونَ ما وَصَفَ اللّهُ بِهِ نَفْسَهُ ، عَلَى زَعْمِهِمْ أَرادُوا تَنْزِيهَ اللّهِ عَنْ مُشابَهَةِ خَلْقِهِ فَجَحِدُوا ما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، وهَؤُلاءِ المُعَطِّلَةُ لا يَنْحَصِرُونَ تَحْتَ اسْمِ جَماعَةٍ مُعَيَّنَةٍ ؛ لأَنَّهُ يُوجَدُ فِي المُعْتَزِلَةِ مِنْهُمْ وفِي الرَّوافِضِ أَيْضاً ، والمُعَطِّلَةُ بِعَكْسِ المُشَبِّهَةِ ؛ فالمُشَبِّهَةُ أَخَذُوا بِأَخْبارِ الصِّفاتِ عَلَى ظاهِرِها فَوَصَفُوهُ بِالجِسْمِ والحَدِّ وغَيْرِ ذَلِك) ، وأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ أَهْلُ الحَقِّ فَوَصَفُوا اللّهَ بِما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ونَفَوْا عَنِ اللّهِ الكَيْفِيَّةَ فَسَلِمُوا مِنَ التَّشْبِيهِ والتَّعْطِيل .

وعَلَى هَذِهِ العَقِيدَةِ الإِمامُ البُخارِي وابنُ حِبَّانَ وغَيْرُهُما مِنَ المُحَدِّثِين ،

وكَذَلِكَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بنُ خَلَفٍ المالِكِيُّ المَشْهُورُ بِابْنِ بَطَّال ، وابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِي والقَسْطَلَّانِي (شُرَّاحُ حَدِيثِ البُخارِي) ، كَذَلِكَ الإمامُ النَّوَوِي شارِحُ (صَحِيح مُسْلِم) ، كَذَلِكَ الإمامُ مُحَمَّدُ بنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِي (٣١٠ هـ) ، والإمامُ اللُّغَوِي إبْراهِيمُ بنُ السَّرِيِّ الزَّجَّاج (٣١١ هـ) فِي تَفْسِيرِ أَسْماءِ اللهِ الحُسْنَى ، والشَّيْخُ الصُّوفِي أبو عُثْمانَ المَغْرِبي سَعِيدُ بنُ سَلام (٣٧٣ هـ) كَما فِي الرِّسالَة القُشَيْرِيَّة ، والإمامُ الباقَلَّانِي أَبو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ المالِكِي (٤٠٣ هـ) فِي كِتاب (الإنْصاف)، وأَبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ المَعْرُوفُ بِابنِ فُورَك (٤٠٦ هـ) كَما فِي كِتابِ (مُشْكَلُ الحَدِيث) ، وأَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ المَعْرُوفُ بِابنِ حَزْمٍ الأَنْدَلُسِي (٤٥٦ هـ) كَما فِي كِتابِهِ (عِلْمُ الكَلام) الَّذي نَقَلَ فِيهِ هَذِهِ العَقِيدَةَ عَنِ الإمام المُزَنِي صاحِبِ الشَّافِعِيِّ ، والإمامُ أَبو المُظَفَّر الإسْفَرايِنِي (٤٧١ هـ) كَما فِي كِتاب (التَّبْصِيرُ فِي الدِّين)، والإمامُ أَبو المَعالِي عَبْدُ المَلِكِ بنُ عَبْدِ اللهِ الجُوَيْنِي المَعْرُوفُ بِإمامِ الحَرَمَيْنِ (٤٧٨ هـ) فِي كِتاب (الإرْشادُ إلَى قَواطِعِ الأَدِلَّة) وغَيْرُهُ ، والإمامُ الحافِظُ المُؤَرِّخُ عَلِيُّ بنُ الحَسَنِ بنِ هِبَةِ اللهِ الشَّهِيرُ بِابْنِ عَساكِر كَما فِي كِتابِهِ (تَبْيِينُ كَذِبِ المُفْتَرِي)، والسُّلْطانُ صَلاحُ الدِّينِ

الأَيُّوبِي الشَّافِعِي الأَشْعَرِي (٥٨٩ هـ) الَّذي أَلَّفَ بِأَمْرِهِ الشَّيْخُ الفَقِيهُ النَّحْوِي مُحَمَّدُ بنُ هِبَةِ اللهِ رِسالَةً فِي العَقِيدَةِ أَسْماها : (حَدائِقُ الفُصُولِ وجَواهِرُ الأُصُولِ) وسُمِّيَتْ بِالعَقِيدَةِ الصَّلاحِيَّة .

والإِمامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي (٦٠٦ هـ)، وابنُ الأَثِير (٦٠٦ هـ)، وفَخْرُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ مُحَمَّدٍ المَعْرُوفُ بِابنِ عَساكِر (٦٢٠ هـ)، والشَّيْخُ جَمالُ الدِّين مَحْمُودُ بنُ أَحْمَدَ الحَصِيرِي شَيْخُ الحَنَفِيَّةِ فِي زَمانِهِ (٦٣٦ هـ)، والإِمامُ القُرْطُبِي صاحِبُ التَّفْسِير (٦٧١ هـ) ، والشَّيْخُ الصُّوفِي الصَّالِح عَبْدُ اللهِ بنُ سَعْدٍ المَعْرُوفُ بِابنِ أَبِي جَمْرَة (٦٩٩ هـ)، والشَّيْخُ ابنُ دَقِيقِ العِيد (٧٠٢ هـ)، والإِمامُ المُفَسِّرُ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ النَّسَفِي (٧١٠ هـ)، والعَلَّامَةُ اللُّغَوِي مُحَمَّدُ بنُ مَكْرَم الإِفْرِيقِي المِصْرِي المَعْرُوفُ بِابنِ مَنْظُور (٧١١ هـ) صاحِبُ كِتاب (لِسانُ العَرَب)، والإِمام المُفَسِّرُ عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ المَعْرُوفُ بِالخازِن (٧٤١ هـ) صاحِبُ تَفْسِيرِ الخازِن ، والإِمامُ العَلَّامَةُ الحافِظُ المُجْتَهِدُ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ عَلِيُّ بنُ عَبْدِ الكافِي السُّبْكِي الشَّافِعِيُّ الأَشْعَرِيُّ (٧٥٦ هـ)، والعَلَّامَةُ مَسْعُودُ بنُ عُمَرَ التَّفْتازانِي (٧٩١ هـ) فِي كِتابِهِ (شَرْحُ العَقِيدَةِ النَّسَفِيَّة)، والحافِظُ وَلِيُّ الدِّينِ أَبُو زَرْعَةَ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ

الرَّحِيم العِراقِي (٨٢٦ هـ) فِي كِتاب (طَرْحُ التَّثْرِيب)، والشَّيْخُ بَدْرُ الدِّين مَحْمُودُ بنُ أَحْمَدَ العَيْنِي الحَنَفِي (٨٥٥ هـ) أَحَدُ شُرَّاح صَحِيحِ البُخاري فِي كِتابِهِ (المَقاصِدُ الحَسَنَة)، والشَّيْخُ أَبو العَبَّاس شِهابُ الدِّين أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ القَسْطَلَّانِي المِصْرِي (٩٢٣ هـ)، أَحَدُ شُرَّاحِ صَحِيحِ البُخارِي ، والشَّيْخُ القاضِي زَكَرِيَّا الأَنْصارِي الشَّافِعِي (٩٢٦ هـ) فِي شَرْحِهِ عَلَى الرِّسالَةِ القُشَيْرِيَّة ، والحافِظُ المُؤَرِّخُ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ المَعْرُوفُ بِابنِ طُولُون الحَنَفِي (٩٥٣ هـ)، والإمامُ عَبْدُ الوَهَّابِ الشَّعَرانِي (٩٧٣ هـ)، والشَّيْخُ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ المَعْرُوفُ بِابنِ حَجَرٍ الهَيْتَمِي (٩٧٤ هـ)، والشَّيْخُ عَبْدُ السَّلام بنُ إِبْراهِيمَ اللَّقَّانِي المِصْرِي المالِكِي (١٠٧٨ هـ) فِي شَرْحِ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيد ، والعَلَّامَةُ كَمالُ الدِّينِ البَياضِي الحَنَفِي (١٠٩٨ هـ) فِي إِشاراتِ المَرام ، والشَّيْخُ مُحَمَّدُ ابنُ عَبْدِ الباقِي الزُّرْقانِي المالِكِي (١١٢٢ هـ) فِي شَرْحِهِ عَلَى مُوَطَّأ الإمام مالِكٍ ﷺ ، والشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بنُ عَلَوِي الحَدَّاد الحَضْرَمِي الحُسَيْنِي (١١٣٢ هـ) فِي كِتاب (عَقِيدَةُ الإِسْلام)، والشَّيْخُ العَلَّامَةُ أَبو البَرَكات أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الدَّرْدِير العَدَوِي المِصْرِي (١٢٠١ هـ) فِي كِتاب (الخَرِيدة البَهِيَّة)، والحافِظُ اللُّغَوِي الفَقِيه مُحَمَّد مُرْتَضَى

الزَّبيدِي الحَنَفِي الحُسَيَنِي (١٢٠٥ هـ) فِي كِتابِهِ (إتْحافُ السَّادَةِ المُتَّقِين)، والشَّيْخُ الفَقِيهُ مُحَمَّد أَمِين بنُ عُمَرَ المَعْروف بابنِ عابْدِين الحَنَفِي الدِّمَشْقِي الحُسَيْنِي (١٢٥٢ هـ) فِي كِتاب (عُلَماءُ دِمَشْق)، والشَّيْخُ مُحَدِّثُ بَيْرُوت مُحَمَّدُ بنُ دَرْوِيش الحُوت الحُسَيْنِي (١٢٧٦ هـ) فِي كِتاب (رَسائِلُ فِي بَيانِ عَقائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَة)، والشَّيْخُ العَلَّامَةُ المُحَدِّثُ أَبو المَحاسِن مُحَمَّدٌ القاوُقْجِي الطَّرابُلْسِي اللُّبْنانِي الحَنَفِي (١٣٠٥ هـ) فِي كِتاب (الاعْتِماد فِي الاعْتِقاد)، والشَّيْخُ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ السَّكَنْدَرِي مِنْ أَهْلِ القَرْنِ الماضِي فِي كِتاب (الدَّلِيلُ الصَّادِقُ عَلَى وُجُودِ الخالِق)، والشَّيْخُ مُفْتِي وِلايَةِ بَيْرُوت عَبْدُ الباسِطِ الفاخُورِي الشَّافِعِي (١٣٢٣ هـ) فِي كِتاب (الكِفايَةُ لِذَوِي العِنايَة)، والشَّيْخُ مُحَمَّدُ أَمِينُ الكُرْدِي الإرْبِلِي الشَّافِعِي النَّقْشَبَنْدِي (١٣٣٢ هـ) فِي كِتاب (تَنْوِيرُ القُلُوب)، والشَّيْخُ حُسَيْنُ بنُ مُحَمَّدٍ الجِسْرُ الطَّرابُلْسِي اللُّبْنانِي (١٣٢٧ هـ) فِي كِتاب (الحُصُونُ الحَمِيدِيَّة)، والشَّيْخُ سَلِيم البِشْرِي المِصْرِي شَيْخُ الأَزْهَر (١٣٣٥ هـ) فِي (فُرْقان القُرْآن)، والشَّيْخُ عَبْدُ المَجِيدِ الشَّرْنُوبِي الأَزْهَرِي (١٣٤٨ هـ) فِي كِتاب (شَرْحُ تائِيَّةِ السُّلُوك)، والشَّيْخُ عَبْدُ المَجِيدِ

المَغْرَبِي الطَّرابُلسِي اللُّبْنانِي (١٣٥٢ هـ) فِي كِتاب (رِسالَةٌ عِلْمِيَّةٌ فِي الإِسْراءِ والمِعْراج)، والشَّيْخُ مُحَمَّد الخِضْر الشَّنْقِيطِي (١٣٥٣ هـ) مُفْتِي المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ فِي كِتابِهِ (اسْتِحالَةُ المَعِيَّةِ بِالذَّات)، والشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ إبْراهِيمَ الحُسَيْنِي الطَّرابُلْسِي اللُّبْنانِي (١٣٦٢ هـ) فِي كِتابِهِ (تَفْسِيرُ القُرْآن)، والشَّيْخُ مُحَمَّد زاهِد الكَوْثَرِي الحَنَفِي وَكِيلُ المَشْيَخَةِ الإِسْلامِيَّةِ فِي دارِ الخِلافَةِ العُثْمانِيَّة (١٣٧١ هـ) فِي كِتاب (مَقالاتُ الكَوْثَرِي وغَيْرُهُ)، والشَّيْخُ المُحَدِّثُ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الصِّدِّيقِ الغُمارِي المَغْرِبِي الحَسَنِي الشَّاذُلِي (١٣٨٠ هـ) فِي كِتاب (المِنَحُ المَطْلُوبَة)، والشَّيْخُ المُحَدِّثُ مُحَمَّد عَرَبِي التَّبَّان المالِكِي المُدَرِّسُ بِمَدْرَسَةِ الفَلاح والمَسْجِدِ المَكِّي (١٣٩٠ هـ) فِي كِتاب (بَراءَةُ الأَشْعَرِيِّين)، والشَّيْخُ مُحَدِّثُ الدِّيارِ المَغْرِبِيَّةِ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّد الصِّدِّيق الغُمارِي الحَسَنِي المالِكِيُّ المَذْهَب الشَّاذُلِيُّ الطَّرِيقَة (١٤١٣ هـ) فِي كِتاب (قَصَصُ الأَنْبِياء)، والشَّيْخُ مُحَمَّد حَمْدِي الجُويجاتِي الدِّمَشْقِي (١٤١١ هـ) فِي كِتاب (العَقِيدَةُ الإِسْلامِيَّة) .

ولَمْ نَذْكُرْ مِنْ عُلَماءِ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِينَ هُمْ عَلَى عَقِيدَةِ الإِمامِ الأَشْعَرِي أَوِ الماتُرِيدِي إِلَّا عَدَداً قَلِيلاً خَشْيَةَ الإِطالَة ؛ وأَكْثَرُ مَنْ ذَكَرْناهُمْ مِنَ

الأَشاعِرَةِ ، وكُلُّهُمْ عَلَى عَقِيدَةِ أَنَّ اللّهَ لا يَحْوِيهِ مَكانٌ ولا يَجْرِي عَلَيْهِ زَمانٌ وأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الحُلُولِ والاتِّحادِ والتَّجَزُّؤِ والاتِّصالِ والانْفِصالِ والحَيِّزِ فِي جِهَةٍ مِنَ الجِهاتِ والجِسْمِيَّةِ والأَعْضاءِ وعَنْ مُشابَهَةِ المَخْلُوقاتِ .

وحُدُودُ الشَّرْعِ فِينا أَمْرُها
حاكِمٌ يَعْلَمُهُ مَنْ عَلِما
صاحِ خُذْ مِنْ شِرْعَةِ الْهادِي الْهُدَى
واتَّخِذْها لِلْمَعالِي سُلَّما
وخُذِ الْقُرْآنَ نُوراً بَيِّناً
فَظَلُومٌ حادَ عَنْهُ فِي عَما
واتَّصِلْ بِاللهِ مِنْ فُرْقانِهِ
فالَّذِي فارَقَهُ قَدْ فُصِما
واجْعَلِ السُّنَّةَ حِصْناً عاصِماً
عُزَّ نَهْجُ الْمُصْطَفَى مُعْتَصَما
فَعَلَيْهِ اللهُ فِي أَكْوانِهِ
كُلَّما صَلَّى بِشَأْنٍ سَلَّما

أُسُسُ الطَّرِيقَةِ الرِّفاعِيَّة

نِبْراسُ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّة

إِنَّ أَوَّلَ مَنْ شَيَّدَ هَذا الطَّرِيقَ ووَضَعَ لَها أُسَساً مَتِينَةً هُوَ مُؤَسِّسُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ورافِعُ لِوائِها الإِمامُ الكَبِيرُ والقُطْبُ الشَّهِيرُ سَيِّدِي أَحْمَدُ الرِّفاعِي - قُدِّسَ سِرُّهُ العالِي - ثُمَّ تَتابَعَ مِنْ بَعْدِهِ تَلامِيذُهُ وخُلَفاؤُهُ ومُحِبُّوهُ الَّذِينَ انْتَظَمُوا فِي مَسْلَكِهِ وتَبِعُوا خُطُواتِهِ فِي الطَّرِيقِ والسُّلُوكِ والإِرْشادِ فِي كُلِّ زَمانٍ وفِي كُلِّ مَكانٍ وعَلَى مَدَى العُصُورِ الماضِيَة .

قالَ الإِمامُ أَبو الهُدَى الصَّيَّادِي فِي كِتابِهِ (الطَّرِيقَة الرِّفاعِيَّة) : قَدْ عَلِمَ عُلَماءُ الحَقِيقَةِ مِنْ فُرْسانِ مَيادِينِ الطَّرِيقَةِ ، أَنَّ أُصُولَ الطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ الرِّفاعِيَّةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَساسَيْنِ عَظِيمَيْنِ ، لا تَنْفَكُّ عَنْهُما بِحالٍ مِنَ الأَحْوالِ ، وهُما : الكِتابُ العَزِيزُ ، والسُّنَّةُ السَّنِيَّةُ المُحَمَّدِيَّةُ ، وقَدْ قامَ بِناءُ تِلْكَ الأُصُولِ عَلَى دَعائِمِ المَعْقُولِ ؛ كُلُّها حِكَمٌ عَقْلِيَّةٌ وحَقائِقُ نَقْلِيَّةٌ ، لا تَتَجاوَزُ الوُسْعَ العَقْلِي ، ولا تَتَعَدَّى النَّصَّ النَّقْلِي ، وإِنْ وُجِدَ فِي بَعْضِ أَعْمالِها المُباحَةِ عَمَلٌ ، فَذَلِكَ مِنْ تَرْوِيحِ القُلُوبِ الَّذِي نَصَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ المَحْبُوبُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وبِهِ يَقْضِي العَقْلُ الصَّالِحُ ، كَيْ لا يَسْأَمَ الرَّجُلُ فِي عَمَلِهِ ، فَيَنْقَلِبَ صالِحُ عَمَلِهِ سَيِّئاً .

قالَ الإمامُ الرَّوَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لا تُعْتَبَرُ كَلِماتُ الصُّوفِيَّةِ المَنْقُولَةُ عَنْهُمْ إِلَّا إذا وافَقَتْ مَضامِينُها سُنَّةَ النَّبِيِّ المُكَرَّم ﷺ ولَمْ تُبايِنْ سِيرَةَ آلِهِ الأَعْيان وأَصْحابِهِ نُجُوم العِرْفان - عَلَيْهِمْ أَتَمُّ التَّحِيَّةِ وأَجَلُّ الرِّضْوان وإذا رَأَيْتَ فِي كُتُبِهِمْ كَلِماتٍ عَزاها إِلَيْهِمْ عازٍ فَأَعْرِضْها عَلَى الكِتاب والسُّنَّةِ وقِسْها عَلَى سِيرَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ إِنْ كانَتْ مِنَ الأَقْوالِ أَوْ مِنَ الأَفْعالِ ، فَإِنْ وَجَدْتَها مُوافِقَةً لِلكِتاب والسُّنَّةِ أَوْ مُطابِقَةً لِسِيرَةِ السَّلَفِ أَوْ قابِلَةً لِلتَّأْوِيلِ الحَسَنِ الَّذي لا يُصادِمُ حُكْماً ، ونَزِّهِ القَوْمَ أَهْلَ اللهِ عَنِ الَّذي يَسْنِدُهُ إِلَيْهِمْ أَرْبابُ الهَفَواتِ الكاذِبَة ، والمَقاصِدِ الخائِبَة، وتَحَقَّقْ بِالأَدَبِ مَعَهُمْ ؛ فَهُمْ طائِفَةُ حَقٍّ لا يَنْحَرِفُونَ عَنِ الحَقِّ ، واللهُ المُعِين .

ولِلهِ دَرُّ الإمام الرَّوَّاسِ فِي قَوْلِهِ الَّذي جَمَعَ فَأَوْعَى :

دَعْ جَهْلَ مَنْ ضَلَّ الطَّرِيقَ وتاها
وخُذِ الطَّرِيقَةَ مِنْ شَرِيعَةِ طَهَ

واقْطَعْ حِبالَ الزُّورِ والدَّعْوَىٰ وكُنْ
عَبْداً نَأَى عَنْ نَفْسِهِ وهَواها

واعْمَلْ بِسُنَّةِ أَحْمَدٍ خَيْرِ الْوَرَىٰ
فَهِيَ الطَّرِيقَةُ ، والضَّلالُ سِواها

هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ لَوْ دَرَيْتَ شَرِيعَةٌ
أَنْـوارُهـا الْـغَـرَّاءُ لا تَتَنـاهَـىٰ
رَفَعَـتْ لِـواءَ حَقِـيقَةٍ نَبَـوِيَّـةٍ
قَـدْ شَـيَّدَ الْقُـرْآنُ رُكْـنَ عُـلاهـا
بَرَزَتْ لَنا مِـنْ خِدْرِ سُدَّةِ عِزِّها
حِكَمٌ بِـها أَهْلُ النُّهَىٰ تَتَباهَىٰ
وأَتَـتْ بِبُـرْهـانٍ مَحَجَّـةُ حُكْمِهِ
بَيْضاءَ أَشْرَقَ فِي الْوُجُودِ سَناها
مَـنْ حادَ عَنْها كانَ أَيْسَـرَ أَمْـرِهِ
أَنْ حـارَبَ الْحُسْنَىٰ ومَنْ والاهـا
لَـوْ كانَ مُوسَىٰ بَيْنَنا حَيًّا لَـما
أَخَـذَ الطَّـرِيقَ لِـرَبِّـهِ بِسِـواهـا
قَـدْ نَظَّـمَتْ حَـدًّا لِكُلِّ حَقِيـقَةٍ
وطَـرِيـقَـةٍ لِلّهِ مـا أَرْضـاهـا
وبِـها تَسَلْسَلَتِ الْأَسـانِيدُ الَّتِـي
بَعْـضُ الثِّقاتِ الْعارِفِـينَ رَواهـا

وأَبَتْ لعَمْرُكَ زُخْرُفَ الْقَوْلِ الَّذِي
يَهْواهُ مَطْمُوسُ الْفُؤادِ سَفاها
وجَلَتْ لِأَهْلِ الدِّينِ نَصًّا صادِقاً
مَنْ رَدَّهُ بِالْمُنْكَراتِ تَلاهَى
وعَلَيْهِ قَدْ دَرَجَ الصَّحابَةُ كُلُّهُمْ
والتَّابِعُونَ ومَنْ أَحَبَّ اللّهَ
عَضَّتْ عَلَيْهِ بِالنَّواجِذِ عُصْبَةٌ
لِلْعِلْمِ تَخْشَى دائِماً مَوْلاها
رَغِمَتْ أُنُوفُ ذَوِي الضَّلالَةِ بِالَّذِي
عَرَفَتْ بِهِ بَيْنَ الأَنامِ هُداها
كَمْ قَدْ تَصَوَّفَ مُحْدِثٌ فِي دِينِنا
وأَتَى لِبَثِّ الزَّيْغِ يَرْصُدُ جاها
ورَأَى مُخالَفَةَ الرَّسُولِ طَرِيقَةً
جَهْلاً وظَنَّ بِأَنَّهُ يَرْضاها
فَأَبادَهُ سَيْفُ الشَّرِيعَةِ فانْطَوَى
بِحِجابِ ظُلْمَةِ بِدْعَةٍ أَحْياها

فَاعْجَبْ لَها عَثَراتِ جَهْلٍ بَدْؤُها
حُمْقٌ وزَيْغٌ ظاهِرٌ عُقْباها
قامَ الْغَبِيُّ بِها يُرِيدُ تَصَدُّراً
بِبِضاعَةٍ تَعِسَتْ فَما أَدْناها
شَبَكاتُ سَفْسَطَةٍ تُصادُ بِمِثْلِها
بُلَهاءُ قَوْمٍ جَهْلُها أَعْماها
قُلْ لِلَّذِي رامَ التَّسَلُّقَ لِلْعُلا
بِعَزِيمَةٍ دُونَ الْحَضِيضِ مَداها
خَلِّ الْعَزائِمَ يا خَلِيُّ لِأَهْلِها
ودَعِ الْعُلَىٰ ما أَنْتَ مِنْ ذِكْراها

وهَذا أَساسُ كُلِّ طَرِيقَةٍ صُوفِيَّة ؛ فَهَذا هُوَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي (أَحَدُ الأَقْطابِ الأَرْبَعَةِ) يَضَعُ ذَلِكَ شَرْطاً لِمُرِيدِهِ حَتَّى يَكُونَ أَهْلاً لِطَرِيقَتِهِ القادِرِيَّة :

(لا فَلاحَ لَكَ حَتَّى تَتَّبِعَ الكِتابَ والسُّنَّةَ ، اتَّبِعْ الشُّيُوخَ العُلَماءَ بِالكِتابِ والسُّنَّةِ ، العامِلِينَ بِهِما ، أَوْ حَسِّنِ الظَّنَّ بِهِمْ ، وتَعَلَّمْ مِنْهُمْ ، وأَحْسِنِ الأَدَبَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ والعِشْرَةَ مَعَهُمْ ، وقَدْ أَفْلَحْتَ ، وإِذا لَمْ تَتَّبِعِ الكِتابَ

والسُّنَّةَ ولا الشُّيُوخَ العارِفِينَ بِهِما فَما تُفْلِحُ أَبَداً ، أَما سَمِعْتَ : مَنِ اسْتَغْنَى بِرأْيِهِ ضَلَّ ؟!

لا تَبْتَدِعْ ؛ وتُحْدِثُ فِي دِينِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ ، اتَّبِعِ الشَّاهِدَيْنِ العَدْلَيْنِ : الكِتابَ والسُّنَّةَ ؛ فَإِنَّهُما يُوَصِّلانِكَ إِلَى رَبِّكَ عَزَّ وجَلَّ ، وأَمَّا إِنْ كُنْتَ مُبْتَدِعاً : فَشاهِداكَ : عَقْلُكَ وهَواكَ ، فَلا جَرَمَ يُوَصِّلانِكَ إِلَى النَّارِ ، ويُلْحِقانِكَ بِفِرْعَوْنَ وهامانَ وجُنُودِهِما ، لا تَحْتَجَّ بِالقَدَرِ فَلا يُقْبَلُ مِنْكَ ، لا بُدَّ لَكَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى دارِ العِلْمِ ، والتَّعَلُّمِ ، ثُمَّ العَمَلِ ثُمَّ الإِخْلاص .

إذا وَقَعَ عِنْدَكَ حُبُّ رَجُلٍ وبُغْضُ آخَر ؛ فَلا تُحِبَّ هَذا وتُبْغِضْ هَذا بِنَفْسِكَ وبِطَبْعِكَ ، بَلْ حَكِّمْهُما كِلَيْهِما عَلَى الكِتابِ والسُّنَّةِ ؛ فَإِنْ وافَقا الَّذِي أَحْبَبْتَهُ فَدُمْ عَلَى مَحَبَّتِهِ ، وإِنْ خالَفا فارْجِعْ عَنْ مَحَبَّتِهِ ؛ وإِنْ وافَقا الَّذِي أَبْغَضْتَهُ فارْجِعْ عَنْ بُغْضِهِ ، وإِنْ خالَفا فَدُمْ عَلَى بُغْضِهِ ، وإِنْ لَمْ يَنْفَعْكَ ذَلِكَ ولَمْ يَبِنْ لَكَ فارْجِعْ إِلَى قُلُوبِ الصِّدِّيقِينَ وسَلْهُمْ عَنْهُما ؛ فالمُؤْمِنُ لَهُ نُورٌ يَنْظُرُ بِهِ .

هَذا القُرْآنُ والعِلْمُ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ إذا لَمْ تَعْمَلُوا بِهِما ، إذا حَضَرْتُمْ عِنْدَ العُلَماءِ ولَمْ تَقْبَلُوا ما يَقُولُونَ لَكُمْ كانَ حُضُورُكُمْ عِنْدَهُمْ حُجَّةً عَلَيْكُمْ ، ويَكُونُ عَلَيْكُمْ إِثْمُ ذَلِكَ كَما لَوْ لَقِيتُمُ الرَّسُولَ ﷺ ولَمْ تَقْبَلُوا مِنْهُ) .

هَذا أَصْلُ الطَّرِيقِ الصُّوفِي وإِنَّما تَعَدُّدُ طُرُقِ أَهْلِهِ ﷺ ؛ فَإِنَّما مِثالُهُ كَأُناسٍ يَدْخُلُونَ الحَرَمَ المَكِّيَّ يَقْصِدُونَ الكَعْبَةَ المُشَرَّفَةَ مِنْ أَبْوابٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، فَطُرُقُهُمْ والأَبْوابُ الَّتِي طَرَقُوها مُتَعَدِّدَةٌ ومَقْصَدُهُمْ واحِدٌ ؛ وكَذَلِكَ القَوْمُ ﷺ : اجْتَنَبُوا مَحارِمَ اللهِ وامْتَثَلُوا أَوامِرَهُ وقامُوا بِإِحْياءِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ ونَهَضُوا بِواجِباتِ حُقُوقِها ، إِلَّا أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَغَلَّبَ عَلَيْهِ الطَّلَبُ مِنْ طَرِيقِ الصَّوْمِ ، ومِنْهُمْ مَنْ تَغَلَّبَ عَلَيْهِ الطَّلَبُ مِنْ طَرِيقِ الصَّلاةِ ، ومِنْهُمْ مِنْ طَرِيقِ الذِّكْرِ ، ومِنْهُمْ مِنْ طَرِيقِ الفِكْرِ ؛ وهَذا مَعْنَى ما ذُكِرَ مِنْ أَنَّ الطُّرُقَ إِلَى اللهِ بِعَدَدِ أَنْفاسِ الخَلائِقِ .

ومَعَ الْتِزامِ الكِتابِ والسُّنَّةِ جَعَلَ القَوْمُ أَهْلُ الحَقِّ العارِفُونَ بِاللهِ مَحَبَّةَ النَّبِيِّ ﷺ بُرْهانَ هَذا الالْتِزامِ ؛ وبِها يَسْتَجْلِبُونَ العَوْنَ مِنَ المَلِكِ العَلَّامِ .

يَقُولُ طاهِرُ الأَنْفاسِ سَيِّدِي مُحَمَّد مَهْدِي الرَّوَّاس : كُلْ يا مُحِبُّ مِنْ هَذِهِ المائِدَةِ الطَّيِّبَةِ ، مائِدَةِ المَدَدِ المُحَمَّدِيِّ ، واشْرَبْ مِنْ شَرابِ كَأْسِهِ المُصْطَفَوِيِّ ، وإِنَّكَ بَعْدَها لَنْ تَجُوعَ ولَنْ تَظْمَأَ ، تُفْتَحُ لَكَ أَغْلاقُ الحَقائِقِ ، وتَلُوحُ لَكَ أَعْلامُ المَشارِقِ المُنِيرَةُ لِلمَغارِبِ والمَشارِقِ ، هامَ بِها وطارَ إِلَيْها كُلُّ لُبٍّ أَوْ قَلْبٍ ، مُسْتَقِرٌّ فِي قالَبِ عَبْدٍ فِيهِ لِلَّهِ عِنايَةٌ ،

هُوَ الحبُّ الَّذي يَحْسُنُ بِهِ الحُبُّ ، وأَحْبِبْهُ حُبًّا يُغْنِيكَ عَنِ الخَلْقِ إيَّاهُ لِيَتَحَقَّقَ لَكَ الوَلَهُ بِهِ ، وصِدْقُ الغَرامِ لَهُ ، والهُيامُ بِشَأْنِهِ انْصِرافاً عَنْكَ إِلَيْهِ ، وتَكُونُ حِينَئِذٍ مِنَ المُؤَيَّدِينَ المَلْحُوظِينَ المَحْظُوظِينَ المَحْفُوظِينَ - إنْ شاءَ اللَّهُ - مِنْ لَمَّةِ الشَّيْطان ، المُسْعَفِينَ بِعَوارِفِ المِنَنِ مِنْ لَدُنِ الكَرِيمِ المَنَّان ، ومَتَى صَحَّ لَكَ مَقامُ المَحَبَّةِ لَهُ ﷺ تَحَقَّقْتَ بِاتِّباعِهِ وكُتِبْتَ فِي أَتْباعِهِ ، ويُحِبُّكَ اللَّهُ لِذَلِكَ بِلا رَيْبٍ ؛ قالَ تَعالَى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ .

اجْذِبْ قَلْبَكَ إِلَيْهِ بِجاذِبِ آدابِهِ ، واطْرَحْ كُلَّكَ بِيَدِ العَزِيمَةِ فِي أَعْتابِهِ ، ولا تَمِلْ عَنْ ساحَةِ بابِهِ : فَهُناكَ رَحَى المُحِبِّينَ تَدُور .

أَكْثِرْ مِنَ الصَّلاةِ عَلَيْهِ ﷺ ، وابْعَثْها بِقُوَّةِ الإِخْلاصِ إِلَيْهِ ، واجْعَلْ سُلَّمَكَ إِلَى حَضْرَةِ القُرْبِ الأَكْمَل ، ومَنازِلِ الفَتْحِ الأَشْمَل : التَّمَسُّكَ بِسُنَّتِهِ السَّنِيَّة ، والتَّخَلُّقَ بِأَخْلاقِهِ المُطَهَّرَةِ الزَّكِيَّة ، واتَّخِذْ شَرِيعَتَهُ النَّقِيَّةَ حِصْنَ أَمْنِكَ مِنْ نَوائِبِ الزَّمان ، ورُكْنَ عِزِّكَ عِنْدَ مُلابَسَةِ الحَدَثان ، فَإِنَّما نَحْنُ طَرِيقُنا اتِّباعُ أَمْرِهِ الكَرِيم ، والانْتِظامُ بِسِلْكِ خُدَّامِ سُنَّتِهِ الَّتي هِيَ الصِّراطُ المُسْتَقِيمُ والطَّرِيقُ القَوِيم ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ما حَنَّ قَلْبُ عارِفٍ إِلَيْه .

البَيْعَةُ والعَهْدُ والتَّلْقِينُ عِنْدَ الصُّوفِيِّين
سُنَّةٌ عَمَلِيَّةٌ عَنْ سَيِّدِ المُرْسَلِين ﷺ

البَيْعَةُ : وهِيَ كَما قالَ السَّيِّدُ العارِفُ المَكِينُ السَّيِّدُ حُسَيْنُ بُرْهانُ الدِّينِ الرِّفاعِي حِينَ سُئِلَ عَنْ سِرِّ البَيْعَةِ فَقالَ : حَدٌّ مِنْ حُدُودِ الحَقِّ يَقِفُ عِنْدَهُ أَهْلُ الصِّدْقِ الَّذينَ صَدَقُوا ما بايَعُوا اللّهَ عَلَيْهِ وما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ ، فَخافُوا سُؤالَهُ وعَظَّمُوا جَلالَهُ ، فَتَغَلَّبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ سُلْطانُ الهَيْبَةِ وأَخَذَهُمْ مِنْ عِلَّةِ نُفُوسِهِمْ إلَى حَضْرَتِهِ العَلِيَّةِ فانْطَمَسَتْ قَوابِسُ أَوْهامِهِمْ بِأَشِعَّةِ أَنْوارِ عَظَمَتِهِ ؛ فَإذا سَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطانُ خُرُوجاً أَوْ دُخُولاً وَقَفُوا عَلَى قَدَمِ الاسْتِقامَةِ ذاكِرِينَ اللّهَ قائِلِينَ : ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ ، وانْحَجَبَتْ بَصائِرُهُمْ عَنْ غَيْرِهِ فَأَبْصَرُوا بِها ، وعَنِ الأَغْيارِ تَعامَوْا ، وعَلَى طَرِيقِ رِضاهُ قَعَدُوا ، وإلَى داعِيهِ قامُوا .

وما البَيْعَةُ إلَّا بَيْعُ النَّفْسِ وقَطْعُ عَلائِقِها والأَعِنَّةِ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ ، فَإنِ انْطَبَعَ المُبايِعُ عَلَى الصِّدْقِ ودَخَلَ حَضْرَةَ قَوْمٍ تَجَرَّدُوا مِنْ عَلائِقِ رَطْبِهِمْ ويابِسِهِمْ فَقَدْ لُوحِظَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَعُونَةٍ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ

بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وعَلَى هَذا يَقُومُ مَنارُ الأَمْرِ ويَتِمُّ نِظامُ الخَيْرِ وتَصِحُّ الوَصْلَةُ إِلَى اللهِ ويَأْخُذُ القَلْبُ عَنِ اللهِ ويَصِيرُ العَبْدُ صِفَةً مِنْ صِفاتِ اللهِ ؛ يَصِلُ باللهِ ويَقْطَعُ باللهِ ويَتَكَلَّمُ عَنِ اللهِ ويَسْتَهْدِي باللهِ ويَسِيرُ إِلَى اللهِ ويُعانُ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، قالَ اللهُ لِحَبِيبِهِ ﷺ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ ، وإِنَّ بَيْعَةَ الإِمامِ المُبِينِ والصَّادِقِ الأَمِينِ ﷺ نافِذَةٌ سارِيَةٌ باقِيَةٌ هِيَ هِيَ تَتَلَقَّاها الأَنْفُسُ السَّلِيمَةُ وتَتَعاقَدُ عَلَيْها الأَكُفُّ الكَرِيمَةُ ، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ، وأَهْلُ اللهِ نُوَّابُ رَسُولِ اللهِ ، وبِهَذِهِ سَبَقَتْ إِرادَةُ اللهِ .

وأَمَّا **كَيْفِيَّةُ المُبايَعَةِ وأَخْذِ العَهْدِ** عَلَى ما هِيَ عَلَيْهِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ قُدِّسَتْ أَسْرارُهُمُ الزَّكِيَّةُ فَهِيَ : أَنْ يَأْمُرَ الشَّيْخُ المُرِيدَ بالوُضُوءِ الجَدِيدِ وبِصَلاةِ رَكْعَتَيْنِ بِنِيَّةِ التَّوْبَةِ ، ثُمَّ يَجْلِسُ الشَّيْخُ عَلَى السَّجَّادَةِ ويَجْلِسُ المُرِيدُ أَمامَهُ بالأَدَبِ والخُضُوعِ لاصِقاً رُكْبَتَيْهِ بِرُكْبَتَي الشَّيْخِ ، مُطْرِقاً خاضِعاً لِلهِ تَعالَى مُتَجَرِّداً مِنْ وَساوِسِ النَّفْسِ ؛ فَحِينَئِذٍ يَقْرَأُ الشَّيْخُ سُورَةَ ﴿ الفاتِحَة ﴾ ثَلاثاً ، ثُمَّ يَقْرَأُ آيَةَ المُبايَعَةِ وهِيَ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا

عَظِيمًا﴾ ، ثُمَّ يَقْرَأُ هَذا الحَديثَ الشَّرِيفَ المُسْتَخْرَجَ مِنْ صَحِيحِ الإمامِ البُخارِي - رَضِيَ عَنْهُ الباري : عَنْ عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ ﷺ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وحَوْلَهُ جَمْعٌ مِنْ أَصْحابِهِ: (بايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً ولا تَسْرِقُوا ولا تَزْنُوا ولا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ ولا تَأْتُوا بِبُهْتانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وأَرْجُلِكُمْ ولا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ ، فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، ومَنْ أَصابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، ومَنْ أَصابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَى اللهِ ، إِنْ شاءَ عَفا عَنْهُ وإِنْ شاءَ عاقَبَهُ) ، فَبايَعْناهُ عَلَى ذَلِكَ ، وفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ سَيِّدِنا عُبادَةَ أَيْضاً أَنَّهُ قالَ : بايَعْنا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ والطَّاعَةِ فِي العُسْرِ واليُسْرِ والمَنْشَطِ والمَكْرَهِ ، ونَقُولُ الحَقَّ حَيْثُ كُنَّا ولا نَخافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ .

ويُبايِعُ المُرِيدُ عَلَى مَآلِ هَذَيْنِ الحَدِيثَيْنِ ، ثُمَّ يَقْرَأُ : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ ، ثُمَّ يَقُولُ الشَّيْخُ والمُرِيدُ مَعَهُ : (أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ ، ونَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ والمَغْفِرَةَ والهِدايَةَ لَنا إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيم) ٣ مَرَّات ، ثُمَّ يُمْسِكُ بِيَدِهِ اليُمْنَى فِي يَدِ المُرِيدِ ويُلَقِّنُهُ العَهْدَ ؛ وكَيْفِيَّتُهُ أَنْ يَقُولَ الشَّيْخُ لِلْمُرِيدِ : قُلْ : (أُشْهِدُ اللهَ ومَلائِكَتَهُ ورُسُلَهُ وأَنْبِياءَهُ والحاضِرِينَ مِنْ خَلْقِهِ ، أَنَّنِي تائِبٌ إِلَى اللهِ ورَسُولِهِ مُجْتَنِباً لِمَحارِمِهِ مُجْتَهِداً عَلَى طاعَتِهِ ، مُنِيباً إِلَيْهِ ، مُواظِباً عَلَى خِدْمَةِ الفُقَراءِ والمَساكِينِ عَلَى حَسَبِ الطَّاقَةِ ، وأَنَّ سَيِّدَنا وقُدْوَتَنا إِلَى اللهِ تَعالَى القُطْبَ الغَوْثَ الدَّاعِي السَّيِّدَ أَحْمَدَ الرِّفاعِي شَيْخُنا فِي الدُّنيا والآخِرَةِ ، طاعَةُ اللهِ تَجْمَعُنا والمَعْصِيَةُ تُفَرِّقُنا ، واللهُ عَلَى ما نَقُولُ وَكِيل) ، ثُمَّ يَقُولُ الشَّيْخُ : العَهْدُ عَهْدُ اللهِ واليَدُ يَدُ اللهِ ورَسُولِهِ ويَدُ شَيْخِنا وقُدْوَتِنا إِلَى اللهِ شَيْخِ المَشايِخِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الرِّفاعِي ، ثُمَّ يَتْلُو الشَّيْخُ : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ ، ثُمَّ يُلَقِّنُهُ قَوْلَ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ٣ مَرَّات ، وفِي الرَّابِعَةِ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ، ويَقُولُ المُرِيدُ كَذَلِكَ ، ويَقْرَآنِ والحاضِرُونَ سُورَةَ ﴿ الفاتِحَة ﴾ ويُهْدُونَها إِلَى أَهْلِ العَهْدِ كَما فِي غَيْرِ هَذِهِ الصِّيغَةِ وإِلَى أَهْلِ القُبُورِ وإِلَى جَمِيعِ المُؤْمِنِين ؛ وهَذِهِ كَيْفِيَّةُ المُبايَعَةِ وأَخْذِ العَهْدِ مَعَ التَّلْقِين .

وقَدْ ذَكَرَها مَعَ صُوَرٍ أُخَر السَّيِّدُ مُحَمَّد أَبو الهُدَىٰ الصَّيَّادِي فِي كِتابِهِ

(قِلادَة الجَواهِر) أَخْذاً مِنْ كَلامِهِمْ ، نَفَعَنا اللّٰهُ بِهِ وبِهِمْ .

ويُؤْخَذُ أَيْضاً مِنْ كَلامِهِمْ ومُعامَلَتِهِمْ الشَّرِيفَةِ أَنَّ هَذِهِ المُبايَعَةَ والعَهْدَ والتَّلْقِينَ يَجْرِي عَلَى كُلِّ السَّالِكِينَ : أَعْنِي أَهْلَ المَراتِبِ الأَرْبَعَةِ فِي بابِ التَّرْبِيَةِ : (المُرِيدُ والشَّاوِيشُ والنَّقِيبُ والخَلِيفَةُ)، ويَقُولُ الشَّيْخُ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ عِنْدَ خِتامِ صِيغَةِ المُبايَعَةِ : قُمْ مُرِيداً واقْعُدْ مُرِيداً ، فَيُقِيمُهُ ويُقْعِدُهُ مُسَمِّياً المَرْتَبَةَ الَّتِي صَدَرَتِ المُبايَعَةُ لأَجْلِها ، وما الحِكْمَةُ مِنْ تَكْرارِ صِيغَةِ المُبايَعَةِ لِمَنْ ذَكَرَ إِلَّا إِيقاظَ هِمَمِهِمْ وتَنْبِيهُهُمْ وتَذْكِيرُهُمْ بِالعَهْدِ الأَوَّلِ مَعَ ما هُناكَ مِنَ الأَسْرارِ المُحَمَّدِيَّةِ المُفاضَةِ مِنْ جانِبِهِ الكَرِيمِ ﷺ حالَةَ المُبايَعَةِ بِحَسَبِ التَّدَلِّي والنِّيابَةِ المَعْنَوِيَّةِ .

ولا يَخْفَى أَنَّ تَلَقِّي أَهْلِ كُلِّ مَنْقَبَةٍ وتَرَقِّي أَهْلِ كُلِّ مَرْتَبَةٍ أَعْلا وأَكْمَلُ مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ كالفَرْقِ بَيْنَ حالَةِ الذِّكْرِ قَبْلَ التَّلْقِينِ وحالَتِهِ وحَلاوَتِهِ بَعْدَهُ ، وهَذا شَيْءٌ مَعْلُومٌ مُشاهَدٌ لا يُنْكِرُهُ أَهْلُهُ ؛ مَنْ تَذَوَّقَ حَلاوَتَهُ .

تَأْصِيلُ البَيْعَةِ وأَخْذِ العَهْدِ والتَّلْقِينِ عِنْدَ السَّادَةِ الصُّوفِيَّةِ تَأَسِّياً بِسَيِّدِ البَرِيَّةِ ﷺ

قالَ اللّٰهُ تَعالَى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا

عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

وقالَ عَزَّ سُلْطانُهُ : ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ .

وقالَ جَلَّ شَأْنُهُ : ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً﴾ .

وأَمَّا ما وَرَدَ فِي السُّنَّةِ والسِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ ؛ فَإِنَّ الحَبِيبَ الأَعْظَم ﷺ بايَعَ جَماعَةً مِنَ الرِّجال : فَقَدْ أَخْرَجَ البُخارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُبادَةَ ابنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : (بايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً ولا تَسْرِقُوا ولا تَزْنُوا ولا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ ولا تَأْتُوا بِبُهْتانٍ تَفْتَرُونَهُ مِنْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وأَرْجُلِكُمْ ولا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ ، فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى الله ، ومَنْ أَصابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، ومَنْ أَصابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَى الله، إِنْ شاءَ عَفا عَنْهُ وإِنْ شاءَ عاقَبَهُ) فَبايَعْناهُ عَلَى ذَلِك .

أَمَّا مُبايَعَتُهُ ﷺ جَماعَةً : فَعَنْ يَعْلَىٰ بن شَدَّادٍ قالَ حَدَّثَنِي أَبِي شَدَّادُ ابنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : كُنَّا عِنْدَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقالَ : (هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ - يَعْنِي مِنْ أَهْلِ الكِتاب - فَقُلْنا : لا يا رَسُولَ الله ، فَأَمَرَ

بغَلْقِ الباب ، فَقالَ ارْفَعُوا أَيْدِيكُمْ وقُولُوا : ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، فَرَفَعْنا أَيْدِيَنا وقُلْنَا : ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، ثُمَّ قالَ ﷺ : الحَمْدُ للهِ إنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الكَلِمَةِ وأَمَرْتَنِي بِها ووَعَدْتَنِي عَلَيْها الجَنَّةَ وإنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعادَ، ثُمَّ قالَ ﷺ : أَلا أَبْشِروا فَإِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكُم) .

أَمَّا التَّلْقِينُ الانْفِرادِي : فَإِنَّ عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ سَأَلَ النَّبِيَّ مُحَمَّداً ﷺ بقَوْلِهِ : (يا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي عَلَى أَقْرَبِ الطُّرُقِ إِلَى اللهِ وأَسْهَلِها عَلَى عِبادِهِ وأَفْضَلِها عِنْدَهُ تَعالَى ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : عَلَيْكَ بِمُداوَمَةِ ذِكْرِ اللهِ سِرًّا وجَهْراً ، فَقالَ عَلِيٌّ : كُلُّ النَّاسِ ذاكِرُونَ فَخُصَّنِي بِشَيْءٍ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَفْضَلُ ما قُلْتُهُ أَنا والنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ولَوْ أَنَّ السَّمَواتِ والأَرَضِينَ فِي كِفَّةٍ و ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِمْ كِفَّةُ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ولا تَقُومُ القِيامَةُ وعَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَنْ يَقُولُ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، ثُمَّ قالَ عَلِيٌّ : فَكَيْفَ أَذْكُرُ ؟ قالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَغْمِضْ عَيْنَيْكَ واسْمَعْ مِنِّي ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قُلْها ثَلاثاً وأَنا أَسْمَعُ ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ بِرَفْعِ الصَّوْتِ)[1] .

---

(١) أَخْرَجَهُ البَزَّارُ بِإِسْنادٍ حَسَنٍ .

ومِنْ بَيْعَتِهِ ﷺ فُرادَى : ما أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِيُّ فِي الأَوْسَطِ وأَبُو نُعَيْمٍ والحاكِمُ والبَيْهَقِيُّ وابنُ عَساكِرَ عَنْ بَشِيرِ بنِ الخَصاصِيَّةِ رضي الله عنه قالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لأُبايِعَهُ ، فَقُلْتُ عَلامَ تُبايِعُنِي يا رَسُولَ اللهِ ؟ فَمَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ فَقالَ : (تَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ، وتُصَلِّي الصَّلَواتِ الخَمْسَ لِوَقْتِها ، وتُؤَدِّي الزَّكاةَ المَفْرُوضَةَ ، وتَصُومُ رَمَضانَ ، وتَحُجُّ البَيْتَ ، وتُجاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ) ، قُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ كُلَّا أُطِيقُ إِلَّا اثْنَتَيْنِ فَلا أُطِيقُهُما ، الزَّكاةُ واللهِ ما لِي إِلَّا عَشْرَ ذَوْدٍ هُنَّ رَسْلُ أَهْلِي وحُمُولَتُهُنَّ ، وأَمَّا الجِهادُ فَإِنِّي رَجُلٌ جَبانٌ ويَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ وَلَّى فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ، وأَخافُ إِنْ حَضَرَ القِتالُ أَنْ أَخْشَعَ بِنَفْسِي فَأَفِرَّ فَأَبُوءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ، فَقَبَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ ثُمَّ حَرَّكَها ثُمَّ قالَ : (يا بَشِيرُ لا صَدَقَةَ ولا جِهادَ فَبِمَ تَدْخُلُ الجَنَّةَ ؟) قُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ ابْسُطْ يَدَيْكَ ، فَبَسَطَ يَدَهُ ، فَبايَعْتُهُ عَلَيْهِنَّ .

ورُوِيَ عَنْ جَرِيرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه ، قالَ : قُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ اشْتَرِطْ عَلَيَّ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بالشَّرْطِ ، قالَ ﷺ : (أُبايِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ ولا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ، وتُقِيمَ الصَّلاةَ ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ ، وتَنْصَحَ المُسْلِمَ ،

وتَبْرَأَ مِنَ المُشْرِكِ) .

أَمَّا مُبايَعَتُهُ ﷺ لِلنِّساء : عَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ قالَتْ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ يُبايِعْنَهُ فَقُلْنَ : نُبايِعُكَ يا رَسُولَ اللهِ عَلَى أَنْ لا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئاً ولا نَسْرِقَ ولا نَزْنِيَ ولا نَقْتُلَ أَوْلادَنا ولا نَأْتِيَ بِبُهْتانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينا وأَرْجُلِنا ولا نَعْصِيَكَ فِي مَعْرُوفٍ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (فِيما اسْتَطَعْتُنَّ وأَطَقْتُنَّ) ، فَقُلْنَ : اللهُ ورَسُولُهُ أَرْحَمُ بنا مِنْ أَنْفُسِنا ، هَلُمَّ نُبايِعُكَ يا رَسُولَ اللهِ ، فَقالَ : (إِنِّي لا أُصافِحُ النِّساءَ ، إِنَّما قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لامْرَأَةٍ واحِدَةٍ) [1] .

أَمَّا مُبايَعَتُهُ ﷺ لِلصِّغار : أَخْرَجَ الطَّبَرانِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ مُحَمَّدٍ الباقِرِ ابنِ عَلِيٍّ زَيْنِ العابِدِينَ بنِ الإمامِ الحُسَيْنِ رضي الله عنه : (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بايَعَ الحَسَنَ والحُسَيْنَ وعَبْدَ اللهِ بنَ العَبَّاسِ وعَبْدَ اللهِ بنَ جَعْفَرٍ رضي الله عنهم وهُمْ صِغارٌ ولَمْ يَبْلُغُوا ، ولَمْ يُبايِعْ صَغِيراً إِلَّا مِنَّا) [2] .

سَبَبُ تَسْمِيَتِهِ بـ (أَبِي العَلَمَيْن)

قَدْ مَرَّ بِنا عَنْ شَيْخِهِ أَبِي الفَضْلِ عَلِيٍّ : سَبَبُ تَكْنِيَتِهِ بـ (أَبِي العَلَمَيْن) لإِشارَةٍ فُهِمَ مِنْها المَقْصُود ؛ وذَلِكَ ص (١٠٨) .

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنادٍ حَسَنٍ .

(٢) المُعْجَمُ الكَبِيرُ لِلطَّبَرانِي .

وجاءَ فِي (سَوادِ العَيْنَيْنِ) للرَّافِعِيِّ ما يُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ بِوُضُوحٍ ، ونَصُّ قَوْلِهِ : سَأَلْتُ الشَّيْخَ العارِفَ بِاللهِ رُكْنَ الدِّينِ بنَ نَبْهانَ الشَّيْبانِيَّ عَنْ سَبَبِ اشْتِهارِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الرِّفاعِيِّ بـ (أَبِي العَلَمَيْنِ) ؟ فَقالَ : لأَنَّ عَلَمَ الغَوْثِيَّةِ العُظْمَى ، والقُطْبِيَّةِ الكُبْرَى رُفِعَ لَهُ مَرَّتانِ فِي الأَكْوانِ : وهُوَ أَنَّ الغَوْثَ أَحْمَدَ بنَ خَلَفٍ البَلْخِيَّ الحُسَيْنِيَّ نَزِيلَ بَغْدادَ لَمَّا تُوفِّيَ ، رُفِعَ لِواءُ الغَوْثِيَّةِ للسَّيِّدِ أَحْمَدَ الكَبِيرِ ، فَوَقَفَ فِي بابِ اللهِ ، وتَذَلَّلَ وتَمَلْمَلَ عَلَى عَتَبَةِ جَدِّهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وقالَ : العَفْوَ العَفْوَ !

فَقَبِلَ الحَقُّ مِنْهُ مَقالَهُ ، فَرُفِعَ لِواءُ الغَوْثِيَّةِ إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ الجَيْلانِيِّ وهُوَ فِي صَحراءِ العِراقِ ، ولَهُ مِنَ العُمُرِ خَمْسٌ وثَمانُونَ سَنَةً ، وتُوفِّيَ رضي الله عنه فِي بَغْدادَ سَنَةَ إِحْدَى وسِتِّينَ وخَمْسِ مِئَةٍ ، عَنْ إِحْدَى وتِسْعِينَ سَنَةً .

فَرُفِعَ عَلَمُ الغَوْثِيَّةِ والقُطْبِيَّةِ مَرَّةً ثانِيَةً للسَّيِّدِ أَحْمَدَ الرِّفاعِي ، فَوَقَفَ عَلَى البابِ ، فَأَحاطَ بِهِ النِّداءُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ يَقُولُ لَهُ : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ ؛ فَلَزِمَ البابَ مُمْتَثِلاً ، وامْتَدَّتْ مُدَّةُ غَوْثِيَّتِهِ الثَّانِيَةُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً وأَشْهُراً عَلَى الصَّحِيحِ .

فَلِهَذا اشْتُهِرَ بَيْنَ أَوْلِياءِ اللهِ فِي الكَوْنَيْنِ بـ (أَبِي العَلَمَيْنِ) .

أَقْوالُ وحِكَمُ الإمام مِنْ مِشْكاةِ جَدِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام

الزُّهْدُ أَوَّلُ قَدَم القاصِدِينَ إلَى الله : أَيْ سادَةُ[1] ! الزُّهْدُ .. أَوَّلُ قَدَمِ القاصِدِينَ إلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وأَساسُهُ التَّقْوَى ، وهِيَ : خَوْفُ اللهِ رَأْسُ الحِكْمَةِ ، وجِماعُ كُلِّ ذَلِكَ حُسْنُ مُتابَعَةِ إمامِ الأَرْواحِ والأَشْباحِ السَّيِّدِ المُكَرَّم ﷺ .

وأَوَّلُ طَرِيقِ المُتابَعَةِ حُسْنُ القُدْوَةِ عَمَلاً بِحَدِيثِ : (إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيَّات)، أَلا تَرَوْنَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَيْفَ قالَ لِرَجُلٍ قالَ لَهُ : يا رَسُولَ اللهِ ! رَجُلٌ يُرِيدُ الجِهادَ ، وهُوَ يَبْتَغِي عَرَضاً مِنَ الدُّنْيا ؟ فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (لا أَجْرَ لَهُ)، فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسُ ! فَقالُوا لِلرَّجُل : عُدْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفْهِمْهُ ، فَقالَ الرَّجُلُ : يا رَسُولَ اللهِ ! رَجُلٌ يُرِيدُ الجِهادَ فِي سَبِيلِ الله ، وهُوَ يُرِيدُ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيا ؟ قالَ : (لا أَجْرَ لَهُ)، فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسُ ، وقالُوا: عُدْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقالَ الثَّالِثَةَ : رَجُلٌ يُرِيدُ الجِهادَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وهُوَ يَبْتَغِي مِنْ عَرَضِ الدُّنْيا ؟ فَقال ﷺ : (لا أَجْرَ لَهُ) [2] .

---

(١) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أُمِّنا السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها قَوْلُهُ ﷺ لأُمِّنا السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها : (.... أَيْ خَدِيجَةُ ! ما لِي ؟) ، أَي يا خَدِيجَةُ ما لِي .
وفِي البُخارِي ومُسْلِم : (أَقْبِلْ أَي سَعْدُ ....) أَيْ : تَعالَ يا سَعْدُ .
(٢) أَخْرَجَهُ أبو داوُد .

طَلَبُ اللهِ بالقَلْبِ مَعَ الإِخْلاصِ حالَةَ ذِكْرِهِ : أَي سادَة ! اُطْلُبُوا اللَّهَ بِقُلُوبِكُمْ ، هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ ، أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً . (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) (١) ، إذا قُلْتُمْ : ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، فَقُولُوها بِالإِخْلاصِ الخالِصِ مِنَ الغَيْرِيَّةِ ، ومِنْ خُطُوراتِ التَّشْبيهِ والكَيْفِيَّةِ ، والتَّحْتِيَّةِ والفَوْقِيَّةِ ، والبُعْدِيَّةِ والقُرْبِيَّةِ ، وخُذُوا نَتائِجَ الأَعْمالِ بِخالِصِ النِّيَّةِ ؛ فَقَدْ قالَ سَيِّدُ البَرِيَّةِ ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلام والتَّحِيَّةِ : (إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيَّاتِ ، وإِنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوى ، فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ ورَسُولِهِ ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ ورَسُولِهِ ، ومَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى دُنْيا يُصِيبُها ، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُها ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى ما هاجَرَ إِلَيْهِ) (٢) .

نَتائِجُ العَمَلِ تَحْسُنُ وتَقْبُحُ بِالنِّيَّةِ : فَمِنْ هَذا ومِثْلِهِ عَلِمْنا : أَنَّ نَتائِجَ العَمَلِ تَحْسُنُ وتَقْبُحُ بِالنِّيَّةِ ؛ فَعامِلُوا اللَّهَ بِحُسْنِ النِّيَّاتِ ، واتَّقُوهُ فِي الحَرَكاتِ والسَّكَناتِ .

كُونوا مَعَ الشَّرْعِ ظاهِراً وباطِناً : أَيْ سادَة ! كُونُوا مَعَ الشَّرْعِ فِي آدابِكُمْ كُلِّها ، ظاهِراً وباطِناً ؛ فَإِنَّ مَنْ كانَ مَعَ الشَّرْعِ ظاهِراً وباطِناً ، كانَ اللَّهُ حَظَّهُ ونَصِيبَهُ ، ومَنْ كانَ اللهُ حَظَّهُ ونَصِيبَهُ ، كانَ مِنْ أَهْلِ

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِم .　(٢) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ ، ومُسْلِم .

﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ .

الذُّنُوبُ تُعْمِي القُلُوبَ : واعْلَمُوا : أَنَّ الذُّنُوبَ تُعْمِي القُلُوبَ ، وتُسَوِّدُها ، وتَسُؤُها ، وتُمْرِضُها .

مَكْتُوبٌ فِي التَّوْراةِ : (فِي كُلِّ قَلْبٍ مُؤْمِنٍ : نائِحَةٌ تَنُوحُ عَلَيْهِ ، وفِي كُلِّ قَلْبِ مُنافِقٍ مُغَنٍّ يُغَنِّي ، وفِي قَلْبِ العارِفِ مَوْضِعٌ لا يَسُرُّهُ أَبَداً ، وفِي قَلْبِ المُنافِقِ مَوْضِعٌ لا يَغُمُّهُ أَبَداً) .

أَقْرَبُ الطُّرُقِ وأَوْضَحُها العَمَلُ بالسُّنَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ : بَذَلْتُ نَفْسِي ، ولَمْ أَتْرُكْ طَرِيقاً إِلَّا سَلَكْتُهُ ، وعَرَفْتُ صِحَّتَهُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ والمُجاهَدَةِ ، فَلَمْ أَجِدْ أَقْرَبَ وأَوْضَحَ وأَحَبَّ مِنَ العَمَلِ بِالسُّنَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ ، والتَّخَلُّقِ بِخُلُقِ أَهْلِ الذُّلِّ والانْكِسارِ ، والحَيْرَةِ والافْتِقارِ .

كانَ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ ، سَيِّدُنا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَقُولُ : الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلِ الوُصُولَ إِلَيْهِ إِلَّا بِالعَجْزِ ، والعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الإِدْراكِ إِدْراكٌ .

رُوِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعالَى ، قالَ لِسَيِّدِنا مُوسَىٰ عليه السلام : (يا مُوسَىٰ ! ائْتِنِي بِما لَيْسَ فِي خَزائِنِي) ، قالَ : يا رَبِّ ! أَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ ، وأَيُّ شَيْءٍ نَقَصَتْ خَزائِنُكَ ؟!

فَقالَ : (يا مُوسَىٰ ! اعْلَمْ أَنَّ خَزائِنِي مَمْلُوءَةٌ كِبْرِياءً وعِزًّا وجَلالاً

وجَبَرُوتاً ، ولَكِن ائتِنِي بِالذُّلِّ والانْكِسارِ والمَسْكَنَةِ ، فَأَنا عِنْدَ المُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي ، يا مُوسَىٰ ! ما تَقَرَّبَ المُتَقَرِّبُونَ إِلَىَّ بِأَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ) .

مُلتَفِتٌ لا يَصِلُ : أَيْ سادَة ! مِنَ الخَشْيَةِ تَكُونُ المُحاسَبَةُ ، ومِنَ المُحاسَبَةِ تَكُونُ المُراقَبَةُ ، ومِنَ المُراقَبَةِ يَكُونُ دَوامُ الشُّغْلِ بِاللّٰهِ ، فَإِنَّ أَغْبَطَ النَّاسِ فِي زَمانِنا ؛ مُؤْمِنٌ عَرَفَ زَمانَهُ ، وحَفِظَ لِسانَهُ ، ولَزِمَ شَأْنَهُ ، وكانَ مِنَ الصَّالِحِين .

قُلْتُ لِسَيِّدِي عَبْدِ المَلِكِ الخَرْنُوتِيِّ - قَدَّسَ اللّٰهُ سِرَّهُ : أَوْصِنِي ، قالَ لِي : يا أَحْمَدُ ، مُلْتَفِتٌ لا يَصِلُ ، ومُشَكِّكٌ لا يُفْلِحُ ، ومَنْ لَمْ يَعْرِفْ مِنْ نَفْسِهِ النُّقْصانَ ، فَكُلُّ أَوْقاتِهِ نُقْصان .

فَبَقِيتُ سَنَةً أُرَدِّدُ وَصِيَّةَ الشَّيْخِ ، وما يَخْطُرُ لِي خاطِرٌ إِلَّا أَذْكُرُها ، فَيَزُولُ عَنِّي ، ثُمَّ إِنِّي زُرْتُهُ فِي السَّنَةِ الأُخْرَى ، ولَمَّا أَرَدْتُ الخُرُوجَ مِنْ عِنْدِهِ ، قُلْتُ لَهُ : أَيْ سَيِّدِي ، أَوْصِنِي ، فَقالَ لِي : يا أَحْمَدُ ، ما أَقْبَحَ العِلَّةَ بِالأَطِبَّاءِ ، والجَهْلَ بِالأَلِبَّاءِ ، والجَفاءَ بِالأَحِبَّاءِ [1] .

فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وصِرْتُ أُرَدِّدُها سَنَةً عَلَى نَفْسِي ، وانْتَفَعْتُ بِهِ وبِوَصِيَّتِهِ .

---

(١) الأَلِبَّاءُ : جَمْعُ لَبِيبٍ وهُوَ العاقِلُ (مادَّةُ : لَبَبَ) ، والأَحِبَّاءُ : جَمْعُ حَبِيبٍ (مادَّةُ : حَبَبَ) .

حَثُّهُ عَلَى الاقْتِداءِ بِالقُرْآنِ واتِّباعِ السَّلَفِ ونَفْيُهُ عَنْ نَفْسِهِ ادِّعاءَ المَشْيَخَة : يا فَقِيرُ[1] ، اقْتَدِ بِالقُرْآنِ المَجِيدِ ، اتَّبِعْ آثارَ السَّلَفِ . ايش أَنا ، حَتَّى أَدْعُوَ لَكَ ؟! ما مَثَلِي إِلَّا كَمَثَلِ نامُوسَةٍ عَلَى الحائِطِ لا قَدْرَ لَها .

حُشِرْتُ مَعَ فِرْعَوْنَ وهامانَ وقارُونَ ، وأَخَذَنِي ما أَخَذَهُمْ ، إِنْ كانَ خَطَرَ لِي فِي سِرِّي أَنِّي شَيْخُ هَذا الجَمْعِ ، أَوْ مُقَدَّمُهُمْ ، أَوْ مَنْ يَحْكُمُ عَلَيْهِمْ ، أَوْ ثَبَتَ عِنْدِي : أَنِّي فَقِيرٌ مِنْهُمْ ! وكَيْفَ تَدْعُوهُ نَفْسُهُ إِلَى ذَلِكَ ، مَنْ هُوَ لا شَيْءَ ، ولا يَصْلُحُ لِشَيْءٍ ، ولا يُعَدُّ بِشَيْءٍ ؟!

العارِفُ عَظِيمُ السِّياسَةِ لِنَفْسِهِ : العالِمُ العارِفُ عَظِيمُ السِّياسَةِ لِنَفْسِهِ بِالمَخافَةِ مِنَ اللهِ ، والمُراقَبَةِ لَهُ ، وإِذا أَرادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلامٍ اعْتَبَرَهُ قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ فِيهِ ، فَإِنْ رَأَى فِيهِ صَلاحاً أَخْرَجَهُ ، وإِلَّا ضَمَّ فَمَهُ عَلَيْهِ ؛ لِما جاءَتْ بِهِ الرِّواياتُ : (لِسانُكَ أَسَدُكَ ، إِنْ حَرَسْتَهُ حَرَسَكَ ، وإِنْ أَطْلَقْتَهُ رَفَسَكَ) .

العارِفُ كَلامُهُ يُنَقِّي الصَّدأَ : العارِفُ كَلامُهُ يُنَقِّي الصَّدَى ، وصَمْتُهُ

---

(١) لَيْسَ الفَقِيرُ مَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ ؛ بَلِ الفَقِيرُ الَّذِي لَهُ أَمْرٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِذا قالَ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُون . ودَرَجَ اسْتِخْدامُهُ بَيْنَ القَوْمِ تَعْبِيراً عَنِ المُلْتَزِمِ لِطَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ بِاسْتِقامَةٍ وأَدَبٍ .

يَصْرِفُ الرَّدَىٰ ، يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ لأَهْلِهِ ، ويَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وفِعْلِهِ ؛ قالَ تَعالَى : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ .

القَرِيبُ خائِفٌ : مَنْ عَرَفَ اللهَ .. زادَ أَدَبُهُ مَعَهُ .

مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللهِ .. عَظُمَ خَوْفُهُ مِنَ اللهِ .

أَخْبَرَنِي القاضِي المُقْرِئُ الإِمامُ الصَّالِحُ سَيِّدِي عَلِيٌّ أَبو الفَضْلِ الواسِطِيُّ ، بِسَنَدِهِ إِلَى الخَطِيبِ البَغْدادِيِّ ، يُسَلْسِلُهُ إِلَى أَبِي الجارُودِ العَبْسِيِّ : أَنَّ جابِرَ بنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، قالَ : بَلَغَنِي حَدِيثٌ فِي القِصاصِ ، وكانَ صاحِبُ الحَدِيثِ بِمِصْرَ ، فاشْتَرَيْتُ بَعِيراً ، وشَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلاً ، ثُمَّ سِرْتُ شَهْراً ، حَتَّى وَرَدْتُ مِصْرَ ، فَسَأَلْتُ عَنْ صاحِبِ الحَدِيثِ ، فَدُلِلْتُ عَلَيْهِ ، فَإِذا هُوَ بابٌ لاطٌّ[1] ، فَقَرَعْتُ البابَ ، فَخَرَجَ إِلَيَّ مَمْلُوكٌ أَسْوَدُ ، فَقُلْتُ : هاهُنا أَبو فُلانٍ ؟ فَسَكَتَ عَنِّي ، فَدَخَلَ فَقالَ لِمَوْلاهُ : بِالبابِ أَعْرابِيٌّ يَطْلُبُكَ ، فَقالَ : اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ : أَنا جابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ ، صاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ : فَخَرَجَ إِلَيَّ ، فَرَحَّبَ بِي ، وأَخَذَ بِيَدِي ، ثُمَّ قالَ لِي : مِنْ

(١) أَيْ : مُغْلَقٌ ، يُقالُ : لَطَّ البابَ لَطًّا : أَغْلَقَهُ ، ولَطَطْتُ الشَّيْءَ : أَلْصَقْتُهُ .

أَيْنَ ؟ أمِنْ أَهْلِ العِراقِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ! بَلَغَنِي حَديثٌ فِي القِصاصِ ، ولا أَعْلَمُ أَحداً مِمَّنْ بَقِيَ أَحْفَظُ لَهُ مِنْكَ ، فَقالَ أَجَلْ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : (إِنَّ اللهَ يَبْعَثُكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً ، وهُوَ - عَزَّ وجَلَّ - قائِمٌ عَلَى عَرْشِهِ ، يُنادِي بِصَوْتٍ لَهُ رَفِيعٍ غَيْرِ فَظِيعٍ ، يُسْمِعُ البَعِيدَ كَما يُسْمِعُ القَرِيبَ ، يَقُولُ : أَنا الدَّيَّانُ لا ظُلْمَ عِنْدِي ، وعِزَّتِي وجَلالِي ، لا يُجاوِزُنِي اليَوْمَ ظُلْمُ ظالِمٍ ولَوْ بِلَطْمَةٍ بِكَفٍّ ، ولَوْ ضَرْبَةَ يَدٍ عَلَى يَدٍ ، ولأَقْتَصَّنَّ لِلْجَمَّاءِ[1] مِنَ القَرْناءِ ، ولأَسْأَلَنَّ الحَجَرَ لِمَ نَكَبَ الحَجَرَ [2] ، ولأَسْأَلَنَّ العُودَ لِمَ خَدَشَ صاحِبَهُ .

فِي ذَلِكَ أُنْزِلَ عَلَيَّ : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ .

ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (إِنَّ أَخْوَفَ ما أَخافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ، عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ ، أَلا فَلْيَرْتَقِبْ أُمَّتِي العَذابَ إِذا كافَأَ الرِّجالُ بِالرِّجالِ والنِّساءُ بِالنِّساءِ) .

هَذا الحَدِيثُ : أَظْهَرَ ما للهِ مِنَ العَدْلِ بِإِثْباتِ القِصاصِ فِيمَنْ لَيْسَ بِمُكَلَّفٍ كالبهائِمِ وغَيْرِها ، وأَطْلَقَ القَوْلَ عَلَيْهِ - عَزَّ وجَلَّ - بِالقِيامِ

---

(١) الجَمَّاءُ : الَّتِي لا قَرْنَ لَها .
(٢) أَيْ : لِمَ مالَ عَلَيْهِ .

عَلَى العَرْشِ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ ولا تَمْثِيلٍ ، وأَثْبَتَ الوَعِيدَ فِي اللِّواطِ والسِّحاقِ .

وُجُوبُ تَعْظِيمِ النَّبِيِّ ﷺ : أَي سادَة ، عَظِّمُوا شَأْنَ نَبِيِّكُمْ ، هُوَ البَرْزَخُ الوَسَطُ الفارِقُ بَيْنَ الخَلْقِ والحَقِّ : عَبْدُ اللهِ ، حَبِيبُ اللهِ ، رَسُولُ اللهِ ، أَكْمَلُ خَلْقِ اللهِ ، أَفْضَلُ رُسُلِ اللهِ ، الدَّالُّ عَلَى اللهِ ، الدَّاعِي إِلَى اللهِ ، المُخْبِرُ عَنِ اللهِ ، الآخِذُ مِنَ اللهِ ، بابُ الكُلِّ إِلَى الحَضِيرَةِ الرَّحْمانِيَّةِ ، وَسِيلَةُ الكُلِّ إِلَى الحَضِيرَةِ الصَّمَدانِيَّةِ ؛ مَنِ اتَّصَلَ بِهِ اتَّصَلَ ، ومَنِ انْفَصَلَ عَنْهُ انْفَصَلَ ، قالَ عَلَيْهِ صَلَواتُ اللهِ وتَسْلِيماتُهُ : (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَواهُ تَبَعاً لِما جِئْتُ بِهِ) .

نُبُوَّةُ النَّبِيِّ ﷺ باقِيَةٌ بَعْدَ وَفاتِهِ : أَي سادَة ، اعْلَمُوا أَنَّ نُبُوَّةَ نَبِيِّنا ﷺ باقِيَةٌ بَعْدَ وَفاتِهِ ، كَبَقائِها حالَ حَياتِهِ ، إِلَى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ ومَنْ عَلَيْها ، وجَمِيعُ الخَلْقِ مُخاطَبُونَ بِشَرِيعَتِهِ النَّاسِخَةِ لِجَمِيعِ الشَّرائِعِ ، ومُعْجِزَتُهُ باقِيَةٌ ، وهِيَ القُرْآنُ ، قالَ تَعالَى : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ .

حُكْمُ مَنْ رَدَّ أَخْبارَهُ الصَّادِقَةَ : أَي سادَة ، مَنْ رَدَّ أَخْبارَهُ الصَّادِقَةَ كَمَنْ رَدَّ كَلامَ اللهِ تَعالَى .

آمَنَّا باللهِ ، وبِكِتابِ اللهِ ، وبِكُلِّ ما جاءَ بِهِ نَبِيُّنا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ قالَ تَعالَى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ .

أَفْضَلُ الصَّحابَةِ عَلَى التَّرْتِيب :

أَفْضَلُ الصَّحابَةِ : سَيِّدُنا أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه ، ثُمَّ سَيِّدُنا عُمَرُ الفارُوقُ رضي الله عنه ، ثُمَّ سَيِّدُنا عُثْمانُ ذُو النُّورَيْنِ رضي الله عنه ، ثُمَّ سَيِّدُنا عَلِيٌّ المُرْتَضَى رضي الله عنه وكَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ .

الصَّحابَةُ كُلُّهُمْ عَلَى هُدًى : والصَّحابَةُ رضي الله عنهم كُلُّهُمْ عَلَى هُدًى ، رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ : (أَصْحابِي كالنُّجُومِ ، بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ) .

وُجُوبُ الإِمْساكِ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ : يَجِبُ الإِمْساكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، وذِكْرُ مَحاسِنِهِمْ ، ومَحَبَّتُهُمْ ، والثَّناءُ عَلَيْهِمْ رضي الله عنهم أَجْمَعِين .

فَأَحِبُّوهُمْ ، وتَبَرَّكُوا بِذِكْرِهِمْ ، واعْمَلُوا عَلَى التَّخَلُّقِ بِأَخْلاقِهِمْ ، قالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَصْحابِهِ : (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ ، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ ، وإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ ، فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْها بِالنَّواجِذِ) .

تَنْوِيرُ القَلْبِ لا يَكُونُ إِلَّا بِمَحَبَّةِ آلِهِ : ونَوِّرُوا كُلَّ قَلْبٍ مِنْ قُلُوبِكُمْ بِمَحَبَّةِ آلِهِ الكِرامِ ، عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، فَهُمْ أَنْوارُ الوُجُودِ اللَّامِعَةُ ، وشُمُوسُ السُّعُودِ الطَّالِعَةُ ، قالَ تَعالَى : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ، وقالَ ﷺ : (اللّهَ اللّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي) [1] .

مَنْ أَرادَ اللّهُ بِهِ خَيْراً أَلْزَمَهُ وَصِيَّةَ نَبِيِّهِ فِي آلِهِ ؛ فَأَحَبَّهُمْ ، واعْتَنَى بِشَأْنِهِمْ ، وعَظَّمَهُمْ ، وحَماهُمْ ، وصانَ حِماهُمْ ، وكانَ لَهُمْ مُراعِياً ، ولِحُقُوقِ رَسُولِهِ فِيهِمْ راعِياً ، (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) [2] .

ومَنْ أَحَبَّ اللّهَ أَحَبَّ رَسُولَ اللّهِ ، ومَنْ أَحَبَّ رَسُولَ اللّهِ أَحَبَّ آلَ رَسُولِ اللّهِ ؛ ومَنْ أَحَبَّهُمْ كانَ مَعَهُمْ ، وهُمْ مَعَ أَبِيهِمْ ﷺ .

قَدِّمُوهُمْ عَلَيْكُمْ ، ولا تَقَدَّمُوهُمْ ، وأَعِينُوهُمْ وأَكْرِمُوهُمْ ، يَعُدْ خَيْرُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ .

وُجُوبُ صُحْبَةِ الصَّالِحِينَ : الْصَقُوا بِأَوْلِياءِ اللّهِ : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ .

الوَلِيُّ : مَنْ وادَّ اللّهَ ، وآمَنَ بِهِ واتَّقاهُ ، فَلا تُحادُّوا مَنْ وادَّ اللّهَ ، جاءَ

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وأَحْمَدُ عَنْ زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه مَرْفُوعاً بِلَفْظِ : (أُذَكِّرُكُمُ اللّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي) ثَلاثاً .
(٢) صَحِيحُ البُخارِيِ ومُسْلِمٍ .

فِي بَعْضِ الكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ : (مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ)[1].

انْتِقامُ اللّهِ لِمَنْ يُؤْذِي أَوْلِياءَهُ : اللّهُ يَغارُ لأَوْلِيائِهِ ، يَنْتَقِمُ لَهُمْ مِمَّنْ يُؤْذِيهِمْ ، ويُكْرِمُهُمْ بِصَوْنِ مُحِبِّيهِمْ وعَوْنِ مَنْ يَلُوذُ بِهِمْ ؛ هُمْ أَخَصُّ المُخاطَبِينَ بِآيَةِ : ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾.

عَلَيْكُمْ بِمَحَبَّتِهِمْ والتَّقَرُّبِ إِلَيْهِمْ ، تَحْصُلُ لَكُمْ بِهِمُ البَرَكَةُ .

كُونُوا مَعَهُمْ : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وُجُوبُ ذِكْرِ الأَوْلِياءِ بِخَيْرٍ وعَدَمُ المُفاضَلَةِ بَيْنَهُمْ : اذْكُرُوا الأَوْلِياءَ بِخَيْرٍ ، إِيَّاكُمْ وتَفْضِيلَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، رَفَعَ اللّهُ تَعالَى بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ دَرَجاتٍ ، لَكِنْ لا يَعْرِفُها غَيْرُهُ ، ومَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ .

سَماعُ القَوْمِ ومَجالِسُ إِنْشادِهِمْ (الحَضْرَة) : القَوْمُ سَمِعُوا وطابُوا ، ولَكِنَّهُمْ سَمِعُوا أَحْسَنَ القَوْلِ فاتَّبَعُوهُ ، وسَمِعُوا غَيْرَ الحَسَنِ فاجْتَنَبُوهُ . تَحَلَّقُوا ، وفَتَحُوا مَجالِسَ الذِّكْرِ ، وتَواجَدُوا ، وطابَتْ نُفُوسُهُمْ ، وصَعِدَتْ أَرْواحُهُمْ .

لاحَتْ عَلَيْهِمْ بَوارِقُ الإِخْلاصِ حالَةَ ذِكْرِهِمْ وسَماعِهِمْ .

تَرَى أَنَّ أَحَدَهُمْ كالغائِبِ عَلَى حالِ الحاضِرِ ، كالحاضِرِ عَلَى حالِ

---

(١) فِي رِوايَةِ البُخارِي بِلَفْظِ : (مَنْ عادَى) .

الغائِبِ ، يَهْتَزُّونَ اهْتِزازَ الأَغْصانِ الَّتِي تَحَرَّكَتْ بِالوارِدِ ، لا بِنَفْسِها .
يَقُولُونَ : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، ولا تَشْتَغِلُ قُلُوبُهُمْ بِسِواهُ .
يَقُولُونَ : اللهُ ، ولا يَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ .
يَقُولُونَ : هُو ، وبِهِ لا بِغَيْرِهِ يَتَباهُونَ .
إِذا غَنَّاهُمُ الحادِي ، يَسْمَعُونَ مِنْهُ التِّذْكارَ ، فَتَعْلُو هِمَّتُهُمْ فِي الأَذْكارِ .

ما الَّذِي أَوْجَبَ أَنْ يُذْكَرَ الصَّالِحُونَ فِي مَجالِسِ الذِّكْرِ ؟

لَكَ أَنْ تَقُولَ يا أَخِي : الذِّكْرُ عِبادَةٌ ، فَما الَّذِي أَوْجَبَ أَنْ يُذْكَرَ فِي حَلْقَتِهِ كَلامُ العاشِقِينَ ، وأَسْماءُ الصَّالِحِينَ ؟!

ولَكِنْ يُقالُ لَكَ : الصَّلاةُ أَجَلُّ العِباداتِ ، يُتْلَى فِيها كَلامُ اللهِ ، وفِيهِ الوَعْدُ والوَعِيدُ ، ويُقالُ فِي تَحِيَّةِ الصَّلاةِ : السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها النَّبِيُّ ورَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ ، السَّلامُ عَلَيْنا وعَلَى عِبادِ اللهِ الصَّالِحِين .

ما أَشْرَكَ المُصَلِّي ، ولا خَرَجَ عَنْ بِساطِ عِبادَتِهِ ، ولا عَنْ حَدِّ عُبُودِيَّتِهِ ، وكَذَلِكَ الذَّاكِرُ ، سَمِعَ الحادِيَ يَذْكُرُ اللِّقاءَ ، فَطابَ بِطَلَبِ لِقاءِ رَبِّهِ : (مَنْ أَحَبَّ لِقاءَ اللهِ ، أَحَبَّ اللهُ لِقاءَهُ) [1] .

سَمِعَ الحادِيَ يَذْكُرُ الصَّالِحِينَ ، فَتَقَرَّبَ بِحُبِّ أَحْبابِ اللهِ إِلَى اللهِ ؛

---

(١) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .

هَذِهِ مِنَ الطُّرُقِ الَّتِي بِعَدَدِ أَنْفاسِ الخَلائِقِ إِلَى اللَّهِ :

غَنَّىٰ بِهِمْ حادِي الْأَحِبَّةِ فِي الدُّجَىٰ
فَأَطـارَ مِنْـهُمْ أَنْفُـساً وقُـلُوبا
فَأَرادَ مَقْـطُوعُ الْجَـناحِ بُثَـيْنَةً
وهُـمُو أَرادُوا الْـواحِـدَ الْمَطْلُوبا

العارِفُ يَأْخُذُ حِصَّةَ السَّماعِ ويُفِيضُها عَلَى أَهْلِ المَجْلِسِ :

وعَلَى المُرْشِدِ العارِفِ : أَنْ يَأْخُذَ مِنَ السَّماعِ الحِصَّةَ اللَّازِمَةَ ، ويُفِيضَها عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ حَضْرَتِهِ ، بِإِذْنِ اللَّهِ وقُدْرَتِهِ ، فَإِنَّ الحالَ يَسْرِي كَسَرَيانِ الرَّائِحَةِ فِي المَشامِّ ، ونُقْطَةُ الإِخْلاصِ إِكْسِيرٌ .

الرَّجُلُ مَنْ يُرَبِّي بِحالِهِ : الرَّجُلُ مَنْ يُرَبِّي بِحالِهِ لا مَنْ يُرَبِّي بِمَقالِهِ ، وإِذا جَمَعَ بَيْنَ الحالِ والقالِ ، فَهُوَ الرَّجُلُ الأَكْمَلُ .

تَحْذِيرُهُ مِنَ الدَّجَلِ فِي الطَّرِيقِ وأَنَّهُ واضِحٌ :

أَي سادَة ، إِيَّاكُمْ والدَّجَّالِيَّةَ ، إِيَّاكُمْ والشَّيْطانِيَّةَ ، إِيَّاكُمْ والطُّرُقَ الَّتِي تَقُودُ إِلَى كِلا الوَصْفَيْنِ .

أَخْجِلُوا الشَّيْطانَ بِخالِصِ الإِيمانِ ، خَرِّبُوا بَيْعَ الدَّجَلِ بِيَدِ الصِّدْقِ .

الطَّرِيقُ واضِحٌ : صَلاةٌ ، وصَوْمٌ ، وحَجٌّ ، وزَكاةٌ ، والتَّوْحِيدُ والشَّهادَةُ

بِرسالَةِ الرَّسُولِ ﷺ أَوَّلُ الأَرْكانِ ، واجْتِنابُ المُحَرَّماتِ حالُ المُؤْمِنِ مَعَ اللّهِ ؛ وهَذا هُوَ الطَّرِيقُ .

أَدَبُ الذِّكْرِ وحالُ العارِفِ مَعَ اللّه : ومِنْ حالِ المُؤْمِنِ مَعَ اللّهِ أَيْضاً ؛ ذِكْرُ اللّهِ تَعالَى كَثِيراً ، ومِنْ أَدَبِ الذِّكْرِ : صِدْقُ العَزِيمَةِ ، وكَمالُ الخُضُوعِ والانْكِسارِ ، والانْخِلاعُ عَنِ الأَطْوارِ ، والوُقُوفُ عَلَى قَدَمِ العُبُودِيَّةِ بِالتَّمَكُّنِ الخالِصِ ، والتَّدَرُّعُ بِدِرْعِ الجَلال ؛ حَتَّى إِذا رَأَى الذَّاكِرَ رَجُلٌ كافِرٌ أَيْقَنَ أَنَّهُ يَذْكُرُ اللّهَ بِصِدْقِ التَّجَرُّدِ عَنْ غَيْرِهِ ، وكُلُّ مَنْ رَآهُ هابَهُ ، وسَقَطَ مِنْ بَوارِقِ هَيْبَتِهِ عَلَى قَلْبِ الرَّائِي ، ما يَجْعَلُ هَشِيمَ خَواطِرِهِ هَباءً مَنْثُوراً .

أَدَبُ الذِّكْرِ وحالُ العامَّةِ حالَةَ ذِكْرِهِمْ : وإِذا كانَ الأَمْرُ عَلَى غَيْرِ هَذا المِنْوالِ ؛ فَأَحْسَنُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى العامَّةِ : التَّمَكُّنُ ، وضَبْطُ القَوْلِ ، وجَمْعُ الأَدَبِ الباطِنِيِّ والظَّاهِرِيِّ مَهْما أَمْكَنَ ، وكَفُّ الطَّرْفِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى أَحَدٍ .

الغَفْلَةُ عَنِ اللّهِ تَطْمِسُ وُجُوهَ الحَقائِق : إِذا طُبِعَتْ مِرْآةُ بَصِيرَةِ القَلْبِ بِتَراكُمِ صَدَأِ الغَفْلَةِ عَنِ الرَّبِّ تَوارَتْ وُجُوهُ الحَقائِقِ عَنْ بَواطِنِ الأَفْهامِ ، وامْتَنَعَ عَنْها إِنْفاذُ نُورِ الإِلْهامِ ، فَأَظْلَمَ وَجْهُ البَيانِ بِتَصاعُدِ

أَبْخِرَةِ الخَيالاتِ وغَماماتِ الأَوْهام .

ما يُغْنِي الشَّمْسُ عَنِ المَكْفُوفِ مَعَ كَمالِ إِشْراقِها ، وما لَهُ عُيُونٌ تَقْبَلُ مِنْهُ نُورَها وبُرْهانَها ؟!

وما يُجْدِي فَرْطُ الإِشْراقِ مَعَ ضَعْفِ الأَحْداقِ ؟!

نَحْنُ فِي مَوْقِفِ إِشْراقِ شَمْسِ القُدْرَةِ وعُيُونُ أَفْهامِنا ضَعِيفَةٌ ، وبِغَماماتِ الغَفْلَةِ مُحْتَجِبَةٌ ؛ فَما لَنا عُيُونٌ تَصْلُحُ لِرُؤْيَةِ ذَلِكَ الجَمالِ ، ولا قُلُوبٌ تَحْمِلُ مَهابَةَ تِلْكَ العَظَمَةِ وعِزَّةَ ذَلِكَ الجَلالِ .

قِيمَةُ الوَقْتِ عِنْدَ الإِمامِ الرِّفاعِي : أَي سادَة ، لا تُضَيِّعُوا أَوْقاتَكُمْ بِما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ راحَةٌ ؛ فَما مَضَى مِنْكُمْ نَفَسٌ إِلَّا وهُوَ مَعْدُودٌ عَلَيْكُمْ .

إِيَّاكُمْ وما تَغْتَرُّونَ بِهِ ، واحْفَظُوا أَوْقاتَكُمْ وقُلُوبَكُمْ ؛ فَإِنَّ أَعَزَّ الأَشْياءِ الوَقْتُ والقَلْبُ ، فَإِذا أَهْمَلْتُمُ الوَقْتَ وضَيَّعْتُمُ القَلْبَ فَقَدْ ذَهَبَتْ مِنْكُمُ الفَوائِدُ .

التَّحْقِيقُ فِي وَجْدِ الفُقَراءِ حالَةَ الذِّكْرِ : أَيْ سادَة ، أَنْتُمْ تَذْكُرُونَ اللهَ فِي هَذا الرِّواقِ[1] ، وتَتَواجَدُونَ وتَهْتَزُّونَ ، فَيَقُولُ الفُقَهاءُ المَحْجُوبُونَ : رَقَصَ الفُقَراءُ ، ويَقُولُ العارِفُونَ : رَقَصَ الفُقَراءُ .

---

(١) الرِّواق : مُقَدَّمُ البَيْتِ والفُسْطاط ؛ مادَّةُ : رَوَقَ .

فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ وَجْدُهُ كاذِباً وقَصْدُهُ فاسِداً وذِكْرُهُ مِنَ اللِّسانِ مَعَ طَمَحِ الطَّرْفِ إِلَى الأَغْيارِ فَهُوَ رَقَّاصٌ كَما قالَ الفُقَهاءُ وصَدَقَ عَلَيْهِ ما قالُوا .

ومَنْ كانَ مِنْكُمْ وَجْدُهُ صادِقاً وقَصْدُهُ صالِحاً ، عَمَلاً بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ ، وكانَ مِنَ الَّذِينَ إِذا سَمِعُوا القَوْلَ قَصَدُوا المُرادَ مِنَ القَوْلِ ، وهُوَ : الإِجابَةُ لِداعِي اللهِ فِي الأَزَلِ ، كَما قالَ تَعالَى فِيهِمْ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ ؛ فَسَمِعَ بِلا حَدٍّ ولا رَسْمٍ ولا صِفَةٍ ، فَثَبَتَتْ حَلاوَةُ السَّماعِ فِيهِمْ .

فَإِنَّهُ لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعالَى آدَمَ عليه السلام وكَوَّنَهُ وأَظْهَرَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَى الدُّنْيا ظَهَرَ ذَلِكَ السِّرُّ المَصُونُ المَكْنُونُ فِيهِمْ ؛ فَإِذا سَمِعُوا نَغَمَةً طَيِّبَةً وقَوْلاً حَسَناً طارَتْ هِمَمُهُمْ إِلَى الأَصْلِ الَّذِي سَمِعُوهُ مِنْ ذَلِكَ النِّداءِ .

وأُولَئِكَ هُمُ العارِفُونَ بِاللهِ تَعالَى فِي الأَزَلِ ، المُتَحابُّونَ فِيهِ ، المُتَزاوِرُونَ لِأَجْلِهِ ، الذَّاكِرُونَ المُهَيَّمُونَ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ ، فَذَلِكَ الفَقِيرُ يُقالُ لَهُ : ذاكِرٌ رَقَصَتْ رُوحُهُ ، وصَحَّتْ عَزِيمَتُهُ ، وكَمُلَ عَقْلُهُ ، وابْيَضَّتْ صَحِيفَتُهُ ، وأَخَذَ مِنَ السَّماعِ الحَظَّ المَكْنُونَ ، ونَشَرَ السِّرَّ المَطْوِيَّ فِيهِ ؛ لِأَنَّ

السَّماعَ مَوْجُودٌ سِرُّهُ فِي طَبْعِ كُلِّ ذِي رُوحٍ يَسْمَعُ .

وكُلُّ جِنْسٍ يَسْمَعُ بِما يُوافِقُ طَبْعَهُ ، ويَفْهَمُ مِنَ السَّماعِ ما تَنْتَهِي إِلَيْهِ هِمَّتُهُ ؛ أَما تَرَى الطِّفْلَ إِذا سَمِعَ الحَدْوَ طَرِبَ ونامَ ، والجِمالَ إِذا حَداها الحادِي سارَتْ ونَسِيَتْ أَلَمَ الثِّقَلِ ؟ جاءَ فِي الآثارِ : (إِنَّ اللَّهَ ما خَلَقَ فِي خَلْقِ السَّمَواتِ والأَرْضِ أَلَذَّ مِنْ صَوْتِ إِسْرافِيلَ عليه السلام فَإِذا قَرَأَ فِي السَّماءِ ، قَطَعَ عَلَى أَهْلِ السَّمَواتِ السَّبْعِ ذِكْرَهُمْ وتَسْبِيحَهُمْ)[1].

لَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى الأَرْضِ بَكَى ثَلاثَ مِائَةِ عامٍ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعالَى إِلَيْهِ : يا آدَمُ فِيمَ بُكاؤُكَ ؟ وما جَزَعُكَ ؟

فَقالَ : يا رَبِّ لَسْتُ أَبْكِي شَوْقاً إِلَى جَنَّتِكَ ولا خَوْفاً مِنْ نارِكَ ، وإِنَّما بُكائِي شَوْقاً إِلَى المَلائِكَةِ المُتَواجِدِينَ حَوْلَ العَرْشِ ، سَبْعِينَ أَلْفَ صَفٍّ ، جُرْدٌ مُرْدٌ ، يَرْقُصُونَ ويَتَواجَدُونَ ويَدُورُونَ حَوْلَ العَرْشِ ، ويَدُ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ بِيَدِ صاحِبِهِ ، وهُمْ يَقُولُونَ :

(جَلَّ المَلِكُ مَلِكُنا ، لَوْلا مَلِكُنا هَلَكْنا ، مَنْ مِثْلُنا وأَنْتَ إِلَهُنا ؟ ومَنْ مِثْلُنا وأَنْتَ حَبِيبُنا ومُسْتَغاثُنا؟)؛ وذَلِكَ دَأْبُهُمْ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ .

فَأَوْحَى اللَّهُ تَعالَى إِلَيْهِ : يا آدَمُ ، ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وانْظُرْ إِلَيْهِمْ .

---

(١) ذَكَرَه القُرْطُبِي فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ .

فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّماءِ ، فَنَظَرَ إِلَى المَلائِكَةِ وهُمْ يَرْقُصُون حَوْلَ العَرْشِ : جِبْرائِيلُ رَأْسُهُمْ ، ومِيكائِيلُ قَوَّالُهُمْ ، فَلَمَّا رَآهُمْ ، سَكَنَ رَوْعُهُ وأَنِينُهُ .

وقِيلَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ ، أَي : يَسْمَعُونَ .

هَذا أَساسُ مَقاصِدِ العارِفِينَ فِي السَّماعِ والتَّواجُدِ ، وهَذا العَطاءُ ، ما هُوَ بِالرَّقْصِ المُحَرَّمِ كَما يَزْعُمُ بَعْضُ الجُهَلاءِ مِنْ مَمْقُوتِي الفُقَراءِ .

هَذا العَطاءُ يَحْصُلُ لِرَجُلٍ يَمْلِكُ خاطِرَهُ ، ولا يَجُولُ بِقَلْبِهِ وَسْواسٌ، ولا يَلْتَفِتُ إِلَى عَرَضٍ مِنْ أَعْراضِ الأَكْوانِ ، ولا يَقْصِدُ إِلَّا اللهَ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ .

ومَنْ كانَ مُضَمَّخاً بِأَوْساخِ الوَسْواسِ وأَدْناسِ الطَّبْعِ ، عَلَيْهِ أَنْ يَذْكُرَ اللهَ مُحافِظاً عَلَى أَدَبِ القَوْلِ والحَرَكَةِ مَهْمَا أَمْكَنَ ، وأَنْ لا يَخُوضَ بَحْرَ الدَّعْوَى الكاذِبَةِ ، ويَدَّعِيَ مَنْزِلَةَ القَوْمِ ، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ ؟ واللهُ غُيُورٌ ، وبِهَذا القَدْرِ كِفايَةٌ .

تَسْمِيَةُ الهَزِّ بِالذِّكْرِ رَقْصاً نِسْبَةً لِلرُّوحِ : سَمَّى القَوْمُ الهَزَّ بِالذِّكْرِ : رَقْصاً ، إِذا كانَ وارِدُ الهِزَّةِ مِنَ الرُّوحِ ، فَنَسَبُوا الرَّقْصَ لِلرُّوحِ ، لا لِلْجِسْمِ .

وإلَّا فأيْنَ الرَّاقِصُونَ ، وأيْنَ الذَّاكِرُونَ ؟ طَلَبُ هؤلاءِ حَقٌّ ، وطَلَبُ هؤلاءِ ضَلالٌ :

سارَتْ مُشَرِّقَةً وسِرْتَ مُغَرِّباً ❁ شَتَّانَ بَيْنَ مُشَرِّقٍ ومُغَرِّبِ

الرَّاقِصُونَ كَذَّابُونَ ، والذَّاكِرُونَ مَذْكُورُونَ ؛ بَيْنَ المَكْذُوبِ والمَحْبُوبِ بَوْنٌ عَظِيمٌ (١) .

الاهْتِزازُ حالَةَ السَّماعِ بِغَيْرِ قَلْبٍ رَقْصٌ : أيْشِ أعْمَلُ بِالسَّماعِ الَّذي رَقَصَ فِيهِ الرَّاقِصُ بِغَيْرِ قَلْبٍ ، ونَجاسَةُ النَّفْسِ لَطَّخَتْهُ ؟!

كَيْفَ يُحْسَبُ بِرَقْصِهِ ونَقْصِهِ مِنَ الذَّاكِرِينَ ؟!

ورُبَّ تالٍ تَلا القُرْآنَ مُجْتَهِداً ❁ بَيْنَ الخَلائِقِ والقُرْآنُ يَلْعَنُهُ

لِلَّهِ مَلائِكَةٌ جُرْدٌ مُرْدٌ تَحْتَ العَرْشِ يَرْقُصُونَ ويَذْكُرُونَهُ تَعالَى ، ويَهْتَزُّونَ لِذِكْرِهِ .

هَذِهِ أرْواحٌ رَقَصَتْ بِاللَّهِ لِلَّهِ ، وأنْتَ يا مِسْكِينُ تَرْقُصُ بِنَفْسِكَ لِنَفْسِكَ ؟ أُولَئِكَ الذَّاكِرُونَ ، وأنْتَ المَغْبُونُ المَفْتُونُ .

الكاذِبُ يَحْرُمُ عَلَيْهِ السَّماعُ : نَعَمْ يُؤاخَذُ الكاذِبُ ، يَحْرُمُ عَلَيْهِ السَّماعُ، يُلْزَمُ بِعَدَمِ الحُضُورِ فِي مَجالِسِهِ حَتَّى يَصْدُقَ .

---

(١) البَوْنُ : الفَضْلُ والمَزِيَّةُ .

أَيْنَ أُولَئِكَ ؟ كادُوا يَدْخُلُونَ أَعْدادَ المَلائِكِ !
غَلَبُوا نُفُوسَهُمْ فاضْمَحَلَّتْ ، وطارُوا بِأَجْنِحَةِ الأَرْواحِ فَسارَتْ بِهِمْ ودَنَتْ فَتَدَلَّتْ ، ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ .
أَخْلَصُوا فَتَخَلَّصُوا مِنْ قَيْدِ الرِّقِّيَّةِ ، ووَصَلُوا إِلَى مَقامِ الحُرِّيَّةِ .
ما مَلَكَتْهُمُ الأَغْيارُ ، كَلَّا ! بَلْ هُمُ الأَحْرارُ كُلُّ الأَحْرارِ ، كانُوا وبانُوا ، رَحِمَ اللَّهُ القائِلَ :

أَتَمَنَّى عَلَى الزَّمانِ مُحالاً ۞ أَنْ تَرَى مُقْلَتايَ طَلْعَةَ حُرِّ

نَحْنُ فِي زَمانٍ عَمَّتْ بِهِ الجَهالَةُ :

ما قُلْتُ لَكَ يا أَخِي : ذَهَبَ القَوْمُ لإِساءَةِ ظَنٍّ بِأَهْلِ الوَقْتِ ، ولَكِنَّ القَوْلَ عَلَى الغالِبِ .
نَحْنُ فِي زَمانٍ عَمَّتْ بِهِ الجَهالَةُ ، وكَثُرَتْ بِهِ البَطالَةُ ، وفَشَتْ فِيهِ الدَّعْوَى الكاذِبَةُ ، ونُقِلَتْ فِيهِ الأَخْبارُ المُزَخْرَفَةُ .
أَيْشٍ نَعْمَلُ ؟ تَحْرَدُ عَلَى مَنْ ؟ أَكْثَرُ النَّاسِ سَلَكُوا هَذِهِ الطُّرُقَ .
دارِهِمْ ما دُمْتَ فِي دارِهِمْ ، وحَيِّهِمْ ما دُمْتَ فِي حَيِّهِمْ ، ولَكِنْ ما الفائِدَةُ مِنْ مُداراةٍ تَأْخُذُهُمْ بِها العِزَّةُ ، ومِنْ تَحِيَّةٍ تُمَكِّنُ فِيهِمُ الغَفْلَةَ ؟!
﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ ، ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ ، ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ .

وُجُوبُ مُراقَبَةِ المَذْكُورِ لِمَنْ دَخَلَ مَجالِسَ الذِّكْرِ :

إِذا دَخَلْتُمْ مَجالِسَ الذِّكْرِ : فَراقِبُوا المَذْكُورَ ، واسْمَعُوا بِأُذُنٍ واعِيَةٍ .

إِذا ذَكَرَ الحادِي أَسْماءَ الصَّالِحِينَ ، فَأَلْزِمُوا أَنْفُسَكُمْ اتِّباعَهُمْ ، لِتَكُونُوا مَعَهُمْ : (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) .

أَوْجِبُوا عَلَيْكُمُ التَّخَلُّقَ بِأَخْلاقِهِمْ ، خُذُوا عَنْهُمُ الحالَ والوَجْدَ الحَقَّ . الوَجْدُ الحَقُّ وِجْدانُ الحَقِّ ، لا تَعْمَلُوا بِالهَوَىٰ .

مَنْ أَحَبَّ اللهَ عَلَّمَ نَفْسَهُ التَّواضُعَ :

أَيْ سادَة ، مَنْ أَحَبَّ اللهَ عَلَّمَ نَفْسَهُ التَّواضُعَ ، وقَطَعَ عَنْها عَلائِقَ الدُّنْيا ، وآثَرَ اللهَ تَعالَى عَلَى جَمِيعِ أَحْوالِهِ ، واشْتَغَلَ بِذِكْرِهِ ، ولَمْ يَتْرُكْ لِنَفْسِهِ رَغْبَةً فِيما سِوَى اللهِ تَعالَى ، وقامَ بِعِبادَتِهِ بِحَقائِقِ الأَسْرارِ ، وخَلَعَ المَنابِرَ والأَسِرَّةَ تَواضُعاً للهِ وإِنْ كانَتْ يَدُهُ طائِلَةً إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، وكانَ كَمَنْ قِيلَ فِيهِ :

تَرَكَ الْمَنابِرَ والسَّرِيرَ تَواضُعاً ❁ ولَهُ مَنابِرُ لَوْ يَشا وسَرِيرُ
ولِغَيْرِهِ يُجْبَىٰ الْخَراجُ وإِنَّما ❁ يُجْبَىٰ إِلَيْهِ مَحامِدٌ وأُجُورُ

حَقِيقَةُ العَبْدِيَّة :

أَيْ سادَة ، العَبْدِيَّةُ : حَقُّها الانْقِطاعُ عَنْ غَيْرِ السَّيِّدِ بِالكُلِّيَّة .

العَبْدِيَّةُ : تَرْكُ كُلِّ كُلِّيَّةٍ وجُزْئِيَّةٍ .

العَبْدِيَّةُ : رَدُّ القَصْدِ عَنْ طَلَبِ كُلِّ مَزِيَّةٍ .

العَبْدِيَّةُ : عَدَمُ رُؤْيَةِ العَبْدِ لِنَفْسِهِ عَلَى إِخْوانِهِ رِفْعَةً أَوْ فَوْقِيَّةً .

العَبْدِيَّةُ : الوُقُوفُ عِنْدَ ما حُدَّ لِلطِّينَةِ الآدَمِيَّةِ .

العَبْدِيَّةُ : الخَشْيَةُ والخُضُوعُ تَحْتَ مَجارِي الأَقْدارِ الرَّبَّانِيَّةِ .

مَتَى يَكُونُ العَبْدُ كامِلاً ؟

لا يَكُونُ العَبْدُ كامِلاً حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَرْتَبَةِ الحُرِّيَّةِ ، والتَّخَلُّصِ مِنْ رِقِّ الأَغْيارِ بِالكُلِّيَّةِ .

الوَسائِلُ لا تُنْكَرُ والوَسائِطُ لا تُكْفَرُ ، والضَّارُّ والنَّافِعُ هُوَ اللّٰهُ تَعالَى :

عَلَيْكُمْ بِهِ سُبْحانَهُ ، وحَقِّهِ : لا يَضُرُّ ويَنْفَعُ ، ويَصِلُ ويَقْطَعُ ، ويُفَرِّقُ ويَجْمَعُ ، ويُعْطِي ويَمْنَعُ إِلَّا هُوَ .

الوَسائِلُ إِلَيْهِ لا تُنْكَرُ ، والوَسائِطُ لا تُكْفَرُ ، وإِنَّما المادَّةُ الكُبْرَى كَلِمَةٌ تَقُولُها وتَصِلُ ، وهِيَ : آمَنْتُ بِاللّٰهِ .

فَإِذا آمَنْتَ بِهِ آمَنْتَ بِكِتابِهِ ، وبِرَسُولِهِ ، وبِكُلِّ ما جاءَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ وعَمِلْتَ بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ .

وعَظَّمْتَ الوَسائِلَ والوَسائِطَ الَّتي تَدُلُّكَ عَلَى اللهِ ، ووَحَّدْتَ اللهَ ، ووَقَفْتَ عَلَى البابِ بِسائِحِ الدُّمُوعِ ، ولَثِمْتَ الأَرْضَ بالذُّلِّ والخُضُوعِ ، وعَرَفْتَ إِلَى أَيْنَ المَصِيرُ والرُّجُوعُ ، وتَهَيَّأْتَ لِما يَلِيقُ بِمَقامِ المُلاقاةِ ، وأَخْلَصْتَ فِي أَعْمالِكَ كُلِّها ، فَصِرْتَ إِخْلاصاً خالِصاً : وبَعْدَها تَلِيقُ لَكَ المَراتِبُ ، وتَسُحُّ عَلَيْكَ سُحُبُ المَواهِبِ ، وتَعُودُ عَلَيْكَ عَوائِدُ الكَرَمِ ، وتُمَدُّ لَكَ مَوائِدُ النِّعَمِ ، وتُنْشَرُ شَبَكَةُ عِرْفانِكَ عَلَى الخَلْقِ حَتَّى لا تُبْقِي ولا تَذَرَ ، وتَصِلُ دَعْوَةُ نِيابَتِكَ إِلَى الظُّهُورِ والبُطُونِ بِإِذْنِ اللهِ .

وُجُوبُ تَعْظِيمِ الفُقَهاءِ والعُلَماءِ :

أَيْ سادَة ، عَظِّمُوا شَأْنَ الفُقَهاءِ والعُلَماءِ ، كَتَعْظِيمِكُمْ شَأْنَ الأَوْلِياءِ والعُرَفاءِ ؛ فَإِنَّ الطَّرِيقَ واحِدٌ ، وهَؤُلاءِ وُرَّاثُ ظاهِرِ الشَّرِيعَةِ ، وحَمَلَةُ أَحْكامِها الَّذِينَ يُعَلِّمُونَها النَّاسَ ، وبِها يَصِلُ الواصِلُونَ إِلَى اللهِ ، إِذْ لا فائِدَةَ بِالسَّعْيِ والعَمَلِ عَلَى الطَّرِيقِ المُغايِرِ لِلشَّرْعِ .

ولَوْ عَبَدَ اللهَ العابِدُ خَمْسَ مِئَةِ عامٍ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ شَرْعِيَّةٍ ، فَعِبادَتُهُ راجِعَةٌ إِلَيْهِ ، ووِزْرُهُ عَلَيْهِ ، ولا يُقِيمُ لَهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ وَزْناً .

ورَكْعَتانِ مِنْ فَقِيهٍ فِي دِينِهِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَلْفَيْ رَكْعَةٍ مِنْ جاهِلٍ فِي دِينِهِ .

فَإِيَّاكُمْ وإِهْمالَ حُقُوقِ العُلَماءِ ، وعَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الظَّنِّ فِيهِمْ جَمِيعاً .

وأَمَّا أَهْلُ التَّقْوَى مِنْهُمْ ؛ العامِلُونَ بما عَلَّمَهُمُ اللهُ فَهُمُ الأَوْلِياءُ عَلَى الحَقِيقَةِ ، فَلْتَكُنْ حُرْمَتُهُمْ عِنْدَكُمْ مَحْفُوظَةً ، قالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : (مَنْ عَمِلَ بِما يَعْلَمُ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ ما لَمْ يَعْلَمْ) .

وقالَ ﷺ : (العُلَماءُ وَرَثَةُ الأَنْبِياء) .

هُمْ ساداتُ النَّاسِ ، وأَشْرافُ الخَلْقِ ، والدَّالُّونَ عَلَى طَرِيقِ الحَقِّ .

نَهْيُهُ عَنْ أَنْ يُقالَ : نَحْنُ أَهْلُ الباطِنِ وهُمْ أَهْلُ الظَّاهِرِ :

لا تَقُولُوا كَما يَقُولُ بَعْضُ المُتَصَوِّفَةِ : نَحْنُ أَهْلُ الباطِنِ ، وهُمْ أَهْلُ الظَّاهِرِ .

هَذا الدِّينُ الجامِعُ باطِنُهُ لُبُّ ظاهِرِهِ ، وظاهِرُهُ ظَرْفُ باطِنِهِ .

لَوْلا الظَّاهِرُ لَما بَطَنَ ، لَوْلا الظَّاهِرُ لَما كانَ الباطِنُ ولَما صَحَّ .

القَلْبُ لا يَقُومُ بِلا جَسَدٍ ، بَلْ لَوْلا الجَسَدُ لَفَسَدَ ، والقَلْبُ نُورُ الجَسَدِ .

هَذا العِلْمُ الَّذِي سَمَّاهُ بَعْضُهُمْ بِعِلْمِ الباطِنِ ، هُوَ إِصْلاحُ القَلْبِ .

فالأَوَّلُ عَمَلٌ بِالأَرْكانِ ، وتَصْدِيقٌ بِالجَنانِ .

إِذا انْفَرَدَ قَلْبُكَ بِحُسْنِ نِيَّتِهِ ، وطَهارَةِ طَوِيَّتِهِ : وقَتَلْتَ ، وسَرَقْتَ ، وزَنَيْتَ ، وأَكَلْتَ الرِّبا ، وشَرِبْتَ الخَمْرَ ، وكَذَبْتَ ، وتَكَبَّرْتَ ، وأَغْلَظْتَ القَوْلَ ، فَما الفائِدَةُ مِنْ نِيَّتِكَ وطَهارَةِ قَلْبِكَ ؟!

وإذا عَبَدْتَ اللّهَ ، وتَعَفَّفْتَ ، وصُمْتَ ، وصَدَقْتَ ، وتَواضَعْتَ ، وأَبْطَنَ قَلْبُكَ الرِّياءَ والفَسادَ ، فَما الفائِدَةُ مِنْ عَمَلِكَ ؟!

فَإذا تَعَيَّنَ لَكَ : أَنَّ الباطِنَ لُبُّ الظَّاهِرِ ، والظَّاهِرَ ظَرْفُ الباطِنِ ، ولا فَرْقَ بَيْنَهُما ، ولا غِنًى لِكِلَيْهِما عَنِ الآخَرِ ، فَقُلْ :

نَحْنُ مِنْ أَهْلِ الظَّاهِرِ ؛ وكَأَنَّكَ قُلْتَ : ومِنْ أَهْلِ الباطِنِ .

قُلْ : نَحْنُ مِنْ أَهْلِ ظاهِرِ الشَّرْعِ ؛ وقَدْ ذَكَرْتَ باطِنَ الحَقيقَةِ .

أَيُّ حالَةٍ باطِنَةٍ لِلقَوْمِ لَمْ يَأْمُرْ ظاهِرُ الشَّرْعِ بِإِصْلاحِ الباطِنِ لَها ؟!

لا تَعْمَلُوا بالفَرْقِ والتَّفْريقِ بَيْنَ الظَّاهِرِ والباطِنِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ زَيْغٌ وبِدْعَةٌ .

تَعْظِيمُ العُلَماءِ بِالعِلْمِ :

لا تُهْمِلُوا حُقُوقَ العُلَماءِ والفُقَهاءِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ جَهْلٌ وحُمْقٌ .

لا تَأْخُذُوا بِحَلاوَةِ العِلْمِ ، وتُبْطِلُوا مَرارَةَ العَمَلِ ؛ فَإِنَّ تِلْكَ الحَلاوَةَ لا تَنْفَعُ بِغَيْرِ تِلْكَ المَرارَةِ ، وإِنَّ تِلْكَ المَرارَةَ تُنْتِجُ الحَلاوَةَ الأَبَدِيَّةَ :

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ .

نَصٌّ قُرْآنِيٌّ يَشْهَدُ لَكُمْ بِالمُكافَأَةِ عَلَى الأَعْمالِ .

والإِخْلاصُ : أَنْ يَكُونَ العَمَلُ للهِ ، لا لِدُنيا ، ولا لآخِرَةِ ، مَعَ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِ - سُبْحانَهُ وتَعالَى - فِي كُلِّ حالٍ مِنَ الأَحْوالِ ، وعَمَلٍ مِنَ الأَعْمالِ ، وقَوْلٍ مِنَ الأَقْوالِ ، إيماناً بِهِ ، وامْتِثالاً لأَمْرِهِ ، وطَلَباً لِمَرْضاتِهِ .

الحَثُّ عَلَى الأَخْذِ بِأَقْوالِ الأَئِمَّةِ :

أَيْ سادَة ، تَقُولُونَ : قالَ الحارِثُ ، قالَ أَبُو يَزِيدَ ، قالَ الحَلَّاجُ .

ما هَذا الحال ؟! قَبْلَ هَذِهِ الكَلِماتِ قُولُوا : قالَ الشَّافِعِيُّ ، قالَ مالِكٌ ، قالَ أَحْمَدُ ، قالَ نُعْمانُ .

صَحِّحُوا المُعامَلاتِ البَيْنِيَّةَ ، وبَعْدَها تَفَكَّهُوا بِالمَقُولاتِ الزَّائِدَةِ .

قالَ الحارِثُ وأَبُو يَزِيدَ لا يَنْقُصُ ولا يَزِيدُ ، وقالَ الشَّافِعِيُّ ومالِكٌ أَنْجَحُ الطُّرُقِ وأَقْرَبُ المَسالِكِ .

شَيِّدُوا دَعائِمَ الشَّرِيعَةِ بِالعِلْمِ والعَمَلِ ، وبَعْدَها ارْفَعُوا الهِمَّةَ لِلغَوامِضِ مِنْ أَحْكامِ العِلْمِ وحُكْمِ العَمَلِ .

مَجْلِسُ عِلْمٍ أَفْضَلُ مِنْ عِبادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً ؛ أَيْ : مِنَ العِباداتِ الزَّائِدَةِ عَنِ المَفْرُوضاتِ الَّتِي يَتَعَبَّدُ الرَّجُلُ بِها بِغَيْرِ عِلْمٍ :

﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ؟

﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ ؟

حَثُّ القَوْمِ عَلَى لُزُومِ العُلَماءِ :

أَشْياخُ الطَّرِيقَةِ وفُرْسانُ مَيادِينِ الحَقِيقَةِ يَقُولُونَ لَكُمْ : خُذُوا بِأَذْيالِ العُلَماءِ .

لا أَقُولُ لَكُمْ : تَفَلْسَفُوا ، ولَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ : تَفَقَّهُوا؛ (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين) [1] .

الوَلِيُّ لا يَكُونُ جاهِلاً :

(ما اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِيًّا جاهِلاً ، ولَوِ اتَّخَذَهُ لَعَلَّمَهُ) .

الوَلِيُّ لا يَكُونُ جاهِلاً فِي فِقْهِ دِينِهِ ، يَعْرِفُ كَيْفَ يُصَلِّي ، كَيْفَ يَصُومُ ، كَيْفَ يُزَكِّي ، كَيْفَ يَحُجُّ ، كَيْفَ يَذْكُرُ ، يُتْقِنُ عِلْمَ المُعامَلَةِ مَعَ اللَّه .

فَمِثْلُ هَذا الرَّجُلِ وإِنْ كانَ أُمِّيًّا فَهُوَ عالِمٌ ، ولا يَقُولُ لَهُ : جاهِلٌ إِلَّا مَنْ جَهِلَ العِلْمَ المَقْصُودَ .

العِلْمُ المُخْتَصَرُ والعِلْمُ الجامِعُ الأَتَمُّ :

لَيْسَ العِلْمُ عِلْمَ البَدِيعِ والبَيانِ ، والأَدَبِ الَّذي عَناهُ الشُّعَراءُ ، والجَدَلِ والمُناظَرَةِ .

العِلْمُ المُخْتَصَرُ : عِلْمُ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، ونَهَى عَنْهُ .

والعِلْمُ الجامِعُ الأَتَمُّ : عِلْمُ التَّفْسِيرِ والحَدِيثِ والفِقْهِ .

والفُنُونُ اللَّفْظِيَّةُ والقَواعِدُ النَّظَرِيَّةُ الَّتِي وُضِعَتْ وسَمَّاها واضِعُوها عُلُوماً ؛ هِيَ فُنُونٌ تَدْخُلُ تَحْتَ قَوْلِ القائِلِ : العِلْمُ بِالشَّيْءِ ولا الجَهْلُ بِهِ .

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ ، ومُسْلِمٌ ، وابنُ ماجَه .

الأَخْذُ عَنِ العُلَماءِ : لا تَقْطَعُوا الوُصْلَةَ مَعَ العُلَماءِ ، جالِسُوهُمْ ، خُذُوا عَنْهُمْ .

لا تَقُولُوا : فُلانٌ غَيْرُ عامِلٍ ، خُذُوا مِنْ عِلْمِهِ ، واعْمَلُوا بِهِ ، ودَعُوهُ وعَمَلَهُ إلَى اللّه .

الأَوْلِياءُ ﷺ يَأْخُذُونَ الحِكْمَةَ ، لا يُبالُونَ مِنْ أَيِّ لِسانٍ ظَهَرَتْ ، وعَلَى أَيِّ حَجَرٍ كُتِبَتْ ، وبِواسِطَةِ أَيِّ كافِرٍ وَصَلَتْ :

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ .

الأَوْلِياءُ قَناطِرُ الخَلْقِ وصُحْبَتُهُمْ واجِبَةٌ :

الأَوْلِياءُ قَناطِرُ الخَلْقِ ، يَعْبُرُ المُوَفَّقُونَ عَلَيْهِمْ إلَى اللّهِ تَعالَى .

أُولَئِكَ العامِلُونَ ، المُخْلِصُونَ الخالِصُونَ ، اسْتَخْلَصَهُمْ - تَعالَى - لِعِبادَتِهِ ، وقَرَّبَهُمْ مِنْ حَضْرَتِهِ ، فَما حَجَبَ قُلُوبَهُمْ حِجابُ الغَيْنِ[1] طَرْفَةَ عَيْنٍ ، أَخْرَجُوا البَيْنَ مِنَ البَيْنِ[2].

أَقامُوا طَلاسِمَ الكَتْمِ عَلَى الأَسْرارِ ، وقامُوا اللَّيْلَ ، وصامُوا النَّهارَ .

بَعْضُهُمْ غَلَبَ عَلَيْهِ الفِكْرُ ، وبَعْضُهُمْ غَلَبَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ، وبَعْضُهُمْ جَمَعَ شَتاتَ الأَمْرِ : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ .

---

(١) الغَيْن : الغَيْم .

(٢) هَوَ مِنَ الأَضْدادِ ؛ فَيَكُونُ الفُرْقَةَ ، ويَكُونُ الوَصْلَ .

أُوصِيكُم كُلَّ الوَصِيَّةِ بَعْدَ عِلْمِ واجباتِ الدِّينِ بِصُحْبَتِهِمْ ، فَإِنَّها تِرْياقٌ[1] مُجَرَّبٌ .

عِنْدَهُمْ رَأْسُ الأَمْرِ كُلِّه ، عِنْدَهُمُ الصِّدْقُ والصَّفاءُ ، والذَّوْقُ والوَفاءُ ، والتَّجَرُّدُ مِنَ الدُّنْيا ، والتَّجَرُّدُ مِنَ الأُخْرَى ، والتَّجَرُّدُ إِلَى المَوْلَى ؛ وهَذِهِ الخِصالُ لا تَحْصُلُ بِالقِراءَةِ والدَّرْسِ والمجالِسِ .

لا تَحْصُلُ إِلَّا بِصُحْبَةِ الشَّيْخِ العارِفِ ؛ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ الحالِ والمَقالِ ، يَدُلُّ بِمَقالِهِ ، ويَنْهَضُ بِحالِهِ :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ .

حالُ الشَّيْخِ كَمالاً أَوْ نُقْصاناً تَظْهَرُ فِي أَتْباعِهِ :

حالَةُ الشَّيْخِ كَمالاً كانَتْ أَوْ نُقْصاناً تَظْهَرُ فِي أَتْباعِهِ ومُرِيدِيهِ بَطْناً بَعْدَ بَطْنٍ ؛ فَإِنْ كانَتْ حالَةَ كَمالٍ عَلا بِها حالُ الكامِلِ وزادَ بِها حالُ النَّاقِصِ ، وإِنْ كانَتْ حالَةَ نَقْصٍ نَقَصَ بِها حالُ الكامِلِ ، وذَهَبَ بِها حالُ النَّاقِصِ ، إِلَّا إِنْ وَهَبَ الكَرِيمُ فَلا تَأْثِيرَ لِلأَحْوالِ .

إِيَّاكُمْ وإِبْقاءَ أَثَرٍ يُنْقِصُ حالَ كُمَّلِ أَتْباعِكُمْ ، ويُذْهِبُ حالَ ناقِصِهِمْ .

الرَّجُلُ مَنْ تَظْهَرُ آثارُهُ بَعْدَهُ ، قالَ الرِّجالُ :

---

(١) التِّرْياقُ : هُوَ دَواءُ السُّمُوم .

إنَّ آثارَنـا تَـدُلُّ عَلَـيْنا ۞ فانْظُرُوا بَعْدَنا إلَى الآثارِ

صَحِيفَةُ حالِ الشَّيْخِ أَتْباعُهُ :

قالَ سَيِّدِي الشَّيْخُ مَنْصُور : صَحِيفَةُ حالِ الشَّيْخِ أَتْباعُهُ ، لَهُمْ مِنْ حالِهِ وخُلُقِهِ شَمَّةٌ لا بُدَّ أَنْ تَفْعَلَ كَيْفَ كانَتْ ، إِلَّا إذا عَلا بِها حالٌ سَماوِيٌّ اخْتُصَّ بِهِ التَّابِعُ ؛ فَرُبَّما يَعْلُو مَنْزِلَةَ شَيْخِهِ : ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ .

الطَّرِيقَةُ هِيَ الشَّرِيعَةُ والشَّرِيعَةُ هِيَ الطَّرِيقَةُ :

أَيْ سادَة ، إِنَّ نِهايَةَ طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ نِهايَةُ طَرِيقِ الفُقَهاءِ ، ونِهايَةَ طَرِيقِ الفُقَهاءِ نِهايَةُ طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ .

وعَقَباتُ القَطْعِ الَّتِي ابْتُلِيَ بِها الفُقَهاءُ فِي الطَّلَبِ هِيَ العَقَباتُ الَّتِي ابْتُلِيَ بِها الصُّوفِيَّةُ فِي السُّلُوكِ .

والطَّرِيقَةُ هِيَ الشَّرِيعَةُ ، والشَّرِيعَةُ هِيَ الطَّرِيقَةُ ، والفَرْقُ بَيْنَهُما لَفْظِيٌّ ، والمادَّةُ والمَعْنَى والنَّتِيجَةُ واحِدَةٌ .

وما أَرَى الصُّوفِيَّ إذا أَنْكَرَ حالَ الفَقِيهِ إِلَّا مَمْكُوراً ، ولا الفَقِيهَ إذا أَنْكَرَ حالَ الصُّوفِيِّ إِلَّا مَبْعُوداً ، إِلَّا إذا كانَ الفَقِيهُ آمِراً بِلِسانِهِ لا بِلِسانِ الشَّرْعِ ، والصُّوفِيُّ سالِكاً بِنَفْسِهِ لا بِسُلُوكِ الشَّرْعِ ؛ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما .

والشَّرْطُ هُنا : الصُّوفِيُّ الكامِلُ ، والفَقِيهُ العارِفُ ، كَما ذَكَرْنا .

كَيْفَ يَعْمَلُ الصُّوفِيُّ الكامِلُ إذا قالَ لَهُ الفَقِيهُ العارِفُ : أَأَنْتَ تَقُولُ لِتَلامِذَتِكَ : لا تُصَلُّوا ، لا تَصُومُوا ، لا تَقِفُوا عِنْدَ حُدُودِ اللهِ ؟

باللهِ عَلَيْكُمْ ! هَلْ يَقْدِرُ أَنْ يَنْطِقَ إِلَّا بِـ (حاشا للهِ ؟!)

كَيْفَ يَعْمَلُ الفَقِيهُ العارِفُ إذا قالَ لَهُ الصُّوفِيُّ الكامِلُ : أَأَنْتَ تَقُولُ لِتَلامِذَتِكَ : لا تُكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ ، لا تُحارِبُوا النَّفْسَ بِالمُجاهَداتِ ، لا تَعْمَلُوا بِصِحَّةِ الإِخْلاصِ لِلَّهِ ؟

باللهِ عَلَيْكُمْ ! هَلْ يَقْدِرُ أَنْ يَنْطِقَ إِلَّا بِـ (حاشا للهِ ؟!)

فَحِينَئِذٍ اتَّحَدَتِ المادَّةُ والمَعْنَى والنَّتِيجَةُ ، واخْتَلَفَتِ اللَّفْظَةُ لا غَيْرُ .

فَمَنْ حَجَبَهُ مِنَ الصُّوفِيَّةِ حِجابُ اللَّفْظَةِ عَنْ أَخْذِ ثَمَرَةِ المادَّةِ والمَعْنَى والنَّتِيجَةِ ؛ فَهُوَ جاهِلٌ : (ما اتَّخَذَ اللهُ وَلِيًّا جاهِلاً) .

ومَنْ حَجَبَهُ مِنَ الفُقَهاءِ حِجابُ اللَّفْظَةِ عَنْ أَخْذِ ثَمَرَةِ ما ذَكَرْناهُ فَهُوَ مَحْرُومٌ : (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ) .

قُلْ يا أَخِي لِلمَساكِينَ المَحْجُوبِينَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ : ما تُرِيدُونَ أَنْ يُوجَدَ فِي قُطْرِكُمْ هَذا رَجُلٌ عالِمٌ يَدْفَعُ شُبَهَ المُلْحِدِينَ وأَهْلِ البِدَعِ والزَّيْغِ بِالحُجَجِ الظَّاهِرَةِ ؟

قُلْ يا أَخِي لِلمَساكِينَ المَحْجُوبِينَ مِنَ الفُقَهاءِ : ما تُرِيدُونَ أَنْ يُوجَدَ فِي بِلادِكُمْ هَذِهِ رَجُلٌ يَقْهَرُ أَهْلَ الجُحُودِ والضَّلالِ والعِنادِ بِالكَراماتِ الباهِرَةِ ؟

يَشْتَهِي خاطِرُكُمْ أَنَّ سِرَّ اللِّسانِ المُحَمَّدِيِّ يَنْقَطِعُ ؟

تُحِبُّ نُفُوسُكُمْ أَنَّ سُلْطانَ المُعْجِزَةِ النَّبَوِيَّةِ يُخْذَلُ :

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾ .

تَشْهَدُ بِبَقاءِ هَذا اللِّسانِ النَّبَوِيِّ ، وهَذا السُّلْطانِ المُحَمَّدِيِّ :

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ .

تُثْبِتُ دَوامَ هَذِهِ الحَقائِق .

تَحْفِرُونَ آبارَ قَطْعِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ ؟

يا خاصَّةُ ! يا عامَّةُ ! يا رِجالَ الطَّائِفَتَيْنِ أَنْتُمْ طائِفَةٌ واحِدَةٌ :

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ .

لا تَدْخُلُوا تَحْتَ قَوْلِهِ تَعالَى :

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ .

عَلَيْكُمْ أَنْ يَنْصَحَ فَقِيرُكُمْ جاهِلَكُمْ ، وأَنْ يَقُودَ كامِلُكُمْ ناقِصَكُمْ ، عَمَلاً

بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ .

ولا بِقَهْرٍ ، ولا بِغَدْرٍ ، ولا بِظُلْمٍ ، ولا بِكِبْرٍ ، ولا بِعُلُوٍّ .

لا بَأْسَ إنْ صَدَعْتَ بِما أُمِرْتَ بِهِ عَلَى لِسانِ نَبِيِّكَ ﷺ ، ولَكِنْ قَبْلَ الصَّدْعِ : عُرْفُ المَعْرُوفِ مَغْنَطِيسٌ جَذَّابٌ .

التَّأَدُّبُ مَعَ الخَلْقِ بابُ القَبُولِ عِنْدَ اللهِ :

اللهَ اللهَ بِالأَدَبِ مَعَ اللهِ ؛ فَإِنَّ خَلْقَ اللهِ حُجُبٌ وأَبْوابٌ ، فَإِنْ أَدْرَكْتُمْ سِرَّ الأَدَبِ مَعَ خَلْقِ اللهِ ، فُتِحَتْ لَكُمْ أَبْوابُ القَبُولِ عِنْدَ اللهِ .

وإِنْ جَهِلْتُمْ أَمْرَ الأَدَبِ مَعَ خَلْقِ اللهِ ، حُجِبْتُمْ بِالخَلْقِ عَنِ اللهِ .

ومِنْ ثَمَّ اشْتَغَلَ أَهْلُ العِرْفانِ والذَّوْقِ الخالِصِ بِجَبْرِ القُلُوبِ ، ووَضَعُوا الخُدُودَ عَلَى الطُّرُقاتِ تَحْتَ الأَرْجُلِ ، وطافَتْ أَرْواحُهُمْ فِي حَضَراتِ القَبُولِ بِهَذِهِ الأَجْنِحَةِ المَعْنَوِيَّةِ ، فَعَرَفُوا الحَقَّ بِالخَلْقِ ، ونَزَّهُوا الحَقَّ عَنِ الخَلْقِ .

(أَنا عِنْدَ المُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ لأَجْلِي) :

نَصٌّ قُدْسِيٌّ يَدُلُّكُمْ كَيْفَ يُعْرَفُ الحَقُّ بِالخَلْقِ .

ولِهَذا قالَ النَّبِيُّ ﷺ : (تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، ولا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ) ، وذَلِكَ الفِكْرُ المَأْمُورُونَ بِهِ فِكْرُ الأَدَبِ مَعَ الصَّانِعِ فِي مَصْنُوعاتِهِ جَلَّ وعَلا .

هَذِهِ الطَّرِيقَةُ لا تُورَثُ إِلَّا بِالتَّقْوَى :

أَيُّها المُتَصَوِّفُ لِمَ هَذِهِ البَطالَةُ ؟ صِرْ صُوفِيًّا حَتَّى نَقُولَ لَكَ : أَيُّها الصُّوفِيُّ .

أَيْ حَبِيبِي ! تَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ تُورَثُ مِنْ أَبِيكَ ؟ تُسَلْسَلُ مِنْ جَدِّكَ تَأْتِيكَ بِاسْمِ بَكْرٍ وعَمْرٍو ؟ تَصِيرُ لَكَ فِي وَثِيقَةِ نَسَبِكَ ؟ تُنْقَشُ لَكَ عَلَى جَيْبِ خِرْقَتِكَ ؟ عَلَى طَرَفِ تاجِكَ ؟ حَسِبْتَ هَذِهِ البِضاعَةَ ثَوْبَ شَعْرٍ وتاجاً ؟ وعُكَّازاً ؟ ودَلْقاً ؟ وعِمامَةً كَبِيرَةً ؟ وزِيًّا صالِحاً ؟

لا واللهِ ! إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ هَذا ، يَنْظُرُ إِلَى قَلْبِكَ .

كَيْفَ يُفْرِغُ فِيهِ سِرَّهُ ، وبَرَكَةَ قُرْبِهِ ، وهُوَ غافِلٌ عَنْهُ بِحِجابِ التَّاجِ ، بِحِجابِ السِّبْحَةِ ، بِحِجابِ العَصا ، بِحِجابِ المُسُوحِ [1] ؟!

أَيْشٍ [2] هَذا العَقْلُ الخالِي مِنْ نُورِ المَعْرِفَةِ ؟!

أَيْشٍ هَذا الرَّأْسُ الخالِي مِنْ جَوْهَرِ العَقْلِ ؟!

ما عَمِلْتَ بِأَعْمالِ الطَّائِفَةِ ، وتَلْبَسُ لِباسَهُمْ يا مِسْكِينُ ؟!

لَوْ كُنْتَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِكَ ، خَلَعْتَ أَباكَ وأُمَّكَ ، وجَدَّكَ وعَمَّكَ ، وقَمِيصَكَ وتاجَكَ ، وسَرِيرَكَ ومِعْراجَكَ ، وأَتَيْتَنا بِاللهِ لِلهِ ، وبَعْدَ حُسْنِ

---

(١) المُسُوح : مُفْرَدُهُ مِسْحٌ ؛ وهُوَ ثَوْبٌ مِنَ الشَّعْرِ الغَلِيظِ .

(٢) مَعْنَى أَيْش : أَيُّ شَيْءٍ ؛ ومِثْلُ هَذا كَثِيرٌ فِي قَوْلِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ رضي الله عنهم .

الأَدَبِ لَبِسْتَ ، وأَظُنُّكَ بَعْدَ الأَدَبِ تَقْطَعُ نَفْسَكَ عَنِ الثَّوْبِ والعَوارِضِ القاطِعَةِ .

أَيْ مِسْكِينُ ! تَمْشِي مَعَ وَهْمِكَ ! مَعَ خَيالِكَ ! مَعَ كَذِبِكَ ! مَعَ عُجْبِكَ وغُرُورِكَ ! وتَحْمِلُ نَجاسَةَ أَنانِيَّتِكَ وتَظُنُّ أَنَّكَ عَلَى شَيْءٍ ؟! وكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟!

تَعَلَّمْ عِلْمَ التَّواضُعِ ، تَعَلَّمْ عِلْمَ الحَيْرَةِ ، تَعَلَّمْ عِلْمَ المَسْكَنَةِ والانْكِسارِ .

أَيْ بَطَّالُ ! تَعَلَّمْتَ عِلْمَ الكِبْرِ ! تَعَلَّمْتَ عِلْمَ الدَّعْوَى ! تَعَلَّمْتَ عِلْمَ التَّعالِي !

أَيْشٍ حَصَلَ لَكَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ ؟ تَطْلُبُ هَذِهِ الدُّنْيا الجِيفَةَ بِظاهِرِ حالِ الآخِرَةِ ؟ لَبِئْسَ ما صَنَعْتَ ! ما أَنْتَ إِلَّا كَمُشْتَرِي النَّجاسَةِ بِالنَّجاسَةِ .

كَيْفَ تُغْفِلُ نَفْسَكَ بِنَفْسِكَ ، وتَكْذِبُ عَلَى نَفْسِكَ وأَبْناءِ جِنْسِكَ ؟!

حالُ المُرِيدِ الصَّادِقِ مَعَ مَوْلاهُ :

لا يَقْرُبُ المُحِبُّ مِنْ مَحْبُوبِهِ حَتَّى يَبْعُدَ مِنْ عَدُوِّهِ .

رَمَى بَعْضُ المُرِيدِينَ رَكْوَتَهُ [1] فِي بَعْضِ الآبارِ لِيَسْتَقِيَ الماءَ ، فَخَرَجَتْ مَمْلُوَّةً بِالذَّهَبِ ، فَرَمَى بِها فِي البِئْرِ وقالَ : يا عَزِيزِي ،

(١) الرَّكْوَة : دَلْوٌ صَغِيرَةٌ .

وحَقِّكَ لا أُرِيدُ غَيْرَكَ .

مَنْ أَثْبَتَ نَفْسَهُ مُرِيداً صارَ مُراداً ، مَنْ أَثْبَتَ نَفْسَهُ طالِباً صارَ مَطْلُوباً ، مَنْ عَكَفَ عَلَى البابِ دَخَلَ الرِّحابَ ، ومَنْ أَحْسَنَ القَصْدَ بَعْدَ الدُّخُولِ تَصَدَّرَ فِي غُرْفَةِ الوُصْلَةِ .

دَخَلَ سَيِّدُنا عَلِيٌّ رضي الله عنه - وكَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ - مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَرَأَى أَعْرابِيًّا فِي المَسْجِدِ يَقُولُ : إلَهِي ! أُرِيدُ مِنْكَ شُوَيْهَةً ، ورَأَى سَيِّدَنا أَبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه فِي زاوِيَةٍ أُخْرَى يَقُولُ : إلَهِي ! أُرِيدُكَ .

شَتَّانَ ما بَيْنَ المُرادَيْنِ ! شَتَّانَ ما بَيْنَ الهِمَّتَيْنِ !

تَلْعَبُ الآمالُ بِالعُقُولِ ، تَلْعَبُ بِالهِمَمِ ، كُلٌّ يَطِيرُ بِجَناحِ هِمَّتِهِ إلَى أَمَلِهِ ومَقْصِدِ قَلْبِهِ ، فَإذا بَلَغَ غايَةَ هِمَّتِهِ ، وَقَفَ فَلَمْ يُجاوِزْها ، قالَ تَعالَى : ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ ؛ أَيْ : عَلَى نِيَّتِهِ وهِمَّتِهِ .

العارِفُ المُتَمَكِّنُ سُرُورُهُ بِرَبِّهِ :

أَيْ أَخِي ! لا تَجْعَلْ غايَةَ هِمَّتِكَ ومُنْتَهَى قَصْدِكَ : أَنْ تَمُرَّ عَلَى الماءِ ، أَوْ تَطِيرَ فِي الهَواءِ ؛ يَصْنَعُ الطَّيْرُ والحُوتُ ما أَرَدْتَ .

طِرْ بِجَناحِ هِمَّتِكَ إلَى ما لا غايَةَ لَهُ .

العارِفُ المُتَمَكِّنُ لا شَيْءَ عِنْدَهُ مِنَ العَرْشِ إلَى الثَّرَى أَعْظَمُ مِنْ سُرُورِهِ

بِرَبِّهِ ، وكُلُّ ما فِيها فِي جَنْبِ سُرُورِهِ بِرَبِّهِ أَصْغَرُ مِنْ خَرْدَلَةٍ مُلْقاةٍ فِي أَرْضٍ فَلاةٍ .

ومِمَّا قالَهُ الشَّيْخُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي أواخِرِ مَجالِسِهِ :

يَقُولُ اللهُ تعالَى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ (1) .

فَعَلِمَتْ بَشَرِيَّتُهُ ﷺ ما عَلِمَتْهُ رُوحُهُ مِنْ حُكْمِ التَّقَلُّبِ فِي السَّاجِدِينَ فِي البُطُونِ فِيما مَضَى ، والتَّقَلُّبِ فِي السَّاجِدِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، فانْتَصَبَ لَها عَلَى قَدَمَي الشُّكْرِ آخِذاً بِسِلْسِلَةِ النَّهْيِ والأَمْرِ ، مُنْصرِفاً عَنْ آدَمِيَّتِهِ ، مُشْتَغِلاً بِرَبِّهِ .

فَقِيلَ لَهُ : ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ (2) .

وقَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (3) .

فَأَوْضَحَ السُّبُلَ ، وحَقَّقَ الوَعْدَ ، وأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ ، وقامَ عَنْهُ ﷺ

---

(1) سُورَةُ الشُّعَراء : الآيات ٢١٧ - ٢١٩ .   (2) سُورَةُ طه : الآيات ١ - ٣ .

(3) سُورَةُ الرُّوم : مِنَ الآيَتَيْنِ ٤ ، ٥ .

النُّوَّابُ المُحَمَّدِيُّونَ ؛ يَأْمُرُونَ بِأَمْرِهِ ويَنْهَوْنَ بِنَهْيِهِ ، وانْتَهَضَ لأَحْكامِ أَحْكامِهِ الوُرَّاثُ الجامِعُونَ ، فانْقَسَمَتِ الوَظِيفَةُ لِنَوْعَيْنِ : نَوْعٌ ظاهِرٌ ، ونَوْعٌ باطِنٌ (والأَمْرُ واحِدٌ) ؛ فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الوَظِيفَةَ تَشْتَمِلُ عَلَى أَمْرٍ باطِنِيٍّ غَيْرَ الظَّاهِرِ فَقَدْ أَخْطَأَ ؛ كُلُّ حُكْمٍ دِيوانِيٍّ يُرْفَعُ فِي حَضِيرَةِ التَّدَلِّي لَوْ بَرَزَ لِلعامَّةِ لَكانَ كَحُكْمِ القاضِي العادِلِ ؛ إِنَّما الفَرْقُ فِي الوَظِيفَةِ نَوْعُها ، فالوَظِيفَةُ الَّتِي أُعْطِيها القاضِي مَعْرُوفَةٌ هِيَ وهُوَ عِنْدَ النَّاس ، والوَظِيفَةُ الَّتِي أُعْطِيها الوارِثُ مَخْفِيَّةٌ عَنِ الأَعْيُنِ هِيَ وهُوَ أَيْضاً أَحْياناً .

ولَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ الوَظِيفَتَيْنِ عَلَى نَمَطٍ واحِدٍ غَيْرُ الخُلَفاءِ الأَرْبَعَةِ الرَّاشِدِينَ ﷺ ؛ ذَلِكَ لانْحِجابِ وَظِيفَتِهِم الباطِنِيَّةِ بِبُرْدَةِ النُّبُوَّةِ ، وأَيْنَ لَهُمُ الظُّهُورُ بِها مَعَ تَلاطُمِ أَمْواجِ بَحْرِ النُّورِ المُحَمَّدِيِّ الَّذِي شَهِدَتْهُ الأَعْيُنُ ، وامْتَلأَتْ مِنْ مَهابَتِهِ القُلُوبُ ، وأَكْمَلُ النَّوْبَةِ الثَّوْرِيَّةِ فِي مَقامِ البَضْعِيَّةِ (مِنْ حَيْثُ التَّحَلِّي بِحُلَّةِ الطِّينَةِ الذَّاتِيَّةِ الأَحْمَدِيَّةِ) إِنَّما هِيَ نَوْبَةُ السَّيِّدَةِ البَتُولِ سَيِّدَتِنا وقُرَّةِ أَعْيُنِنا : فاطِمَةَ أُمِّ السِّبْطَيْنِ الزَّهْراء - سَلامُ اللهِ ورِضْوانُهُ عَلَيْها .

وقامَ عَنْها بِنَوْبَةِ الجُزْءِ الأَزْهَرِ بَعْلُها المَأْمُونُ المُنَوَّهُ عَلَى جَلالَةِ قَدْرِهِ

وعَظِيم مَكانَتِهِ بطالِعَةِ : (عَلِيٌّ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى)[1] .

فادَّرَعَ بِدِرْعِ الخِلافَةِ البَضْعِيَّةِ ، مُتَحَكِّماً فِي مَشْهَدِ الخِلافَةِ الأَمْرِيَّةِ أَصالَةً ، وفِي مَشْهَدِ الخِلافَةِ البَضْعِيَّةِ وكالَةً حَتَّى لَقِيَ اللّهَ ، فادَّرَعَ بِمِرْطِها النُّورانِيِّ السِّبْطانِ السَّعِيدانِ الشَّهِيدانِ الإمامانِ الحَسَنُ والحُسَيْنُ - سَلامُ اللّهِ وتَحِيَّاتُهُ عَلَيْهِما .

ودارَتْ هَذِهِ النَّوْبَةُ الجامِعَةُ المُحَمَّدِيَّةُ فِي الأَسْباطِ الطَّاهِرِينَ سِبْطاً بَعْدَ سِبْطٍ إِلَى أَنْ صِينَتْ فِي مَقام الكَنْزِيَّةِ المُضْمَرَةِ إِلَى وَلِيِّ اللّهِ المَهْدِي (الخَلَفِ الصَّالِحِ) سَلامُ اللّهِ عَلَيْهِ ، فَتَلَقَّاها عَنْهُ مِنْ مَقامِ الإِلْباسِ النُّوَّابُ الجامِعُونَ المُحَمَّدِيُّونَ فَهُمْ إِلَى عَهْدِنا هَذا مِنْ بَنِي الإِمامِ الحُسَيْنِ السِّبْطِ شَهِيدِ كَرْبَلاء - عَلَيْهِ وعَلَيْهِمْ نَوافِحُ السَّلامِ والرِّضْوان .

نَعَمْ .. قامَ بَيْنَهُمْ مِنْ أَصْحابِ نِيابَةِ الخِلْعَةِ رِجالٌ صَدَقُوا : مِنْهُمْ أُناسٌ مِنْ نَسْلِ فاطِمَةَ لأُمَّهاتِهِمْ ، ومِنْهُمْ أُناسٌ مِنْ غَيْرِ الفَواطِمِ ، وذَلِكَ فَضْلُ اللّه .

قالَ اللّهُ تَعالَى : ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو

---

(١) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .

﴿ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [1] .

وقامَ مِنْ أَهْلِ الخِلْعَةِ لِعَدَمِ اسْتِكْمالِ الصِّفاتِ الجامِعَةِ أُناسٌ مِنْ غَيْرِ الفَواطِمِ لِمُناسَبَةِ حالِ الزَّمانِ (وَصَفَهُمُ الَّذي تَمَكَّنَ مِنْهُمْ وتَمَكَّنُوا مِنْهُ) ؛ فَمِنْ أَقْطابِ الخِلْعَةِ مِنْ غَيْرِ الفَواطِمِ :

سَيِّدي شَيْخُ الخِرْقَةِ مَعْرُوفٌ الكَرْخِي[2] ؛ كانَ نائِبَ النَّظَر .

ومِنْهُمْ : سَيِّدي سَرِيٌّ السَّقَطِي[3] ؛ كانَ نائِبَ العَزْم .

ومِنْهُمْ : سَيِّدي الجُنَيْدُ البَغْدادِي[4] ؛ كانَ نائِبَ اللِّسانِ القائِم .

ومِنْهُمْ : سَيِّدي الشِّبْلِي ؛ كانَ نائِبَ الهِمَّة .

ومِنْهُمْ : سَيِّدي سَهْلُ بنُ عَبْدِ اللهِ التَّسْتَري ؛ كانَ نائِبَ القَلْب .

ومِنْ أَقْطابِ الخِلْعَةِ الكامِلَةِ مِنَ الَّذينَ لَهُمُ النِّسْبَةُ للسَّيِّدَةِ فاطِمَةَ مِنَ الأُمَّهاتِ : سَيِّدي طَلْحَةُ أَبو مُحَمَّدٍ الشَّنْبَكِي ؛ كانَ نائِبَ القُدْرَة .

---

(١) سُورَةُ البَقَرَة : مِنَ الآيَة ١٠٥ .

(٢) وهُوَ مِنْ مَوالِي عَلِيِّ بنِ مُوسَى الرِّضا ﷺ ، وكانَ أُسْتاذَ سَرِيٍّ السَّقَطي . وقَدْ قالَ لَهُ يَوْماً : فَإذا كانَتْ لَكَ إلَى اللهِ حاجَةٌ فَأَقْسِمْ عَلَيْهِ بي ، وتُوفِّيَ بِبَغْداد سَنَةَ ٢٠١ هـ ، وقَبْرُهُ مَشْهُورٌ بِأَنَّهُ تِرْياقٌ مُجَرَّب .

(٣) أَحَدُ رِجالِ الطَّرِيقَةِ وأَرْبابِ الحَقِيقَةِ ، كانَ أَوْحَدَ زَمانِهِ فِي الوَرَعِ وعُلُومِ التَّوْحِيد ، وهُوَ خالُ الجُنَيْد وأُسْتاذُهُ ، صَحِبَ مَعْرُوفاً الكَرْخِي ، وإلَيْهِ يَنْتَمِي أَكْثَرُ المَشايِخ .

(٤) هُوَ الوَلِيُّ الكامِلُ العارِفُ باللهِ أَبو القاسِمِ بنُ مُحَمَّدٍ الجُنَيْدِ ، سَيِّدُ الطَّائِفَةِ ، لَمْ تَزَلْ أَعْناقُ الفَرِيقَيْنِ لَهُ خاضِعَةً وعَلَى تَبْجِيلِهِ مُجْتَمِعَةً .

ومِنْهُمْ : سَيِّدِي وتاجِي مَنْصُورُ البَطائِحِي الرَّبَّانِي ؛ كانَ نائِبَ البُرْهان . وقامَتِ النَّوْبَةُ الجامِعَةُ مِنْ طَرِيقِ الخَتْمِيَّةِ بِهَذا العَبْدِ الأَضْعَفِ الأَذَلِّ الَّذِي لا شَيْءَ بِشَأْنِهِ ، ولا عَلَى شَيْءٍ بِمَيْدانِهِ ؛ هِبَةً أَقامَها المُقِيمُ القَدِيمُ بِمَحْضِ الكَرَم ، كَذا بَشَّرَنِي بِها رَسُولُ الرَّحْمَةِ فِي حَضَراتِ القُرْبِ لَدَى صُفُوفِ عَساكِرِ الحُضُورِ بما رَضِيَ اللهُ لَنا .

أَي سادَة ! إنَّ لِلّهِ تَعالَى عِباداً اصْطَفاهُمْ لِمَعْرِفَتِهِ ، وخَصَّهُمْ بِمَحَبَّتِهِ ، واخْتارَهُمْ لِصُحْبَتِهِ ، واجْتَباهُمْ لِمُؤانَسَتِهِ ، وقَرَّبَهُمْ لِمُناجاتِهِ ، وحَرَّضَهُمْ عَلَى ذِكْرِهِ ، وأَنْطَقَهُمْ بِحِكْمَتِهِ ، وأَذاقَهُمْ مِنْ كَأْسِ مَحَبَّتِهِ ، وفَضَّلَهُمْ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ ، حَتَّى لَمْ يُرِيدُوا بِهِ بَدَلاً ، ولا سِواهُ كَفِيلاً ، ولا دُونَهُ ناصِراً ومُعِيناً ووَكِيلاً .

ولَقَدْ سَبَقُوا مَنْ دُونَهُمْ سَبْقاً لا بِكَثْرَةِ الأَعْمالِ ، ولَكِنْ بِصِحَّةِ الإِراداتِ وحُسْنِ اليَقِينِ مَعَ دقائِقِ الوَرَعِ والانْقِطاعِ بِالقَلْبِ إِلَيْهِ ، وتَصْفِيَةِ السِّرِّ عَنْ كُلِّ ما دُونَ الحَقِّ ، فَأَذاقَهُمُ اللهُ طَعْمَ لُبابِ مَعْرِفَتِهِ ، وأَنْزَلَهُمْ فِي حَضِيرَةِ قُدُسِهِ ، لا يَصْبِرُونَ عَنْ ذِكْرِهِ ولا يَشْبَعُونَ مِنْ بِرِّهِ ولا يَسْتَرِيحُونَ لِغَيْرِهِ .

فَيا طُوبَى لَهُمْ ؛ هُمُ الأَقَلُّونَ عَدَداً ، والأَعْظَمُونَ خَطَراً ، بِهِمْ يَحْفَظُ

اللهُ مَحَبَّتَهُ حَتَّى يُؤَدُّوها إِلَى نُظرائِهِمْ ، فَيا طُوبَى لَهُمْ ، هُمُ الزَّاهِدُونَ فِيما رَغِبَ فِيهِ الغافِلُونَ ، والمُسْتَأْنِسُونَ فِيما اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الجاهِلُونَ ، والمُشْتاقُونَ إِلَى ما هَرَبَ مِنْهُ السَّاهُونَ ، هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا بِأَعْيُنِ القُلُوبِ إِلَى حُجُبِ الغُيُوبِ ، وجالَتْ أَرْواحُهُمْ فِي المَلَكُوتِ ، فَهِمَّتُهُمْ فِي سِرِّهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، بِهِ يَسْتَمِعُونَ ، وبِهِ يَنْظُرُونَ ، وبِهِ يُرِيدُونَ ، وبِهِ يَتَحَرَّكُونَ .

قُلُوبُ العارِفِينَ خَزائِنُ اللهِ فِي أَرْضِهِ ، وَضَعَ فِيها وَدائِعَ سِرِّهِ ولَطائِفَ حِكْمَتِهِ ودَقائِقَ مَحَبَّتِهِ وأَنْوارَ عِلْمِهِ وأَمانَةَ مَعْرِفَتِهِ ؛ فَكَلامُهُمْ هُوَ الكَشْفُ عَمَّا يُشاهِدُهُ القَلْبُ ، وإِظْهارُ عُلُومِ السِّرِّ ، وبَيانُ مُعامَلَةِ الضَّمِيرِ مِنْ تَمْيِيزِ الانْفِصالِ عَنْ الاتِّصالِ ، وبَيانُ الأَسْبابِ الشَّاغِلَةِ عَنِ الحَقِّ مِنَ الأَسْبابِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الحَقِّ .

أَمَّا الدَّاعِي إِلَى الخَلْقِ فالدُّنْيا والنَّفْسُ والخَلْقُ ، وأَمَّا الدَّاعِي إِلَى الحَقِّ فالعَقْلُ واليَقِينُ والمَعْرِفَةُ .

كَما وَرَدَ : (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ) ؛ يَعْنِي مَنْ عَرَفَ ما لِنَفْسِهِ عَرَفَ ما لِرَبِّهِ .

وكَلامُهُمْ يَدُورُ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ : بِهِ ولَهُ ومِنْهُ وإِلَيْهِ وعَلَيْهِ ، ولَيْسَ فِي

كَلامِهِمْ : إِنَّا وإِنِّي ونَحْنُ وَلِي وبِي ؛ لأَنَّ أَلْفاظَهُمْ فَرْدانِيَّةٌ ، وحَرَكاتِهِمْ صَمَدانِيَّةٌ ، وأَخْلاقَهُمْ رَبَّانِيَّةٌ ، وإِرادَتَهُمْ وَحْدانِيَّةٌ ، لا يَعْرِفُ إِشارَتَهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ قَلْبٌ حَرِيقٌ فِيهِ خَزائِنُ الأَسْرارِ وجَواهِرُ القُدْسِ وسُرادِقاتُ الأَنْوارِ وبِحارُ الوِدادِ ومَفاتِيحُ الغَيْبِ وأَوْدِيَةُ الشَّوْقِ ورِياضُ الأُنْسِ ، فَكُلَّما أَبْرَزَ العارِفُ لِسانَ الحِكْمَةِ مِنْ يَنْبُوعِ المَعْرِفَةِ بِإِشاراتٍ اسْتَأْنَسَ بِها قُلُوبُ المُرِيدِينَ والمُشْتاقِينَ .

أَيْ سادَة ، مَنْ أَرادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِلِسانِ أَهْلِ المَعْرِفَةِ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَحْفَظَ أَدَبَ كَلامِهِ ، فَلا يَكْشِفُ دَقائِقَهُ إِلَّا عِنْدَ أَهْلِهِ ، وأَنْ لا يُحَمِّلَ المُرِيدَ فَوْقَ طاقَتِهِ ، ولا يَمْنَعَ كَلامَهُ مَنْ كانَ مِنْ أَهْلِهِ ، ويَكُونَ كَلامُهُ مَعَ أَهْلِ المَعْرِفَةِ بِلِسانِ المَعْرِفَةِ ، ومَعَ أَهْلِ الصَّفاءِ بِلِسانِ الصَّفاءِ ، ومَعَ أَهْلِ المَحَبَّةِ بِلِسانِ المَحَبَّةِ ، ومَعَ أَهْلِ الزُّهْدِ بِلِسانِهِمْ ، ومَعَ كُلِّ صِنْفٍ عَلَى قَدْرِ مَراتِبِهِمْ ومَنازِلِهِمْ وقَدْرِ عُقُولِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعالَى جَعَلَ لِلعارِفِ هَذِهِ الأَلْسُنَ ، نَعَمْ كُلُّها تَتَلاشَى عِنْدَ ظُهُورِ سُلْطانِ الحَقِّ .

ويَنْبَغِي أَنْ لا يُحَدِّثَ بِحَدِيثٍ لا يَبْلُغُ عَقْلُ المُسْتَمِعِ إِلَيْهِ ، فَيَكُونَ ذَلِكَ فِتْنَةً ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ جاهِلُونَ اشْتَغَلُوا بِعُلُومِ الظَّواهِرِ وتَرَكُوا عِلْمَ تَصْحِيحِ الضَّمائِرِ ، فَلا يَحْتَمِلُونَ دَقائِقَ كَلامِ العارِفِينَ ؛ لأَنَّ كَلِماتِهِمْ

لاهُوتِيَّةٌ وإِشاراتِهِمْ قُدْسِيَّةٌ وعِباراتِهِمْ أَزَلِيَّةٌ ، فَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلمُسْتَمِعِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ السِّراجُ الأَزَلِيُّ والنُّورُ الدَّيْمُومِيُّ .

ويُقالُ : لِسانُ الحالِ أَفْصَحُ مِنْ لِسانِ المَقالِ ، فَمَنْ رَضِيَ بالحالِ دُونَ وَلِيِّ الحالِ ؛ صارَ مَخْذُولاً عَنِ الحالِ ، ومَحْجُوباً عَنْ ذِي الجَلالِ ، وأَيُّ دَهْشَةٍ أَشَدُّ مِنْ دَهْشَةِ العارِفِ ؛ إِنْ تَكَلَّمَ عَنْ حالِهِ هَلَكَ ، وإِنْ سَكَتَ احْتَرَقَ ، فَمَنْ وَرَدَ قَلْبُهُ الحَضْرَةَ كُلَّ لِسانُهُ ، ومَنْ غابَ قَلْبُهُ عَنِ الحَضْرَةِ كَثُرَ كَلامُهُ .

أَيْ سادَة ، عِلْمُ المَعْرِفَةِ هُوَ العِلْمُ بِاللهِ تَعالَى ، وهُوَ نُورٌ مِنْ أَنْوارِ ذِي الجَلالِ ، وخَصْلَةٌ مِنْ أَشْرَفِ الخِصالِ ، أَكْرَمَ اللهُ بِهِ قُلُوبَ العُقَلاءِ فَزَيَّنَها بِحُسْنِ جَمالِهِ وعَظِيمِ شَأْنِهِ .

وخَصَّ بِهِ أَهْلَ وِلايَتِهِ ومَحَبَّتِهِ وفَضَّلَهُ عَلَى سائِرِ العُلُوم ، وأَكْثَرُ النَّاسِ عَنْ شَرَفِهِ غافِلُونَ وبِلَطائِفِهِ جاهِلُونَ ، وعَنْ عَظِيمِ خَطَرِهِ ساهُونَ ، وعَنْ غَوامِضِ مَعانِيهِ لاهُونَ ، فَلا يُدْرِكُهُ إِلَّا أَرْبابُ القُلُوبِ المُوَفَّقُونَ .

وهَذا العِلْمُ أَساسٌ بُنِيَتْ عَلَيْهِ سائِرُ العُلُوم ، بِهِ يُنالُ خَيْرُ الدَّارَيْنِ وعِزُّ المَنْزِلَيْنِ ، وبِهِ يَعْرِفُ العَبْدُ عُيُوبَ نَفْسِهِ ومِنَنَ رَبِّهِ وجَلالَ رُبُوبِيَّتِهِ وكَمالَ قُدْرَتِهِ ، بِهِ يَطِيرُ سِرُّ العَبْدِ بِجَناحِ المَعْرِفَةِ فِي سُرادِقاتِ

لَطائِفِ القُدْرَةِ ، ويَجُولُ حَوْلَ مُنْتَهَى العِزَّةِ ، ويَرْتَعُ فِي رَوْضاتِ القُدْسِ ، فَلا تَتِمُّ العُلُومُ كُلُّها دُونَ امْتِزاجِ شَيْءٍ مِنْهُ بها ، ولا تَفْسُدُ الأَعْمالُ إلَّا بِفَقْدِهِ ، ولَمْ تَسْكُنْ إلَيْهِ إلَّا قُلُوبٌ نَظَرَ اللهُ إلَيْها بِالرَّأْفَةِ والرَّحْمَةِ ، وأَمْطَرَ عَلَيْها أَمْطارَ الفَهْمِ والبَلاغَةِ ، وطَيَّبَها بِرَياحِينِ اليَقِينِ والفِطْنَةِ ، وجَعَلَها مَوْضِعَ العَقْلِ والفِراسَةِ ، وطَهَّرَها مِنْ أَدْناسِ الجَهالَةِ والغَفْلَةِ ، ونَوَّرَها بِمَصابِيحِ العِلْمِ والحِكْمَةِ .

قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (١) .

كُلُّ عارِفٍ يَخْشَى اللهَ تَعالَى ويَتَّقِيهِ عَلَى مِقْدارِ عِلْمِهِ بِاللهِ عَزَّ وجَلَّ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (٢) .

بِنُورِهِ يَعْرِفُ وَساوِسَ الشَّيْطانِ الدَّافِعَةَ إلَى المَعاصِي والزَّلَّاتِ ، ويَحْذَرُ بِهِ آفاتِ الإراداتِ .

قالَ تَعالَى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ (٣) .

وقالَ عَزَّتْ قُدْرَتُهُ : ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ (٤) .

---

(١) سُورَةُ المُجادِلَة : مِنَ الآيَة ١١ .
(٢) سُورَةُ فاطِر : مِنَ الآيَة ٢٨ .
(٣) سُورَةُ الزُّمَر : مِنَ الآيَة ٢٢ .
(٤) سُورَةُ النُّور : مِنَ الآيَة ٤٠ .

وفِي الخَبَرِ : (إِنَّ مِنَ العِلْمِ كَهَيْئَةِ المَكْنُونِ المَخْزُونِ ، لا يَعْرِفُها إِلَّا أَهْلُ العِلْمِ بِاللهِ) [1] .

وجاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقالَ : (أَيُّ الأَعْمالِ أَفْضَلُ ؟ فَقالَ : العِلْمُ بِاللّه) [2] .

ورُوِيَ : أَنَّ سَيِّدَنا مُوسَى عليه السلام قالَ : (يا رَبِّ أَيُّ العِبادِ أَكْثَرُ حَسَنَةً وأَرْفَعُ دَرَجَةً عِنْدَكَ ؟ قالَ : أَعْلَمُهُمْ بِي) .

وقالَ الإمامُ الجَلِيلُ سَيِّدُنا عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ رضي الله عنه وكَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : أَعْلَمُ النَّاسِ بِاللهِ أَشَدُّهُمْ تَعْظِيماً لِحُرْمَةِ اللهِ .

وقِيلَ : إِنَّ اللهَ تَعالَى أَوْحَى إِلَى سَيِّدِنا داوُودَ عليه السلام : أَنْ يا داوُودُ تَعَلَّمِ العِلْمَ النَّافِعَ ، قالَ : إِلَهِي وما العِلْمُ النَّافِعُ ؟ قالَ : أَنْ تَعْرِفَ جَلالِي وعَظَمَتِي وكِبْرِيائِي وكَمالَ قُدْرَتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِنَّ هَذا الَّذِي يُقَرِّبُكَ إِلَيَّ .

حَقٌّ لِمَنْ عَرَفَ المَوْلَى أَنْ لا يَشْكُوَ مِنَ البَلْوَى ، إِذا لَمْ يَعْرِفِ المَوْلَى فَكُلُّ لِسانٍ لَهُ دَعْوَى ، لَيْسَ لِلعارِفِ دَعْوَى ولا لِلمُحِبِّ شَكْوَى ، إِذا

---

(١) ذَكَرَهُ المُناوِي فِي (فَيْضِ القَدِير) ، والدَّيْلَمِي فِي (الفِرْدَوْس) .

(٢) رَواهُ الحَكِيمُ التِّرْمِذِي فِي النَّوادِر ، وذَكَرَهُ العَجْلُونِي فِي كَشْفِ الخَفاء .

سَبَقَتْ مِنَ الرَّبِّ العِنايَةُ هَزَمَتْ مِنَ العَبْدِ الجِنايَة ، إذا سَبَقَتِ العِنايَةُ وَجَبَتِ الوِلايَةُ ، بِالعِنايَةِ تَحْصُلُ الوِلايَةُ ، والوِلايَةُ تَهْدِمُ الجِنايَة ، لَيْسَ الشَّأْنُ فِي الوِلايَةِ لَكِنَّ الشَّأْنَ فِي العِنايَة ، لَمْ يُدْرِكِ الوِلايَةَ مَنْ فاتَتْهُ العِنايَةُ ، طَرْحُ الخَلْقِ وُجُودُ الحَقِّ ، اطْرَحِ الدَّعْوَى تَجِدِ المَعْنَى ، مَنْ كانَ لَهُ باطِنٌ صَحِيحٌ فَجَمِيعُ كَلامِهِ مَلِيحٌ ، لا تَغْتَرَّ بِصَفاءِ الأَوْقاتِ فَإِنَّ تَحْتَها فُنُونَ الآفاتِ ، لا تَغْتَرَّ بِصَفاءِ العُبُودِيَّةِ فَإِنَّ فِيها نِسْيانَ الرُّبُوبِيَّةِ ، خَلِّ الدَّارَيْنِ لِلطَّالِبِينَ واسْتَأْنِسْ بِرَبِّ العالَمِينَ ، اسْتَهْدِ بِاللهِ فَنِعْمَ الدَّلِيلُ وتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فَنِعْمَ الوَكِيلُ .

هَذا .. وما ذَكَّرْنا بِهِ الأَحْبابَ أَصْحابَ الفَضِيلَة ؛ بَعْضَ مَقُولاتِهِ الجَلِيلَة ، أَمَدَّنا اللهُ بِإِمْداداتِهِ الجَزِيلَة ، آمِين .

تَحَقُّقُهُ رضي الله عنه بِمَكارِمِ الأَخْلاق

(التَّصَوُّفُ أَخْلاق : فَمَنْ زادَ عَنْكَ فِي الأَخْلاقِ زادَ عَنْكَ فِي التَّصَوُّفِ)

قالَ صاحِبُ (جِلاءُ الصَّدا) مَوْلانا أَحْمَدُ بنُ جَلال :

كانَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي يَسْكُتُ حَتَّى يُقالَ إِنَّهُ لا يَتَكَلَّمُ ، فَإِذا تَكَلَّمَ بَلَّ بِعُذُوبَةِ كَلامِهِ الغَلِيلَ ، وداوَى العَلِيلَ ، تَرَكَ نَفْسَهُ وتَواضَعَ لِلنَّاسِ مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ ، وكَظَمَ غَيْظَهُ مِنْ غَيْرِ ضَجَرٍ ، وكانَ لَيِّنَ العَرِيكَةِ ، هَيِّنَ المَؤُونَةِ ، سَهْلَ الخُلُقِ ، كَرِيمَ النَّفْسِ ، حَسَنَ المُعاشَرَةِ ، بَسَّاماً مِنْ

غَيْرِ ضَحِكٍ ، مَحْزُوناً مِنْ غَيْرِ عُبُوسٍ ، مُتَواضِعاً مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ ، جَواداً مِنْ غَيْرِ إِسْرافٍ ، اجْتَمَعَتْ فِيهِ مَكارِمُ الأَخْلاقِ ، كانَ فَقِيهاً عالِماً قارِئاً مُجَوِّداً مُحَدِّثاً ، ولَهُ إِجازاتٌ ورواياتٌ عالِياتٌ ، إِذا تَكَلَّمَ أَجادَ ، وإِذا سَكَتَ أَفادَ يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ لأَهْلِهِ ، ويَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وفِعْلِهِ ، كانَ كَهْفَ الحَرائِرِ والمُحْتاجِينَ ، وكَعْبَةَ القاصِدِينَ ، أَباً للأَرامِلِ والأَيْتامِ ، يُعْطِي مِنْ غَيْرِ سُؤالٍ ، ويَمْنَحُ مِنْ غَيْرِ إِهْمالٍ ، إِذا قالَ قَوْلاً أَتْبَعَهُ بِصِحَّةِ الفِعْلِ وصِدْقِ القَوْلِ ، ولَمْ يُخالِفْ قَوْلُهُ فِعْلَهُ قَطُّ .

وقالَ الذَّهَبِيُّ فِي (سِيَرِهِ) عِنْدَ ذِكْرِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الرِّفاعِي :

أَقْسَمَ عَلَى أَصْحابِهِ إِنْ كانَ فِيهِ عَيْبٌ يُنَبِّهُونَهُ عَلَيْهِ ؛ فَقالَ الشَّيْخُ عُمَرُ الفارُوثِي : يا سَيِّدِي ! أَنا أَعْلَمُ فِيكَ عَيْباً ، قالَ : ما هُوَ ؟ قالَ : يا سَيِّدِي ! عَيْبُكَ أَنَّنا مِنْ أَصْحابِكَ .

فَبَكَى الشَّيْخُ والفُقَراءُ ، وقالَ : أَي عُمَرُ ! إِنْ سَلِمَ المَرْكَبُ حَمَلَ مَنْ فِيهِ .

وإِنَّ هِرَّةً نامَتْ عَلَى كُمِّ الشَّيْخِ أَحْمَدَ ، وقامَتِ الصَّلاةُ ، فَقَصَّ كُمَّهُ وما أَزْعَجَها ، ثُمَّ قَعَدَ فَوَصَلَهُ ، وقالَ : ما تَغَيَّرَ شَيْءٌ .

كَراماتُهُ

أَمَّا كَراماتُهُ رضي الله عنه فَهِيَ كَثِيرَةٌ لا تُحْصَى ، وأَعْظَمُها مَدُّ يَدِ النَّبِيِّ ﷺ

جِهاراً عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهادِ ، وتَقْبِيلُهُ إِيَّاها وكَلامُهُ مَعَ حَضْرَتِهِ ﷺ والنَّاسُ يَنْظُرُونَ ويَسْمَعُون : قالَ الإمامُ الفَقِيهُ أَبُو الفَرَجِ عُمَرُ الفارُوثِي (وكانَ مِنْ حُجَّاجِ سَنَةَ ٥٥٥ هـ ، ومِمَّنْ تَشَرَّفَ بِحُضُورِ مَشْهَدِ لَثْمِ اليَدِ الشَّرِيفَةِ): كُنْتُ مَعَ سَيِّدِنا ومَفْزَعِنا وشَيْخِنا السَّيِّدِ أَحْمَدَ الكَبِيرِ الرِّفاعِي عامَ حَجِّهِ الأَوَّلِ وذَلِكَ سَنَةَ خَمْسٍ وخَمْسِينَ وخَمْسِ مِئَةٍ ، وقَدْ دَخَلَ المَدِينَةَ المُنَوَّرَةَ يَوْمَ دُخُولِهِ إِلَيْها قَوافِلُ الزُّوَّارِ مِنَ الشَّامِ والعِراقِ واليَمَنِ والمَغْرِبِ والحِجازِ وبِلادِ العَجَمِ ، وقَدْ زادُوا عَنْ تِسْعِينَ أَلْفاً ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ تَرَجَّلَ عَنْ مَطِيَّتِهِ ، ومَشَى حافِياً إِلَى أَنْ وَصَلَ الحَرَمَ الشَّرِيفَ المُحَمَّدِيَّ ، وما زالَ حَتَّى وَقَفَ تُجاهَ الحُجْرَةِ العَطِرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، فَقالَ :

السَّلامُ عَلَيْكَ يا جَدِّي ، فَقالَ لَهُ (عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَواتِ وأَزْكَى التَّسْلِيمات) : وعَلَيْكَ السَّلامُ يا وَلَدِي .

سَمِعَ كَلامَهُ الشَّرِيفَ كُلُّ مَنْ فِي الحَرَمِ النَّبَوِيِّ .

فَتَواجَدَ لِهَذِهِ المِنْحَةِ العَظِيمَةِ والنِّعْمَةِ الكُبْرَى ، وحَنَّ ، وأَنَّ ، وبَكَى ، وجَثا عَلَى رُكْبَتَيْهِ مُرْتَعِداً ، ثُمَّ قامَ وقالَ (غائِباً عَنْ نَفْسِهِ ، حاضِراً مَعَ أُنْسِهِ) :

رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم
مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ
أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ
لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم
مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ
ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ
أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾
إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾
فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى
﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾
قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ .
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ
فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ .
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ
ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ

إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾ ، بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ
﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا
أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ ، بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴿١﴾
مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ
فِي ٱلۡعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ .
بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ
﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ
فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ وشَرِّفْ وعَظِّمْ بِكُلِّ وَقْتٍ مِنَ الأَوْقاتِ ، وساعَةٍ مِنَ السَّاعاتِ ، مِلْءَ الأَرَضِينَ والسَّمَواتِ ، عَلَى سَيِّدِ السَّاداتِ ، وإِمامِ القاداتِ ، ورَئِيسِ الكُلِّ فِي الحَضَراتِ ، وعَلَى آلِهِ وأَصْحابِهِ أَصْحابِ الكَمالاتِ ، وعَلَى المَشايِخِ العارِفِينَ أَرْبابِ الحالاتِ ، والسَّلامُ عَلَى الفَرْدِ الأَمْجَدِ ، القُطْبِ الغَوْثِ الأَوْحَدِ ، النَّائِبِ عَنْ حَضْرَةِ رَسُولِ اللهِ فِي مُلْكِ اللهِ ، والآمِرِ بِأَمْرِ اللهِ فِي سَمَواتِ اللهِ وأَرْضِ اللهِ ، ورَضِيَ اللهُ عَنِ الإمامَيْنِ والسَّبْعَةِ الأَقْطابِ ، وعَنِ الأَبْدالِ والأَنْجابِ ، والأَطْرازِ الأَحْبابِ ، والأَوْتادِ والأَفْرادِ ، والرِّجالِ أَهْلِ الإِرْشادِ ،

والقائِمينَ بِمَصالِحِ العِبادِ ، وعَلَى صُلَحاءِ المُسْلِمينَ ، رَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ إنَّهُ البَرُّ المُعِينُ ، ونَسْأَلُ اللهَ أَجْمَعِينَ أَنْ يَمُدَّنا بِمَدَدِ رَسُولِه الأَعْظَمِ وحَبِيبِهِ الأَكْرَم ﷺ وبِمَدَدِ حَضَراتِ الأَنْبياءِ الكِرامِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ونَسْأَلُهُ أَنْ يُعَطِّفَ عَلَيْنا قَلْبَ صاحِبِ الزَّمانِ ، وأَهْلَ حاشِيَتِهِ الأَعْيانِ ، جَعَلْناهُمْ وَسِيلَتَنا إِلَى اللهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ حَسَنٍ يَدُلُّ عَلَى اللهِ ، دَفَعْنا بِهِمْ شَرَّ الزَّمانِ والسُّلْطانِ والإِخْوانِ الخُوَّانِ والأَعْداءِ مِنَ الإِنْسِ والجانِّ ، أَخَذْناهُمْ دِرْعاً لِرَدِّ كُلِّ بَلاءٍ ، ودَفْعِ كُلِّ قَضاءٍ ، قَبِلْناهُمْ باباً لِنَيْلِ كُلِّ خَيْرٍ دُنْيَوِيٍّ وأُخْرَوِيٍّ، خَفِيٍّ وجَلِيٍّ ، كُلِّيٍّ وجُزْئِيٍّ ، والسَّلامُ عَلَيْنا وعَلَى عِبادِ اللهِ الصَّالِحِينَ ، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

(الفاتِحَة)، وبَعْدَهُ يَشْرَعُ مَعَ الإِخْوانِ فِي الذِّكْرِ بـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ١١١ مَرَّة ، و﴿ٱللَّهُ﴾ ١١١ مَرَّة ، ويَقُومُ بَعْدَ خِتامِ الذِّكْرِ يَقِفُ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ يُصَلِّي ويُسَلِّمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ .

الصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَيْكَ يا سَيِّدَنا يا رَسُولَ الله ، الصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَيْكَ يا حَبِيبَنا وحَبِيبَ الله ، الصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَيْكَ يا وَسِيلَتَنا إِلَى الله ، الصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَيْكَ يا أَوَّلَ خَلْقِ اللهِ وخاتَمَ رُسُلِ الله ،

الصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْبياءَ اللهِ أَجْمَعِينَ ، (الفاتِحَة) .

ويَدْعُو الشَّيْخُ بِما يَفْتَحُ اللهُ بِهِ ، ويَتَصافَحُونَ .

وِرْدُ الفَرَج

فَضائِلُ وِرْدِ الفَرَج : قالَ العَلَّامَةُ الإمامُ قُدْوَةُ الأَنام شَيْخُ الإِسْلام وَلِيُّ اللهِ العارِفُ بِاللهِ الزَّاهِدُ العابِدُ أَبُو الفَضائِلِ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ أَحْمَدَ الدِّيرِينِيُّ الشَّافِعِيُّ المَذْهَبِ الرِّفاعِيُّ الخِرْقَةِ رضي الله عنه ونَفَعَنا والمُسْلِمِينَ بِعُلُومِهِ وبَرَكاتِهِ : قَدْ أَمْلَى عَلَيْنا شَيْخُنا وبَرَكَتُنا ومَلاذُنا القُطْبُ الكَبِيرُ العالِمُ النِّحْرِيرُ بَحْرُ العِرْفانِ شَيْخُ الذَّوْقِ والوِجْدانِ وَلِيُّ اللهِ العارِفُ الجَلِيلُ الأُسْتاذُ الأَعْظَمُ الشَّيْخُ أَبُو الفَتْحِ ابنُ الشَّيْخِ أَبِي الغَنائِمِ الواسِطِيُّ الشَّافِعِيُّ نَزِيلُ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، شَيْخُ مَشايِخِ الإِسْلامِ مُرْشِدُ الخَواصِّ والعَوامِّ رضي الله عنه فِي ثَغْرِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ الحِزْبَ العَظِيمَ الشَّأْنِ الباهِرَ البُرْهانِ المُسَمَّى (**حِزْبَ الفَرَج**) أَحَدَ أَحْزابِ وأَوْرادِ سَيِّدِنا وإِمامِنا وقُدْوَتِنا ومَلاذِنا وشَيْخِ مَشايِخِنا ؛ قُطْبِ الأَقْطابِ كَعْبَةِ الطُّلَّابِ سُلْطانِ الأَوْلِياءِ والعارِفِينَ حُجَّةِ اللهِ عَلَى الأَفْرادِ الواصِلِينَ ، عَلَمِ اللهِ المَنْشُورِ ، الوارِثِ النَّبَوِيِّ الغَيُورِ ، طَلْسَمِ الدَّقائِقِ ، بَحْرِ المَعارِفِ والحَقائِقِ ، نُكْتَةِ النِّيابَةِ المُحَمَّدِيَّةِ ، خِزانَةِ

العَوارِفِ العُلْوِيَّةِ ، واللَّطائِفِ البَتُولِيَّةِ ، صاحِبِ اليَدِ والفَضْلِ الَّذِي لا يُجْحَدُ ، والخَوارِقِ الَّتِي تَتَجاوَزُ حَدَّ العَبْدِ ، سَيِّدِ المُتَمَكِّنِينَ ، وارِثِ عُلُومِ الأَنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ ، المُغِيثِ بِإِذْنِ اللهِ فِي مُهِمَّاتِ الدَّواعِي : سَيِّدِنا السَّيِّدِ مُحْيِي الدِّينِ أَحْمَد ابنِ السَّيِّدِ أَبِي الحَسَن عَلِيٍّ الحُسَيْنِي الشَّهِير بِالرِّفاعِي رضي الله عنه وعَنَّا بِهِ ، ونَفَعَنا بِعُلُومِهِ ومَدَدِهِ ، وأَفاضَ عَلَيْنا وعَلَى المُسْلِمِينَ مِنْ فَيَّاضِ بَرَكاتِهِ ونَفَحاتِهِ ، ورَضِيَ اللهُ عَنْ أَسْلافِهِ الطَّاهِرِينَ ، وأَخْلافِهِ المَرْضِيِّينَ أَجْمَعِين .

ثُمَّ قالَ شَيْخُ مَشايِخِ الإِسْلامِ شَيْخُنا الشَّيْخُ أَبو الفَتْحِ ابنُ أَبِي الغَنائِمِ الواسِطِي رضي الله عنه بَعْدَ أَنْ أَمْلَى عَلَيْنا حِزْبَ الفَرَجِ الَّذِي أَشَرْنا إِلَيْهِ ونَوَّهْنا عَلَيْهِ : تَلَقَّيْناهُ عَنْ صاحِبِهِ ؛ عِمادِنا وواسِطَةِ إِمْدادِنا ، غَوْثِ الزَّمانِ ، قُطْبِ الأَوانِ ، نائِبِ نَبِيِّ الرَّحْمٰنِ ، شَيْخِ الإِنْسِ والجانِّ ، رُوحِ أَهْلِ العِرْفانِ ، بارِقَةِ المَدَدِ المُسْتَغْرِقَةِ بِإِذْنِ اللهِ ، نَوْبَةِ الدَّوَرانِ ، مَوْلانا وسَيِّدِنا السَّيِّدِ أَحْمَدَ الكَبِيرِ الرِّفاعِي رضي الله عنه وعَنْ آبائِهِ الكِرامِ الأَعْلامِ ، وأَعْقابِهِ السَّاداتِ العِظامِ وعَنْ إِخْوانِهِ أَوْلِياءِ اللهِ أَجْمَعِينَ ، وعَنَّا وعَنْ عِبادِ اللهِ الصَّالِحِين .

وقَدْ بُشِّرَ إِحْدَى عَشْرَةَ مَرَّةً مِنْ جَدِّهِ سَيِّدِ الوُجُوداتِ ، وشَرَفِ صُنُوفِ

المَخْلُوقات ، وعِلَّةِ نَسْجِ هَذِهِ الذَّرَّات ، ورُوحِ أَجْزاءِ الكائِنات ﷺ وعَلَى أَصْحابِهِ ، وخُدَّامِهِ ونُوَّابِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، بِأَنَّ : مَنْ داوَمَ عَلَى هَذا الحِزْبِ المُبارَكِ لا يُخْذَلُ ولا يُخْزَى ، ولا يُهانُ بِإِذْنِ اللهِ ، ومَنْ تَوَجَّهَ إِلَى اللهِ فِي كَرْبٍ يُفَرِّجُ اللهُ عَنْهُ ، وإِنَّهُ مِنْ أَجَلِّ أَبْوابِ السَّعادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ والأُخْرَوِيَّةِ .

قالَ شَيْخُنا الشَّيْخُ أَبو الفَتْحِ : وكانَ سَيِّدُنا ومَوْلانا السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي رضي الله عنه ونَفَعَنا بِهِ وبِعُلُومِهِ يَأْمُرُ بِقِراءَتِهِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ ويَقُولُ : تَتَنَزَّلُ مِنَ الحَضْرَةِ عَلَى أَهْلِ هَذا الحِزْبِ خِلْعَةُ القَبُولِ ، فَلا يُخْزَوْنَ بِإِذْنِ اللهِ تَعالَى ، وتَحْضُرُ عِنْدَ قِراءَتِهِ رُوحانِيَّةُ سَيِّدِ الوُجُودِ ﷺ ، **وهَذا أَوانُ الشُّرُوعِ بِذِكْرِ الحِزْبِ الشَّرِيفِ والوِرْدِ المُبارَك :**

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ .

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ١٠ مَرَّات ، ﴿ٱللَّهُ﴾ ١٠ مَرَّات ، (أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيم) ١٠ مَرَّات ، (حَسْبِيَ الله) ٧ مَرَّات .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ
هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا
رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن
قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ .

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

اللهُمَّ يا حَيُّ يا قَيُّومُ يا ذا الجَلالِ والإِكْرام ، أَسْأَلُكَ بِأَسْرارِكَ المُسْتَوْدَعَةِ فِي خَلْقِكَ ، بِعِزَّةِ عَرْشِكَ ، بِقُدْسِ نَفْسِكَ ، بِنُورِ وَجْهِكَ ، بِمَبْلَغِ عِلْمِكَ ، بِغايَةِ قَدْرِكَ ، بِبَسْطِ قُدْرَتِكَ ، بِحَقِّ شُكْرِكَ ، بِمُنْتَهَى رَحْمَتِكَ ، بِسُلْطانِ مَشِيئَتِكَ ، بِعَظَمَةِ ذاتِكَ ، بِكُلِّ صِفاتِكَ ، بِجَمِيعِ أَسْمائِكَ ، بِمَكْنُونِ سِرِّكَ ، بِجَمِيلِ سِتْرِكَ ، بِجَزِيلِ بِرِّكَ ، بِكَمالِ مِنَّتِكَ ، بِفَيْضِ جُودِكَ ، بِقاهِرِ غَضَبِكَ ، بِسابِقِ رَحْمَتِكَ ، بِأَعْدادِ كَلِماتِكَ ، بِعَنايَةِ مَجْدِكَ ، بِجَلِيلِ طَوْلِكَ ، بِتَفْرِيدِ فَرْدانِيَّتِكَ ، بِتَوْحِيدِ وَحْدانِيَّتِكَ ، بِدائِمِ بَقائِكَ ، بِسَرْمَدِيَّةِ قُدُسِكَ ، بِأَزَلِيَّةِ رُبُوبِيَّتِكَ ، بِعَظِيمِ كِبْرِيائِكَ ، بِجَلالِكَ ، بِجَمالِكَ ، بِكَمالِكَ ، بِإِنْعامِكَ ، بِشامِخِ أَفْعالِكَ ،

بِسِيادَةِ أُلُوهِيَّتِكَ ، بِجَبَّارِيَّتِكَ ، بِحَنانِيَّتِكَ ، بِمَنانِيَّتِكَ ، بِعَطْفِكَ ، بِلُطْفِكَ ، بِبِرِّكَ ، بِإِحْسانِكَ ، بِحَقِّكَ ، يا رَبَّاهُ ، يا غَوْثاهُ ، أَسْتَعِينُكَ وأَسْتَجْدِيكَ أَنْ تَجْعَلَ لِي مِنْ كُلِّ هَمٍّ وغَمٍّ وكَرْبٍ فَرَجاً ، ومِنْ كُلِّ بَلاءٍ وشِدَّةٍ وضِيقٍ مَخْرَجاً ، واجْعَلْ أَوْقاتِي بِكَ عامِرَةً ، وسَرِيرَتِي بِمَحَبَّتِكَ نَيِّرَةً ، وعَيْنَيَّ بِشُهُودِ آثارِ لُطْفِكَ قَرِيرَةً ، وبَصِيرَتِي بِلَوامِعِ أَنْوارِ قُرْبِكَ مُسْتَنِيرَةً وبَصِيرَةً ، بِحَقِّ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ، و﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ وبِحَقِّ ﴿طه﴾ ، و﴿طسٓ﴾ ، و﴿صٓ﴾ ، و﴿يسٓ﴾ ، و﴿الٓر﴾ ، و﴿الٓمٓ﴾ ، و﴿نٓ﴾ ، و﴿حمٓ﴾ ، و﴿طسٓمٓ﴾ ، وبِسِرِّ القُرْآنِ العَظِيمِ يا عَلِيُّ يا عَظِيمُ يا رَحْمٰنُ يا رَحِيمُ يا بَرُّ يا كَرِيمُ يا أَوَّلُ يا قَدِيمُ .

اللهُمَّ يا مَنْ لا تَنْفَعُكَ طاعَتِي ، ولا تَضُرُّكَ مَعْصِيَتِي ، تَقَبَّلْ مِنِّي ما لا يَنْفَعُكَ ، واغْفِرْ لِي ما لا يَضُرُّكَ ، بِسْمِ اللهِ حَسْبُنا ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ وهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ، اللهُ اللهُ اللهُ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ ، وما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ ، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ

عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ .

يا دائماً لا فَناءَ ولا زَوالَ لِمُلْكِهِ ، تَدارَكْني بِلُطْفِكَ فَإنِّي ضَعيفٌ وأَنْتَ القَوِيُّ ، وإنِّي فَقيرٌ وأَنْتَ الغَنِيُّ ، وإنِّي مَغْلوبٌ وأَنْتَ النَّصيرُ ، وإنِّي عاجِزٌ وأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدير ، حَسْبِيَ اللهُ لا إلهَ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظيم ، حَسْبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوَكيل .

اللهُمَّ أَحْسِنْ عاقِبَتَنا في الأُمورِ كُلِّها ، وأَجِرْنا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيا وعَذابِ الآخِرَةِ .

أَعوذُ بِجَلالِ وَجْهِ اللهِ ، وجَمالِ قُدْسِ اللهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذي شَرٍّ ومِنْ شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها .

اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ السَّلامَةَ والسَّعادَةَ ، ونِعْمَ عُقْبَى الدّارِ ، وصُحْبَةَ الأَخْيارِ ، ومَوَدَّةَ الأَبْرارِ ، والنَّجاةَ مِنَ النّارِ .

اللهُمَّ احْرُسْني بِعَيْنِكَ الَّتي لا تَنامُ ، واكْنُفْني بِكَنَفِكَ الَّذي لا يُضامُ ، وارْحَمْني بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ ، لا أَهْلِكُ وأَنْتَ رَجائي ، فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِها عَلَيَّ ، قَلَّ لَكَ عِنْدَها شُكْري ، وكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَني بِها ، قَلَّ لَكَ

عِنْدَها صَبْرِي ، فَيا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْرِي فَلَمْ يَحْرِمْنِي ، ويا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلِيَّتِهِ صَبْرِي فَلَمْ يَخْذُلْنِي ، ويا مَنْ رَآنِي عَلَى الخَطايا فَلَمْ يَفْضَحْنِي ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ، كَما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ ورَحِمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْراهِيمَ وعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْراهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى دِينِي بِدُنْيايَ ، وعَلَى آخِرَتِي بِتَقْوايَ .

واحْفَظْنِي بِما غِبْتُ عَنْهُ ، ولا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فِيما حَضَرْتُ مَعَهُ ، يا مَنْ لا تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ ولا تَنْقُصُهُ المَغْفِرَةُ ، هَبْ لِي ما لا يَنْقُصُكَ ، واغْفِرْ لِي ما لا يَضُرُّكَ ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَرَجاً قَرِيباً ، وصَبْراً جَمِيلاً ، وأَسْأَلُكَ العافِيَةَ مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ ، وأَسْأَلُكَ دَوامَ العافِيَةِ ، وأَسْأَلُكَ الغِنَى عَنْ شِرارِ النَّاسِ ، وأَسْأَلُكَ السَّلامَةَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ .

اللهُمَّ فارِجَ الهَمِّ كاشِفَ الغَمِّ مُجِيبَ دَعْوَةِ المُضْطَرِّينَ ، رَحْمٰنَ الدُّنْيا والآخِرَةِ ورَحِيمَهُما أَنْتَ تَرْحَمُنِي ، فارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِها عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِواكَ .

اللهُمَّ اجْعَلْ لِي مِنْ كُلِّ هَمٍّ يَهُمُّنِي فَرَجاً ومَخْرَجاً ، وارْزُقْنِي مِنْ حَيْثُ

لا أَحْتَسِبُ ، يا سابِقَ الفَوْتِ ، ويا سامِعَ الصَّوْتِ ، ويا كاسِيَ العِظامِ بَعْدَ المَوْتِ ، صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ واجْعَلْ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجاً ومَخْرَجاً ، إِنَّكَ تَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ ، وتَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ ، وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ ، يا اللهُ يا اللهُ، يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ ، يا تَوَّابُ يا ذا الجَلالِ والإِكْرامِ ، يا غِياثَ المُسْتَغِيثِينَ ، يا مُجِيبَ دُعاءِ المُضْطَرِّينَ ، وَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وتَوَكَّلْتُ مُنِيباً خالِصاً عَلَيْكَ ، لا أَرْفَعُ حاجَتِي إِلَّا إِلَيْكَ ، خاشِعاً بَيْنَ يَدَيْكَ ، صِلِ اللهُمَّ حِبالِي بِحِبالِكَ ، وأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ، وأَيِّدْنِي بِجَلالِكَ ، واجْعَلْنِي مِنْ عِبادِكَ المُتَّقِينَ ، لا تَصْرِفْ وَجْهِي بِحَقِّكَ إِلَّا إِلَى جَنابِكَ ، ولا تَجْذِبْ قَلْبِي إِلَّا إِلَى بابِكَ ، قَرِّبْنِي مِنْ أَحْبابِكَ وأَهْلِ وَلائِكَ ، واحْفَظْنِي مِنْ صُحْبَةِ ذَوِي الرَّدِّ مِنْ أَعْدائِكَ ، حَقِّقْنِي بِالمَعْرِفَةِ المُحَمَّدِيَّةِ ، وحَلِّنِي بِالصِّفاتِ المُصْطَفَوِيَّةِ ، وأَطْلِقْ لِسانِي بِشُكْرِكَ ، واسْتَعْمِلْ ناطِقَتِي وقَلْبِي بِذِكْرِكَ ، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ ، رَبِّ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ،﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرِّي وعَلانِيَتِي وما نَزَلَ بِي ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ

يا اللّهُ ، يا عَلِيُّ يا عَظِيمُ ، فَرِّجْ عَنِّي ما أَهَمَّنِي ، وتَوَلَّ أَمْرِي بِلُطْفِكَ ، وتَدارَكْنِي بِرَحْمَتِكَ وكَرَمِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

اللهُمَّ يا مَوْضِعَ كُلِّ شَكْوَى ، ويا سامِعَ كُلِّ نَجْوَى ، ويا كاشِفَ كُلِّ بَلْوَى ، يا عالِمَ كُلِّ خَفِيَّةٍ ، يا صارِفَ كُلِّ بَلِيَّةٍ ، يا مَنْ أَغَثْتَ إِبْراهِيمَ عليه السلام ، ويا مَنْ نَجَّيْتَ مُوسَى عليه السلام ، ويا مَنْ رَفَعْتَ عِيسَى عليه السلام ، ويا مَنِ اصْطَفَيْتَ سَيِّدَنا مُحَمَّداً ﷺ ، صَلِّ اللهُمَّ عَلَى سَيِّدِ أَنْبِيائِكَ وأَكْرَمِ رُسُلِكَ ، حَبِيبِكَ ونَبِيِّكَ ورَسُولِكَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ، وعَلَى آلِهِ وأَصْحابِهِ ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ دُعاءَ مَنِ اشْتَدَّتْ فاقَتُهُ وضَعُفَتْ قُوَّتُهُ وقَلَّتْ حِيلَتُهُ ، بَلْ أَدْعُوكَ دُعاءَ الغَرِيبِ الغَرِيقِ المُضْطَرِّ ، الَّذِي يَعْلَمُ كُلَّ العِلْمِ أَنَّهُ لا يَكْشِفُ عَنْهُ ما هُوَ فِيهِ إِلَّا أَنْتَ ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ارْحَمْنِي ، يا غِياثَ المُسْتَغِيثِين أَغِثْنِي ، اكْشِفْ عَنِّي ما نَزَلَ بِي مِنْ هَمٍّ ، وادْفَعْ عَنِّي ما حَلَّ بِي مِنْ غَمٍّ ، والْطُفْ بِي يا لَطِيفُ يا رَحِيمُ ، يا مَنْ يَمْلِكُ حَوائِجَ السَّائِلِينَ ، ويَعْلَمُ ضَمائِرَ الصَّامِتِينَ ، تَدارَكْنِي بِإِغاثَتِكَ ، يا مَنْ لِكُلِّ مَسْأَلَةٍ مِنْكَ سَمْعٌ حاضِرٌ ، وجَوابٌ كافِلٌ ، ولِكُلِّ صامِتٍ مِنْكَ عِلْمٌ مُحِيطٌ باطِنٌ ، مَواعِيدُكَ صادِقَةٌ ، وأَيادِيكَ فاضِلَةٌ مُتَواصِلَةٌ ، ورَحْمَتُكَ واسِعَةٌ ، افْعَلْ بِي ما أَنْتَ أَهْلُهُ ، فَإِنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وأَهْلُ

المَغْفِرَةِ ، ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ .

اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِنُورِ قُدْسِكَ وبِبَرَكَةِ طَهارَتِكَ وبِعَظَمَةِ جَلالِكَ مِنْ كُلِّ عاهَةٍ وآفَةٍ وطارِقٍ مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ إِلَّا طارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللهُمَّ بِكَ مَلاذِي قَبْلَ أَنْ أَلُوذَ ، وبِكَ عِياذِي قَبْلَ أَنْ أَعُوذَ ، يا مَنْ ذَلَّتْ لَهُ رِقابُ الفَراعِنَةِ ، وخَضَعَتْ لَهُ هاماتُ الجَبابِرَةِ ، يا مَنْ بِيَدِهِ مَقالِيدُ السَّمواتِ والأَرْضِ .

اللهُمَّ ذِكْرُكَ شِعارِي ودِثارِي ، وبِظِلالِ رَحْمَتِكَ نَوْمِي وقَرارِي ، وإِلَيْكَ مِنْ كُلِّ فادِحَةٍ فِرارِي ، وبِكَ فِي كُلِّ حادِثَةٍ انْتِصارِي ، وعَلَيْكَ اعْتِمادِي ، وإِلَى كَرَمِ قُدْسِكَ اسْتِنادِي ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، اضْرِبْ عَلَيَّ سُرادِقاتِ حِفْظِكَ ، وقِنِي هَمَّ ما أَكْرَهُ بِحُرْمَتِكَ يا رَحْمنُ يا رَحِيمُ .

اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الواحِدِ الأَحَدِ ، وأَدْعُوكَ بِاسْمِكَ الفَرْدِ الصَّمَدِ ، وأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِاسْمِكَ العَظِيمِ الوِتْرِ الَّذِي مَلَأَ نُورُ قُدْسِهِ أَرْكانَ الأَكْوانِ كُلِّها إِلَّا ما فَرَّجْتَ عَنِّي ما أَمْسَيْتُ فِيهِ وأَصْبَحْتُ فِيهِ ، حَتَّى لا يُخامِرَ خاطِراتِ أَوْهامِي غُبارُ الخَوْفِ مِنْ غَيْرِكَ ، ولا يَمَسَّ شِراعَ فِكْرِي أَثَرُ الرَّجاءِ مِنْ سِواكَ ، أَجِرْنِي اللهُمَّ مِنْ خِزْيِكَ وعُقُوبَتِكَ ،

واحْفَظْنِي فِي لَيْلِي ونَهارِي ، ونَوْمِي وقَرارِي ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تَعْظِيماً لِوَجْهِكَ ، وتَكْرِيماً لِسُبُحاتِ عَرْشِكَ ، اصْرِفِ اللهُمَّ عَنِّي شَرَّ عِبادِكَ ، واجْعَلْنِي فِي حِفْظِكَ وعِنايَتِكَ ، وسُرادِقاتِ أَمْنِكَ وصِيانَتِكَ ، وأَعِدْ عَلَيَّ عَوائِدَ لُطْفِكَ وكَرَمِكَ وإِحْسانِكَ ، سُبْحانَكَ اللهُمَّ وبِحَمْدِكَ ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ وتَعالَى طَوْلُكَ .

اللهُمَّ يا مُجْلِيَ العَظائِمِ مِنَ الأُمُورِ ، ويا كاشِفَ صِعابِ الهُمُومِ ، ويا مُفَرِّجَ الكَرْبِ العَظِيمِ ، ويا مَنْ إِذا أَرادَ شَيْئاً فَحَسْبُهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ : ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ، رَبَّاهُ رَبَّاهُ أَحاطَتْ بِعَبْدِكَ الضَّعِيفِ غَوائِلُ الذُّنُوبِ وأَنْتَ المُدَّخَرُ لَها ولِكُلِّ شِدَّةٍ ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، الغِياثَ الغِياثَ ، الرَّحْمَةَ الرَّحْمَةَ ، العِنايَةَ العِنايَةَ ، صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ ونَبِيِّكَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ والْطُفْ بِي فِي أُمُورِي كُلِّها والمُسْلِمِينَ .

اللهُمَّ احْفَظْ أُمَّةَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ اللهُمَّ ارْحَمْ أُمَّةَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ ، اللهُمَّ أَصْلِحْ أُمَّةَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ ، اللهُمَّ فَرِّجْ عَنْ أُمَّةِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ .

اللهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِمَّنْ يَرْجُو المَخْلُوقِينَ أَوْ يُعَوِّلُ عَلَيْهِمْ ، وإِذا أَخَذَتْ بِأَزِمَّةِ خاطِرِي إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَلْيَكُنْ مِمَّنْ أَحْبَبْتَهُمْ ، حَتَّى

تَكُونَ هِمَّتِي مُتَوَجِّهَةً إلَى مَنْ أَحْبَبْتَ ، فَتَنْدَمِجَ غايَتُها بِصِفَةِ المَحَبَّةِ الَّتِي أَفْرَغْتَها فِي ذَلِكَ العَبْدِ المُحَبَّبِ ، فَإِنَّكَ الوَلِيُّ لِمَنْ تُحِبُّ ، ولا تَصْرِفْ هِمَّةَ خاطِرِي ولَوْ طَرْفَةَ عَيْنٍ إلَى خَلْقٍ لَمْ تُزَيِّنْهُ بِمَحَبَّتِكَ ، ولَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْكَ وُدًّا ، وأَزِلْ حُجُبَ المُسْتَعاراتِ عَنْ لاحِظَةِ سِرِّي ، فَلا أَلْتَفِتُ إلَّا إلَى ما يَؤُولُ إلَيْكَ ويُعَوِّلُ عَلَيْكَ ، وابْعَثْ عَزْمَ عَزِيمَتِي إلَى أَصْفِيائِكَ وأَوْلِيائِكَ وأَحْبابِكَ المُقَرَّبِينَ ، وعِبادِكَ الصَّالِحِينَ والنَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ ، وحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً .

ثَبِّتْنِي اللهُمَّ عَلَى ما يُرْضِيكَ ، وقَرِّبْنِي مِمَّنْ يُوالِيكَ ، واجْعَلْ غايَةَ حُبِّي وبُغْضِي فِيكَ ، ولا تُقَرِّبْنِي مِمَّنْ يُعادِيكَ .

أَدِمْ عَلَيَّ نِعَمَكَ وبِرَّكَ ، ولا تُنْسِنِي ذِكْرَكَ ، وأَلْهِمْنِي فِي كُلِّ حالٍ شُكْرَكَ ، وعَرِّفْنِي قَدْرَ النِّعَمِ بِدَوامِها ، وقَدْرَ العافِيَةِ بِاسْتِمْرارِها .

اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ والعافِيَةَ والمُعافاةَ الدَّائِمَةَ فِي الدِّينِ والدُّنْيا والآخِرَةِ .

اللهُمَّ اقْذِفْ فِي قَلْبِي رَجاءَكَ ، واقْطَعْ رَجائِي عَمَّنْ سِواكَ حَتَّى لا أَرْجُو أَحَداً غَيْرَكَ ، اللهُمَّ وما ضَعُفَتْ عَنْهُ قُوَّتِي ، وقَصُرَ عَنْهُ أَمَلِي ، ولَمْ تَنْتَهِ إلَيْهِ رَغْبَتِي ، ولَمْ تَبْلُغْهُ مَسْأَلَتِي ، ولَمْ يَجْرِ عَلَى

لِسانِي مِمَّا أَعْطَيْتَ أَحَداً مِنَ الأَوَّلِينَ والآخِرينَ مِنَ اليَقِينِ فَخُصَّنِي بِهِ يا رَبَّ العالَمِين .

اللهُمَّ ضاقَتِ الحِيَلُ ، وانْقَطَعَ الأَمَلُ ، وبَطَلَ العَمَلُ ، لا مَلْجَأَ ولا مَنْجا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، يا مُسَهِّلَ الصَّعْبِ الشَّدِيدِ ، ويا مُلَيِّنَ قَسْوَةِ الحَدِيدِ ، ويا مُنْجِزَ الأَمْرَينِ الوَعْدِ والوَعِيدِ ، ويا مَنْ هُوَ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ وأَمْرٍ جَدِيدٍ ، أَخْرِجْنِي مِنْ حِلَقِ الكَرْبِ والضِّيقِ إِلَى أَوْسَعِ الفَرَجِ وأَبْلَجِ الطَّرِيقِ ، بِكَ أَدْفَعُ ما أُطِيقُ وما لا أُطِيقُ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم .

اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ ، وأَتوكَّلُ فِي كُلِّ الأُمُورِ عَلَيْكَ ، أَسْتَغْفِرُكَ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي أَعْلَمُ ، ومِنَ الذَّنْبِ الَّذِي لا أَعْلَمُ ، إِنَّكَ تَعْلَمُ وأَنا لا أَعْلَمُ ، وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ ، وغَفَّارُ الذُّنُوبِ ، وسَتَّارُ العُيُوبِ ، وكَشَّافُ الكُرُوبِ ، وإِلَيْكَ المَصِير .

اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ قَوِيَ عَلَيْهِ بَدَنِي بِعافِيَتِكَ ، أَوْ نالَتْهُ قُدْرَتِي بِفَضْلِكَ ، أَوْ بَسَطْتُ إِلَيْهِ يَدَيَّ بِسابِغِ رِزْقِكَ ، أَوِ اتَّكَلْتُ فِيهِ عِنْدَ خَوْفِي مِنْهُ عَلَى أَناتِكَ ، أَوْ وَثِقْتُ بِحِلْمِكَ ، أَوْ عَوَّلْتُ فِيهِ عَلى كَرِيمِ عَفْوِكَ .

فِي حالَةِ الْبُعْدِ رُوحِي كُنْتُ أُرْسِلُها
تُقَبِّلُ الأَرْضَ عَنِّي وَهْيَ نَائِبَتِي
وَهَذِهِ دَوْلَةُ الأَشْباحِ قَدْ حَضَرَتْ
فامْدُدْ يَمِينَكَ كَيْ تَحْظَى بِها شَفَتِي

فَمَدَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ النُّورانِيَّةَ مِنْ حُجْرَتِهِ النَّبَوِيَّةِ الكَرِيمَةِ ، فَقَبَّلَها والنَّاسُ يَنْظُرُون .

وقَدْ كانَ فِي الحَرَمِ الشَّرِيفِ الأُلُوفُ حِينَ خُرُوجِ اليَدِ الطَّاهِرَةِ المُحَمَّدِيَّةِ ؛ وكانَ مِنْ أكابِرِ العَصْرِ فِيمَنْ حَضَرَ : الشَّيْخُ حَياةُ بنُ قَيْسٍ الحَرَّانِي ، والشَّيْخُ عَدِيُّ بنُ مسافِر ، والشَّيْخُ عَقِيلُ المَنْبَجِي ؛ وهَؤُلاءِ الثَّلاثَةُ لَبِسُوا خِرْقَةَ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الرِّفاعِي بِذَلِكَ اليَوْمِ ، وانْدَرَجُوا بِسِلْكِ أَتْباعِهِ .

وكانَ فِيمَنْ حَضَرَ : الشَّيْخُ أَحْمَدُ الكَبِيرُ الزَّعْفَرانِي ، والشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي ، والشَّيْخُ أَحْمَدُ الزَّاهِدُ الأَنْصارِي ، والشَّيْخُ شَرَفُ الدِّين أَبو طالِب بنُ عَبْدِ السَّمِيع الهاشِمِي العَبَّاسِي ، وخَلائِقُ .

وكُلُّهُمْ تَبَرَّكُوا وتَشَرَّفُوا بِرُؤْيَةِ اليَدِ المُحَمَّدِيَّةِ بِبَرَكَتِهِ رضي الله عنه وبايَعُوهُ هُمْ ومَنْ حَضَرَ عَلَى المَشْيَخَةِ عَلَيْهِمْ وعَلَى أَتْباعِهِمْ .

وهَذِهِ الكَرامَةُ قَدْ بَلَغَتْ حَدَّ التَّواتُرِ ولَقَدْ رَواها عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ العُلَماءِ ومِنْهُمْ : الإِمامُ سِراجُ الدِّينِ الرِّفاعِي فِي كِتابِهِ (صِحاحُ الأَخْبار)، والإِمامُ الرَّوَّاس فِي كِتابِهِ (مَراحِل السَّالِكين)، والإِمامُ أَبُو الهُدَىٰ الصَّيَّادِي فِي كِتابِهِ (الكَنْز المُطَلْسَم)، والإِمامُ تَقِيُّ الدِّينِ بنُ عَبْدِ المُنْعِمِ الواسِطِي فِي كِتابِهِ (تِرْياق المُحِبِّين) ، والإِمامُ عَبْدُ الكَرِيم الرَّافِعِي القَزْوِينِي فِي (مُخْتَصَر سَوادِ العَيْنَيْن) ، والإِمامُ أَحْمَدُ عِزُّ الدِّينِ الصَّيَّاد فِي كِتابه (الوَظائِف الأَحْمَدِيَّة) ، والإِمامُ قاسِمُ ابنُ الحاج فِي كِتابِهِ (أُمّ البَراهِين) ، والفارُوثِي فِي كِتابِهِ (النَّفْحَة المِسْكِيَّة) ، والشَّيْخُ الهُمامُ الحافِظُ مُحَمَّدُ بنُ قاسِمِ الواسِطِي فِي كِتابِهِ (البَهْجَة الكُبْرَى) ، وشَيْخُ الإِسْلام مُحَمَّد عَبْد الرَّؤُوف المُناوِي فِي كِتابِهِ (الكَواكِب الدُّرِّيَّة فِي تَراجِم السَّادَةِ الصُّوفِيَّة) ، والإِمامُ الشَّعَرانِي فِي (مَناقِب الصَّالِحِين) ، والشَّيْخُ عَلِيُّ أَبو الحَسَنِ الواسِطِي فِي (خِزانَة الإِكْسِير) ، والعَلامَّةُ الكَبِيرُ ابنُ عِمادٍ المُوصِلِي فِي (تارِيخ رَوْضَةِ الأَعْيان) ، والعَلَّامَةُ الخَفاجِي فِي (شَرْح الشِّفاء)، والعَلَّامَةُ العابِدُ الصَّالِحُ العارِفُ الشَّيْخُ عَبْدُ المُنْعِم العالِي نَزِيلُ دِمَشْقَ الشَّام فِي (قامُوس العاشِقِين) ، وغَيْرُهُمْ الخَلْقُ الكَثِير .

قالَ الإمامُ الرَّوَّاس :

كَفَى الرِّفاعِي شَرَفاً ❁ تَقْبيلُ يَدِ الْمُصْطَفىٰ
فَلا تَحُدْ عَنْ بابِهِ ❁ وخُذْهُ شَيْخاً وكَفىٰ
آياتُهُ فِي الْعالَمِين ❁ مَشْهُودَةٌ فِي كُلِّ حِين
فَقُلْ لِحِزْبِ الْجاحِدِين ❁ أَيَعْتَرِي الشَّمْسَ الْخَفا

ومِنْ كَراماتِهِ ما رَواهُ الإمامُ عَبْدُ الكَرِيم الرَّافِعِي بِالإِسْنادِ : أَنَّ بِنْتاً تُسَمَّى فاطِمَةَ الحَدَّادِيَّةَ وُلِدَتْ حَدْباءَ ولَمَّا كَبُرَتْ وآنَ أَوانُ مَشْيِها فَإِذا بِها عَرْجاءُ ثُمَّ سَقَطَ شَعْرُ رَأْسِها لِعاهَةٍ ، فَفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ حَضَرَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي ﷺ بَلْدَةَ الحَدَّادِيَّةِ ، فاسْتَقْبَلَهُ أَهْلُها والعَرْجاءُ فاطِمَةُ بَيْنَ النَّاسِ مَعَ النِّساءِ ، والبَناتُ يَسْتَهْزِئْنَ بِها ، فَلَمَّا أَقْبَلَتْ عَلَى سَيِّدِنا أَحْمَدَ قالَتْ : أَيْ سَيِّدِي أَنْتَ شَيْخِي وشَيْخُ والِدَتِي وذُخْرِي ، أَشْكُو إِلَيْكَ ما أَنا فِيهِ لَعَلَّ اللّٰهَ بِبَرَكَةِ وِلايَتِكَ وقَرابَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ أَنْ يُعافِيَنِي مِمَّا أَنا فِيهِ فَقَدْ زَهَقَتْ رُوحِي مِنَ اسْتِهْزاءِ بَناتِ الحَدَّادِيَّة ، فَأَخَذَتْهُ الشَّفَقَةُ عَلَيْها وبَكَى وقالَ لَها : ادْنِي مِنِّي ، فَدَنَتْ مِنْهُ فَمَسَحَ عَلَى رَأْسِها وظَهْرِها ورِجْلَيْها ، فَنَبَتَ بِإِذْنِ اللّٰهِ شَعْرُها وذَهَبَ احْدِدابُها وتَقَوَّمَتْ رِجْلاها وحَسُنَ حالُها ؛ ولِذَلِكَ سُمِّيَ الإمامُ

أَحْمَدُ الرِّفاعِي بِشَيْخِ العَرْجاء أَوْ أَبِي العَرْجاء .

ومِنْ كَراماتِهِ العَلِيَّةِ ما رَواهُ الجَمُّ الغَفِيرُ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، ونَقَلَهُ الثِّقاتُ الأَثْباتُ فِي كُتُبٍ كَثِيرَةٍ ، وهُوَ : أَنَّ السَّيِّدَ أَحْمَدَ الرِّفاعِي كانَ عَلَى شاطِئِ نَهْرِ أُمِّ عَبِيدَةَ مَعَ جَمٍّ غَفِيرٍ مِنْ أَصْحابِهِ ، فَقالَ : نَشْتَهِي اليَوْمَ أَنْ نَأْكُلَ سَمَكاً ، فَما تَمَّ كَلامُهُ حَتَّى خَرَجَ إِلَى شاطِئِ النَّهْرِ مِنَ الأَسْماكِ ما لَمْ يُرَ مِثْلُهُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ ، فَأَخَذَهُ الفُقَراءُ ، وشَوَوْهُ ، وأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، وبَقِيَ مِنْ هَذِهِ السَّمَكَةِ رَأْسُها ، ومِنْ هَذِهِ بَعْضُها ، فَقالَ بَعْضُ أَصْحابِهِ : أَيْ سَيِّدِي ! ما عَلامَةُ الرَّجُلِ المُتَمَكِّنِ ؟

قالَ : عَلامَتُهُ أَنْ يَقُولَ لِهَذِهِ الأَسْماكِ الَّتِي فِي الطَّواجِنِ : قُومِي واسْعَيْ بِإِذْنِ اللهِ ، فَتَقُومُ وتَسْعَى ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الطَّواجِنِ ، وأَشارَ إِلَى بَقِيَّةِ الأَسْماكِ ، وقالَ : أَيَّتُها العِظامُ عُودِي كَما كُنْتِ بِإِذْنِ اللهِ تَعالَى ، فَوَثَبَتِ الأَسْماكُ صَحِيحَةً حَيَّةً كَما كانَتْ ، وذَهَبَتْ فِي الماءِ مِنْ حَيْثُ أَتَتْ .

قالَ الإِمامُ عَبْدُ الكَرِيمِ الرَّافِعِي حِينَ ذَكَرَ هَذِهِ المَنْقَبَةَ : ولا يَخْفَى ما فِي هَذِهِ الكَرامَةِ مِنَ المُشابَهَةِ الجَلِيلَةِ بِمُعْجِزَةِ سَيِّدِنا عِيسَى عليه السلام .

والقاعِدَةُ المُقَرَّرَةُ عِنْدَ العُلَماءِ : ما جازَ أَنْ يَكُونَ مُعْجِزَةً لِنَبِيٍّ جازَ

أَنْ يَكُونَ كَرامَةً لِوَلِيٍّ .

هَذا .. وما تَعَرَّضْنا لِذِكْرِهِ فِي هَذا المَقام مِمَّا لِسَيِّدِنا رضي الله عنه مِنَ الكَراماتِ العِظامِ والمَناقِبِ الجِسامِ الَّتِي يَفْتَخِرُ بها المُعْتَقِدُ ويَنْزَجِرُ المُنْتَقِدُ ، وأَمَّا كُبْرَى كَراماتِهِ : شِدَّةُ اتِّباعِهِ رضي الله عنه لِلشَّرْعِ الطَّاهِرِ ، والتَّقَيُّدُ بِأَوامِرِهِ ونَواهِيهِ فِي الباطِنِ والظَّاهِرِ ، ومُتابَعَتُهُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بِقَدْرِ المُسْتَطاعِ فِي جَمِيعِ أَقْوالِهِ وأَفْعالِهِ حَتَّى فِي العاداتِ والمُباحاتِ مِنْ حَرَكاتِهِ وسَكَناتِهِ وسائِرِ أَحْوالِهِ ؛ وهَذِهِ عِنْدَ الرِّجالِ الواصِلِينَ والكُمَّلِ الأَكابِرِ أَجَلُّ كَرامَةٍ ومَوْهِبَةٍ لِلعَبْدِ مِنْ مَوْلاهُ المَلِكِ القادِرِ ، وقَدْ كانَ سَيِّدُنا رضي الله عنه مِنْها بِالمَكانَةِ الَّتِي لا يُجارِيهِ فِيها أَحَدٌ ولا يُبارِيهِ ، والمَنْزِلَةِ الَّتِي لا يُقارِبُهُ فِيها غَيْرُهُ ولا يُدانِيهِ ، نَشَأَ عَلَى ذَلِكَ مُنْذُ كانَ ورُبِّيَ فِيهِ ، وكانَ ذَلِكَ دَيْدَنَهُ وشُغْلَهُ الشَّاغِلَ فِي تَرْبِيَةِ أَحْبابِهِ ومُرِيدِيهِ ، وانْظُرْ أَكْرَمَكَ اللهُ سِيرَتَهُ السَّنِيَّةَ ، تَظْفَرْ بِما تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ فِي هَذِهِ الخُصُوصِيَّةِ ؛ مِنْ كَمالِ مُتابَعَتِهِ لِخَيْرِ البَرِيَّةِ صلى الله عليه وآله وسلم وشَرَّفَ وعَظَّمَ ومَجَّدَ وكَرَّم .

نَجاحُ المَساعِي فِي التَّعَرُّضِ لأَوْرادِ الرِّفاعِي

يَخْتَلِفُ مَنْهَجُ الصَّالِحِينَ (المَشايِخِ) فِي تَسْمِيَةِ الأَوْرادِ والأَذْكارِ

الخاصَّةِ ؛ فَكُلُّ مُرْشِدٍ لَهُ أَوْرادٌ وأَذْكارٌ خاصَّةٌ قَدْ تَتَنَوَّعُ فِي صِيَغِها وأَشْكالِها ولَكِنَّ الجَوْهَرَ واحِدٌ ؛ لأَنَّ الأَذْكارَ والأَوْرادَ مِنَ الفُيُوضاتِ الَّتِي تُفاضُ عَلَى قَلْبِ المُرْشِدِ مِنْ جانِبِ الحَضْرَةِ المُصْطَفَوِيَّةِ ، فَكُلُّ مُرْشِدِ طَرِيقَةٍ وشَيْخِ حَقِيقَةٍ صاحِبُ قَدَمِ صِدْقٍ عِنْدَ اللهِ لَهُ خُصُوصِيَّةٌ وأَسْرارٌ .

الوِرْدُ العامُ اليَوْمِيُّ لِلسادَةِ الرِّفاعِيَّة

• **بَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ :**

الفاتِحَة (١٢) مَرَّة ، وآيَةُ الكُرْسِيِّ (١٢) مَرَّة ، وسُورَةُ ﴿يسٓ﴾ مَرَّةً واحِدَة ، يا حَيُّ يا قَيُّوم (١٠٠) مَرَّة .

• **بَعْدَ صَلاةِ الظُّهْرِ :**

سُورَةُ ﴿ نُوح ﴾ مَرَّةً واحِدَة .

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ١٠٠ مَرَّة .

• **بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ :**

سُورَةُ ﴿ النَّبَأ ﴾ مَرَّةً واحِدَة .

(أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ) ١٠٠ مَرَّة .

• **بَعْدَ صَلاةِ المَغْرِب :**

الفاتِحَة (١٢) مَرَّة ، وآيَةُ الكُرْسِيِّ (١٢) مَرَّة ، وسُورَةُ ﴿ الواقِعَة ﴾ مَرَّةً واحِدَة .

(لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبين) ١٠٠ مَرَّة .

• **بَعْدَ صَلاةِ العِشاء :**

سُورَةُ ﴿ المُلْك ﴾ مَرَّةً واحِدَة .

• **جُزْءٌ مِنَ القُرْآنِ يَوْمِيًّا .**

• **يَوْمُ الجُمُعَة :**

سُورَةُ ﴿ السَّجْدَة ﴾ ، وسُورَةُ ﴿ الكَهْف ﴾ ، والإِكْثارُ مِنَ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ .

• **الوِرْدُ بَعْدَ صَلاةِ الجُمُعَةِ :**

بَعْدَ الفَراغِ مِنْ صَلاةِ الجُمُعَةِ يَقْرَأُ : ﴿ الفاتِحَة ﴾ سَبْعاً ، وسُورَةَ ﴿ القَدْر ﴾ سَبْعاً ، وسُورَةَ ﴿ الإِخْلاص ﴾ سَبْعاً ، وسُورَةَ ﴿ الفَلَق ﴾ سَبْعاً ، وسُورَةَ ﴿ النَّاس ﴾ سَبْعاً ، ويُصَلِّى ٦ رَكَعات ، ثُمَّ يَقُولُ : (اللهُمَّ يا غَنِيُّ يا حَمِيدُ يا مُبْدِئُ يا مُعِيدُ يا رَحِيمُ يا وَدُودُ أَغْنِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرامِكَ وبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ) ٧٠ مَرَّة .

وِرْدٌ بَعْدَ الصَّلاةِ المَفْرُوضَةِ للإمام أَحْمَد الرِّفاعِي :

(فاتِحَةُ الكِتابِ) ثَلاثاً ، و(آيَةُ الكُرْسِيِّ) ثَلاثاً ، و﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ .... إلَى آخِرِ سُورَةِ البَقَرَة ﴾ ثَلاثاً ، و(لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ يُحْيِي ويُمِيتُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير) ثَلاثاً ، و(سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ سُبْحانَ اللهِ العَظِيم) ثَلاثاً ، و(اللهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّد اللهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وسَلِّم) ثَلاثاً ، و(أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَق) ثَلاثاً ، و(بِسْمِ اللهِ الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ وهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم) ثَلاثاً ، و(رَضِينا باللهِ رَبًّا وبِالإسْلامِ دِيناً وبِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا ورَسُولاً) ثَلاثاً ، و(بِسْمِ اللهِ ، الحَمْدُ لله ، الخَيْرُ والشَّرُّ بِمَشِيئَةِ اللهِ) ثَلاثاً ، و(يا رَبَّنا واعْفُ عَنَّا وامْحُ الَّذي كانَ مِنَّا يا الله) ثَلاثاً ، و(يا ذا الجَلالِ والإكْرام أَمِتْنا عَلَى دِينِ الإسْلامِ) ثَلاثاً ، و(يا قَوِيُّ يا مَتِين .. اكْفِنا شَرَّ الظَّالِمِين) سَبْعاً ، و(أَصْلَحَ اللهُ أَمْرَ المُسْلِمِين .. صَرَفَ اللهُ شَرَّ المُؤْذِين) تِسْعاً ، و(يا عَلِيُّ يا كَبِير ، يا عَلِيمُ يا قَدِير ، يا سَمِيعُ يا بَصِير ، يا لَطِيفُ يا خَبِير) ثَلاثاً ، و(يا فارِجَ الهَمِّ يا كاشِفَ الغَمِّ يا مَنْ لِعَبْدِهِ يَغْفِرُ ويَرْحَم) ثَلاثاً .

أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ رَبَّ البَرايا، أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ مِنَ الخَطايا ، لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﷺ .

بِسْمِ اللّٰهِ والحَمْدُ لِلّٰهِ والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّم : اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ النِّعْمَةِ تَمامَها ، ومِنَ العِصْمَةِ دَوامَها ، ومِنَ الرَّحْمَةِ شُمُولَها ، ومِنَ العافِيَةِ حُصُولَها ، ومِنَ العَيْشِ أَرْغَدَهُ ، ومِنَ العُمُرِ أَسْعَدَهُ ، ومِنَ الإِحْسانِ أَتَمَّهُ ، اللهُمَّ كُنْ لَنا ولا تَكُنْ عَلَيْنا ، اللهُمَّ اخْتِمْ بِالسَّعادَةِ آجالَنا ، وحَقِّقْ بِالزِّيادَةِ آمالَنا، وأَقْرِنْ بِالعافِيَةِ غُدُوَّنا وأَصالَنا ، واجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ مَصِيرَنا ومَآلَنا ، واصْبُبْ سِجالَ عَفْوِكَ عَلَى ذُنُوبِنا ، ومُنَّ عَلَيْنا بِإِصْلاحِ عُيُوبِنا ، واجْعَلِ التَّقْوَى زادَنا ، وفِي دِينِكَ اجْتِهادَنا ، وعَلَيْكَ تَوَكُّلَنا واعْتِمادَنا ، وإِلَى رِضْوانِكَ مَعادَنا ، اللهُمَّ ثَبِّتْنا عَلَى نَهْجِ الاسْتِقامَةِ ، وأَعِذْنا فِي الدُّنْيا مِنْ مُوجِباتِ النَّدامَةِ يَوْمَ القِيامَةِ ، اللهُمَّ خَفِّفْ عَنَّا ثِقَلَ الأَوْزار ، وارْزُقْنا عِيشَةَ الأَبْرار ، وعافِنا واصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الأَشْرار ، واعْتِقْ رِقابَنا ورِقابَ آبائِنا وأُمَّهاتِنا وإِخْوانِنا مِنَ النَّارِ يا عَزِيزُ يا غَفَّارُ يا كَرِيمُ يا سَتَّارُ يا حَلِيمُ يا جَبَّارُ يا اللّٰهُ يا اللّٰهُ يا اللّٰه ، اللهُمَّ أَرِنِي الحَقَّ حَقًّا وارْزُقْنِي اتِّباعَهُ ، وأَرِنِي الباطِلَ باطِلاً وارْزُقْنِي اجْتِنابَهُ ، ولا تَجْعَلْ عَلَيَّ مُتَشابِهاً فَأَتَّبِعَ الهَوَى ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ

فِي طَلَبِ الدُّنْيا بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين ، وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِين ، والحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِين .

وِرْدُ صَلاةِ الضُّحَى للإِمامِ أَحْمَدَ الرِّفاعِي :

اللهُمَّ إِنَّ الضُّحاءَ ضُحاؤُكَ ، والبَهاءَ بَهاؤُكَ ، والجَمالَ جَمالُكَ ، والقُوَّةَ قُوَّتُكَ ، والقُدْرَةَ قُدْرَتُكَ ، والعِصْمَةَ عِصْمَتُكَ ، اللهُمَّ إِنْ كانَ رِزْقِي فِي السَّماءِ فَأَنْزِلْهُ ، وإِنْ كانَ فِي الأَرْضِ فَأَخْرِجْهُ ، وإِنْ كانَ بَعِيداً فَقَرِّبْهُ ، وإِنْ كانَ قَرِيباً فَكَثِّرْهُ ، وإِنْ كانَ كَثِيراً فَبارِكْ لِي فِيهِ ، وإِنْ كانَ حَراماً فَطَهِّرْهُ ، وإِنْ كانَ مُعْسِراً فَيَسِّرْهُ ، بِحَقِّ ضُحائِكَ وبَهائِكَ وجَمالِكَ وقُوَّتِكَ آتِنِي ما آتَيْتَ عِبادَكَ الصَّالِحِينَ ، رَبِّ أَغْنِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرامِكَ ، رَبِّ أَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ ، اللهُمَّ أَحْسِنْ عاقِبَتَنا فِي الأُمُورِ كُلِّها رَبَّنا أَجِرْنا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيا وعَذابِ الآخِرَةِ ، رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، ويَسِّرْ لِي أَمْرِي ، اللهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمُرِي آخِرَهُ ، وخَيْرَ عَمَلِي خَواتِمَهُ ، يا رَبِّ اغْفِرْ لِي ما سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِي ، واعْصِمْنِي فِيما بَقِيَ مِنْ عُمُرِي ، اللهُمَّ اخْتِمْ بِالخَيْراتِ أَعْمالَنا ، يا رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ حُلُولِ النِّقَمِ ، وزَوالِ النِّعَمِ ، يا رَبِّ اجْعَلْنِي فِي عَيْنِي صَغِيراً وفِي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيراً ، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

وِرْدُ صَلاةِ العِشاءِ للإمامِ أَحْمَدَ الرِّفاعِي :

اللهُمَّ سِرْ بِنا فِي سِرْبِ النَّجابَة ، ووَفِّقْنا لِلتَّوْبَةِ والإنابَة ، وافْتَحْ لأَدْعِيَتِنا أَبْوابَ الإجابَة ، يا مَنْ إذا دَعاهُ المُضْطَرُّ أَجابَهُ ، يا مَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُون ، اللهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ بِالخَلِيلِ فِي مَنْزِلَتِهِ ، والحَبِيبِ فِي مَرْتَبَتِهِ ، وبِكُلِّ مُخْلِصٍ فِي طاعَتِهِ : أَنْ تَغْفِرَ لِكُلٍّ مِنَّا زَلَّتَهُ يا رَحِيمُ يا كَرِيم ، اللهُمَّ يا لَطِيفُ يا رَزَّاقُ يا قَوِيُّ يا خَلَّاقُ ، نَسْأَلُكَ تَوَلُّهاً إلَيْكَ واسْتِغْراقاً فِي مَحَبَّتِكَ ، ولُطْفاً شامِلاً جَلِيًّا وخَفِيًّا ورِزْقاً طَيِّباً هَنِيًّا مَرِيًّا وقُوَّةً فِي الإيمانِ واليَقِينِ ، وصَلابَةً فِي الحَقِّ والدِّينِ ، وعِزًّا بِكَ يَدُومُ ويَتَخَلَّدُ ، وشَرَفاً يَبْقَى ويَتَأَبَّدُ ؛ لا يُخالِطُ تَكَبُّراً ولا عُتُوًّا ، ولا إرادَةَ فَسادٍ فِي الأَرْضِ ولا عُلُوًّا ، إنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين ، واغْفِرْ لَنا ولِوالِدِينا ولِجَمِيعِ المُسْلِمِين ، وصَلِّ وسَلِّمْ بِجَلالِكَ وجَمالِكَ عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِين ، وعَلَى آلِهِمْ وصَحْبِهِمْ أَجْمَعِين ، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

وِرْدُ خَتْمِ القُرْآنِ للإمامِ أَحْمَدَ الرِّفاعِي :

اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً

مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتابِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ لَنا قائِداً وهادِياً ، ولِذُنُوبِنا وعُيُوبِنا ماحِياً ، ولِقُلُوبِنا رَبِيعاً ، ولِسَيِّئاتِنا شَفِيعاً ، ولِوُجُوهِنا نَضْرَةً ونُوراً ، ولِعُيُونِنا قُرَّةً وسُرُوراً ، اللهُمَّ وأَطْلِقْ بِهِ أَلْسِنَتَنا ، وأَجْزِلْ بِهِ ثَوابَنا ، وأَحْسِنْ بِهِ مَآبَنا ، واجْعَلْنا نَقُومُ بِهِ بِالَّذي يُرْضِيكَ عَنَّا ، اللهُمَّ اجْعَلْهُ لِغُمُومِنا وهُمُومِنا شِفاءً ، ولِحَوائِجِنا قَضاءً ، وفِي القِيامَةِ رِفْعَةً وسَناءً ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين .

مِنْ أَوْرادِهِ المَنْثُوراتِ عَلَى عُمُومِ الأَوْقاتِ

البَسْمَلَةُ للإمامِ الرِّفاعِي

وكانَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي يَقُولُ : يُقَدَّرُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي باءِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنَ الهِلالِ إِلَى الهِلالِ ، وجاءَ فِي (جِلاءِ الصَّدا) : كانَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ يَقُولُ لأَصْحابِهِ : أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ تَفْعَلُونَهُ ، خاصَّةً عِنْدَ الطَّعامِ والشَّرابِ ، وعِنْدَ قُرْبِكُمْ مِنْ نِسائِكُمْ ، وفِي القِيامِ والقُعُودِ ، وفِي المَشْيِ فِي الطَّرِيقِ ، وفِي عَلَفِ الدَّوابِّ وجَمْعِ الحَطَبِ وكَنْسِ البَيْتِ ، ويَقُولُ لَهُمْ : أَيْ فُقَراءُ ؛ عَلِّمُوا نِساءَكُمْ وأَوْلادَكُمْ :

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يقُولُونَها عَلَى كُلِّ حال .

وكانَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي يُكْثِرُ قِراءَةَ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ فِي كُلِّ حالٍ ، ويَقُولُ : هِيَ اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ ، ويُدِيمُ قِراءَتَها فِي مَجالِسِ ذِكْرِهِمْ مُعَظِّماً لَها رافِعاً لِقَدْرِها ، ويُكْثِرُ كِتابَتَها فِي كُتُبِهِ ودَعْوَتِهِ ؛ قالَ السَّيِّدُ إِبْراهِيمُ الأَعْزَبُ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ : رَأَيْتُ سَيِّدِي أَحْمَدَ الرِّفاعِي وهُوَ يَصْعَدُ دَرَجَ دارِهِ ويَقُولُ فِي كُلِّ قَدَمٍ مَرَّةً : بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ فَقُلْتُ : أَيْ سَيِّدِي ؛ أَراكَ تُكْثِرُ مِنْ هَذا الاسْمِ ، فَقالَ : أَيْ وَلَدِي ؛ أُحِبُّهُ ومَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ ذِكْرَهُ ، ولَوْ عَرَفَ النَّاسُ ما يُجْعَلُ لَهُمْ بِقِراءَةِ هَذا الاسْمِ مِنَ الأَجْرِ والفَضْلِ والإِنْعامِ والبَرَكَةِ والزِّيادَةِ والرَّحْمَةِ لاشْتَغَلُوا بِهِ دائِماً ، وقالَ الإِمامُ الرِّفاعِي : لا يَثْقُلْ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ قِراءَةِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ فَإِنَّها سِرُّ اللهِ الأَعْظَمُ ، سَيْفُهُ القاطِعُ ، نُورُ قُدْسِهِ اللَّامِعُ ؛ فُتِحَ عَلَيَّ فِي مَقامِ الشُّهُودِ الجامِعِ الأَتَمِّ بِكَلِماتٍ انْتَظَمَتْ بـ بِسۡمِ ٱللَّهِ فَهَتَفَ بِي هاتِفُ الغَيْبِ أَنْ سَمِّها (حِزْبَ الحِراسَةِ) فَسَمَّيْتُها كَذَلِكَ، ورَأَيْتُ لَيْلَةَ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ شَوَّال سَنَةَ إِحْدَى وخَمْسِينَ وخَمْسِمائَةٍ حَبِيبِي رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَأَذِنَ لِي بِالمُداوَمَةِ عَلَى هَذا الحِزْبِ المُبارَكِ

مَرَّتَيْنِ صَباحاً ومَساءً ، وبَشَّرَني أَنَّ مَنْ داوَمَ عَلَيْهِ يَكُونُ مَحْرُوساً بِعَيْنِ عِنايَةِ اللّهِ ، مَلْحُوظاً بِنَظَرِ الرَّأْفَةِ مِنْ رَسُولِهِ ﷺ ؛ فَمَنْ أَرادَ فَلْيُداوِمْ عَلَيْهِ ، ولا يَقْطَعَنَّكُمْ ما دَوَّنَهُ القَوْمُ بِالإِلْهامِ الصَّحِيحِ مِنَ الأَحْزابِ والدَّعَواتِ عَنْ قِراءَةِ القُرْآنِ والأَدْعِيَةِ المَأْثُورَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَإِنَّها رُوحُ النَّفْحِ الأَتَمِّ وسِرُّ البَرَكَةِ الجامِعَةِ ، وكُلُّ ما أُلْهِمَ بِهِ الصَّالِحُونَ فَهُوَ مِنْ بَرَكاتِ القُرْآنِ العَظِيمِ ومِنْ عَوارِفِ مَدَدِ الرَّسُولِ الكَرِيمِ ﷺ وهَذا ما أُلْهِمْنا بِهِ والأَمْرُ لِلّهِ .

وِرْدُ الحِراسَةِ

بِسْمِ اللّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ ، بِسْمِ اللّهِ اعْتَصَمْتُ بِاللّهِ ، بِسْمِ اللّهِ انْتَصَرْتُ بِاللّهِ ، بِسْمِ اللّهِ ما شاءَ اللّهُ لا يَأْتِي بِالخَيْرِ إِلَّا اللّهُ ، بِسْمِ اللّهِ ما شاءَ اللّهُ لا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللّهُ ، بِسْمِ اللّهِ ما شاءَ اللّهُ ما كانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ، بِسْمِ اللّهِ ما شاءَ اللّهُ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّهِ ، بِسْمِ اللّهِ ظَهَرَ سِرُّ اللّهِ ، بِسْمِ اللّهِ جاءَ نَصْرُ اللّهِ ، بِسْمِ اللّهِ أَتَى أَمْرُ اللّهِ ، بِسْمِ اللّهِ بَرَزَتْ غارَةُ اللّهِ ، بِسْمِ اللّهِ تَمَّتْ كَلِمَةُ اللّهِ ، بِسْمِ اللّهِ رُكِبَتْ خُيُولُ اللّهِ ، بِسْمِ اللّهِ لَمَعَتْ آياتُ اللّهِ ، بِسْمِ اللّهِ نَحْنُ فِي أَمانِ اللّهِ ، بِسْمِ اللّهِ عَلَيْنا سِتْرُ اللّهِ ، بِسْمِ اللّهِ حَوْلَنا حِصْنُ اللّهِ ،

بِسْمِ اللّٰهِ فَوْقَنا حِفْظُ اللّٰهِ ، بِسْمِ اللّٰهِ يَحْرُسُنا حِزْبُ اللّٰهِ ، بِسْمِ اللّٰهِ دَخَلْنا فِي ساحَةِ لا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ ، بِسْمِ اللّٰهِ خَرَجْنا إِلَى صَحَراءِ أَمانِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّٰهِ ، بِسْمِ اللّٰهِ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ ، بِسْمِ اللّٰهِ نَحْنُ الغالِبُونَ بِإِذْنِ اللّٰهِ ، بِسْمِ اللّٰهِ مَعَنا يَدُ اللّٰهِ ، بِسْمِ اللّٰهِ وكَفَى بِاللّٰهِ، بِسْمِ اللّٰهِ والحَمْدُ لِلّٰهِ ، بِسْمِ اللّٰهِ واللّٰهُ أَكْبَرُ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ ، وصَلَّى اللّٰهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم .

(الفاتِحَة) لِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وإِلَى جَمِيعِ الأَنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ والصَّحابَةِ أَجْمَعِينَ والتَّابِعِينَ وتابِعِ التَّابِعِينَ والأَوْلِياءِ العارِفِينَ وآلِ البَيْتِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِين .

(الفاتِحَة) لِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وإِلَى سَيِّدِنا الإِمام أَحْمَدَ الرِّفاعِي وإِلَى ذُرِّيَّتِهِ وآبائِهِ وأَجْدادِهِ وخُلَفائِهِ وأَتْباعِهِ وإِخْوانِهِ مِنْ أَوْلِياءِ اللّٰهِ أَجْمَعِين .

وِرْدُ الاسْتِعانَةِ بِاللّٰه

بِسْمِ اللّٰهِ ، أَشْرَقَ نُورُ اللّٰهِ ، وظَهَرَ كَلامُ اللّٰهِ ، وثَبَتَ أَمْرُ اللّٰهِ ، ونَفَذَ حُكْمُ اللّٰهِ ، اسْتَعَنْتُ بِاللّٰهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّٰهِ ، ما شاءَ اللّٰهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ ، تَحَصَّنْتُ بِخَفِيِّ لُطْفِ اللّٰهِ وبِلَطِيفِ صُنْعِ اللّٰهِ وبِجَمِيلِ سِتْرِ

اللهِ وبِعَظِيم ذِكْرِ اللهِ وبِقُوَّةِ سُلْطانِ اللهِ ، دَخَلْتُ فِي كَنَفِ اللهِ ، واسْتَجَرْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، بَرِئْتُ مِنْ حَوْلِي وقُوَّتِي واسْتَعَنْتُ بِحَوْلِ اللهِ وقُوَّتِهِ ، اللهُمَّ اسْتُرْنِي فِي نَفْسِي ودِينِي وأَهْلِي ومالِي ووَلَدِي وجَمِيعِ ما أَعْطَيْتَنِي بِسِتْرِكَ الَّذِي سَتَرْتَ بِهِ ذاتَكَ ؛ فَلا عَيْنٌ تَراكَ ولا يَدٌ تَصِلُ إِلَيْكَ ، يا رَبَّ العالَمِينَ احْجُبْنِي عَنِ القَوْمِ الظَّالِمِينَ بِقُدْرَتِكَ يا قَوِيُّ يا مَتِينُ ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ و ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

وِرْدُ افْتِتاحِ الذِّكْرِ

وهُوَ راتِبُ الوِرْدِ المُبارَكِ فِي الطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ الرِّفاعِيَّةِ ، وحَلْقَةُ هَذا الوِرْدِ المُبارَكِ المَذْكُورِ تَجْتَمِعُ فِي لَيْلَةِ الجُمُعَةِ ولَيْلَةِ الإِثْنَيْنِ ، وأَكابِرُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَقْرَؤُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ صَباحاً ومَساءً ويَأْمُرُونَ بِقِراءَتِهِ : ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ ، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ

اللهُمَّ إنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ خُنْتُ فِيهِ أَمانَتِي ، أَوْ بَخَسْتُ فِيهِ نَفْسِي ، أَوْ قَدَّمْتُ فِيهِ لَذَّاتِي ، أَوْ آثَرْتُ فِيهِ شَهَواتِي ، أَوْ سَعَيْتُ لِغَيْرِي ، أَوِ اسْتَغْوَيْتُ فِيهِ مَنْ تَبِعَنِي ، أَوْ غُلِبْتُ فِيهِ بِفَضْلِ جِبِلَّتِي ، أَوْ أَحَلْتُ فِيهِ عَلَيْكَ مَوْلايَ فَلَمْ تَقْبَلْنِي عَلَى فِعْلِي ، إِذْ كُنْتَ سُبْحانَكَ كارِهاً لِمَعْصِيَتِي ؛ لَكِنْ سَبَقَ عِلْمُكَ فِي اخْتِيارِي واسْتِعْمالِي مُرادِي وإِيثارِي ، فَحَلُمْتَ عَلَيَّ ولَمْ تُدْخِلْنِي فِيهِ جَبْراً ، ولَمْ تَحْمِلْنِي عَلَيْهِ مُمْهِلاً ، ولَمْ تَظْلِمْنِي فِيهِ شَيْئاً ، أَنْفَذْتَ مَعَ اخْتِيارِي قَضاءَكَ ، أَسْتَغْفِرُكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، يا صاحِبِي عِنْدَ شِدَّتِي يا مُؤْنِسِي فِي وِحْدَتِي ، يا حافِظِي فِي غُرْبَتِي ، يا وَلِيِّي فِي نِعْمَتِي ، يا كاشِفَ كُرْبَتِي ، يا سامِعَ دَعْوَتِي ، يا راحِمَ عَبْرَتِي ، يا مُقِيلَ عَثْرَتِي ، يا إِلَهِيَ الحَقِيق ، يا رُكْنِي الوَثِيق ، يا جارِيَ اللَّصِيق ، يا مَوْلايَ الشَّفِيق ، يا رَبَّ البَيْتِ العَتِيق ، أَخْرِجْنِي مِنْ حِلَقِ المَضِيقِ إِلَى سَعَةِ الطَّرِيقِ ، بِفَرَجٍ مِنْ عِنْدِكَ قَرِيبٍ وَثِيقٍ ، واكْشِفْ عَنِّي كُلَّ شِدَّةٍ وضِيقٍ ، واكْفِنِي مِنَ السُّوءِ والأَذَى ما أُطِيقُ وما لا أُطِيق .

اللهُمَّ فَرِّجْ عَنِّي كُلَّ هَمٍّ وغَمٍّ ، وأَخْرِجْنِي مِنْ كُلِّ حُزْنٍ وكَرْبٍ ، يا فارِجَ الهَمِّ ، ويا كاشِفَ الغَمِّ ، ويا مُنْزِلَ القَطْرِ ، ويا مُجِيبَ دَعْوَةِ المُضْطَرِّ ،

يا رَحْمنَ الدُّنْيا والآخِرَةِ ورَحيمَهُما ، صَلِّ عَلَى خِيرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الطَّيِّبِ الطَّاهِرِ الزَّكِيِّ وعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وسَلِّمْ ، وفَرِّجِ اللهُمَّ عَنِّي ما ضاقَ بِهِ صَدْرِي ، وعِيلَ مَعَهُ صَبْرِي ، وقَلَّتْ فِيهِ حِيلَتِي ، وضَعُفَتْ لَهُ قُوَّتِي ، يا كاشِفَ كُلِّ ضُرٍّ وبَلِيَّةٍ ، يا عالِمَ كُلِّ سِرٍّ وخَفِيَّةٍ ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالعِبادِ ، وما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ، تَحَصَّنْتُ بِعِزَّةِ عِزَّةِ اللهِ ، وبِعَظَمَةِ عَظَمَةِ اللهِ ، وبِجَلالِ جَلالِ اللهِ ، وبِقُدْرَةِ قُدْرَةِ اللهِ ، وبِسُلْطانِ سُلْطانِ اللهِ ، وبِـ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، وبِما جَرَى بِهِ القَلَمُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وبِلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، آمَنْتُ بِاللهِ ، وحَسْبِيَ اللهُ .

اللهُمَّ يا مَنْ لا تَراهُ العُيُونُ ، ولا تُخالِطُهُ الظُّنُونُ ، ولا يَصِفُهُ الواصِفُونَ ، ولا تُغَيِّرُهُ الحَوادِثُ ، ولا يَخْشَى الدَّوائِرَ ، يَعْلَمُ مَثاقِيلَ الجِبالِ ، ومَكاييلَ البِحارِ ، وعَدَدَ قَطْرِ الأَمْطارِ ، وعَدَدَ وَرَقِ الأَشْجارِ ، وعَدَدَ ما أَظْلَمَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وأَشْرَقَ عَلَيْهِ النَّهارُ ، ولا يُوارِي مِنْهُ سَماءٌ سَماءً ، ولا أَرْضٌ أَرْضاً ، ولا بَحْرٌ إِلَّا يَعْلَمُ ما فِي قَعْرِهِ ، ولا جَبَلٌ إِلَّا يَعْلَمُ ما فِي وَعْرِهِ ، اجْعَلْ خَيْرَ عُمُرِي أَواخِرَهُ ، وخَيْرَ عَمَلِي خَواتِيمَهُ ، وخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ

أَلْقاكَ فِيهِ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ العَلِيِّ العَظِيم .

اللهُمَّ اطْفِ نارَ مَنْ شَبَّ لِي نارَهُ ، واكْفِنِي هَمَّ مَنْ أَدْخَلَ عَلَيَّ هَمَّهُ ، وأَدْخِلْنِي فِي دِرْعِكَ الحَصِين ، واسْتُرْنِي بِسِتْرِكَ الوافِي .

اللهُمَّ مَنْ عادانِي فَعادِهِ ، ومَنْ كادَنِي فَكِدْهُ ، ومَنْ بَغَى عَلَيَّ فَخُذْهُ ، ومَنْ نَصَبَ لِي فَخَّهُ بِهَلَكَةٍ فَأَهْلِكْهُ .

اللهُمَّ مَنْ أَرادَنِي بِسُوءٍ فاجْعَلْ دائِرَةَ السَّوْءِ عَلَيْهِ ، اللهُمَّ ارْمِ نَحْرَهُ فِي كَيْدِهِ ، وكَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ ، حَتَّى يَذْبَحَ نَفْسَهُ بِيَدَيْهِ ، اعْتَصَمْتُ بِكَ ولُذْتُ بِطَوْلِ قُدْسِكَ ، يا سابِغَ النِّعَم ، ويا دافِعَ النِّقَم ، ويا فارِجَ الكَرْبِ إِذا ادْلَهَمَّ ، يا وَلِيَّ مَنْ ظُلِمَ ، ويا حَسْبَ مَنْ ظَلِمَ ، يا أَوَّلاً بِلا بدايَةٍ ، ويا آخِراً بِلا نِهايَةٍ ، يا مَنْ لَهُ اسْمٌ بِلا كُنْيَةٍ ، اجْعَلْ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجاً ، ومِنْ وَهْدَةِ هَمِّي مَخْرَجاً ، يا لَطِيفُ يا لَطِيفُ الْطُفْ بِي بِلُطْفِكَ الخَفِيِّ ، وأَغِثْنِي بِمَدَدِكَ الجَلِيِّ ، بِالقُدْرَةِ الَّتِي اسْتَوَيْتَ بِها عَلَى العَرْشِ ولَمْ يَعْلَمِ العَرْشُ مُسْتَقَرَّكَ ، يا مُسَبِّبَ الأَسْبابِ ، يا مُفَتِّحَ الأَبْوابِ ، يا سامِعَ الأَصْواتِ ، يا مُجِيبَ الدَّعَواتِ ، يا قاضِيَ الحاجاتِ ، يا غِياثَ المُسْتَغِيثِين .

اللهُمَّ إِنِّي أَنْتَظِرُ فَرَجَكَ ، وأَرْقُبُ لُطْفَكَ ، صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِ

سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ، وفَرِّجْ عَنِّي ، والْطُفْ بِي ، ولا تَكِلْنِي إلَى نَفْسِي ، ولا إلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ ولا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ ، يا جَبَّارَ السَّمَواتِ والأَرْضِ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الحَكِيمُ الكَرِيمُ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَواتِ والأَرْضِ ورَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ .

اللهُمَّ إِنِّي أَنْزَلْتُ بِكَ حاجاتِي كُلَّها الظَّاهِرَةَ والباطِنَةَ ، والدُّنْيَوِيَّةَ والأُخْرَوِيَّةَ ، عُبَيْدُكَ بِفِنائِكَ ، مِسْكِينُكَ بِفِنائِكَ ، فَقِيرُكَ بِفِنائِكَ ، يا مَنْ لا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ ، ويا مَنْ لا يَبْلُغُ قُدْرَتَهُ غَيْرُهُ ، يا شاهِداً غَيْرَ غائِبٍ ، ويا قَرِيباً غَيْرَ بَعِيدٍ ، ويا غالِباً غَيْرَ مَغْلُوبٍ ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ ، بِحَوْلِكَ وقُوَّتِكَ أَسْتَعِينُ وأَسْتَجِيرُ فارْحَمْنِي يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِين .

اللهُمَّ رَبَّ السَّمَواتِ السَّبْعِ وما أَظَلَّتْ ، ورَبَّ الأَرَضِينَ وما أَقَلَّتْ ، ورَبَّ الشَّياطِينِ وما أَضَلَّتْ ، كُنْ لِي جاراً مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعاً أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَبْغِي ، عَزَّ جارُكَ وجَلَّ ثَناؤُكَ ولا إِلَهَ غَيْرُكَ ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْت .

اللهُمَّ بِجاهِ الحُسَيْنِ وأَخِيهِ ، وجَدِّهِ وأَبِيهِ ، وأُمِّهِ وبَنِيهِ ، فَرِّجْ عَنِّي وعَنِ المُسْلِمِينَ ما نَحْنُ فِيهِ ، وصَلِّ اللهُمَّ وسَلِّمْ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وطَرْفَةٍ وحَرَكَةٍ وسَكْنَةٍ عَلى عَبْدِكَ ونَبِيِّكَ ورَسُولِكَ بَحْرِ الأَسْرارِ القُدْسِيَّةِ ، وطِلَّسَم

الإشاراتِ الرَّمْزِيَّةِ المُنْدَمِجَةِ فِي صِحافِ العُلُومِ الغَيْبِيَّةِ ، البَرْقِ الأَوَّلِ المُتَلأْلِئِ فِي سَماءِ العَماءِ الإحاطِيِّ قَبْلَ بُرُوزِ عَوالِمِ الكَيانِ ، والكَوْكَبِ الأَسْبَقِ السَّاطِعِ فِي أَبْراجِ القُدُسِ الطَّمْطَمِيِّ ولَمْ تَنْشَقَّ بُرْدَةُ الوُجُودِ عَنْ صُنُوفِ الإنْسانِ ، ورُوحِ هَذِهِ الأَرْواحِ المُخْتَلِجَةِ فِي عالَمِ لُطْفِها بَيْنَ نُورٍ وظُلْمَةٍ ، وشَمْسِ الهِدايَةِ الكُبْرَى المُشْرِقَةِ مِنْ حَضْرَةِ الإفاضَةِ إلَى قُلُوبِ هَذِهِ الأُمَّةِ ، عَلَمِ المَدَدِ المَوَّاجِ ، وعَلَمِ العِلْمِ الإلَهِيِّ السَّاطِعِ البُرْهانِ فِي البِقاعِ والفِجاجِ ، آيَةِ اللّٰهِ الكُبْرَى الَّتِي انْطَوَتْ بِذَيْلِ بُرْدَتِها الرُّوحِيَّةِ عَجائِبُ الآياتِ ، وسُلَّمِ الرِّقايَةِ الأُولَى الَّتِي انْحَطَّتْ عَنْ غايَتِها مِنْ ذَوِي الصُّعُودِ غايَةُ الغاياتِ ، سَيِّدِنا وسَيِّدِ كُلِّ مَنْ لِلّٰهِ عَلَيْهِ سِيادَةٌ ، مَعْدِنِ الفَضْلِ والكَرَمِ والجُودِ ، والعِنايَةِ والسَّعادَةِ ، الحَبِيبِ الأَعْظَمِ ، والبَحْرِ المُطَمْطَمِ ، والكَنْزِ المُطَلْسَمِ ، والصِّراطِ الأَقْوَمِ ، والنُّورِ الأَسْطَعِ ، والقَمَرِ الأَلْمَعِ ، والبُرْهانِ الأَكْمَلِ ، والسَّيْفِ الأَطْوَلِ ، مَوْجَةِ العِلْمِ الغَيْبِيِّ ، وضَجَّةِ المَدَدِ الأَزَلِيِّ ، بابِ اللّٰهِ الَّذِي لَمْ تَزَلِ الأَبْوابُ دُونَهُ مَسْدُودَةٌ ، ووَجْهِ القَبُولِ الَّذِي لَمْ تَبْرَحِ الوُجُوهُ ما لَمْ يُبَرْقِعْها سِطاعُ نُورِ وَسِيلَتِهِ مَرْدُودَةٌ ، حَبْلِ اللّٰهِ الَّذِي مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ : نَجا وأَمِنَ وسَلِمَ ، وبابِ النَّجاحِ الَّذِي مَنْ دَخَلَ مِنْهُ إلَى اللّٰهِ : قُبِلَ

ورُحِمَ ، سَيِّدِ السَّاداتِ ، وعِلَّةِ الذَّرَّاتِ ، مَوْلانا ونَبيِّنا ورَسُولِنا سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وعَلَى آلِهِ ، وأَصْحابِهِ ، وأَتْباعِهِ ، وأَشْياعِهِ ، والآخِذِينَ بِأَثَرِهِ ، والنَّاهِلِينَ مِنْ بَحْرِهِ ، وأَغِثْنا بِهِ وأَتْحِفْنا بِقُرْبِهِ ، وأَحْيِنا وأَمِتْنا عَلَى مِلَّتِهِ وسُنَّتِهِ ، واخْتِمْ لَنا ولِلمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ ، واغْفِرْ لَنا ، ولِوالِدِينا، ولِفُرُوعِنا وأُصُولِنا ، ولِلمُسْلِمِينَ والمُسْلِماتِ ، والمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ أَجْمَعِينَ ، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

ولْيَخْتِمْ بالفاتِحَةِ ثَلاثاً :

الأُولَى : لِحَضْرَةِ النَّبِيِّ الأَعْظَم سَيِّدِنا وسَيِّدِ الوُجُوداتِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وإِلَى إِخْوانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ ، وآلِ كُلٍّ وصَحْبِ كُلٍّ أَجْمَعِين .

والثَّانِيَة : لِرُوحِ شَيْخِنا الإمامِ الرِّفاعِي رضي الله عنه وإِلَى أَسْلافِهِ وأَخْلافِهِ الطَّاهِرِينَ ، وإِلَى إِخْوانِهِ أَوْلياءِ اللهِ أَجْمَعِين .

والثَّالِثَة : إِلَى مَشايِخِ طَرِيقَتِنا ومَشايِخِ الطُّرُقِ أَجْمَعِينَ المُسَلِّكِينَ عَلَى نَهْجِ سَيِّدِ الأَنْبياءِ والمُرْسَلِينَ ، وإِلَى آبائِنا وأُمَّهاتِنا ، وإِلَى المُسْلِمِينَ والمُسْلِماتِ ، والمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ ، ابْتِغاءَ مَرْضاةِ الله .

وكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وهُوَ نِعْمَ المَوْلَى ونِعْمَ النَّصِيرُ ، والمُيَسِّرُ لِكُلِّ عَسِيرٍ ، وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير .

وِرْدُ التَّحْصِين

اللهُمَّ بِتَلَأْلُؤِ نُورِ بَهاءِ حُجُبِ عَرْشِكَ مِنْ أَعْدائِي احْتَجَبْتُ ، وبِسَطْوَةِ الجَبَرُوتِ مِمَّنْ يَكِيدُنِي اسْتَغَثْتُ ، وبِطَوْلِ حَوْلِ شَدِيدِ قُوَّتِكَ مِنْ كُلِّ سُلْطانٍ تَحَصَّنْتُ ، وبِدَيْمُومِ قَيُّومِ أَبَدِيَّتِكَ مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ اسْتَعَذْتُ ، وبِمَكْنُونِ السِّرِّ مِنْ سِرِّ سِرِّكَ مِنْ كُلِّ هَمٍّ وغَمٍّ تَخَلَّصْتُ ، يا حامِلَ العَرْشِ عَنْ حَمَلَةِ العَرْشِ ، يا شَدِيدَ البَطْشِ ، يا حابِسَ الوَحْشِ ، احْبِسْ عَنِّي مَنْ ظَلَمَنِي ، واغْلِبْ مَنْ غَلَبَنِي ، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم ، ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

مِنْ أَنْوارِ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ المُخْتار ﷺ وفَوائِدِ الإِكْثارِ مِنْها والتَّكْرار

اعْلَمْ أَيُّها السَّالِكُ فِجاجَ الأَحِبَّةِ ودُرُوبَها أَنَّ أَقْرَبَ الطُّرُقِ وأَشْرَفَها بَلْ لا طَرِيقَ مِثْلَها وأَقْرَبَ مِنْها ، بَلْ لا سَبِيلَ غَيْرَها لِمَنْ كانَ يَفْهَمُ مَعانِيها ؛ وهِيَ سِرُّ طَرِيقِنا ، وسِرُّ كُلِّ طَرِيقَةٍ مُوصِلَةٍ إِلَى مَوْلانا وبارِينا ، ولِذَلِكَ أَمَرَنا بِها عَزَّ وجَلَّ فِي كُلِّ أَذْكارِنا ، وها نَحْنُ نَرْمِزُها وهِيَ ما فِي جَمِيعِ كُتُبِنا ، بَلْ ما فِي الكُتُبِ الدَّالَّةِ عَلَى اللهِ ورَسُولِهِ ، وهِيَ نَفْحَةٌ

نَبَوِيَّةٌ ، فَجِدَّ فِي حُصُولِها .

قالَ ﷺ : (... فَأَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاةِ عَلَيَّ فِيهِ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ) ، (ما مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ) ، (إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلامَ) .

اعْلَمْ أَنَّهُ لا بُدَّ مِنْ شَيْخٍ عارِفٍ ، فَإِذا أَدْرَكْتَهُ فَذَلِكَ المَطْلُوبُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ اصْرِفْ أَوْقاتَكَ كُلَّها فِي الذِّكْرِ ، ومُجاهَدَةِ النَّفْسِ ، والاشْتِغالِ بِاللهِ ، وتَرْكِ ما سِواهُ لِتَأْنَسَ بِهِ .

واعْلَمْ أَنَّ كُلَّ الخَيْرِ فِي العُكُوفِ عَلَى جَنابِ الحَبِيبِ ، وهَذا المَقْصِدُ هُنا يا لَبِيبُ ، وذَلِكَ إِمَّا تَعَلُّقاً صُورِيًّا وإِمَّا مَعْنَوِيًّا ؛ **فَالصُّورِيُّ عَلَى نَوْعَيْنِ :**

الأَوَّلُ : بِاتِّباعِ جَمِيعِ أَوامِرِهِ ﷺ واجْتِنابِ نَواهِيهِ ، وذَلِكَ بِمُواظَبَةِ سُنَنِهِ وآثارِهِ ، والعُكُوفِ عَلَى ما وَرَدَ عَنْهُ لِتَحْظَى بِأَسْرارِهِ ، والقِيامِ بِالعَزائِمِ لِتَحْظَى بِالغَنائِمِ .

الثَّانِي : الفَناءُ فِي مَحَبَّتِهِ وشِدَّةِ الشَّوْقِ والغَيْبَةِ فِي مَوَدَّتِهِ ، وكَثْرَةِ تَذَكُّرِهِ والصَّلاةِ عَلَيْهِ ، ومُداوَمَةِ مُطالَعَةِ المَدائِحِ المُحَرِّكَةِ لِلشَّوْقِ إِلَيْهِ .

والمَعْنَوِيُّ أَيْضاً عَلَى نَوْعَيْنِ :

الأَوَّلُ : اسْتِحْضارُ صُورَتِهِ الشَّرِيفَةِ وذاتِهِ العَفِيفَةِ وحَضْرَتِهِ المُنِيفَةِ

ﷺ ، والطَّرِيقُ إلَى ذَلِكَ إمَّا أَنْ تَكُونَ سَبَقَتْ لَكَ رُؤْيَتُهُ ﷺ مَناماً ، فَتَسْتَحْضِرُ تِلْكَ الصُّورَةَ الكامِلَةَ ، وتَفْنَى فِيها مَعَ المَحَبَّةِ الشَّامِلَةِ ، فَإذا لَمْ تُدْرِكْ ذَلِكَ كُلَّهُ فَتَصَوَّرْ ما ذُكِرَ مِنْ وَصْفِهِ واسْتَحْضِرْ أَنَّكَ واقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ ، ولازِمِ الأَدَبَ والتَّذَلُّلَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لِتَنالَ التَّلَذُّذَ ، فَإنْ سَبَقَتْ لَكَ زِيارَةٌ فاسْتَحْضِرْ حُجْرَتَهُ وضَرِيحَهُ الشَّرِيفَ ، وكَأَنَّكَ واقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ ، فَإذا لَمْ تُدْرِكْ فانْظُرْ إلَى صُورَةِ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ والحُجْرَةِ الزَّاهِرَةِ والضَّرِيحِ الأَفْخَرِ الَّذي عَلَيْهِ الأَنْوارُ مُتَواتِرَةٌ ؛ فَهَذا الوَصْفُ تَقْرِيبِيٌّ لِرَجاءِ إدْراكٍ ، فالطَّبِيبُ ﷺ يَسْمَعُكَ ويَراكَ ولَوْ كُنْتَ بَعِيداً ، فَإنَّهُ يَسْمَعُ بِاللهِ ويَرَى بِهِ فَلا يَخْفَى عَلَيْهِ قَرِيبٌ ولا بَعِيدٌ .

الثَّانِي : أُوصِيكَ بِدَوامِ مُلاحَظَةِ صُورَتِهِ ﷺ ومَعْناهُ ولَوْ كُنْتَ مُتَكَلِّفاً ، فَعَنْ قَرِيبٍ تَأْلَفُ رُوحُكَ فَيَحْضُرُ لَكَ ﷺ عِياناً ، تَجِدُهُ وتُحادِثُهُ وتُخاطِبُهُ ، فَيُجِيبُكَ ويُحَدِّثُكَ ويُخاطِبُكَ ، فَتَحْظَى بِالفَوْزِ بِدَرَجَةِ الصَّالِحِينَ وبِاللِّحاقِ بِهِمْ إنْ شاءَ اللهُ تَعالَى ، واعْلَمْ أَنَّ العارِفِينَ لا يَزالُونَ ولَوْ تَرَقَّوْا لأَعْلَى الدَّرَجاتِ مُراقِبِينَ ومُسْتَحْضِرِينَ سَيِّدَ السَّاداتِ ، حَتَّى فِي إشْراقِ التَّجَلِّي الإلَهِيِّ يُوَجِّهُونَ هِمَّتَهُمْ لَهُ ﷺ ، يَتَلَقَّوْنَهُ بِقابِلِيَّتِهِمْ فَيَنالُونَ فَوْقَ ما يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ بِأَضْعافٍ ، وكُلُّ مَنْ

رَآهُ فِي صُورَةٍ يَخْلَعُ عَلَيْهِ تِلْكَ الخِلْعَةَ الَّتِي رَآها ويَعْظُمُ تَرْقِيَةً ؛ وهَذا دَأْبُهُ ﷺ مَعَ كُلِّ راءٍ كَرَماً مُحَمَّدِيًّا وخُلُقاً أَحْمَدِيًّا .

ومِنْ ثَمَراتِ الصَّلَواتِ عَلَى نَبْعِ السَّعاداتِ ﷺ أَنَّها تَقُومُ مَقامَ الصَّدَقَةِ كَما فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ سَيِّدِنا رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قالَ : (أَيُّما رَجُلٍ مُسْلِمٍ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ صَدَقَةٌ فَلْيَقُلْ فِي دُعائِهِ اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ ، وصَلِّ عَلَى المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ والمُسْلِمِينَ والمُسْلِماتِ ، فَإِنَّها زَكاةٌ) (١) .

ومِنْ ثَمَرَةِ الصَّلاةِ عَلَى قُرَّةِ عَيْنِ الأَحْبابِ ﷺ أَنَّها سَبَبٌ لِبُلُوغِ المَآرِبِ ونَيْلِ المَطالِبِ وقَضاءِ الحاجاتِ فِي الحَياةِ وبَعْدَ المَماتِ ؛ فَعَنْ جابِرٍ رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ قَضَى اللهُ لَهُ مِائَةَ حاجَةٍ سَبْعِينَ مِنْها لآخِرَتِهِ وثَلاثِينَ لِدُنْياهُ) .

ومِنْ ثَمَراتِها اسْتِجابَةُ الدُّعاءِ إِذا افْتَتَحَ واخْتَتَمَ بِها ؛ قالَ أَبُو سُلَيْمانَ الدَّارانِيُّ : إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ ما بَيْنَ الصَّلاتَيْنِ وهُوَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَدَعَ ما بَيْنَهُما ، وفِي الحَدِيثِ : (الدُّعاءُ ما بَيْنَ الصَّلاتَيْنِ لا يُرَدُّ) .

ومِنْ ثَمَراتِها أَنَّها تَقُومُ مَقامَ الشَّيْخِ عِنْدَ عَدَمِ وُجُودِهِ ؛ قالَ فِي كُنُوزِ

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ فِي الأَدَبِ المُفْرَد .

الأَسْرارِ ومِمَّا كَتَبَ بِهِ العارِفُ باللهِ سَيِّدِي يُوسُفُ الفاسِيُّ لِبَعْضِ الأَصْحابِ ما نَصُّهُ : الحَمْدُ لِلهِ ، اعْلَمْ أَنَّ المُثابَرَةَ عَلَى الأَذْكارِ والدَّوامِ عَلَيْها تُكْسِبُ نُورانِيَّةً تَحْرِقُ الأَوْصافَ ، وتُثِيرُ وَهَجاً فِي الطِّباعِ ، فَإِنْ صَحِبَ ذَلِكَ الاعْتِقادُ وغَلَبَ سُلْطانُهُ كانَ خَيْراً مَحْضاً ، وإِنْ واخَى الأَحْوالَ كانَ جَمْعاً صِرْفاً ، وإِنِ اقْتَرَنَ بِالأَعْمالِ رَجَحَتْ حَقِيقَتُهُ وجادَ .

ومَنْ لَمْ يَجِدْ شَيْخاً مُرَبِّياً فَلْيُكْثِرْ مِنَ الصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وفِيها سِرُّ الاعْتِدالِ الجامِعِ لِكَمالِ العَبْدِ وتَكْمِيلِهِ ؛ فَفِي الصَّلاةِ عَلَيْهِ ﷺ ذِكْرُ اللهِ ورَسُولِهِ .

ولَطالَما كانَ سَيِّدِي أَبُو المَواهِبِ الشَّاذُلِيُّ يُرَدِّدُ : لِلهِ عِبادٌ يَتَوَلَّى تَرْبِيَتَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ واسِطَةٍ بِكَثْرَةِ صَلاتِهِمْ عَلَيْهِ ﷺ .

نَماذِجُ زاكِياتٌ مِنْ صَلَواتِ الرِّفاعِيِّ عَلَى سَيِّدِ السَّاداتِ ﷺ

صَلاةُ جَوْهَرَةِ الأَسْرار :

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى نُورِكَ الأَسْبَقِ ، وصِراطِكَ المُحَقَّقِ الَّذِي أَبْرَزْتَهُ رَحْمَةً شامِلَةً لِوُجُودِكَ ، وأَكْرَمْتَهُ بِشُهُودِكَ ، واصْطَفَيْتَهُ لِنُبُوَّتِكَ ورِسالَتِكَ ، وأَرْسَلْتَهُ بَشِيراً ونَذِيراً وداعِياً إِلَيْكَ بِإِذْنِكَ وسِراجاً

مُنيراً ، نُقْطَةِ مَرْكَزِ باءِ الدَّائِرَةِ الأَوَّلِيَّةِ ، وسِرِّ أَسْرارِ الأَلِفِ القُطْبِيَّةِ الَّذي فَتَقْتَ بِهِ رَتْقَ الوُجُودِ ، وخَصَصْتَهُ بِأَشْرَفِ المَقاماتِ لِمَواهِبِ الامْتِنانِ والمَقامِ المَحْمُودِ ، وأَقْسَمْتَ بِحَياتِهِ فِي كَلامِكَ المَشْهُودِ لأَهْلِ الكَشْفِ والشُّهُودِ ، فَهُوَ سِرُّكَ القَدِيمُ السَّارِي ، وماءُ جَوْهَرِ الجَوْهَرِيَّةِ الجارِي ، الَّذِي أَحْيَيْتَ بِهِ المَوْجُوداتِ مِنْ مَعْدِنٍ وحَيَوانٍ ونَباتٍ ، فَهُوَ قَلْبُ القُلُوبِ ، ورُوحُ الأَرْواحِ ، وعَلَمُ الكَلِماتِ الطَّيِّباتِ ، العَلَمُ الأَعْلَى والعَرْشُ المُحِيطُ ، رُوحُ جَسَدِ الكَوْنَيْنِ ، وبَرْزَخُ البَحْرَيْنِ ، وثانِي اثْنَيْنِ ، وفَخْرُ الثَّقَلَيْنِ ، أَبُو القاسِمِ سَيِّدُنا مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ ابنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، عَبْدُكَ ورَسُولُكَ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ تَسْلِيماً بِقَدْرِ عَظَمَةِ ذاتِكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وحِينٍ .

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

صَلاةُ بَحْرِ الأَنْوارِ :

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ القُرَشِيِّ بَحْرِ أَنْوارِكَ ، ومَعْدِنِ أَسْرارِكَ ، وعَيْنِ عِنايَتِكَ ، ولِسانِ حُجَّتِكَ ، وخَيْرِ خَلْقِكَ ، وأَحَبِّ الخَلْقِ إِلَيْكَ ، عَبْدِكَ ونَبِيِّكَ الَّذِي بِهِ الأَنْبِياءُ

والمُرْسَلُونَ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ .

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ .

صَلاةُ الإفاضَة :

الحَمْدُ للهِ الَّذي فَجَّرَ يَنابيعَ الحِكْمَةِ مِنْ قُلُوبِ المُؤَيَّدِينَ ، فَجَرَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وتَحَقَّقُوا بِحِكَمِها فَأُفِيضَ لَهُمْ مِنْهُ نُورٌ أَوْضَحَ لَهُمْ مَحَجَّةَ عِلْمِ اليَقِين ، ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّالِحِينَ ﴾ والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى قامُوسِ بَراهِينِ الحَقِيقَةِ وناموسِ أَفانِينِ المَعْرِفَةِ والطَّرِيقَةِ ، أَشْرَفِ أَصْحابِ القُلُوبِ الطَّائِرَةِ إِلَى اللهِ ، وأَعْظَمِ مُلُوكِ حَضَراتِ الغُيُوبِ الدَّالِّينَ عَلَى اللهِ ، رُوحِ العَوالِمِ ، آدَمِ البُرُوزِ فِي نَشْأَةِ خِلْقَةِ أَبِيهِ آدَمَ ؛ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ ورَسُولِهِ وصَفِيِّهِ وحَبِيبِهِ ، وسُلْطانِ حَضَراتِ قُرْبِهِ ، ومَظْهَرِ بُرْهانِ أَمْرِهِ فِي مُلْكِهِ ومَلَكُوتِهِ ، وعَلَى آلِهِ وأَصْحابِهِ الهُداةِ المَرْضِيِّينَ ، ووُرَّاثِهِ الأَعْيانِ المُكَرَّمِينَ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ ومَنْ عَلَيْها وهُوَ خَيْرُ الوارِثِينَ .

الصَّلَواتُ الخَمْسَة :

الأُولَى : اللهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ السَّاداتِ ، ومَنْبَعِ الكَمالاتِ ،

وبابِ الهِداياتِ ، وكَنْزِ العِناياتِ ، وبَحْرِ الإفاداتِ ، ومَظْهَرِ السَّعاداتِ، وسُلَّمِ الرُّقِيَّاتِ ، وعَيْنِ الخَيْراتِ ، وعَلَى آلِهِ وأَصْحابِهِ والتَّابِعِينَ لَهُمْ فِي كُلِّ الحالاتِ ، واجْعَلْنا يا رَبُّ مِنَ المَقْبُولِينَ عِنْدَهُ والمُقَرَّبِينَ لَدَيْهِ والعارِفِينَ بِهِ ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدَّعَواتِ .

الثَّانِيَةُ : اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ المَلِيحِ صاحِبِ المَقامِ الأَعْلَى واللِّسانِ الفَصِيحِ ، وعَلَى آلِهِ وأَصْحابِهِ أَصْحابِ المَقامِ العالِي والقَدَمِ الصَّحِيحِ ، آمِين .

الثَّالِثَةُ : اللهُمَّ يا اللهُ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ومَنْ والاهُ عَدَدَ ما تَعْلَمُهُ مِنْ بَدْءِ الأَمْرِ ومُنْتَهاهُ ، وسَلِّمْ عَلَيْهِ وعَلَيْهِمْ كَثِيراً .

الرَّابِعَةُ : اللهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَدَدَ ما كانَ وعَدَدَ ما هُوَ كائِنٌ فِي عِلْمِ اللهِ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ .

الخامِسَةُ : اللهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الطَّاهِرِ الزَّكِيِّ صَلاةً تَحِلُّ بِها العُقَدَ وتَفُكُّ بِها الكُرَبَ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ .

صَلاةُ الاسْتِشْفاءِ :

اللهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ طِبِّ القُلُوبِ ودَوائِها ، وعافِيَةِ الأَبْدانِ وشِفائِها ، ونُورِ الأَبْصارِ وضِيائِها ، وصِحَّةِ العُقُولِ وذَكائِها ، وطُهْرِ

النُّفُوسِ ونَقائِها ، ورُوحِ الأَرْواحِ وغِذائِها ، وسِرِّ الحَياةِ وبَقائِها ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وبارِكْ وسَلِّمْ .

صَلاةُ الذَّاتِ المُكَمَّلَةِ :

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عَلَى الذَّاتِ المُكَمَّلَةِ ، والرَّحْمَةِ المُنَزَّلَةِ ، عَبْدِكَ ورَسُولِكَ وحَبِيبِكَ وصَفِيِّكَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ، وعَلَى آلِهِ وأَصْحابِهِ وأَزْواجِهِ وأَوْلادِهِ وجِيرانِهِ عَدَدَ ما ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الغافِلُونَ ، وسَلِّمْ تَسْلِيما .

صَلاةُ مَراقِي الإِخْلاصِ :

اللهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ ورَسُولِكَ وخَلِيلِكَ وحَبِيبِكَ صَلاةً أَرْقَى بِها مَراقِيَ الإِخْلاصِ ، وأَنالُ بِها غايَةَ الاخْتِصاصِ ، وسَلِّمْ تَسْلِيماً عَدَدَ ما أَحاطَ بِهِ عِلْمُكَ وأَحْصاهُ كِتابُكَ كُلَّما ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ وذِكْرِهِ الغافِلُون .

صَلاةُ الرِّضا :

اللهُمَّ صَلِّ صَلاةً تَرْضاها ذاتُكَ عَلَى سَيِّدِ أَحْبابِكَ رُوحِ جِسْمَيِ الأَزَلِ والأَبَدِ الَّذِي مَدَدْتَهُ بِمَدَدِكَ وأَيَّدْتَهُ بِرُوحِكَ ، وحَقَّقْتَهُ بِمَحَبَّتِكَ ، وأَعْطَيْتَهُ حَتَّى رَضِيَ ، فَهُوَ عَنْكَ راضٍ وعِنْدَكَ مَرْضِيٌّ ، اللهُمَّ بِحَنِينِ

رُوحِهِ الطَّاهِرَةِ إلَيْكَ ، وبِطَيَرانِ قَلْبِهِ المُبارَكِ عَلَيْكَ ، وبِوُقُوفِ سِرِّهِ الرَّحَمُوتِيِّ فِي خَلْوَةِ الجَمالِ بَيْنَ يَدَيْكَ ، اللهُمَّ بِجَمالِكَ ، بِجَلالِكَ ، بِقُدْسِكَ ، بِقُدْرَتِكَ ، بِعَظَمَتِكَ ، بِجَبَرُوتِكَ ، بِرَحَمُوتِكَ ، بِسُلْطانِكَ ، بِعَظِيمِ شَأْنِكَ : تَوَلَّ أَمْرِي ، يَسِّرْ أَمْرِي ، احْلُلْ عُسْرِي ، اشْرَحْ صَدْرِي ، أَيِّدْ رَغْمَ أَعْدائِي بِيَدِ مَعُونَتِكَ عِزِّي وقَدْرِي ، انْظُرْنِي بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ الَّتِي تَجَلَّيْتَ بِها عَلَى عَبْدِكَ ونَبِيِّكَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ الطَّاهِرِينَ ، وعِبادِكَ الصَّالِحِينَ ، الغارَةَ الغارَةَ ، الْوَحا الْوَحا ، يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ ، يا هُوَ يا هُوَ يا هُوَ ، يا مُجِيرَ المُسْتَجِيرِينَ، يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، يا حاضِرُ ، يا ناظِرُ ، يا مُعِينُ ، يا قادِرُ ، يا عَلِيُّ ، يا عَظِيمُ ، أَغِثْنِي بِفَضْلِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

صَلاةُ الكُلِّ للإمامِ الرِّفاعِي شَيْخِ الكُلِّ فِي الكُلِّ :

اللهُمَّ صَلِّ مِنْ طَرِيقِ كُلِّ بارِزَةٍ ومَطْمُوسَة ، ومِنْ لِسانِ كُلِّ مُغَيَّبَةٍ ومَحْسُوسَة ، ومِنْ عَيْنِيَّةِ كُلِّ غائِبٍ وحاضِر ، ومِنْ حَقِيقَةِ كُلِّ باطِنٍ وظاهِر ، بِمَظْهَرِيَّةِ كُلِّ اسْمٍ لَكَ عَلَّمْتَهُ خَلْقَكَ أَوْ أَضْمَرْتَهُ فِي عِلْمِكَ ، صَلاةً تَشُقُّ أَرْدِيَةَ المُلْكِ والمَلَكُوتِ ، وتَمْلَأُ حَظائِرَ الجَبَرُوتِ والرَّحَمُوتِ تَدُومُ زائِدَةً ولا تَنْقَطِعُ ، ولا يَشُوبُها مِنْ تَحَدُّرِها نُقْصانُ ، عَلَى عَبْدِكَ

ورَسُولِكَ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ المُصْطَفَى ، عَزيزِ أَمْصارِ الوُجُوداتِ ، شَمْسِ سَماواتِ الحَظائِرِ العُلْويَّاتِ ، عَلَمِ مُلْكِكَ الَّذي نَشَرْتَهُ فِي طَيِّ عِلْمِكَ ، قَبْلَ تَعَيُّنِ أَشْكالِ الحادِثاتِ ، ونَصَبْتَ لَهُ كُرْسِيَّ النَّهْيِ والأَمْرِ ، فِي البَرِّ والبَحْرِ ، وحَكَّمْتَهُ فِي عَوالِمِكَ قَوِيًّا أَميناً ، بِإِعانَتِكَ وكَرَمِكَ ، اخْتِصاصاً واصْطِفاءً ، وتَشْريفاً وتَعْظِيماً ، وتَوْقِيراً وتَكْريماً ، وسَلِّمِ اللهُمَّ عَلَيْهِ سَلاماً يُعَطِّرُ طُرُقَ السَّمَواتِ والأَرَضِينَ ، يُرْفَعُ إِلَيْكَ مِنْكَ ، ويَفِدُ سِحاحُ بِرِّهِ إِلَى بَرِيَّتِكَ راوِياً عَنْكَ ، ما أَمَّتْهُ قُلُوبُ العارِفِينَ ، وطابَتْ بِهِ أَسْرارُ المُخْلِصِينَ ، وسَرَى سِرُّ صَلاتِهِ فِي العالَمِينَ ، يا حَيُّ يا قَيُّومُ يا ذا الجَلالِ والإِكْرامِ ، وتَفَضَّلْ بِمِثْلِ ذَلِكَ عَلَى عَبِيدِكَ إِخْوانِهِ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ ، والسَّلامُ عَلَيْنا وعَلَى عِبادِ اللهِ الصَّالِحِينَ ، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

الرِّياضاتُ والخَلَواتُ لأَهْلِ البِداياتِ والنِّهاياتِ

الرِّياضاتُ كَما ذَكَرَها السَّيِّدُ إِبْراهِيمُ الرَّاوِي الرِّفاعِي :

المَشْرُوطَةُ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ وهِيَ : تِسْعَةٌ ؛ أَرْبَعَةٌ مِنْها لِلمُرِيدِ السَّالِكِ بَعْدَ دُخُولِهِ فِي مَرْتَبَةِ الشَّاوِيشِيَّةِ ، وخَمْسَةٌ بَعْدَ دُخُولِهِ

فِي مَرْتَبَةِ النِّقابَةِ ؛ وذَلِكَ أَنَّ المُرِيدَ إذا تَلَقَّنَ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ وهِيَ ﴿لَآ إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ، وداوَمَ عَلَى الاشْتِغالِ بِهَذا الذِّكْرِ الشَّرِيفِ مَعَ مُراعاةِ الشُّرُوطِ وهِيَ : الحُضُورُ ، وفَهْمُ المَعْنَى ، وطَرْدُ الخَواطِرِ عَنِ القَلْبِ ، وخَلْعُ الأَكْوانِ ، والانْفِرادُ إِلَى الرَّحْمَنِ والتَّخَلِّي عَمَّا سِواهُ تَعالَى ، وطَهارَةُ الثَّوْبِ والبَدَنِ ، والوُضُوءُ الجَدِيدُ ، واسْتِقْبالُ القِبْلَةِ ، وتَغْمِيضُ العَيْنَيْنِ ، والجُلُوسُ فِي مَكانٍ خالٍ ، وخَفْضُ الصَّوْتِ بِحَيْثُ يَسْمَعُ صَوْتَ نَفْسِهِ ، والتَّخَلُّصُ مِنْ وارِداتِ الرِّياءِ والوُقُوعُ فِي بَحْرِ الإِخْلاصِ ، ومِنَ الشُّرُوطِ أَيْضاً : اسْتِمْدادُ الهِمَّةِ مِنْ شَيْخِهِ قَبْلَ الذِّكْرِ ورَبْطُ قَلْبِهِ بِهِ ؛ لأَنَّ الذِّكْرَ مَحَلُّ الفُيُوضاتِ الرَّحْمانِيَّةِ ، فَإِذا اسْتَفاضَ المُرِيدُ بِتِلْكَ الحَضْرَةِ مَدَدَ الفُيُوضاتِ مِنْ قَلْبِ شَيْخِهِ بِالتَّصَوُّرِ المَعْنَوِيِّ يَحْصُلُ لَهُ الفَيْضُ الحَقِيقِيُّ ، ويَسْرِي سِرُّ شَيْخِهِ فِيهِ ، ويَلْحَقُ بِسِلْسِلَةِ الطَّرِيقَةِ المُبارَكَةِ .

وأَمَّا وَقْتُ الذِّكْرِ فَيَخْرُجُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الشَّيْخِ وإِلَى غَيْرِهِ ، ولا يَعْلَقُ قَلْبُهُ إِلَّا بِاللهِ ؛ فَإِذا كَمُلَتْ حَلاوَةُ التَّوْحِيدِ فِي قَلْبِهِ ، وعَلِمَ شَيْخُهُ قَراراً قَوِيًّا فِي قَلْبِهِ ، ورَأَى مِنْهُ الإِخْلاصَ فِي العَمَلِ ، ولَمَعَ نُورُ سَرِيرَتِهِ عَلَى وَجْهِهِ ، وأَثْمَرَتْ شَجَرَةُ عَمَلِهِ خِدْمَةً وزُهْداً ووَرَعاً ومَحَبَّةً لِشَيْخِهِ ،

فَهُنالِكَ يَأْمُرُهُ بالذِّكْرِ الشَّرِيفِ بِعَدَدٍ مَرْبُوطٍ فِي الأَوْقاتِ الخَمْسَةِ بَعْدَ كُلِّ صَلاةٍ أَقَلُّهُ أَلْفَ مَرَّة (١٠٠٠) بِقاعِدَةِ الذِّكْرِ الشَّرِيفِ (مِنْ غَيْرِ عَجَلَةٍ ولا تَضْيِيعِ مَعْنًى ولا غَيْبَةِ قَلْبٍ) ، فَمَتَى سارَ التَّوْحِيدُ فِي قَلْبِهِ ، وأَشْرَقَ قَلْبُهُ بِنُورِ الذِّكْرِ ، وأَثْمَرَ ذَلِكَ النُّورُ فِكْراً وخَشْيَةً ، ورَبَطَ قَلْبَهُ بِحَبْلِ الصِّدْقِ ، فَحِينَئِذٍ يَنْقُلُهُ الشَّيْخُ مِنْ ذِكْرِ النَّفْيِ والإِثْباتِ إِلَى ذِكْرِ الأَحَدِ وهُوَ اسْمُ الذَّاتِ ﴿ٱللَّهُ﴾ بالشُّرُوطِ المُتَقَدِّمَةِ ، ويُلاحِظُ فِيهِ مَعَ كُلِّ مَرَّةٍ مِنْ قَوْلِهِ ﴿ٱللَّه﴾ : ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، وأَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ بِفَتْحِ الأَلِفِ الأُولَى ، وتَشْدِيدِ اللَّامَيْنِ ، والمَدِّ بَيْنَ اللَّامَيْنِ والهاء ، وتَسْكِينِ الهاء ، وقَطْعِ الهاءِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ ، والابْتِداءِ باللَّفْظَةِ الثَّانِيَةِ .

وتَعْرِيفُ **هَذا الذِّكْرِ** : أَنْ يَأْخُذَ الأَلِفَ الأُولَى مِنَ الرُّوحِ مِنْ تَحْتَ ثَدْيِهِ الأَيْمَنِ ، وأَنْ يُجْرِيَ مَدَّ اللَّامَيْنِ كالحَبْلِ إِلَى القَلْبِ الصُّنُوبَرِي ؛ ومَحَلُّهُ تَحْتَ الثَّدْيِ الأَيْسَرِ ، فَيُسَكِّنُ الهاءَ فِي القَلْبِ الصُّنُوبَرِي ؛ ومَتَى قَرَّ ذَلِكَ الاسْمُ الشَّرِيفُ فِي رُوحِهِ وقَلْبِهِ وظَهَرَ نُورُهُ عَلَيْهِ ، فَهُناكَ يَأْمُرُهُ الشَّيْخُ بِالذِّكْرِ الشَّرِيفِ بِالعَدَدِ المَرْبُوطِ كَما تَقَدَّمَ ، وأَقَلُّهُ بَعْدَ كُلِّ صَلاةٍ (٢٥٠٠) مَرَّةٍ ، بِالشُّرُوطِ المُتَقَدِّمَةِ ، ويَكُونُ ذَلِكَ الاشْتِغالُ بُرْهَةً زَمانِيَّةً أَقَلُّها (ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ)، فَإِذا انْجَبَلَ الذِّكْرُ الشَّرِيفُ بِقَلْبِهِ

وظَهَرَ نُورُهُ عَلَى وَجْهِهِ وتَخَرَّجَ بِيَنابِيعِ حَلاوَتِهِ القُدْسِيَّةِ تَقَدَّمَ لِمَرْتَبَةِ الشَّاوِيشِيَّةِ بِمُقْتَضَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ الرِّفاعِيَّةِ ؛ فَيَشْتَغِلُ بِخِدْمَةِ الفُقَراءِ ويَبْقَى عَلَى قَرارِ ذَلِكَ الذِّكْرِ الشَّرِيفِ ، فَهُنالِكَ يُعامِلُهُ الشَّيْخُ بِالرِّياضاتِ الأَرْبَعَةِ المَرْبُوطَةِ لِلسَّالِكِ بَعْدَ دُخُولِهِ بِرُتْبَةِ الشَّاوِيشِيَّةِ ؛ (الأُولَى) : ثَلاثَةُ أَيَّامٍ والابْتِداءُ يَوْمُ الأَحَدِ ، (الثَّانِيَةُ) : ثَلاثَةُ أَيَّامٍ والابْتِداءُ يَوْمُ الإِثْنَيْنِ ، (الثَّالِثَةُ) : أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ والابْتِداءُ يَوْمُ الثُّلاثاءِ ، (الرَّابِعَةُ) : خَمْسَةُ أَيَّامٍ والابْتِداءُ يَوْمُ الأَرْبَعاءِ ، والفاصِلُ بَيْنَ كُلِّ رِياضَةٍ عَشَرَةُ أَيَّامٍ ، ونَهارُ الحادِي عَشَرَ : يَدْخُلُ فِي الأُخْرَى وهَكَذا إِلَى الخِتامِ ، وشَرْطُ الأَكْلِ فِي هَذِهِ الرِّياضاتِ صَباحاً ومَساءً ما يَسُدُّ الرَّمَقَ مِنَ الخُبْزِ والمِلْحِ والتَّمْرِ والزَّيْتِ ونَحْوِ ذَلِكَ ، وأَنْ يَكُونَ المُتَرَيِّضُ مَحْجُوباً عَنِ النَّاسِ فِي مَحَلٍّ طاهِرٍ ، لا يَدْخُلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ ولا يَدْخُلُ عَلَى أَحَدٍ ، وإِذا خَرَجَ لِقَضاءِ حاجَةٍ فَلْيَخْرُجْ تَحْتَ سِتْرٍ مِنْ غَيْرِ انْحِرافٍ إِلَى طَرِيقٍ آخَرَ ، ويَشْتَغِلْ بِالذِّكْرِ الأَجْمَلِ وهُوَ (**يا رَحْمَنُ**) وهُوَ الذِّكْرُ المَرْبُوطُ لِلرِّياضَةِ (**الأُولَى**) وأَقَلُّهُ بَعْدَ كُلِّ صَلاةٍ (٣٠٠٠) مَرَّةٍ مَعَ مُراعاةِ الآدابِ المُتَقَدِّمَةِ وأَداءِ السُّنَنِ والرَّواتِبِ كامِلَةً بِالقَواعِدِ التَّامَّةِ المَطْلُوبَةِ فِي الصَّلاةِ (مِنْ تَحْسِينِ الوُضُوءِ وحُضُورِ القَلْبِ فِي

الصَّلاةِ والخَوْفِ والخُشُوعِ) وأَنْ يَتَهَجَّدَ فِي اللَّيْلِ باثْنَتَي عَشْرَةَ رَكْعَةً وأَقَلُّ التَّهَجُّدِ أَرْبَعُ رَكَعاتٍ ، وبَعْدَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ مِنَ السُّنَّةِ : يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، وبَعْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ : يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثَلاثاً وعِشْرِينَ مَرَّةً ، ويَخْتِمُ بِالفاتِحَةِ والذِّكْرِ المَرْبُوطِ للرِّياضَةِ ، (**الثَّانِيَة**) : بَعْدَ كُلِّ صَلاةٍ : (يا رَحِيمُ)، وأَقَلُّهُ (٤٠٠٠) مَرَّةٍ ، والذِّكْرِ المَرْبُوطِ للرِّياضَةِ ، (**الثَّالِثَة**) : بَعْدَ كُلِّ صَلاةٍ : (يا وَهَّابُ)، وأَقَلُّهُ (٥٠٠٠) مَرَّةٍ ، والذِّكْرِ المَرْبُوطِ للرِّياضَةِ ، (**الرَّابِعَة**) : بَعْدَ كُلِّ صَلاةٍ : (يا قُدُّوسُ) ، وأَقَلُّهُ (٦٠٠٠) مَرَّةٍ .

وبَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الرِّياضاتِ الأَرْبَعِ يَأْمُرُهُ الشَّيْخُ بِذِكْرِ التَّعْظِيمِ وهُوَ : (**ذُو الجَلالِ والإِكْرامِ**) فِي كُلِّ يَوْمٍ (١٠٠٠) مَرَّةٍ ، ويَبْقَى عَلَى هَذِهِ الحالَةِ إِلَى أَنْ تَصْدُرَ للشَّيْخِ إِشارَةٌ فِي شَأْنِهِ ، فَحِينَئِذٍ يَجْعَلُهُ الشَّيْخُ نَقِيباً ويُعامِلُهُ بِالرِّياضاتِ الخَمْسَةِ المَرْبُوطَةِ للسَّالِكِ بَعْدَ دُخُولِهِ فِي مَرْتَبَةِ النِّقابَةِ :

(**الأُولَى**): أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ ، والابْتِداءُ يَوْمُ الخَمِيسِ ، و(**الثَّانِيَةُ**): خَمْسَةُ أَيَّامٍ والابْتِداءُ يَوْمُ الجُمُعَةِ بَعْدَ الصَّلاةِ ، و(**الثَّالِثَةُ**): سِتَّةُ أَيَّامٍ والابْتِداءُ يَوْمُ السَّبْتِ ، و(**الرَّابِعَةُ**): سَبْعَةُ أَيَّامٍ والابْتِداءُ يَوْمُ الأَحَدِ ، و(**الخامِسَةُ**): ثَمانِيَةُ أَيَّامٍ والابْتِداءُ يَوْمُ الإِثْنَيْنِ .

والطَّعامُ المُعَيَّنُ للسَّالِكِ فِي هَذِهِ الرِّياضاتِ الخَمْسَةِ الخُبْزُ والمِلْحُ والزَّيْتُ والتَّمْرُ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ مِنَ القِلَّةِ صَباحاً ومَساءً بِقَدْرٍ واحِدٍ .

والأَسْماءُ الَّتِي تُقْرَأُ فِي هَذِهِ الرِّياضاتِ هِيَ :

فِي (**الأُولَى**): يا حَقُّ (٤٠٠٠) مَرَّة ، وفِي (**الثَّانِيَةِ**): يا حَنَّانُ (٥٠٠٠) مَرَّة ، وفِي (**الثَّالِثَةِ**): يا حَلِيمُ (٦٠٠٠) مَرَّة ، وفِي (**الرَّابِعَةِ**): يا حَيُّ (٧٠٠٠) مَرَّة ، وفِي (**الخامِسَة**): يا حافِظُ (٨٠٠٠) مَرَّة .

وهَذا العَدَدُ المَذْكُورُ بَعْدَ كُلِّ صَلاةٍ كَما تَقَدَّمَ مِنَ المُحافَظَةِ عَلَى أَداءِ الفَرائِضِ والسُّنَنِ ، والوُضُوءِ عَلَى أَكْمَلِ سُنَنٍ ، والرَّاحَةُ بَيْنَ كُلِّ رِياضَةٍ والدُّخُولِ فِي أُخْتِها خَمْسَةُ أَيَّامٍ ؛ فَإِذا أَتَمَّ السَّالِكُ حَدَّ الرِّياضاتِ يَأْمُرُهُ الشَّيْخُ بِذِكْرِ الاسْتِغاثَةِ وهُوَ : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَعْدَ كُلِّ صَلاةٍ (٥٠٠) مَرَّةٍ ، ويَبْقَى عَلَى هَذِهِ الحالَةِ إِلَى أَنْ تَصْدُرَ لِلشَّيْخِ إِشارَةٌ بِتَقْرِيبِ هَذا السَّالِكِ ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَأْمُرُهُ بِخَلْوَةِ التَّهْذِيبِ وهِيَ الخَلْوَةُ المَرْبُوطَةُ لِلخَلِيفَةِ .

الخَلَوات :

لِلطَّرِيقَةِ الرِّفاعِيَّةِ العَلِيَّةِ خَلْوَتان :

الأُولَى : خَلْوَةُ التَّهْذِيب : وهِيَ الخَلْوَةُ المَرْبُوطَةُ لِلخَلِيفَةِ وهِيَ عِبارَةٌ عَنْ واحِدٍ وأَرْبَعِينَ (٤١) يَوْماً عَلَى الأَصَحِّ ، وشُرُوطُها صِيامُ الأَيَّامِ

المَذْكُورَةِ ، ويَكُونُ الفُطُورُ والسُّحُورُ عَلَى الخُبْزِ والماءِ واللَّوْزِ والسُّكَّرِ (بالمَقاديرِ المَعْهُودَةِ لَدَى مُرْتاضِي الخَلْوَةِ)، ويَكُونُ النَّوْمُ بَعْدَ صَلاةِ العِشاءِ، وقِراءَةِ الوِرْدِ، والذِّكْرُ أَقَلُّهُ ساعَتان، وأَكْثَرُهُ أَرْبَعُ ساعاتٍ، ثُمَّ يَقْعُدُ مُتَهَجِّداً إِلَى الصُّبْحِ، وبَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ يَبْتَدِئُ بالوِرْدِ الشَّرِيفِ وهُوَ:

(**يا حَمِيدُ**): فِي اليَوْمِ واللَّيْلَةِ الأُولَى (١٠٠٠) مَرَّة، وفِي كُلِّ يَوْمٍ يَزِيدُ (١٠٠٠) مَرَّة، إِلَى خِتامِ الواحِدِ والأَرْبَعِينَ يَوْماً، فَيَكُونُ عَدَدُ الذِّكْرِ يَوْمَ الخِتامِ (٤١) أَلْفاً، وبَعْدَ خُروجِهِ يَأْمُرُهُ الشَّيْخُ بِذِكْرِ مُناجاةِ الطَّالِبِينَ وهُوَ:

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ يَقْرَؤُها بَعْدَ كُلِّ صَلاةٍ (٥٧٥) مَرَّةً، ويَبْقَى عَلَى هَذِهِ الحالَةِ إِلَى أَنْ تَظْهَرَ للشَّيْخِ إِشارَةٌ مِنْ طَرَفِ أَهْلِ السِّلْسِلَةِ المُبارَكَةِ الرِّفاعِيَّةِ بِتَقْرِيبِهِ لِمَجالِسِ أُنْسِهِمُ البَهِيَّةِ، فَحِينَئِذٍ يَجْعَلُهُ خَلِيفَةً لَهُ ونائِباً بِطَرِيقَةِ مَشايِخِهِ، ويَأْذَنُ لَهُ بالوِرْدِ المَرْبُوطِ للخَلِيفَةِ بَعْدَ الخِلافَةِ وهُوَ:

﴿سُورَةُ الإِخْلاص﴾ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةُ مَرَّةٍ، و﴿سُورَةُ الأَعْلَى﴾ ٧ مَرَّات، و(الصَّلاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ) ١٠٠ مَرَّة، و﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ١٠٠ مَرَّة، والحِزْبُ والوِرْدُ الَّذي تَحْصُلُ بِهِ الإِجازَةُ مِنْ جانِبِ الشَّيْخِ

مِنَ الأَحْزابِ والأَوْرادِ المَنْسُوبَةِ لِسَيِّدِي الإمامِ الغَوْثِ الفَرْدِ أَحْمَدَ الرِّفاعِي الكَبِير - قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ .

الثَّانِيَةُ: الخَلْوَةُ المُحَرَّمِيَّةُ: مِنْ أَحْكامِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ: الخَلْوَةُ الأُسْبُوعِيَّةُ فِي كُلِّ عام ؛ وابْتِداءُ دُخُولِ الخَلْوَةِ فِي اليَوْمِ الثَّانِي مِنْ عاشُوراء ، مَساءَ (**الحادِي عَشَر**) مِنْ مُحَرَّمِ الحَرامِ إِلَى مَساءِ اليَوْمِ (**الثَّامِنَ عَشَرَ**) مِنَ المُحَرَّم ، وقَدْ جَعَلُوها شَرْطاً عَلَى كُلِّ مَنِ انْتَسَبَ إِلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ العَلِيَّةِ ، وطَعامُها خالٍ مِنْ كُلِّ ذِي رُوحٍ ، والذِّكْرُ فِيها :

اليَوْمُ الأَوَّل: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ١٣ أَلْفَ مَرَّةٍ ، وعَلَى رَأْسِ كُلِّ **مائَةٍ** هَذا الدُّعاءُ المُبارَكُ : (اللهُمَّ اغرِسْ فِي قَلْبِي شَجَرَةَ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وأَظْهِرْ عَلَي لِسانِي يَنابيعَ حِكْمَةِ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، واحْفَظْنِي يا رَبِّ مِنْ كُلِّ شَكٍّ وكُفْرٍ ورِياءٍ ، ومِنْ مَكْرِ الماكِرِينَ وحَسَدِ الحاسِدِينَ وعَداوَةِ المُعادِينَ ، ومِنْ شَرِّ نَفْسِي وشَيْطانِي وهَوايَ بِعِنايَةِ ووِقايَةِ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ .

اليَوْمُ الثَّانِي: ﴿ٱللَّهُ﴾ ٢٧ أَلْفَ مَرَّةٍ ، والدُّعاءُ المُبارَكُ : (اللهُمَّ اسْقِنِي مِنْ خَمْرِ المُشاهَدَةِ ، وأَغْرِقْنِي فِي بَحْرِ المُراقَبَةِ ، وفَهِّمْنِي دَقائِقَ المَعْرِفَةِ وحَقائِقَ الحَقِيقَةِ لأَكُونَ مِنْكَ خائِفاً وبِكَ عارِفاً) .

اليَوْمُ الثَّالِث : (**وَهَّاب**) ٣٢ أَلْفَ مَرَّة ، والدُّعاءُ المُبارَكُ : (اللهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْ مَواهِبِكَ الرَّبَّانِيَّةِ أَطَّلِعُ بِبَرَكَتِها عَلَى مَخْفِيَّاتِ الرُّمُوزِ ومَعْمِيَّاتِ الكُنُوزِ لِكَي تَجْلُوَ عَيْنَ بَصِيرَتِي بِكُحْلِ مَوْهِبَتِكَ يا وَهَّابُ) .

اليَوْمُ الرَّابِع : (**حَيّ**) ٣٥ أَلْفَ مَرَّة ، والدُّعاءُ المُبارَكُ : (اللهُمَّ أَحْيِنِي حَياةً طَيِّبَةً أَذُوقُ بِها حَياةَ الحُبِّ وطَعْمَ شَرابِ القُرْبِ فَأَكُونَ بِكَ حَيًّا ولَكَ وَلِيًّا فَأَمُوتَ بِكَ تَقِيًّا ، وأَحْيا بِكَ مَرْضِيًّا ، يا حَيُّ) .

اليَوْمُ الخامِس : (**مَجِيد**) ٣٨ أَلْفَ مَرَّة ، والدُّعاءُ المُبارَكُ : (اللهُمَّ مَجِّدْ قَدْرِي بِحُبِّكَ ، وشَرِّفْ مَرْتَبَتِي بِقُرْبِكَ حَتَّى أَكُونَ بِحُبِّكَ مُمَجَّداً وبِقُرْبِكَ مُؤَيَّداً ، وأَطَّلِعُ عَلَى دَقائِقِ المَجْدِ ، ورَقائِقِ المَدَدِ ، وأَلْبَسُ مِنْ تِيجانِ المَجْدِ والسَّعْدِ بِفَضْلِ بَراهِينِ مَجْدِكَ يا مَجِيدُ) .

اليَوْمُ السَّادِس : (**مُعْطِي**) ٤٠ أَلْفاً وثَلاثُمِائَةِ مَرَّة ، والدُّعاءُ المُبارَكُ : (اللهُمَّ أَعْطِنِي مِنْ فَضْلِكَ عَطاءً وَفِيًّا أَتَقَرَّبُ بِسَبَبِهِ لأَبْوابِ مَحَبَّتِكَ وأَكُونُ فِي أَمْنِ حَضْرَتِكَ ، وأُشاهِدُ أَسْرارَكَ القُدْسِيَّةَ فَأَفُوزُ بِعَطِيَّةِ جُودِكَ الوَفِيَّةِ يا مُعْطِي) .

اليَوْمُ السَّابِعُ : (**قُدُّوس**) ٤٥ أَلْفَ مَرَّة ، والدُّعاءُ المُبارَكُ : (اللهُمَّ قَدِّسْ سِرِّي ورُوحِي بِسِرِّ سِرِّكَ وبِرُوحِ رُوحِكَ ، وأَوْصِلْنِي لِمَنازِلِ

الأُنْسِ ، واسْقِنِي مِنْ مَشارِبِ القُدْسِ ، فَيَكُونَ سِرِّي بِكَ مُقَدَّساً مُطَهَّراً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ودَنَسٍ عَرَضِيٍّ أَوْ وَهْمِيٍّ بِثُبُوتِي أَوْ خاطِري بِبَرَكَةِ قُدُسِكَ يا قُدُّوسُ) .

وقَدِ اشْتَرَط مَشايِخُ الطَّرِيقَةِ الرِّفاعِيَّةِ العَلِيَّةِ بِصِيامِ الأَيَّامِ السَّبْعَةِ ، وأَنْ يَكُونَ الصَّائِمُ عَلَى وُضُوءٍ دائِم .

خُلَفاؤُهُ رضي الله عنه

قالَ سِبْطُهُ السَّيِّدُ الصَّيَّادُ فِي (المَعارِف المُحَمَّدِيَّة) عِنْدَ ذِكْرِ خُلَفائِهِ ما نَصُّهُ : انْتَهَتْ إِلَيْهِ مَكارِمُ الأَخْلاقِ ، وبَلَغَتْ عِدَّةُ خُلَفائِهِ وخُلَفائِهِمْ فِي حَياتِهِ مِائَةً وثَمانِينَ أَلْفاً ، مِنْهُمْ : الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ أَبو الحَسَنِ البَغْدادِي ، والشَّيْخُ فَضْلٌ البَطائِحِيُّ ، والشَّيْخُ يُوسُفُ الحُسَيْنِيُّ السَّمَرْقَنْدِيُّ ، والشَّيْخُ أَبو حامِدٍ عَلِيُّ بنُ نُعيم البَغْدادِيُّ : والشَّيْخ حَياةُ بنُ قَيْسٍ الحَرَّانِيُّ ، والشَّيْخُ عُمَرُ الهَرَوِيُّ الأَنْصارِيُّ ، والشَّيْخ أَبو شُجاعٍ الفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ ، والشَّيْخُ عُمَرُ الفارُوثِيُّ ، والشَّيْخُ جَمالُ الدِّينِ الخَطِيبُ الحَدَّادِيُّ ، وخُلَّصُ العَصْرِ .

وبِالجُمْلَةِ ؛ لَمْ يَكُنْ فِي بِلادِ المُسْلِمِينَ المَعْمُورَةِ مَدِينَةٌ أَوْ بُلَيْدَةٌ أَوْ قُطْرٌ تَخْلُو رُبُوعُهُ مِنْ زَاوَياهُ ومُحِبِّيهِ وتَلامِذَتِهِ العارِفِينَ المَرْضِيِّينَ .

أَشْهَرُ العَوائِلِ المَنْسُوبَةِ للإمام أَحْمَدَ الرِّفاعِي

عائِلَةُ الرِّفاعِي ، وعائِلَةُ الرَّاوِي ، وعائِلَةُ النُّعيمِي ، وعائِلَةُ الصَّيَّادِي ، وعائِلَةُ الصَّيَّاد ، وعائِلَةُ الحَرِيرِي ، وعائِلَةُ الصِّمِيدْعِي ، وعائِلَةُ البَدْرانِي ، وعائِلَةُ البُو غُلام ، وعائِلَةُ النُّوَيْسات ، وعائِلَةُ البُونِيسان ، وعائِلَةُ الكَيَّالِي ، وعائِلَةُ الرِّدِينِي ، وعائِلَةُ الدَّحْيات ، وعائِلَةُ الشُّويكِي ، وعائِلَةُ الكَراجَة ، وعائِلَةُ قُطَيْشات ، وعائِلَةُ الصَّبَّاغ ، وعائِلَةُ الحِرْباوِي ، وعائِلَةُ الجَعْبَرِي ، وعائِلَةُ الفَواعِير ، وعائِلَةُ الخُلَيْفات ، وعائِلَةُ آلِ الشَّيْخ عِيسَى ، وعائِلَةُ السَّبْسَبِي ، وغَيْرُهُمْ .

وَفاتُه رضي الله عنه

(والمَوْتُ فِي اللهِ حَياةٌ بِاللهِ يُدْرِكُها أَهْلُ الله)

تُوفِّيَ رضي الله عنه يَوْمَ الخَمِيس ، الثَّانِي والعِشْرِينَ مِنْ جُمادَى الأُولَى ، سَنَةَ ثَمانٍ وسَبْعِينَ وخَمْسِ مِئَةٍ (٥٧٨ هـ)، بِبَلْدَةِ أُمِّ عَبِيدَةَ ، وكانَ آخِرُ كَلامِهِ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ؛ ولَهُ مِنَ العُمْرِ سِتٌّ وسِتُّونَ سَنَةً ، قَضاها بالعِلْمِ والعَمَلِ ، والذِّكْرِ والتَّذْكِيرِ ، وما زالَ يَهْتَدِي بِسَيْرِهِ مِنَ البَشَرِ الكَثِيرُ والكَثِير .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾.

(٢) القُطْبُ الجَيْلانِي

(٤٧٠ – ٥٦١ هـ)

إِنَّ بـازَ اللّهِ سُلْطانُ الرِّجـالِ

٩١ ٤٧٠

جاءَ فِي عِشْقٍ وماتَ فِي كَمالِ

٤٧٠ (وِلادَتُهُ) + ٩١ (عُمُرُهُ) = ٥٦١ (وَفاتُهُ)

هُوَ وَسِيلَةُ الطَّالِبينَ ، وقائِدُ رَكْبِ المُحِبِّينَ ، وقُدْوَةُ السَّالِكِينَ ، وسُلْطانُ الواصِلِينَ ، وتاجُ المُحَقِّقِينَ ، وحُجَّةُ العارِفِينَ ، وصَدْرُ المُقَرَّبِينَ ، ساقِي الحُمَيَّا وجَمِيلُ المُحَيَّا ، البازُ الأَشْهَبُ ، مَظْهَرُ الشَّرِيعَةِ ، وفَخْرُ الطَّرِيقَةِ ، وجَوْهَرُ الحَقِيقَةِ ، العالِمُ الرَّبَّانِي ، والهَيْكَلُ الصَّمَدانِي ، والقِنْدِيلُ النُّورانِي ، صاحِبُ الإِشارَةِ والمَعانِي ، نُورُ السَّرائِرِ وحائِزُ القَبُولِ بِسائِرِ الأَقْطارِ ؛ شَيْخُ الإِسْلامِ مُحْيِي الدِّينِ أَبُو صالِحٍ السَّيِّدُ عَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي - قَدَّسَ اللّهُ سِرَّهُ وأَفاضَ عَلَيْنا وعَلَى سائِرِ المُحِبِّينَ خَيْرَهُ وبِرَّهُ .

غَوْثٌ بِهِ اللّهُ أَحْيا الدِّينَ فَهْوَ بِمُحْيِي

الدِّيـنِ فِـي الْقَـوْمِ مَـعْـرُوفٌ ومَنْـعُوتُ

القُطْبُ الجَيْلانِي

ونَسَبُهُ إلَى النَّبِيِّ العَدْنانِ ﷺ

نَسَبُهُ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ

هُوَ السَّيِّدُ (عَبْدُ القادِرِ)، ابنُ أَبِي صالِحٍ السَّيِّدِ (مُوسَىٰ) ويُلَقَّبُ بِجَنْكِي دُوسْت[1] ، ابنِ السَّيِّدِ (عَبْدِ اللّٰهِ الجِيلِي) بنِ السَّيِّدِ (يَحْيَىٰ الزَّاهِدِ) ابنِ السَّيِّدِ (مُحَمَّدٍ) بنِ السَّيِّدِ (داوُدَ) بنِ السَّيِّدِ (مُوسَىٰ الثَّانِي) بنِ السَّيِّدِ (عَبْدِ اللّٰهِ) بنِ السَّيِّدِ (مُوسَىٰ الجُونِ) بنِ السَّيِّدِ (عَبْدِ اللّٰهِ المَحْضِ) بنِ السَّيِّدِ (الحَسَنِ المُثَنَّىٰ) بنِ الإمامِ (الحَسَنِ السِّبْطِ) ابنِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ سَيِّدِنا الإمامِ (عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ) زَوْجِ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ بِنْتِ رَسُولِ اللّٰهِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ .

ويُقالُ لِسَيِّدِي عَبْدِ القادِرِ الجَيْلانِي : الكِيلانِي ، والجِيلِي .

وكُنْيَتُهُ : أَبو مُحَمَّد ، وأَبو صالح .

لَقَبُ الباز :

أُطْلِقَ عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ أَلْقابٌ كَثِيرَةٌ مِنْها : البازُ الأَشْهَبُ ؛ وذَلِكَ لِقُوَّتِهِ فِي الدِّينِ وشِدَّةِ وَطْأَتِهِ عَلَى المُنْحَرِفِينَ والمُلْحِدِينَ والضَّالِّينَ

---

(١) مَعْناها فِي المُعْجَمِ الفارِسِي : العَظِيمُ القَدْرِ .

عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ ، وأَوَّلُ مَنْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ هَذا اللَّقَبَ هُوَ الشَّيْخُ عَقِيلٌ المَنْبِجِي ، فَقَدْ قالَ عِنْدَما ذُكِرَ أَمامَهُ اسْمُ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ : ذَلِكَ الفَتَى الرَّفِيعُ الشَّأْنِ ، المَدْعُو فِي المَلَكُوتِ بِالبازِ الأَشْهَبِ ، سَيَنْفَرِدُ فِي وَقْتِهِ ، وسَيُرَدُّ إِلَيْهِ الأَمْرُ ويَصْدُرُ عَنْهُ .

وقَدِ اشْتُهِرَ هَذا اللَّقَبُ لِلشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ الجَيْلانِي حَتَّى صارَ يُعْرَفُ بِالبازِ ، وحَتَّى كانَ أَهْلُ مَدِينَةِ (حَماة) بِسُورِيَّا يَدْعُونَ الزَّاوِيَةَ الكِيلانِيَّةَ الَّتي كانَتْ فِيها بِزاوِيَةِ البازِ ، ويَدْعُونَ النَّاعُورَةَ الَّتِي بِجانِبِها بِناعُورَةِ البازِ ، وذَكَرَ الشَّاعِرُ الَّذِي أَرَّخَ وِلادَتَهُ ووَفاتَهُ هَذا اللَّقَبَ فِي شِعْرِهِ فَقالَ :

إِنَّ بازَ اللهِ سُلْطانُ الرِّجالِ ۞ جاءَ فِي عِشْقٍ وماتَ فِي كَمالِ

وذَكَرَ الشَّيْخُ أَمِينُ الجندي الشَّاعِرُ الحِمْصِي هَذا اللَّقَبَ فِي قَصِيدَتِهِ التَّوَسُّلِيَّةِ ، فَقالَ :

تَوَسَّلْتُ بِالْمُخْتارِ أَرْجَى الْوَسائِلِ ۞ نَبِيٌّ لِمِثْلِي خَيْرُ كافٍ وكافِلِ

وبِالْأَوْلِياءِ الْعارِفِينَ وبازِهِمْ ۞ أَبِي صالِحٍ مَنْ قالَ ما فِي الْمَناهِلِ

وكانَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ يُحِبُّ هَذا اللَّقَبَ ، لِذَلِكَ ذَكَرَهُ فِي شِعْرِهِ ، فَقالَ :

أَنا بُلْبُلُ الْأَفْراحِ أَمْلَأُ دَوْحَها ❁ طَرَباً وفِي الْعَلْياءِ بازٌ أَشْهَبُ

نَسَبُهُ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ

وأُمُّهُ هِيَ أُمُّ الخَيْرِ أَمَةُ الجَبَّارِ السَّيِّدَةُ (فاطِمَةُ) بِنْتُ السَّيِّدِ (عَبْدِ اللّهِ) الصَّوْمَعِيِّ الزَّاهِدِ ، ابنِ أَبي جَمالِ الدِّينِ السَّيِّد (مُحَمَّدِ) ابنِ السَّيِّد (مَحْمُودِ) ابنِ السَّيِّدِ أَبي العَطاءِ (عَبْدِ اللّهِ) ابنِ السَّيِّدِ كَمالِ الدِّينِ (عِيسَىٰ) ابنِ السَّيِّدِ أَبي عَلاءِ الدِّينِ الإمامِ (مُحَمَّدٍ الجَوادِ) ابنِ الإمامِ (عَلِيٍّ الرِّضا) ابنِ الإمامِ (مُوسَىٰ الكاظِم) ابنِ الإمامِ (جَعْفَرٍ الصَّادِقِ) ابنِ الإمامِ (مُحَمَّدٍ الباقِرِ) ابنِ الإمامِ (عَلِيٍّ زَيْنِ العابِدِينَ) ابنِ الإمامِ (الحُسَيْنِ السِّبْطِ) ابنِ أَميرِ المُؤْمِنينَ سَيِّدِنا الإمامِ (عَلِيِّ بنِ أَبي طالِبٍ) زَوْجِ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ بِنْتِ رَسُولِ اللّهِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ ﷺ .

وفِي ذَلِكَ يَقُولُ حَفِيدُهُ قاضِي القُضاةِ عِمادُ الدِّينِ نَصْرُ بنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بنِ عَبْدِ القادِرِ :

نَحْنُ مِنْ أَوْلادِ خَيْرِ الْحَسَنَيْنِ ❁ مَنْ بِهِ أَصْلَحَ بَيْنَ الْفِئَتَيْنِ

يُشْبِهُ الْمُخْتارَ فِي أَعْلاهُ إِذْ ❁ كانَ أَدْناهُ شَبِيهاً بِالْحُسَيْنِ

مَوْلِدُهُ ونَشْأَتُهُ :

وُلِدَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ رضي الله عنه فِي شَهْرِ رَمَضانَ سَنَةَ ٤٧٠ هـ ، فِي مَدِينَةٍ صَغِيرَةٍ بِإِقْلِيم (جَيْلان) الَّذي يَقَعُ فِي القِسْم الشَّمالِي مِنْ إيران ، جَنُوبِيَّ بَحْرِ قَزْوِين ، وهُوَ إِقْلِيمٌ خَصْبُ التُّرْبَةِ كَثِيرُ الأَنْهارِ غَزِيرُ الأَمْطار .

ويَبْدُو أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ القادِرِ كانَ آخِرَ أَوْلادِ أَبَوَيْه ؛ لأَنَّهُ عاشَ يَتِيماً ، فَقَدْ تُوفِّيَ أَبُوهُ بَعْدَ وِلادَتِهِ بِقَلِيلٍ ، لِذَلِكَ عاشَ فِي كَنَفِ جَدِّهِ لأُمِّهِ السَّيِّدِ/ عَبْدِ اللهِ الصَّوْمَعِي ، فَكانَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ عِنْدَما كانَ فِي جَيْلانَ ؛ فَيُقالُ : ابنُ الصَّوْمَعِي .

وكانَ آخِرَ أَوْلادِ أُمِّهِ ؛ لأَنَّها حَمَلَتْ بِهِ قُبَيْلَ سِنِّ انْقِطاعِ مَحِيضِها بِقَلِيلٍ ، حَتَّى قالَ بَعْضُ أَصْحابِ التَّراجِم : إِنَّها حَمَلَتْ بِهِ وهِيَ فِي السِّتِّينَ مِنْ عُمْرِها ، ونَسَبُوا ذَلِكَ إِلَى أَنَّها قُرَشِيَّةٌ ؛ (أَي : أَصْلُها مِنْ قُرَيْشٍ) وهَذا الحَمْلُ المُتَأَخِّرُ مِنْ خَواصِّ نِساءِ قُرَيْش .

وكانَتْ أُمُّهُ صالِحَةً تَقِيَّةً ، سَلِيلَةَ أَئِمَّةٍ أَطْهارٍ أَبْرار ، وكانَ جَدُّهُ عَبْدُ اللهِ الصَّوْمَعِيُّ زاهِداً عابِداً حَتَّى لَقَّبُوهُ بِالصَّوْمَعِي ، وكانَ أَبُوهُ صالِحاً ، فَنالَتْهُ بَرَكَةُ صَلاحِ أَبِيهِ ، وتَرَبَّى فِي كَنَفِ أُمِّهِ التَّقِيَّةِ وجَدِّهِ الزَّاهِدِ

العابِدِ ، فَرَبَّاهُ عَلَى التَّقْوَى والصَّلاحِ ومَكارِمِ الأَخْلاقِ ، فَنَشَأَ عابِداً صالِحاً تَقِيًّا ، زاهِداً فِي الدُّنْيا ، مُقْبِلاً عَلَى الأُخْرَى ، طَمُوحاً إِلَى مَعْرِفَةِ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ وفُروعِها ، ومَداخِلِها ومَخارِجِها .

ولَمْ يَكُنْ فِي بِلادِ جَيْلانَ ما يُرْضِي طُمُوحَهُ ويَرْوِي ظَمَأَهُ مِنْ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ ، لِذَلِكَ أَخَذَتْ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ بِالسَّفَرِ إِلَى بَغْدادَ حاضِرَةِ الدُّنْيا فِي ذَلِكَ الزَّمانِ .

وكانَ أَهْلُ جَيْلانَ يَدِينُونَ بِالمَذْهَبِ الحَنْبَلِي فِي ذَلِكَ العَهْدِ ، بَعْدَ النَّصْرِ العَظِيمِ الَّذِي نالَتْهُ السُّنَّةُ المُطَهَّرَةُ عَلَى يَدِ حامِيها ورافِعِ لِوائِها الإِمامِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ رضي الله عنه ، مِمَّا جَعَلَ ذِكْرُهُ يَسِيرُ فِي البِلادِ ويَتَغَلْغَلُ فِي قُلُوبِ العِبادِ ، وكانَتْ بَغْدادُ مَثْوَى أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ أَيْضاً حَبِيبِ أَهْلِ جِيلان ، وهَذا مِمَّا زادَ فِي حَنِينِ الشَّيْخِ إِلَى بَغْداد .

وانْطَلَقَ الفَتَى الشَّيْخُ ضِمْنَ قافِلَةٍ مُسافِرَةٍ إِلَى بَغْدادَ ، وأَثْناءَ السَّفَرِ تَتَعَرَّضُ القافِلَةُ لِسَطْوِ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ ، وبِبَرَكَةِ صِدْقِ الشَّيْخِ ورِفْعَةِ تَوَجُّهِهِ يَتُوبُ كَبِيرُ اللُّصُوصِ وعِصابَتُهُ عَلَى يَدِ الفَتَى الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ .

وسارَتِ القافِلَةُ بَعْدَ ذَلِكَ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً بِحِمايَتِهِمْ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ

بَغْدادَ ، وبانَتْ مَلامِحُ مُسْتَقْبَلِ الفَتَى الشَّيْخِ ، وبانَ أَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ وأَيُّ شَأْنٍ ، فَقَدْ بَدَأَ الغَيْثُ قَطْراً ، وسَيَنْهَمِرُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وسَيُسْلِمُ عَلَى يَدَيْهِ مِئاتُ الكُفَّارِ والمُشْرِكِينَ ، وسَيَتُوبُ عَلَى يَدَيْهِ أُلُوفُ العُصاةِ والخاطِئِينَ ، وهَذِهِ أَكْبَرُ كَرامَةٍ يُمْكِنُ أَنْ ينالَها وَلِيٌّ ، فَهِيَ سُنَّةُ الأَنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ ؛ فالنَّبِيُّ يَقُولُ : (فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً واحِداً ؛ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم) [1] .

ووَصَلَتِ القافِلَةُ إلَى بَغْدادَ ، ودَخَلَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ بَغْدادَ فِي سَنَةِ (٤٨٨ هـ) ، فِي السَّنَةِ الَّتِي تُوفِّيَ فِيها أَبُو الفَضْلِ عَبْدُ الواحِدِ التَّمِيمِي ، وهِيَ السَّنَةُ نَفْسُها الَّتِي تَرَكَ فِيها حُجَّةُ الإِسْلام أَبُو حامِدٍ الغَزالِي التَّدْرِيسَ فِي المَدْرَسَةِ النِّظامِيَّةِ فِي بَغْدادَ ، وآثَرَ العُزْلَةَ والاخْتِفاءَ وسافَرَ مِنْها إلَى الشَّامِ والحِجازِ ، وخَلَفَهُ فِي المَدْرَسَةِ النِّظامِيَّةِ أَخُوهُ أَحْمَدُ الغَزالِي ، ثُمَّ أَبُو عَبْدِ اللهِ الطَّبَرِي بِأَمْرٍ مِنَ السُّلْطانِ بَرْكِيارِق ووَزِيرِهِ فَخْرِ المَلِكِ بنِ نِظامِ المَلِك .

عِنْدَما وَصَلَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ إلَى بَغْدادَ فِي سَنَة (٤٨٨ هـ) وكانَ عُمْرُهُ ثمانِي عَشْرَةَ سَنَةً ، كانَتْ فِي أَوْجِ عَظَمَتِها وقُوَّتِها واتِّساعِها

---

(١) صَحِيحُ البُخارِي .

وغناها ، كَما كانَتْ فِي أَوْجِ تَقَدُّمِها العِلْمِيِّ والثَّقافِيِّ ، وقَدْ عاصَرَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ فِي بَغْدادَ خَمْسَةَ خُلَفاءٍ ؛ هُمْ : المُسْتَظْهِرُ (حَكَمَ مِنْ سَنَةِ ٤٨٧ إلَى سَنَةِ ٥١٢ هـ)، والمُسْتَرْشِدُ (٥١٢ - ٥٢٩ هـ)، والرَّاشِدُ (٥٢٩ - ٥٣٠ هـ)، والمُقْتَفِي (٥٣٠ - ٥٥٥ هـ)، والمُسْتَنْجِدُ (٥٥٥ - ٥٦٦ هـ)، وآنَذاكَ لَمْ يَكُنْ لِلخُلَفاءِ العَبَّاسِيِّينَ مِنَ الحُكْمِ إلَّا اسْمُهُ ، أَمَّا الحُكْمُ الفِعْلِيُّ فَهُوَ بِيَدِ السَّلاطِينِ السَّلاجِقَة .

ويُمْكِنُ أَنْ نُقَسِّمَ حَياةَ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ (٧٣ سَنَةً) فِي بَغْدادَ إِلَى فَتْرَتَيْنِ :

الأُولَى : مِنْ دُخُولِهِ بَغْدادَ فِي سَنَةِ (٤٨٨ هـ) إِلَى تَوَلِّيهِ التَّدْرِيسَ فِي مَدْرَسَتِهِ فِي سَنَةِ (٥٢١ هـ)؛ أَي : فَتْرَةُ الدَّرْسِ والتَّحْصِيل .

والثَّانِيَة : مِنْ تَوَلِّيهِ التَّدْرِيسَ فِي مَدْرَسَتِهِ سَنَةَ (٥٢١ هـ) إِلَى حِينِ وَفاتِهِ سَنَةَ (٥٦١ هـ) وهِيَ : فَتْرَةُ التَّدْرِيسِ والتَّعْلِيمِ والوَعْظِ والإِرْشادِ وتَسْلِيكِ الطَّرِيقِ ونَفْعِ العِبادِ والبِلادِ .

وفِي هَذِهِ الفَتْرَةِ الَّتِي وُجِدَ فِيها الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ فِي بَغْدادَ كانَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَماءِ المُسْلِمِينَ قَدْ ظَهَرُوا ، وكَثِيرٌ مِنْ مُؤَلَّفاتِهِمْ قَدِ انْتَشَرَتْ ، فَبِالإِضافَةِ إِلَى حُجَّةِ الإِسْلامِ وكُتُبِهِ ، فَقَدْ ظَهَرَ الرَّاغِبُ الأَصْفَهانِي

(تُوفِّيَ سَنَةَ ٥٠٢ هـ) وكِتابُهُ (المُفْرَدات)، وأَبو القاسِمِ عَبْدُ الكَرِيمِ القُشَيْرِي ، ونَجْمُ الدِّينِ أَبُو حَفْصٍ النَّسَفِي صاحِبُ (التَّفْسِير)، والواحِدِي (٤٦٨ هـ) وقَدِ انْتَشَرَتْ كُتُبُهُ (البَسِيطُ والوَسِيطُ والوَجِيزُ)، والزَّمَخْشَرِي (٥٣٧ هـ) صاحِبُ (الكَشَّاف) .

وكانَ قَدْ نُشِرَ كَثِيرٌ مِنْ كُتُبِ الحَدِيثِ وتَصانِيفِهِ ، وصَحِيحِهِ ومُسْنَدِهِ ، وكَذَلِكَ كُتُبِ الفِقْهِ عَلَى اخْتِلافِ مَذاهِبِهِ .

وظَهَرَ أَيْضاً الماوَرْدِي (ت٤٥٠ هـ) بِكِتابِهِ (الأَحْكام السُّلْطانِيَّة)، والشَّهْرِستانِي مِنْ عُلَماءِ الكَلام ، ومِنَ الأُدَباءِ الحَرِيرِي صاحِبُ المَقاماتِ (٥١٦ هـ)، والطُّغْرانِي صاحِبُ لامِيَّةِ العَجَم (٥١٥ هـ)، كُلُّ هَذِهِ المُؤَلَّفاتِ وغَيْرُها كانَتْ مَبْذُولَةً فِي بَغْدادَ وتَتَداوَلُها أَيْدِي النَّاس .

شُيُوخُهُ وأَساتِذَتُهُ :

سَمِعَ الحَدِيثَ مِنْ أَبِي غالِبٍ مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ الباقَلَّانِي ، وأَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بنِ المُظَفَّرِ ، وأَبِي القاسِمِ عَلِي بَيانِ الرَّزَّاز ، وأَبِي مُحَمَّدٍ جَعْفَرِ ابنِ أَحْمَدَ السَّرَّاج (تُوفِّيَ ٥٠٩ هـ)، وأَبِي سَعْدٍ مُحَمَّدِ بنِ خُشَيْش ، وأَبِي طالِبِ بنِ يُوسُفَ .

وتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي الوَفا عَلِيٍّ بن عَقِيل (وكانَ شَيْخَ الحَنابِلَةِ فِي بَغْدادَ، تُوفِّيَ سَنَةَ ٥٠٩ هـ)، وأَبِي الخَطَّاب مَحْفُوظ بن أَحْمَدَ الكَلُوذانِي الحَنْبَلِي، والقاضِي أَبِي سَعِيدٍ المُبارَكِ بن عَلِيٍّ المَخَرِّمِي (تُوفِّيَ ٥٢١ هـ)، وأَبِي الحَسَنِ مُحَمَّدِ بنِ القاضِي أَبِي يَعْلَى الفَرَّاءِ الحَنْبَلِي.

وقَرَأَ الأَدَبَ وعِلْمَ البَيانِ والبَلاغَةِ عَلَى أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَىٰ التَّبْرِيزِي (تُوفِّيَ سَنَةَ ٥٠٢ هـ).

وأَخَذَ عِلْمَ التَّصَوُّفِ (عِلْمَ تَرْبِيَةِ النَّفْسِ وتَزْكِيَتِها وتَقْوِيَتِها) عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ جَعْفَرِ بنِ أَحْمَدَ السَّرَّاج (تُوفِّيَ سَنَةَ ٥٠٩ هـ)، وعَنِ الشَّيْخِ حَمَّادِ بنِ مُسْلِمٍ الدَّبَّاس (تُوفِّيَ سَنَةَ ٥٢٥ هـ)، وعَنِ القاضِي أَبِي سَعِيدٍ المَخَرِّمِي الَّذِي أَخَذَ الطَّرِيقَةَ عَنْهُ وتَفَقَّهَ عَلَى يَدَيْهِ وخَلَّفَهُ عَلَى مَدْرَسَتِهِ.

وقَرَأَ القُرْآنَ وعُلُومَهُ وقِراءاتِهِ وتَفْسِيرَهُ عَلَى أَبِي الوَفا عَلِيٍّ بن عَقِيلٍ الحَنْبَلِي وأَبِي الخَطَّاب مَحْفُوظٍ الكَلُوذانِي.

ومِنْ شُيُوخِهِ أَيْضاً: أَبو الغَنائِم مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بن عَلِيٍّ النَّرْسِيُّ، وعَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ أَحْمَدَ بنِ يُوسُفَ، وأَبُو البَرَكاتِ هِبَةُ اللهِ المُبارَكُ وغَيْرُهُمْ.

واسْتَمَرَّ هَذا الدَّرْسَ والتَّحْصِيلَ حَتَّى بَرِعَ فِي الأُصُولِ والفُرُوعِ وأَنْواعِ الخِلافِ وعُلُومِ القُرْآنِ والبَلاغَةِ والأَدَبِ ، وانْصَبَّ أَكْثَرُ اهْتِمامِهِ عَلَى دِراسَةِ المَذْهَبِ الحَنْبَلِي ، ثُمَّ دَرَسَ مَعَهُ المَذْهَبَ الشَّافِعِيَّ أَيْضاً .

ودامَ هَذا الدَّرْسُ والتَّحْصِيلُ ثَلاثاً وثَلاثِينَ سَنَةً ، ولَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَّصِلاً ، بَلْ مُنْقَطِعاً عَلَى حَسَبِ الظُّرُوفِ والأَحْوالِ .

وسَأَذْكُرُ لَكَ طُرْفَةً عَنْ صُحْبَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ بشَيْخِهِ حَمَّادٍ الدَّبَّاس، ثُمَّ نَتَبَيَّنُ سَوِيًّا أَوْجُهَ الاسْتِفادَةِ مِنْ ذِكْرِها ، وكانَ الشَّيْخُ حَمَّادٌ عالِمَ بَغْدادَ الَّذي انْتَهَتْ إلَيْهِ تَرْبِيَةُ المُرِيدِينَ ، وانْتَمَى إلَيْهِ مُعْظَمُ مَشايخِ بَغْدادَ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ ؛ ومِنْ أَقْوالِهِ : (القُلُوبُ ثَلاثَةٌ : قَلْبٌ يَطُوفُ فِي الدُّنْيا ، وقَلْبٌ يَطُوفُ فِي الآخِرَةِ ، وقَلْبٌ يَطُوفُ بالمَوْلَى) .

ومِنْ أَقْوالِهِ أَيْضاً : (أَقْصَرُ طَرِيقٍ إلَى اللهِ تَعالَى هُوَ حُبُّ اللهِ تَعالَى) .

عِنْدَما الْتَحَقَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ بِشَيْخِهِ الجَدِيدِ حَمَّادٍ الدَّبَّاس ، تَوَسَّمَ فِيهِ شَيْخُهُ الجَدِيدُ الخَيْرَ والفَلاحَ ؛ لِذَلِكَ أَرادَ أَنْ يَخْتَبِرَ صَبْرَهُ وصِدْقَهُ وقُوَّةَ احْتِمالِهِ ، فَصارَ يُعامِلُهُ بقَسْوَةٍ وشِدَّةٍ لِيُظْهِرَ مَعْدِنَهُ الحَقِيقِيَّ ؛ هَلْ يَنْكُصُ عَلى عَقِبَيْهِ أَمْ يَبْقَى ثابتاً صَلْباً ، انْظُروا إلَيْهِ يَقُولُ : (خَرَجْتُ مَرَّةً إلَى بابِ الحَلْبَةِ ، فَقالَ لِي قائِلٌ : إلَى أَيْنَ

تَمْشِي ؟ ودَفَعَنِي دَفْعَةً خَرَرْتُ مِنْها ، وقالَ : ارْجِعْ فَإِنَّ لِلنَّاسِ فِيكَ مَنْفَعَةً ، قُلْتُ : أُرِيدُ سَلامَةَ دِينِي ، قالَ : لَكَ ذاكَ ؛ وعَرَفْتُ أَنَّهُ حَمَّادُ الدَّبَّاس ، وقَدْ كَشَفَ لِي بَعْدَ ذَلِكَ جَمِيعَ ما كانَ يُشْكَلُ عَلَيَّ ، وكُنْتُ إِذا غِبْتُ عَنْهُ لِطَلَبِ العِلْمِ وجِئْتُ ، يَقُولُ : إِيش جاءَ بِكَ إِلَيْنا ، أَنْتَ فَقِيهٌ ، مُرَّ إِلَى الفُقَهاءِ ، وأَنا أَسْكُت .

وفِي يَوْمِ جُمُعَةٍ مِنْ أَشْهُرِ كَوانِينَ [(١)] (كانُون أَوَّل ، وكانُون ثانِي : أَي شَهْرُ دِيسَمْبِر ، ويَنايِر) خَرَجْتُ مَعَ الشَّيْخِ حَمَّادٍ الدَّبَّاسِ وجَماعَتِهِ لِنَذْهَبَ إِلَى مَسْجِدِ الرَّصافَةِ ، وعِنْدَما وَصَلْنا إِلَى جِسْرِ اليَهُودِ عَلَى نَهْرِ دِجْلَةَ ، وكُنْتُ أَسِيرُ خَلْفَ الشَّيْخِ ، تَوَقَّفَ فَجْأَةً ودَفَعَنِي فَأَلْقانِي فِي الماءِ ، فِي شِدَّةِ البَرْدِ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : غُسْلُ الجُمُعَةِ ، بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم ، وكانَ عَلَيَّ جُبَّةٌ صُوفٌ ، وفِي كُمِّي أَجْزاءٌ (أَيْ : أَوْراقٌ مَكْتُوبَةٌ) فَرَفَعْتُ كُمِّي لِكَيْ لا تَهْلِكُ الأَجْزاءُ ، وتَرَكُونِي ومَشَوْا ؛ فَعَصَرْتُ الجُبَّةَ وتَبِعْتُهُمْ ، وقَدْ تَأَذَّيْتُ بِالبَرْدِ كَثِيراً .

وكانَ الشَّيْخُ يُؤْذِينِي ، وإِذا جِئْتُ يَقُولُ : جاءَنا اليَوْمَ خُبْزٌ كَثِيرٌ وفالُوذَج ، فَأَكَلْنا وما خَبَّأْنا لَكَ شَيْئاً ، فَطَمِعَ فِيَّ أَصْحابُهُ ، وقالُوا : أَنْتَ فَقِيهٌ ،

---

(١) وكانَ ذَلِكَ مُوافِقاً لِمُنْتَصِفِ شَهْرِ شَعْبانَ سَنَةَ ٤٩٩ هـ (قَلائِدُ الجَواهِر) .

إيش تَعْمَلُ هُنا ؟! فَلَمَّا رَآهُمْ يُؤْذُونَنِي ، قالَ لَهُمْ : لِمَ تُؤْذُونَهُ ؟ واللهِ ما فِيكُمْ مِثْلُهُ ، إنَّما أُوذِيهِ لأَمْتَحِنَهُ فَأَراهُ جَبَلاً لا يَتَحَرَّكُ .

نَسْتَنْتِجُ مِنْ هَذِهِ القِصَّةِ عِدَّةَ أُمُورٍ :

الأَمْرُ الأَوَّلُ : أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ القادِرِ قَدْ دَرَسَ الفِقْهَ أَوَّلاً ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إلَى التَّصَوُّف .

الأَمْرُ الثَّانِي : أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ فِي دِراسَةِ الفِقْهِ تَقَدُّماً مَلْمُوساً ، فالشَّيْخُ حَمَّادٌ وتَلامِيذُهُ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ مُتَفَقِّهٌ ، وعِنْدما سَقَطَ فِي الماءِ اغْتَنَمَ ونَوَى الغُسْلَ لِيَكْسِبَ ثَوابَ غُسْلِ الجُمُعَةِ ، لأَنَّ الغُسْلَ لا يَصِحُّ دُونَ نِيَّةٍ ، ولا يَفْعَلُ ذَلِكَ إلَّا فَقِيهٌ .

الأَمْرُ الثَّالِثُ : أَنَّ الشَّيْخَ حَمَّاداً كانَ يَمْتَحِنُهُ وقَدْ نَجَحَ فِي الامْتِحانِ نَجاحاً كَبِيراً .

الأَمْرُ الرَّابِعُ : أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ القادِرِ كانَ يَتَّصِفُ بِالحِلْمِ ، ولَوْلا ذَلِكَ لَغَضِبَ مِنْ شَيْخِهِ غَضَباً شَدِيداً .

الأَمْرُ الخامِسُ : أَنَّهُ كانَ رابِطَ الجَأْشِ ثابِتَ الجَنان .

الأَمْرُ السَّادِسُ : أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَبْلُغَ الهَدَفَ الَّذِي رَسَمَهُ لِنَفْسِهِ مَهْما واجَهَ فِي سَبِيلِهِ مِنْ صِعاب .

ثُمَّ يَقُولُ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ : قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ هَمَذانَ يُقالُ لَهُ : يُوسُفُ

الهَمَذانِي (انْتَهَتْ إِلَيْهِ تَرْبِيَةُ المُرِيدِينَ بِخُراسانَ ، تُوفِّيَ سَنَةَ ٥٣٥ هـ ودُفِنَ بِمَرْو)، وكانَ يَقُولُ : إِنَّهُ القُطْبُ ، ونَزَلَ فِي رِباطٍ فَمَشَيْتُ إِلَيْهِ فَلَمْ أَرَهُ ، فَقِيلَ لِي : هُوَ فِي السِّرْداب ، فَنَزَلْتُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَآنِي قامَ وأَجْلَسَنِي ، ثُمَّ ذَكَرَ لِي جَمِيعَ أَحْوالِي وحَلَّ لِي المُشْكَلَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قالَ لِي : تَكَلَّمْ عَلَى النَّاس ، فَقُلْتُ : يا سَيِّدِي أَنا أَعْجَمِيٌّ ، فَكَيْفَ أَتَكَلَّمُ عَلَى فُصَحاءِ بَغْداد ؟! فَقالَ لِي : أَنْتَ حَفِظْتَ الفِقْهَ وأُصُولَهُ والخِلافَ والنَّحْوَ واللُّغَةَ وتَفْسِيرَ القُرْآنِ ، ولا يَصْلُحُ لَكَ أَنْ تَتَكَلَّم ؟ اصْعَدْ عَلَى الكُرْسِيِّ وتَكَلَّمْ ، فَإِنِّي أَرَى فِيكَ عِذْقاً (١) سَيَصِيرُ نَخْلَةً .

نَسْتَنْتِجُ مِنْ هَذِهِ القِصَّةِ : أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ القادِرِ قَدِ اشْتَدَّ عُودُهُ ، وأَنَّ دِراسَتَهُ قَدْ بَدَأَتْ تُؤْتِي أُكُلَها ، وأَنَّ تَصَدُّرَهُ للتَّدْرِيسِ قَدْ باتَ وَشِيكاً ، وأَنَّ لَهُ مَكانَةً فِي طَرِيقِ القَوْمِ أَهْلِ اللّه .

وبِذَلِكَ انْتَهَتْ مَرْحَلَةُ الدِّراسَةِ والتَّحْصِيلِ فِي حَياةِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ ، وبَدَأَتْ مَرْحَلَةُ التَّعْلِيمِ والإِرْشادِ والإِصْلاحِ مُنْذُ سَنَة (٥٢١ هـ)، ونَضِجَتْ وقَوِيَتْ بَعْدَ سَنَة (٥٢٨ هـ) ؛ وهِيَ الفَتْرَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ حَياتِهِ فِي بَغْداد .

---

(١) العِذْقُ : عُنْقُودُ البَلَح .

والظَّاهِرُ أَنَّ أَحْوالَ الشَّيْخِ النَّفْسِيَّةَ والمادِّيَّةَ قَدِ اسْتَقَرَّتْ قُبَيْلَ هَذِهِ الفَتْرَةِ بِسَنَوات ، والدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ تَزَوَّجَ ، ولا نَعْرِفُ زَواجَهُ فِي أَيِّ سَنَةٍ كانَ ، ولَكِنَّنا نَعْرِفُ أَنَّ أَكْبَرَ أَوْلادِهِ هُوَ عَبْدُ اللهِ الَّذِي وُلِدَ فِي سَنَةِ (٥٠٨ هـ)، وهَذا يَعْنِي أَنَّهُ تَزَوَّجَ قَبْلَ ذَلِكَ بِسَنَةٍ أَوْ سَنَتَيْنِ ، ثُمَّ تَكَرَّرَ زَواجُهُ حَتَّى أَصْبَحَ عِنْدَهُ أَرْبَعُ زَوْجاتٍ ، وذَلِكَ بَعْدَ أَنْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ واسْتَقَرَّتْ أَحْوالُهُ .

يَقُولُ الشَّيْخُ السَّهْرَوَرْدِي فِي كِتابِهِ (عَوارِف المَعارِف) ، فِي البابِ الحادِي والعِشْرِين : قالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ للشَّيْخِ عَبْدِ القادِر : لِمَ تَزَوَّجْتَ ؟ قالَ : ما تَزَوَّجْتُ حَتَّى قالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ (أي : فِي المَنام): تَزَوَّجْ ، وقالَ : كُنْتُ أُرِيدُ الزَّوْجَةَ مُدَّةً مِنَ الزَّمانِ ولا أَتَجَرَّأُ عَلَى التَّزَوُّجِ خَوْفاً مِنْ تَكْدِيرِ الوَقْتِ ، فَلَمَّا صَبَرْتُ إِلَى أَنْ بَلَغَ الكِتابُ أَجَلَهُ ، ساقَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى إِلَيَّ أَرْبَعَ زَوْجاتٍ .

صِفاتُ الشَّيْخِ الخُلُقِيَّة وبَيانُ أَنَّ عُلُوَّ رُتْبَتِهِ مِنْحَةٌ أَزَلِيَّة :

أَمَّا صِفاتُهُ الخُلُقِيَّةُ فَيَقُولُ الإمامُ الحافِظُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ يُوسُفَ البِرْزالِي الإِشْبِيلِي : كانَ مُجابَ الدَّعْوَةِ ، سَرِيعَ الدَّمْعَةِ ، دائِمَ الذِّكْرِ ، كَثِيرَ الفِكْرِ ، رَقِيقَ القَلْبِ ، دائِمَ البِشْرِ ، كَرِيمَ النَّفْسِ ، سَخِيَّ

اليَدِ ، غَزيرَ العِلْمِ ، شَريفَ الأَخْلاقِ ، طَيِّبَ الأَعْرافِ ، مَعَ قَدَمٍ راسِخٍ فِي العِبادَةِ والاجْتِهادِ .

وقَدْ ذَكَرَ أَبُو الفِداءِ فِي (تارِيخِهِ) : أَنَّ الخَلِيفَةَ المُقْتَفِي طَلَبَ مِنْ وَزِيرِهِ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ عُلَماءَ العِراقِ ، فَدَعاهُمْ ، فَلَمَّا حَضَرُوا سَأَلَ الخَلِيفَةُ وَزِيرَهُ : حَضَرُوا جَمِيعُهُمْ ؟ فَأَجابَهُ : نَعَمْ ما عَدا الشَّيْخَ عَبْدَ القادِرِ وعَدِيَّ بنَ مُسافِرٍ ، فَقالَ لَهُ : لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ إِذَن .

وقالَ مُفْتِي العِراقِ مُحْيِي الدِّينِ أَبو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ حامِدٍ البَغْدادِيُّ فِي وَصْفِهِ للشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ : كانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ الفُحْشِ ، أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى الحَقِّ ، شَدِيدَ البَأْسِ إِذا انْتُهِكَتْ مَحارِمُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، لا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ ، ولا يَنْتَصِرُ لِغَيْرِ رَبِّهِ .

ولَوْ تَحَرَّيْنا الأَخْلاقَ الَّتِي فُطِرَ عَلَيْها الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ ، ونَشَأَ عَلَيْها فِي جَيْلانَ ثُمَّ حَمَلَها مَعَهُ إِلَى بَغْدادَ ، لَوَجَدْنا مِنْ أَبْرَزِها : الصِّدْقُ ، والكَرَمُ ، والإِيثارُ ، والصَّبْرُ ، والحِلْمُ ، بالإِضافَةِ إِلَى التَّقْوَى والوَرَعِ . ونَجِدُ ما ذَكَرْناهُ مِنْ سُمُوِّ أَخْلاقِهِ واضِحاً جَلِيًّا مَطْبُوعاً فِي سُلُوكِ تَلامِذَتِهِ ومُرِيدِيهِ الَّذِينَ قامَ بِتَرْبِيَتِهِمْ وتَزْكِيَةِ نُفُوسِهِمْ ، وقَدْ جاءَ فِي صَحِيحِ الخَبَرِ : (الآباءُ ثَلاثَةٌ : أَبٌ وَلَدَكَ ، وأَبٌ عَلَّمَكَ ، وأَبٌ رَبَّاكَ) .

وكَما قِيلَ : لَوْلا المُرَبِّي ما عَرَفْتُ رَبِّي .

وكانَ المَشايِخُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ ويُعَظِّمُونَهُ ويَتَأَدَّبُونَ مَعَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، وأَمَّا مُرِيدُوهُ فَلا يُحْصَوْنَ وهُمُ السُّعَداءُ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ لا يَمُوتُ أَحَدُهُمْ إلَّا عَلَى تَوْبَةٍ ، ومُرِيدُهُ ومُرِيدُ مُرِيدِهِ إلَى سَبْعَةٍ يَهْدِيهُمُ اللّهُ إلَى الجَنَّةِ فَضْلاً مِنَ اللهِ ومِنَّة .

وقالَ الشَّيْخُ أَبو النَّجِيب عَبْدُ القاهِر السَّهْرَوَرْدِي : كانَ الشَّيْخ حَمَّادٌ الدَّبَّاسُ يُسْمَعُ عِنْدَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ ، فَقالَ أَصْحابُهُ لِلشَّيْخ عَبْدِ القادِرِ فِي سَنَةِ ثَمانٍ وخَمْسِمائَةٍ وكانَ يَوْمَئِذٍ فِي صُحْبَتِهِ ، اسْأَلْهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَسَأَلَهُ ، فَقالَ لَهُ : إنَّ لِي اثْنَى عَشَرَ أَلْفَ مُرِيدٍ وإنِّي أَذْكُرُ أَسْماءَهُمْ كُلَّ لَيْلَةٍ وأَسْأَلُ لِكُلٍّ مِنْهُمْ حاجَتَهُ إلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وإذا أَصابَ مُرِيدٌ إلَى ذَنْبٍ فَلا تَنْقَضِي عَنْهُ شَهْوَةُ ذَلِكَ إلَّا ويَتُوبُ إشْفاقاً عَلَيْهِ أَنْ يَتَمادَى فِيهِ ، فَقالَ الشَّيْخ عَبْدُ القادِر : لَئِنْ أَعْطانِي اللّهُ تَعالَى مَنْزِلَةً عِنْدَهُ لأَخَذْتُ مِنْ رَبِّي تَبارَكَ وتَعالَى عَهْداً لِمُرِيدِي إلَى يَوْم القِيامَةِ أَنْ لا يَمُوتَ أَحَدُهُمْ إلَّا عَلَى تَوْبَةٍ ولأَكُونَنَّ بذَلِك ضَمِيناً لَهُمْ ، فَقالَ الشَّيْخ حَمَّادٌ : أَشْهَدُ أَنَّ اللّهَ سَيُعْطِيهِ ذَلِكَ ويَبْسُطُ ظِلَّ جاهِهِ عَلَيْهِمْ .

وفِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجالِسِ الشَّيْخِ حَمَّادٍ وكانَ شَيْخَ الوَقْتِ فِي زَمانِهِ ، والشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ فِي صُحْبَتِهِ فَجاءَ فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَأَدِّباً ثُمَّ قامَ ، فَسُمِعَ الشَّيْخُ حَمَّادٌ يَقُولُ بَعْدَ قِيامِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ : لِهَذا العَجَمِيِّ قَدَمٌ تَعْلُو فِي وَقْتِها عَلَى رِقابِ الأَوْلِياءِ ، ولَيُؤْمَرَنَّ أَنْ يَقُولَ : (قَدَمِي هَذِهِ عَلَى رَقَبةِ كُلِّ وَلِيٍّ للهِ)، ولَيَقُولَنَّ ولَتُوضَعَنَّ لَهُ رِقابُ الأَوْلِياءِ فِي زَمانِهِ .

وقالَ الشَّيْخُ حَمَّادٌ الدَّبَّاسُ وقَدْ ذُكِرَ عِنْدَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ وهُوَ يَوْمَئِذٍ شابٌّ : رَأَيْتُ عَلَى رَأْسِهِ عَلَمَيْنِ قَدْ نُصِبا مِنَ البَهَمُوتِ الأَسْفَلِ إِلَى المَلَكُوتِ الأَعْلَى ، وسَمِعْتُ الشَّاوِيشَ يَصِيحُ لَهُ فِي الأُفُقِ الأَعْلَى .

وقالَ مَحْمُودٌ النَّعَّال : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : كُنْتُ عِنْدَ الشَّيْخِ حَمَّادٍ الدَّبَّاسِ فَجاءَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ وهُوَ شابٌّ يَوْمَئِذٍ فَقامَ إِلَيْهِ وتَلَقَّاهُ ، وقالَ : مَرْحَباً بِالجَبَلِ الرَّاسِخِ والطَّوْدِ المُنِيفِ الَّذِي لا يَتَحَرَّكُ وأَجْلَسَهُ إِلَى جانِبِهِ وقالَ لَهُ : ما الفَرْقُ بَيْنَ الحَدِيثِ والكَلامِ ؟ فَقالَ : الحَدِيثُ ما اسْتَدْعَيْتَ مِنَ الجَوابِ ، والكَلامُ ما صَدَمَكَ عَنِ الخِطابِ ، وانْزِعاجُ القَلْبِ لِدَعْوَةِ الانْتِباهِ أَرْجَحُ مِنْ أَعْمالِ الثَّقَلَيْنِ ، فَقالَ الشَّيْخُ حَمَّادٌ : أَنْتَ سَيِّدُ العارِفِينَ فِي عَصْرِكَ ، ولا بُدَّ أَنْ يُنْشَرَ سَنْجَقُكَ مِنَ المَشارِقِ

إلَى المَغارِبِ ، وتُوضَعُ لَكَ الرِّقابُ مِنْ أَهْلِ زَمانِكَ ، وتَعْلُو دَرَجَتُكَ عَلَى أَقْرانِكَ ، ويَكُونُ مَشْرُوبُكَ مِنْهُ إِلَيْكَ .

وقالَ أَبو النَّجِيبِ السَّهْرَوَرْدِي : كُنْتُ عِنْدَ الشَّيْخِ حَمَّادٍ الدَّبَّاسِ رضي الله عنه بِبَغْدادَ سَنَةَ ثَلاثٍ وعِشْرِينَ وخَمْسِمِائَةٍ وكانَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ عِنْدَهُ فَتَكَلَّمَ بِكَلامٍ عَظِيمٍ ، فَقالَ لَهُ الشَّيْخُ حَمَّادٌ : يا عَبْدَ القادِرِ تَتَكَلَّمُ بِعُجْبٍ أَلَمْ تَخَفْ أَنْ يَمْكُرَ اللهُ بِكَ ؟ فَوَضَعَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ كَفَّهُ عَلَى صَدْرِ الشَّيْخِ حَمَّادٍ ، وقالَ لَهُ : انْظُرْ بِعَيْنِ قَلْبِكَ ما فِي كَفِّي مَكْتُوباً ، فَسَها سَهْوَةً ثُمَّ رَفَعَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ كَفَّهُ عَنْ صَدْرِ الشَّيْخِ حَمَّادٍ ، فَقالَ الشَّيْخُ حَمَّادٌ : لا بَأْسَ بَعْدَها لا بَأْسَ بَعْدَها ، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ .

وقالَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ القُرَشِيُّ : قالَ سَيِّدُنا الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ رضي الله عنه : (أُعْطِيتُ سِجِلًّا مَدَّ البَصَرِ فِيهِ أَسْماءُ أَصْحابِي ومُرِيدِيَّ إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ ، وقِيلَ لِي : قَدْ وُهِبُوا لَكَ) .

مَعْرِفَةُ عِلْمِ التَّزْكِيَةِ بِالتَّعَرُّفِ عَلَى أَئِمَّةِ الصُّوفِيَّةِ

أَمَّا إِذا أَرَدْنا أَنْ نَعْرِفَ عِلْمَ التَّزْكِيَةِ (كُنْهَ التَّصَوُّفِ) وحَقِيقَتَهُ ، فَيَجِبُ أَنْ نَسْتَعْرِضَ أَقْوالَ بَعْضِ أَعْلامِ التَّصَوُّفِ ، فَهُمْ أَدْرَى بِهِ وبِما

رَسَمُوهُ لأَنْفُسِهِمْ مِنْ سُلُوكٍ ومِنْهاجٍ ؛ وهِيَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ كِتابِ (طَبقات الصُّوفِيَّة) لأَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ مُحَمَّدِ بنِ الحُسَيْنِ السُّلَمِي (٣٢٥ - ٤١٢ هـ)، ومِنْ كِتابِ (طَبَقات الأَوْلِياء) لِسِراجِ الدِّينِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ ابنِ عَلِيٍّ المُلَقَّبِ بِابْنِ المُلَقِّنِ (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ) :

• **الفُضَيْلُ بنُ عِياض** (ت ١٨٧ هـ): ولَمْ يُدْرِكْ عِنْدَنا مَنْ أَدْرَكَ بِكَثْرَةِ صَلاةٍ ولا صِيامٍ ، وإِنَّما أَدْرَكَ بِسَخاءِ الأَنْفُسِ وسَلامَةِ الصَّدْرِ والنُّصْحِ للأُمَّةِ .

• **بِشْرٌ الحافِي** (ت ٢٢٧ هـ): الحَلالُ لا يَحْتَمِلُ السَّرَف .

• **سَرِيٌّ السَّقَطِي** (ت ٢٥١ هـ): قَلِيلٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ فِي بِدْعَةٍ . أَقْوَى القُوَّةِ غَلَبَتُكَ نَفْسَكَ ، ومَنْ عَجَزَ عَنْ أَدَبِ نَفْسِهِ كانَ عَنْ أَدَبِ غَيْرِهِ أَعْجَزُ .. مَنْ خافَ اللهَ خافَهُ كُلُّ شَيْءٍ .. إِذا ابْتَدَأَ الإِنْسانُ بالنُّسُكِ ثُمَّ كَتَبَ الحَدِيثَ فَتَرَ ، وإِذا ابْتَدَأَ بِكَتْبِ الحَدِيثِ ثُمَّ تَنَسَّكَ نَفَذَ .

• **أَبُو سُلَيْمانَ الدَّارانِي** (ت ٢١٥ هـ): رُبَّما يَقَعُ فِي قَلْبِي النُّكْتَةُ مِنْ نُكَتِ القَوْمِ أَيَّاماً ، فَلا أَقْبَلُها إِلَّا بِشاهِدَيْنِ عَدْلَيْنِ : الكِتابُ والسُّنَّةُ .. إِذا جاعَ القَلْبُ وعَطِشَ صَفا ورَقَّ ، وإِذا شَبِعَ وَرَوِيَ عَمِيَ .

• **حاتِمُ الأَصَمُّ** (ت ٢٣٧ هـ): الْزَمْ خِدْمَةَ مَوْلاكَ تَأْتِكَ الدُّنْيا راغِمَةً

والجَنَّةُ عاشِقَةً .. تَعَهَّدْ نَفْسَكَ فِي ثَلاثَةِ مَواضِع : إذا عَمِلْتَ فاذْكُرْ نَظَرَ اللّهِ إِلَيْكَ ، وإذا تَكَلَّمْتَ فاذْكُرْ سَمْعَ اللّهِ لَكَ ، وإذا سَكَنْتَ فاذْكُرْ عِلْمَ اللّهِ فِيكَ .

• **يَحْيَى بنُ مُعاذٍ الرَّازي (ت ٢٥٨ هـ)**: أَبْناءُ الدُّنْيا تَخْدِمُهُمْ الإِماءُ والعَبِيدُ ، وأَبْناءُ الآخِرَةِ يَخْدُمُهُمُ الأَبْرارُ والأَحْرارُ .. مَنْ كانَ غِناهُ فِي كَسْبِهِ لَمْ يَزَلْ فَقِيراً ، ومَنْ كانَ غِناهُ فِي قَلْبِهِ لَمْ يَزَلْ غَنِيًّا ، ومَنْ قَصَدَ بِحَوائِجِهِ المَخْلُوقِينَ لَمْ يَزَلْ مَحْرُوماً .

• **أَبُو يَزِيدَ البِسْطامِي (ت ٢٦١ هـ)**: قالَ لِبَعْضِ أَصْحابِهِ : قُمْ بِنا إِلَى فُلانٍ (لِرَجُلٍ شَهَرَ نَفْسَهُ بِالزُّهْدِ) ، فَقَصَداهُ فَرَآهُ أَبُو يَزِيدَ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ودَخَلَ المَسْجِدَ وتَفَلَ فِي قِبْلَةِ المَسْجِدِ ، فَقالَ أَبُو يَزِيدَ لِصاحِبِهِ : هَذا الرَّجُلُ لَيْسَ بِمَأْمُونٍ عَلَى أَدَبٍ مِنْ آدابِ السُّنَّةِ ، كَيْفَ يَكُونُ مَأْمُوناً عَلَى ما يَدَّعِيهِ مِنْ مَقاماتِ الأَوْلِياءِ ارْجِعْ بِنا .

وهَذا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ تَمَسُّكِ أَعْلامِ التَّزْكِيَةِ بِآدابِ الدِّينِ وأَخْلاقِهِ .

• **أَبُو حَفْصٍ عَمْرو بنُ سَلَمِ النَّيْسابُورِي (ت ٢٧٠ هـ)** : التَّصَوُّفُ (عِلْمُ التَّزْكِيَةِ) كُلُّهُ آدابٌ ، لِكُلِّ وَقْتٍ أَدَبٌ ، ولِكُلِّ مَقامٍ أَدَبٌ ، فَمَنْ لَزِمَ آدابَ الأَوْقاتِ والمَقاماتِ بَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجالِ ، ومَنْ ضَيَّعَ الآدابَ فَهُوَ بَعِيدٌ مِنْ

حَيْثُ يَظُنُّ القُرْبَ ، ومَرْدُودٌ مِنْ حَيْثُ يَرْجُو القَبُولَ .

• **سَهْلُ بنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِي** (ت ٢٨٣ هـ): أُصُولُنا سَبْعَةُ أَشْياء : التَّمَسُّكُ بِكِتابِ اللهِ تَعالَى ، والاقْتِداءُ بِسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ، وأَكْلُ الحَلالِ وكَفُّ الأَذَى ، واجْتِنابُ الآثام ، والتَّوْبَةُ ، وأَداءُ الحُقُوقِ .

ذِكْرُ اللهِ تَعالَى عِنْدَ النَّوْمِ هُوَ : اللهُ مَعِي ، اللهُ ناظِرٌ إِلَيَّ ، اللهُ شاهِدِي (١١ مرة) .

• **أَبُو إِسْحاقَ إِبْراهِيمُ الخَوَّاص** (ت ٢٩١ هـ): دَواءُ القَلْبِ خَمْسَةُ أَشْياء : قِراءَةُ القُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ ، وخَلاءُ البَطْنِ ، وقِيامُ اللَّيْلِ ، والتَّضَرُّعُ عِنْدَ السَّحَرِ ، ومُجالَسَةُ الصَّالِحِين .

• **أَبو القاسِمِ الجُنَيْد** (ت ٢٩٧ هـ): صَحِبَ خالَهُ سَرِيًّا السَّقَطِيَّ والحارِثَ المُحاسِبِيَّ ، وتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي ثَوْرٍ (صاحِبِ أَحَدِ مَذاهِبِ السُّنَّةِ والجَماعَة) ، قالَ : الطُّرُقُ كُلُّها مَسْدُودَةٌ عَلَى الخَلْقِ إِلَّا مَنِ اقْتَفَى أَثَرَ الرَّسُولِ ﷺ ، واتَّبَعَ سُنَّتَهُ ، ولَزِمَ طَرِيقَتَهُ ، فَإِنَّ طُرُقَ الخَيْراتِ كُلَّها مَفْتُوحَةٌ عَلَيْهِ .

التَّصَوُّفُ هُوَ العُلُوُّ إِلَى كُلِّ خُلُقٍ شَرِيفٍ ، والعُدُولُ عَنْ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيءٍ .

مَذْهَبُنا هَذا مُقَيَّدٌ بِأُصُولِ الكِتابِ والسُّنَّةِ .

عِلْمُنا هَذا مَبْنِيٌّ عَلَى الكِتابِ والسُّنَّةِ ، فَمَنْ لَمْ يَقْرَأ القُرْآنَ ويَكْتُبِ الحَدِيثَ لا يُقْتَدَى بِهِ فِي هَذا الشَّأْنِ .

• **أَبُو الحُسَيْنِ الوَرَّاقُ النَّيْسابُورِي مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ** (ت ٣٢٠ هـ) : لا يَصِلُ العَبْدُ إِلَى اللهِ إِلَّا بِاللهِ ، وبِمُوافَقَةِ حَبِيبِهِ ﷺ فِي شَرائِعِهِ ، ومَنْ جَعَلَ الطَّرِيقَ إِلَى الوُصُولِ فِي غَيْرِ الاقْتِداءِ يَضِلُّ مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ أَنَّهُ مُهْتَدٍ .

• **إِبْراهِيمُ بنُ داوُدَ القَصَّار** (ت ٣٢٦ هـ): عَلامَةُ مَحَبَّةِ اللهِ تَعالَى إِيثارُ طاعَتِهِ ومُتابَعَةُ نَبِيِّهِ ﷺ .

• **أَبُو بَكْرٍ الكِتَّانِي مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ** (ت ٣٢٢ هـ): التَّصَوُّفُ خُلُقٌ ؛ فَمَنْ زادَ عَلَيْكَ فِي الخُلُقِ زادَ عَلَيْكَ فِي التَّصَوُّفِ .

• **أَبُو القاسِمِ إِبْراهِيمُ بنُ مُحَمَّدٍ النَّصْرُ أَباذِي** (ت ٣٦٧ هـ): أَصْلُ التَّصَوُّفِ مُلازَمَةُ الكِتابِ والسُّنَّةِ ، وتَرْكُ الأَهْواءِ والبِدَعِ ، وتَعْظِيمُ حُرُماتِ المَشايِخِ ، ورُؤْيَةُ أَعْذارِ الخَلْقِ ، وحُسْنُ صُحْبَةِ الرُّفَقاءِ ، والقِيامُ بِخِدْمَتِهِمْ ، واسْتِعْمالُ الأَخْلاقِ الجَمِيلَةِ ، والمُداوَمَةُ عَلَى الأَوْرادِ ، وتَرْكُ ارْتِكابِ الرُّخَصِ والتَّأْوِيلاتِ ، وما ضَلَّ أَحَدٌ فِي هَذا الطَّرِيقِ إِلَّا بِفَسادِ الابْتِداءِ ، فَإِنَّ فَسادَ الابْتِداءِ يُؤَثِّرُ فِي الانْتِهاءِ .

• أَبُو حامِدٍ الغَزالِي (ت ٥٠٥ هـ): فَجَمِيعُ حَرَكاتِهِمْ (أَي الصُّوفِيَّة) وسَكَناتِهِمْ ، فِي ظاهِرِهِمْ وباطِنِهِمْ ؛ مُقْتَبَسَةٌ مِنْ نُورِ مِشْكاةِ النُّبُوَّةِ ، ولَيْسَ وَراءَ نُورِ النُّبُوَّةِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ نُورٌ يُسْتَضاءُ بِهِ .

• عَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي (ت٥٦١ هـ) : (كُلُّ حَقِيقَةٍ لا تَشْهَدُ لَها الشَّرِيعَةُ هِيَ زَنْدَقَةٌ ، طِرْ إِلَى الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ بِجَناحَي الكِتاب والسُّنَّةِ ، ادْخُلْ عَلَيْهِ ويَدُكَ فِي يَدِ الرَّسُولِ ﷺ ، تَرْكُ العِباداتِ المَفْرُوضَةِ زَنْدَقَةٌ ، وارْتِكابُ المَحْظُوراتِ مَعْصِيَةٌ) .

• أَبو الحَسَنِ الشَّاذُلِي (ت ٦٥٦ هـ) : إذا عارَضَ كَشْفُكَ الكِتابَ والسُّنَّةَ ، فَتَمَسَّكْ بِالكِتابِ والسُّنَّةِ ، ودَعِ الكَشْفَ .

وهَذا شَيْءٌ مِنْ أَقْوالِ أَئِمَّةِ التَّزْكِيَةِ وأَعْلامِهِمْ ، ونَراها كُلَّها تَدُورُ حَوْلَ اتِّباعِ الكِتابِ والسُّنَّةِ ، والابْتِعادِ عَمَّا يُخالِفُهُما ، وكُلُّها تَدْعُو إِلَى مَكارِمِ الأَخْلاقِ ، وإِلَى الخَوْفِ مِنَ اللهِ تَعالَى ، وإِلَى تَقْواهُ وابْتِغاءِ رِضاهُ ، تَدْعُو إِلَى السَّخاءِ والتَّواضُعِ وأَكْلِ الحَلالِ وكَفِّ الأَذَى واجْتِنابِ الآثامِ ، كَما تَدْعُو إِلَى عَدَمِ إِهْمالِ ما يَلْزَمُ العَبْدَ مِنَ الدُّنْيا ، وتَحُثُّ عَلَى الجَمْعِ بَيْنَ الفِقْهِ والتَّصَوُّفِ لأَنَّهُما يُكَمِّلُ بَعْضُهُما بَعْضاً ، وبالجَمْعِ بَيْنَهُما يَحْصُلُ الكَمالُ الَّذِي كانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وصَحابَتُهُ ﷺ .

وَقْفَةٌ مَعَ عُلماءِ التَّزْكِيَة

وما قَدَّمُوهُ لِلعالَمِ الإسْلامِيِّ فِي عُصُورٍ مُتَوالِيَة

لَقَدْ كانَ نُشُوءُ عِلْمِ التَّزْكِيَةِ رَدًّا عَلَى انْحِرافِ مِيزانِ المُجْتَمَعِ الإسْلامِيِّ بِشِدَّةٍ نَحْوَ المَادَّةِ ونَحْوَ الدُّنْيا وزِينَتِها ، عَلَى عَكْسِ ما أَمَرَهُمْ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ، وقَدْ نَجَحَ فِي إيقافِ السَّيْلِ الجارِفِ أَوِ الحَدِّ مِنْ قُوَّتِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيانِ .

ووَقَفَ كَثِيرٌ مِنْ أَعْلامِ التَّزْكِيَةِ فِي وَجْهِ الظُّلْمِ والطُّغْيانِ ، وقالُوا كَلِمَةَ الحَقِّ غَيْرَ هَيَّابِينَ ولا وَجِلِينَ ، تَحْقِيقاً لِحَدِيثِ سَيِّدِنا رَسُولِ اللهِ ﷺ : (أَفْضَلُ الجِهادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطانٍ جائِر) [1] .

كَمَوْقِفِ **الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ الجَيْلانِي** مَعَ الخَلِيفَةِ العَبَّاسِي المُقْتَفِي لأَمْرِ اللهِ ، و**سُلْطانِ العُلَماءِ عِزِّ الدِّينِ بنِ عَبْدِ السَّلامِ** مَعَ المَلِكِ الصَّالِحِ إسْماعِيلَ ، ثُمَّ مَعَ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ ومَمالِيكِهِ فِي مِصْرَ ، و**مُنْذِرِ بنِ سَعِيدٍ البَلُّوطِي** مَعَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ النَّاصِرِ فِي قُرْطُبَةَ ، و**النَّوَوِي** مَعَ الظَّاهِرِ بِيبَرْس ، و**الشَّيْخِ سَعِيدٍ الحَلَبِي** مَعَ إبْراهِيم باشا المِصْرِي ، و**كَثِيرٍ غَيْرِهِمْ** .

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وأَبُو داوُدَ ، وكَما فِي جامِعِ الأُصُول .

هَذا بِالإضافَةِ إلَى إِسْلامِ كَثِيرٍ مِنَ غَيْرِ المُسْلِمِينَ ، وتَوْبَةِ كَثِيرٍ مِنَ العُصاةِ والفُسَّاقِ عَلَى أَيْدِيهِمْ ، كَما حَدَثَ للشَّيْخِ **عَبْدِ القادِرِ الجَيْلانِي** ؛ إذْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ خَمْسَةُ آلافٍ مِنْ غَيْرِ المُسْلِمِينَ ، وتابَ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ العُصاةِ ، كَما أَنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ جاهَدَ بِيَدِهِ وسَيْفِهِ ، ولَكِنْ لَمْ تَصِلْنا أَخْبارُهُمْ جَمِيعاً نَظَراً لابْتِعادِهِمْ عَنِ الرِّياءِ وشُبْهَةِ الرِّياء .

والسَّيِّدُ **أَحْمَدُ البَدَوِيُّ ومُرِيدُوهُ** قَدْ أَسْهَمُوا مُساهَمَةً فَعَّالَةً فِي رَدِّ الحَمْلَةِ الصَّلِيبِيَّةِ عَلَى مِصْرَ بِقِيادَةِ لِويسِ التَّاسِعِ مَلِكِ فَرَنْسا فِي سَنَةِ (٦٤٦ هـ - ١٢٤٩ م) .

والمُرابِطُونَ فِي إفْرِيقْيَةَ فِي القَرْنِ الخامِسِ الهِجْرِي مِنْ رِجالِ التَّزْكِيَةِ أَيْضاً ، وأَصْلُهُمْ مِنْ قَبِيلَةِ لَمْتُونَة ؛ تَنَسَّكَ أَوَّلاً رَجُلٌ مِنْهُمْ يُدْعَى **يَحْيَى بنُ عُمَرَ** عَلَى يَدِ **عَبْدِ اللهِ بنِ ياسِينَ الجَزُولِي** ، وصارُوا يَعْبُدونَ اللهَ سُبْحانَهُ وتَعالَى فِي رَبْوَةٍ سَمَّوْها رِباطاً ، وأَخَذَ عَدَدُهُمْ يَزْدادُ حَتَّى بَلَغَ أَلْفاً مِنَ الرِّجالِ ، وكانُوا فِي بَدْءِ الأَمْرِ قَدْ تَفَرَّغُوا لِلعِبادَةِ والتَّأَمُّلِ والتَّعَلُّمِ وإِصْلاحِ الباطِنِ وتَزْكِيَةِ الأَخْلاقِ مُدَّةَ عَشْرِ سَنَواتٍ ، وعِنْدَ ذَلِكَ قالَ لَهُمْ شَيْخُهُمْ : اخْرُجُوا الآنَ وجاهِدُوا ، فَلَنْ

تُغْلَبُوا مِنْ قِلَّةٍ ولا مِنْ ضَعْفٍ ، فَخَرَجُوا وغَلَبُوا عَلَى إفْرِيقْيَةَ وشَكَّلُوا دَوْلَةَ المُرابِطِينَ .

وبَعْدَ وَفاةِ يَحْيَىٰ بن عُمَرَ تَوَلَّى أَمْرَهُمْ **يُوسُفُ بْنُ تاشْفِينَ** الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ مَرَّاكِش سَنَةَ (٤٥٤ هـ) ، ثُمَّ أَنْجَدَ المُسْلِمينَ فِي الأَنْدَلُس ، وكانَ السَّبَبَ فِي تَأْخِيرِ خُرُوجِ المُسْلِمِينَ مِنْها لِمُدَّةِ أَرْبَعَةِ قُرُونٍ أُخْرَى ، وذَلِكَ بَعْدَ انْتِصارِهِ عَلَى مَلِكِ الإفْرِنْجِ فِيها أَلْفُونْسُو فِي مَعْرَكَةِ الزَّلاقَةِ سَنَةَ (٤٧٩ هـ)، وهِيَ مِنَ المَعارِكِ الفاصِلَةِ فِي التَّارِيخ ؛ قَضَى فِيها المُرابِطُونَ عَلَى جَيْشِ أَلْفُونْسُو وكانَ (٥٠ أَلْفا)، وقِيل (أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ) قَضاءً مُبْرَماً فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ سِوَى خَمْسِمائَةِ جُنْدِيٍّ [١] .

وعَبْدُ القادِرِ الجَزائِري حارَبَ المُسْتَعْمِرِينَ الفَرَنْسِيِّينَ فِي الجَزائِرِ مُدَّةَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، ولَهُ كِتابٌ فِي التَّصَوُّفِ يُسَمَّى (المَواقِف)، وقَدْ قالَ عَنْهُ الأَمِيرُ شَكِيبُ أَرْسَلان : كانَ مُتَضَلِّعاً فِي العِلْمِ والأَدَب، راسِخَ القَدَمِ فِي التَّصَوُّفِ ؛ لا يَكْتَفِي بِهِ نَظَراً حَتَّى يُمارِسَهُ عَمَلاً [٢] .

ومُحَمَّد غازِي والشَّيْخُ شامِل اللَّذانِ حارَبا الرُّوسَ خَمْساً وثَلاثِينَ سَنَةً هُما مِنَ النَّقْشَبَنْدِيَّة .

---

(١) مَوْسُوعَةُ التَّارِيخ الإِسْلامِي : أَحْمَدُ الشَّلَبِي .

(٢) ما يَعِدُ بِهِ الإِسْلامُ : رُوجِيه جارُودِي ، ورَبَّانِيَّةٌ لا رَهْبانِيَّةٌ : أَبو الحَسَنِ النَّدْوِي .

والحَرَكَةُ **السَّنُوسِيَّةُ** الَّتِي حارَبَتْ إيطاليا فِي لِيبْيا ، والحَرْكَةُ **المَهْدِيَّةُ** الَّتِي حارَبَتِ الإنْكِليزَ فِي السُّودانِ ؛ هُما حَرَكَتانِ صُوفِيَّتانِ أَيْضاً .

وللصُّوفِيَّةِ أَيْضاً فَضْلٌ كَبِيرٌ فِي انْتِشارِ الإسْلامِ فِي إفْرِيقْيَةَ والهِنْدِ وغَيْرِهِما مِنَ الأَرْجاءِ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ ولا سِلاحٍ ؛ يَقُولُ الدُّكْتُور أَحْمَدُ الشَّلَبِي : وأَشْهَرُ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ الَّتِي نَشَرَتِ الإسْلامَ بِإفْرِيقْيَةَ ثَلاثٌ هِيَ : القادِرِيَّةُ والتِّجانِيَّةُ والسَّنُوسِيَّةُ ، وإِذا كانَ التُّجَّارُ يَنْزِلُونَ المُدُنَ فَإِنَّ رِجالَ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ يَمِيلُونَ لِلقُرَى والنُّجُوعِ ، وإِذا كانَ التُّجَّارُ يَسْعَوْنَ لِلرِّبْحِ ، فَرِجالُ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ لا يَكْتَرِثُونَ بِالمالِ ولا يَسْعَوْنَ إلَّا لِلكَفافِ (١) .

كَما كانَ لِلصُّوفِيَّةِ اليَدُ الطُّولَى فِي إسْلامِ قَبائِلِ المَغُولِ والتَّتارِ ، ويَكْفِيهِمْ هَذا شَرَفاً وفَخْراً .

أَمَّا فِي الهِنْدِ فَقَدْ ذَكَرَ أَبو الحَسَنِ النَّدَوِي رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعالَى نَماذِجَ كَثِيرَةً مِنَ الخَدَماتِ الَّتِي قَدَّمَتْها الصُّوفِيَّةُ للإسْلامِ فِي الهِنْدِ فِي كِتابِهِ (ماذا خَسِرَ العالَمُ بِانْحِطاطِ المُسْلِمِينَ)، نَجْتَزِئُ مِنْها بِاخْتِصارٍ ما يَلِي : **الشَّيْخُ مُحَمَّد مَعْصُوم ابنُ الشَّيْخِ الكَبِيرِ أَحْمَدَ السَّرْهَنْدِي** قَدْ

---

(١) مَوْسُوعَةُ التَّارِيخِ الإسْلامِي : أَحْمَدُ الشَّلَبِي .

بايَعَهُ وتابَ عَلَى يَدَيْهِ تِسْعُمائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرِّجالِ ، أَحْمَدُ الشَّهِيدُ ما كانَ يَمُرُّ بِبَلْدَةٍ إلَّا ويَتُوبُ عَلَى يَدَيْهِ ويُبايِعُهُ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، وأَقامَ فِي (كَلْكَتَّه) شَهْرَيْنِ ، كانَ لا يَقِلُّ مَنْ يَدْخُلُ فِي بَيْعَتِهِ يَوْمِيًّا عَنْ أَلْفِ نَسَمَة ، وتَعَطَّلَتْ تِجارَةُ الخُمُورِ فِيها حَتَّى لَمْ يَعُدْ تُجَّارُها يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَ الضَّرائِبِ الَّتِي عَلَيْهِمْ لِلحُكُومَة ! وعِنْدَما مَرَّ السُّلْطانُ (تُغْلُق) بِزَاوِيَةِ الشَّيْخِ قُطْبِ الدِّينِ مُنَوَّر قَدَّمَ لَهُ مِائَةَ أَلْفِ قِطْعَةٍ ذَهَبِيَّةٍ ، فَقالَ الشَّيْخُ : سُبْحانَ اللهِ ، تَكْفِينِي أُقَّتانِ مِنْ أَرْزٍ وسَمْنٍ بِفِلْسٍ واحِدٍ ، فَماذا أَفْعَلُ بِهَذِهِ الآلافِ مِنَ الرُّوبِيَّاتِ ؟! وزارَ الحاكِمُ الإِنْكِلِيزِيُّ الشَّيْخَ فَضْلَ الرَّحْمٰنِ الكَنْج مُراد آبادِي وقالَ لَهُ : إذا قَبِلْتُمْ عَيَّنَّا لَكُمْ مُرَتَّباً مِنَ الحُكُومَةِ ، فَقالَ الشَّيْخُ : ما أَصْنَعُ بِمالِكُمْ ؟! إِنَّنِي أَمْلِكُ مِنْ فَضْلِ اللهِ سَرِيراً وإِبْرِيقَيْنِ مِنَ الفَخَّارِ وجَرَّتَيْنِ لِلماءِ ، ويَأْتِي بَعْضُ أَصْحابِنا بِالذُّرَةِ فَنَصْنَعُ مِنْها الخُبْزَ ، وتَطْبُخُ زَوْجَتِي شَيْئاً مِنَ الخُضْرَواتِ نَأْكُلُ بِها الخُبْزَ وفِي ذَلِكَ كِفايَةٌ ، وكانَتِ المَدارِسُ تُبْنَى إِلَى جَنْبِ الزَّوايا فِي كُلِّ مَكانٍ فِي الهِنْدِ ؛ كالمَدْرَسَةِ والزَّاوِيَةِ الرَّشِيدِيَّةِ فِي جُونْبُور ، ومَدْرَسَةِ وزاوِيَةِ الشَّيْخِ وَلِيِّ اللهِ بن عَبْدِ الرَّحِيمِ فِي دِهْلِي ، ومَدْرَسَةِ وزاوِيَةِ الشَّيْخِ رَشِيد أَحْمَد فِي كَنْكَوه .... إلخ .

كَما ذَكَرَ الأُسْتاذُ أَبُو الحَسَنِ النَّدَوِي فِي كِتابِهِ (رَبَّانِيَّةٌ لا رَهْبانِيَّةٌ) عِنْدَ وَصْفِهِ لِوَفاةِ الشَّيْخِ فَضْلِ الرَّحْمٰنِ الكِنْجِ مُراد آبادِي سَنَةَ (١٣١٣ هـ) رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى ، قالَ : رَأَى بَعْضُ أَصْحابِهِ أَنْ يُغَيِّرُوا سِرْوالَهُ بِإِزار ، وكانَ الشَّيْخُ فِي سَكَراتِ المَوْتِ ، فَأَخَذَ بَعْضُهُمُ السِّرْوالَ لِيَنْزِعَهُ مِنْ رِجْلِهِ اليُمْنَى ، فَقَبَضَ رِجْلَهُ حالاً ومَدَّ لَهُمْ رِجْلَهُ اليُسْرَى ، فَفَهِمُوا الإِشارَةَ ؛ فَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَبْدَأَ اللِّبْسَ بِاليُمْنَى ، والنَّزْعَ بِاليُسْرَى ، فَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ غَيْرُ الصُّوفِي ؟!

كَمْ يَسْتَفِيدُ مُجْتَمَعُنا فِيما لَو اتَّبَعَ كُلُّ فَرْدٍ مِنَّا التَّصَوُّفَ الأَصِيلَ ، وقالَ صَباحَ مَساءَ : اللهُ ناظِرِي ، اللهُ شاهِدِي ، اللهُ مُطَّلِعٌ عَلَيَّ ، ثُمَّ أَصْبَحَ فِي قَلْبِ كُلِّ فَرْدٍ مِنَّا رَقِيبٌ مِنَ اللهِ مُلازِمٌ لَهُ لَيْلَ نَهارٍ يَمْنَعُهُ مِنَ ارْتِكابِ المُحَرَّماتِ وفِعْلِ المُنْكَراتِ .

عُلُومُهُ ودُرُوسُهُ ورِوايَتُهُ لِلحَدِيثِ الشَّرِيف

أَوَّلاً عُلُومُهُ : رَأَيْنا أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ القادِرِ - قُدِّسَ سِرُّهُ - قَدْ دَرَسَ القُرْآنَ وتَفْسِيرَهُ كَما دَرَسَ الفِقْهَ مَذْهَباً وخِلافاً وفُرُوعاً وأُصُولاً ، وقَرَأَ الأَدَبَ والبَلاغَةَ ، وسَمِعَ الحَدِيثَ ورَواهُ ، وأَخَذَ عِلْمَ الطَّرِيقَةِ وتَأَدَّبَ بِهِ ، كُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَعْلامِ عَصْرِهِ مِنَ العُلَماءِ والفُقَهاءِ والمُحَدِّثِينَ

والمُتَصَوِّفَةِ ؛ فَلا عَجَبَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ كَثُرَتْ عُلُومُهُ ، وتَنَوَّعَتْ دُرُوسُهُ ، حَتَّى قالَ ابنُ رَجَبٍ عَنْهُ فِي (ذَيْلِ طَبَقاتِ الحَنابِلَةِ) : كانَ يَتَكَلَّمُ فِي ثَلاثَةَ عَشَرَ عِلْماً ، كانوا يَقْرَؤُون عَلَيْهِ دَرْساً فِي التَّفْسِيرِ ، ودَرْساً فِي الحَدِيثِ ، ودَرْساً فِي المَذْهَبِ ؛ وكانَ يُفْتِي عَلَى مَذْهَبَي الشَّافِعِيِّ وأَحْمَدَ بنِ حَنْبَلَ ، ودَرْساً فِي الخِلافِ ، ودَرْساً فِي الأُصُولِ ، وفِي النَّحْوِ ، وكانَ يَقْرَأُ القُرْآنَ بِالقِراءاتِ بَعْدَ الظُّهْرِ[1] .

وقالَ الحافِظُ أَبو العَبَّاس أَحْمَدُ البَنْدَنِيجِي : حَضَرْتُ أَنا والشَّيْخُ جَمالُ الدِّينِ بنُ الجَوْزِي مَجْلِسَ سَيِّدِنا الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ ، فَقَرَأَ القارِئُ آيَةً ، فَذَكَرَ الشَّيْخُ فِي تَفْسِيرِها وَجْهاً ، فَقُلْتُ لِلشَّيْخِ جَمالِ الدِّين : تَعْلَمُ هَذا الوَجْهَ ؟ قالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ ذَكَرَ وَجْهاً آخَرَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَتَعْلَمُ هَذا الوَجْهَ ؟ قالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ ذَكَرَ وَجْهاً آخَرَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَتَعْلَمُ هَذا الوَجْهَ ؟ وهُوَ يَقُولُ : نَعَمْ ، ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ فِيها وَجْهاً آخَرَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَتَعْلَمُ هَذا الوَجْهَ ؟ قالَ : لا ، حَتَّى ذَكَرَ فِيها كَمالَ الأَرْبَعِينَ وَجْهاً يَعْزُو كُلَّ وَجْهٍ إِلَى قائِلِهِ ، والشَّيْخُ جَمالُ الدِّينِ يَقُولُ : لا أَعْرِفُ هَذا الوَجْهَ ، واشْتَدَّ عَجَبُهُ مِنْ سِعَةِ عِلْمِ سَيِّدِنا الشَّيْخِ رضي الله عنه ، ثُمَّ قالَ الشَّيْخُ :

(١) رِجالُ الفِكْرِ والدَّعْوَةِ فِي الإِسْلام : أَبو الحَسَنِ النَّدْوِي .

نَتْرُكُ القالَ ونَرْجِعُ إِلَى الحال ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ فاضْطَرَبَ النَّاسُ اضْطِراباً شَدِيداً ، وخَرَقَ الشَّيْخُ جمالُ الدِّينِ بنُ الجَوْزِيِّ ثِيابَهُ [1] .

وكانَ يَحْضُرُ مَجالِسَ الشَّيْخِ كِبارُ عُلَماءِ العِراقِ ومَشايِخِهِ : كَعَلِيٍّ بنِ الهِيتِي ، وبَقَّا بنِ بَطْوٍ ، ومُوسَى بنِ ماهِين ، وأَبِي النَّجِيبِ السَّهْرَوَرْدِي ، وابنِ أَخِيهِ شِهابِ الدِّينِ السَّهْرَوَرْدِي ، وعُثْمانَ القُرَشِي ، وأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٍ القَزْوِينِي ، وعُثْمانَ البَطائِحِي ، وقَضِيبِ البانِ ، وأَحْمَدَ القَزْوِينِي ، وعَبْدِ القادِرِ البَغْدادِي ، والقاضِي أَبِي يَعْلَى الفَرَّاء ، وأَبِي القاسِمِ البَزَّار ، وأَبِي بَكْرٍ المزَيِّن ، وكَثِيرٍ غَيْرِهِمْ .

وكانَ للمَدْرَسَةِ مَشايِخُ مِنْ تَلامِيذِهِ يُشْرِفُونَ عَلَيْها ؛ مِنْهُمْ : أَحْمَدُ بنُ المُبارَكِ المرَقَّعاتِي ، ومُحَمَّدُ بنُ الفَتْحِ الهَرَوِي ، أَمَّا الرِّباطُ فَكانَ يُشْرِفُ عَلَيْهِ تِلْمِيذُهُ الشَّيْخُ مَحْمُودُ بنُ عُثْمانَ بنِ مَكارِمِ النِّعال .

ثانياً : دُرُوسُهُ : كانَ الشَّيْخُ يُمْضِي أَيَّامَهُ فِي المَدْرَسَةِ ، ويَخْرُجُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى المَسْجِدِ ، وكانَ يُلْقِى دَرْساً عامًّا فِي الوَعْظِ والإِرْشادِ ، صَباحَ الجُمُعَةِ ومَساءَ الثُّلاثاءِ فِي المَدْرَسَةِ ، وصَباحَ الأَحَدِ فِي

---

(١) قَلائِدُ الجَواهِر : مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى التَّاذِفِي الحَلَبِي الحَنْبَلِي ثُمَّ الحَنَفِي .

الرِّباطِ ، واسْتَمَرَّ عَلَى ذَلِكَ ثَلاثاً وثَلاثِينَ سَنَةً ، مِنْ سَنَةِ (٥٢٨ هـ) إِلَى سَنَةِ (٥٦١ هـ) .

وكانَ يَفِدُ إِلَى مَدْرَسَتِهِ الفارُّونَ مِنَ الغَزْوِ الصَّلِيبِيِّ فِي الشَّام ، فَيَتَعَلَّمُونَ فِي مَدْرَسَتِهِ ، ويَتَرَبَّوْنَ فِي رِباطِهِ ، ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَى بِلادِهِمْ دُعاةً ومُرْشِدِينَ ، ومِنْ أَشْهَرِهِمْ : ابنُ نَجا الواعِظُ (مُسْتَشارُ صَلاحِ الدِّين)، والحافِظُ الرَّهاوِي ، ومُوَفَّقُ الدِّين بنُ قُدامَة (صاحِبُ المُغْنِي)؛ مُسْتَشارُ صَلاحِ الدِّينِ أَيْضاً ، وقَرِيبُهُ الحافِظُ عَبْدُ الغَنِي .

وكانَ يَدْرُسُ فِي مَدْرَسَتِهِ ويَتَخَرَّجُ فِيها ثَلاثَةُ آلافِ طالِبٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ[1] ، أَي : تَخَرَّجَ فِيها نَحْوَ مِائَةِ أَلْفِ طالِبٍ فِي المُدَّةِ الَّتِي قَضاها الشَّيْخُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي التَّدْرِيس .

وكانَ يُوضَعُ للشَّيْخِ مِنَصَّةٌ عالِيَةٌ (مِنْبَرٌ) لِيَجْلِسَ عَلَيْهِ عِنْدَ إِلْقاءِ الدَّرْسِ ، وكانَ النَّاسُ جَمِيعاً (عَلَى كَثْرَتِهِمْ) يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ ، البَعِيدُ مِنْهُمْ كالقَرِيب .

وكانَ يُدْعَى أَحْياناً لإِلْقاءِ الدَّرْسِ فِي المَدْرَسَةِ النِّظامِيَّةِ فِي بَغْدادَ (الَّتِي أَسَّسَها نِظامُ المَلِكِ فِي سَنَةِ ٤٥٧ هـ وَزِيرُ السُّلْطانِ السَّلْجُوقِي مَلِكِ شاه)، وبِإِلْحاحٍ مِنَ الجُمْهُورِ ومِنَ المَسْؤُولِينَ كانَ يَذْهَبُ إِلَيْها ،

---

(١) عَبْدُ القادِرِ الكِيلانِي : مُحَمَّد العَيْنِي (النُّسْخَةُ الفِرِنْسِيَّة) .

وبِسَبَبِ بُعْدِها كانَ يَمْتَطِي بَغْلَةً لَهُ عِنْدَ الذِّهابِ ، وعِنْدَ وُصُولِهِ يَتَلَقَّاهُ المُشْرِفُونَ عَلَيْها وتَلامِذَتُها وطُلَّابُها بِالتَّقْدِيرِ والتَّبَرُّكِ والاحْتِرامِ .

وفِي إحْدَى المَرَّاتِ ، بَيْنَما كانَ يُلْقِي دَرْساً فِيها عَنِ القَضاءِ والقَدَرِ ، وأَنَّ ما قُدِّرَ فِي عِلْمِ اللهِ تَعالَى فَهُوَ كائِنٌ لا مَحالَةَ ، لِذَلِكَ جاءَ فِي الدُّعاءِ المَأْثُورِ : (اللهُمَّ لا نَسْأَلُكَ رَدَّ القَضاءِ ولَكِنْ نَسْأَلُكَ اللُّطْفَ فِيهِ) ، وأَثْناءَ ذَلِكَ سَقَطَتْ عَلَى مَجْلِسِ الحُضُورِ حَيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ السَّقْفِ (كَأَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وتَعالَى كانَ يُرِيدُ أَنْ يَخْتَبِرَ صِدْقَهُ ومَدَى إيمانِهِ بِما يَقُولُ) ، فَهَرَبَ كُلُّ مَنْ كانَ فِي المَجْلِسِ ، وبَقِيَ هُوَ جالِساً لَمْ يَتَحَرَّكْ مِنْهُ عُضْوٌ واحِدٌ ، وعِنْدَ ذَلِكَ تَرَكَتْهُ الحَيَّةُ جالِساً فِي مَكانِهِ وخَرَجَتْ مِنَ المَجْلِسِ كَما خَرَجَ النَّاسُ ، وعِنْدَما سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قالَ : وهَلْ هِيَ إلَّا دُوَيْبَةٌ يُحَرِّكُها القَضاءُ والقَدَرُ !؟

كانَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ دائِمَ الحَثِّ لِجَمِيعِ مَنْ يَحْضُرُ دُرُوسَ وَعْظِهِ وإرْشادِهِ عَلَى الجَمْعِ بَيْنَ الفِقْهِ والتَّصَوُّفِ السُّنِّيِّ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ الفِقْهُ حاكِماً عَلَى التَّصَوُّفِ ؛ فَكَثِيراً ما كانَ يَقُولُ فِي دُرُوسِهِ : (كُلُّ حَقِيقَةٍ لا تَشْهَدُ لَها الشَّرِيعَةُ فَهِيَ زَنْدَقَةٌ ، طِرْ إلَى الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ بِجَناحَيِ الكِتابِ والسُّنَّةِ) .

وكانَ يَنْتَقِدُ فِي دُرُوسِهِ خُصُوماتِ العُلَماءِ واخْتِلافاتِهِمْ ، كَما يَنْتَقِدُ ظُلْمَ الحُكَّامِ وجَوْرَهُمْ ، وبُخْلَ الأَغْنِياءِ وتَبْذِيرَهُمْ ، فَيَقُولُ : (يا خَوَنَةً فِي العِلْمِ والعَمَلِ ، يا أَعْداءَ اللهِ ورَسُولِهِ ، كَمْ تُنافِقُونَ المُلُوكَ والسَّلاطِينَ حَتَّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ حُطامَ الدُّنْيا وشَهَواتِها ولَذَّاتِها ! أَنْتُمْ وأَكْثَرُ المُلُوكِ فِي هَذا الزَّمَنِ ظَلَمَةٌ وخَوَنَةٌ فِي مالِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ فِي عِبادِهِ اللهُمَّ اكْسَرْ شَوْكَةَ المُنافِقِينَ واخْذُلْهُمْ أَوْ تُبْ عَلَيْهِمْ ، واقْمَعِ الظَّلَمَةَ وطَهِّرِ الأَرْضَ مِنْهُمْ أَوْ أَصْلِحْهُمْ .. آمين)[1] .

وكانَ يُحارِبُ الفِرَقَ الضَّالَّةَ فِي دُرُوسِهِ ، كَما كانَ يُوَفِّقُ بَيْنَ مَذاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ ؛ فَكانَ يُفْتِي عَلَى المَذْهَبَيْنِ الشَّافِعِيِّ والحَنْبَلِيِّ ؛ ولا يَتَحَرَّجُ مِنْ ذَلِكَ ، حَتَّى قالَ عَنْهُ الإمامُ النَّوَوِيُّ : (إِنَّهُ كانَ شَيْخَ السَّادَةِ الشَّافِعِيَّةِ والسَّادَةِ الحَنابِلَةِ) .

وكانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَبْدَأُ دُرُوسَهُ بِالبَسْمَلَةِ والحَمْدَلَةِ ، ويُنْهِيها بِالآيَةِ الكَرِيمَةِ : ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[2] .

ثالِثاً : رِوَايَتُهُ للحَدِيثِ الشَّرِيفِ : سَمِعَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ الحَدِيثَ مِنْ جَماعَةٍ مِنْهُمْ : أَبُو غالِبٍ مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ الباقِلَّانِي ، وأَبُو سَعْدٍ

---

(١) الفَتْحُ الرَّبَّانِي .
(٢) سُورَةُ البَقَرَة : مِنَ الآيَة ٢٠١ .

مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الكَرِيم بنِ خَشِيشا ، وأَبُو الغَنائِم مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ ابنِ عَلِيٍّ بنِ مَيْمُونٍ النَّرْسِي ، وأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ المُظَفَّرِ ، وأَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ القارِي السَّرَّاج ، وأَبُو القاسِم عَلِيُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ بَنانٍ الكَرْخِي ، وأَبو طالِبٍ عَبْدُ القادِرِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ ، وابنُ عَمِّه عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ أَحْمَدَ ، وأَبُو البَرَكاتِ هِبَةُ اللهِ بنُ المُبارَكِ ، وأَبُو العِزِّ بنُ المُخْتارِ ، (وأَبُو نَصْرٍ مُحَمَّد ، وأَبُو غالِبٍ أَحْمَد ، وأَبُو عَبْدِ اللهِ يَحْيَىٰ) أَوْلادُ عَلِيٍّ البَنَّا ، وأَبُو الحَسَنِ بنُ المُبارَكِ بنِ الطُّيُور ، وأَبو مَنْصُورٍ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ القَزَّاز ، وأَبُو البَرَكاتِ طَلْحَةُ العاقُولِي ، وغَيْرُهُمْ .

لِذَلِكَ كانَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ عَلَى مَعْرِفَةٍ بِالحَدِيثِ وبِرِوايَةِ الحَدِيثِ ؛ وقَدْ ذَكَرَ ابنُ رَجَبٍ حَدِيثاً فِي سَنَدِهِ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِر : عَنْ كَعْبِ بنِ مالِكٍ رضي الله عنه قالَ : (قَلَّ ما كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْرُجُ إذا أَرادَ سَفَراً إلَّا يَوْمَ الخَمِيس)(١) .

ورَوَى عَنْهُ وَلَداهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ ومُوسَى ، والشَّيْخُ عَلِيُّ بنُ إِدْرِيسَ ، ورَوَى عَنْهُ بِالإِجازَةِ : الرَّشِيدُ أَحْمَدُ بنُ مَسْلَمَةَ ، وغَيْرُهُمْ .

---

(١) التَّاجُ المُكَلَّل : أَبُو الطَّيِّب القَنُوجِي .

وكانَ رضي الله عنه يَسْتَكْثِرُ مِنَ الاسْتِشْهادِ بِالأَحادِيثِ الشَّرِيفَةِ فِي دُرُوسِهِ ومَواعِظِهِ وكُتُبِهِ ؛ حَتَّى إِنَّهُ اسْتَشْهَدَ فِي الجُزْءِ الأَوَّلِ مِنْ كِتابِ (الغُنْيَةِ) بـ (٣٨٦) حَدِيثاً شَرِيفاً ، وفِي الجُزْءِ الثَّانِي مِنْهُ بـ (٤٩٣) حَدِيثاً شَرِيفاً .

عَقِيدَتُهُ عَقِيدَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ رضي الله عنهم :

عَقِيدَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ هِيَ الاتِّباعُ دُونَ الابْتِداعِ ، والتَّقَيُّدُ بِالكِتابِ والسُّنَّةِ فِي كُلِّ حالٍ ، وكانَ يُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِ ذَلِكَ فِي مَجالِسِهِ ودُرُوسِهِ ، وفِي خُطَبِهِ ومَواعِظِهِ ، وفِي كُتُبِهِ ووَصاياهُ .

كانَ يَقُولُ لأَصْحابِهِ : (اتَّبِعُوا ولا تَبْتَدِعُوا ، وأَطِيعُوا ولا تُخالِفُوا ، واصْبِرُوا ولا تَجْزَعُوا ، وانْتَظِرُوا ولا تَيْأَسُوا) .

ويَقُولُ : (يا غُلامُ ! صُحْبَتُكَ للأَشْرارِ تُوقِعُكَ فِي سُوءِ الظَّنِّ بِالأَخْيارِ امْشِ تَحْتَ ظِلِّ كِتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وقَدْ أَفْلَحْتَ) .

(عَلَيْكُمْ بِالاتِّباعِ مِنْ غَيْرِ ابْتِداعٍ ، عَلَيْكُمْ بِمَذْهَبِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، امْشُوا فِي الجادَّةِ المُسْتَقِيمَةِ ، لا تَشْبِيهَ ولا تَعْطِيلَ ، بَلِ اتِّباعاً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ ولا تَطَبُّعٍ ولا تَشَدُّدٍ ولا تَمَشْدُقٍ ولا تَمَعْقُلٍ ، يَسَعُكُمْ ما وَسِعَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ ... وَيْحَكَ ! تَحْفَظُ القُرْآنَ

ولا تَعْمَلُ بِهِ ، تَحْفَظُ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ولا تَعْمَلُ بها ، لأَيِّ شَيْءٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟! تَأْمُرُ النَّاسَ وأَنْتَ لا تَفْعَلُ ، وتَنْهاهُمْ وأَنْتَ لا تَنْتَهِي) .

(لا فَلاحَ لَكَ حَتَّى تَتَّبِعَ الكِتابَ والسُّنَّةَ ، اتَّبِعِ الشُّيُوخَ العُلَماءَ بِالكِتابِ والسُّنَّةِ ، العامِلِينَ بها ، أَوْ حَسِّنِ الظَّنَّ بِهِمْ ، وتَعَلَّمْ مِنْهُمْ ، وأَحْسِنِ الأَدَبَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ والعِشْرَةَ مَعَهُمْ وقَدْ أَفْلَحْتَ ، وإِذا لَمْ تَتَّبِعِ الكِتابَ والسُّنَّةَ ولا الشُّيُوخَ العارِفِينَ بِهِما فَما تُفْلِحُ أَبداً ، أَما سَمِعْتَ : مَنِ اسْتَغْنَى بِرأْيِهِ ضَلَّ ؟!) .

(لا تَبْتَدِعْ ؛ وتُحْدِثُ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ ، اتَّبِعِ الشَّاهِدَيْنِ العَدْلَيْنِ : الكِتابَ والسُّنَّةَ ؛ فَإِنَّهُما يُوصِلانِكَ إِلَى رَبِّكَ عَزَّ وجَلَّ ، وأَمَّا إِنْ كُنْتَ مُبْتَدِعاً فَشاهِداكَ : عَقْلُكَ وهَوَاكَ ، فَلا جَرَمَ يُوصِلانِكَ إِلَى النَّارِ ، ويُلْحِقانِكَ بِفِرْعَوْنَ وهامانَ وجُنُودِهِما ، لا تَحْتَجَّ بِالقَدَرِ فَلا يُقْبَلُ مِنْكَ ، لا بُدَّ لَكَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى دارِ العِلْمِ ، والتَّعَلُّمِ ، ثُمَّ العَمَلِ ، ثُمَّ الإِخْلاصِ) .

(إِذا وَقَعَ عِنْدَكَ حُبُّ رَجُلٍ وبُغْضُ آخَرَ ؛ فَلا تُحِبَّ هَذا وتُبْغِضْ هَذا بِنَفْسِكَ وبِطَبْعِكَ ، بَلْ حَكِّمْهُما كِلَيْهِما عَلَى الكِتابِ والسُّنَّةِ ؛ فَإِنْ وافَقا الَّذِي أَحْبَبْتَهُ فَدُمْ عَلَى مَحَبَّتِهِ ، وإِنْ خالَفا فارْجِعْ عَنْ مَحَبَّتِهِ ؛ وإِنْ

وافقا الَّذي أَبْغَضْتَهُ فارْجِعْ عَنْ بُغْضِهِ ، وإِنْ خالَفا فَدُمْ عَلَى بُغْضِهِ ، وإِنْ لَمْ يَنْفَعْكَ ذَلِكَ ولَمْ يَبِنْ لَكَ فارْجِعْ إِلَى قُلُوبِ الصِّدِّيقِينَ وسَلْهُمْ عَنْهُما ؛ فالمُؤْمِنُ لَهُ نُورٌ يَنْظُرُ بِهِ) .

(هَذا القُرْآنُ والعِلْمُ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ إِذا لَمْ تَعْمَلُوا بِهِما ، إِذا حَضَرْتُمْ عِنْدَ العُلَماءِ ولَمْ تَقْبَلُوا ما يَقُولُونَ لَكُمْ كانَ حُضُورُكُمْ عِنْدَهُمْ حُجَّةً عَلَيْكُمْ ، ويَكُونُ عَلَيْكُمْ إِثْمُ ذَلِكَ كَما لَوْ لَقِيتُمُ الرَّسُولَ ﷺ ولَمْ تَقْبَلُوا مِنْهُ) .

وقالَ الشَّيْخُ القُدْوَةُ شِهابُ الدِّينِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بنُ مُحَمَّدٍ السَّهْرَوَرْدِي : سَمِعْتُ الشَّيْخَ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدَ القادِرِ يَقُولُ عَلَى الكُرْسِيِّ بِمَدْرَسَتِهِ : (كُلُّ وَلِيٍّ عَلَى قَدَمِ نَبِيٍّ ، وأَنا عَلَى قَدَمِ جَدِّي مُحَمَّدٍ ﷺ ، وما رَفَعَ المُصْطَفَى ﷺ قَدَماً إِلَّا وَضَعْتُ قَدَمِي فِي المَوْضِعِ الَّذي رَفَعَ قَدَمَهُ مِنْهُ ؛ إِلَّا أَنْ تَكُونَ قَدَماً مِنْ أَقْدامِ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُ لا سَبِيلَ أَنْ يَنالَهُ غَيْرُ نَبِيٍّ) .

وكانَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ لا يُعارِضُ أَنْ يَمْلِكَ أَحَدٌ الدُّنْيا ؛ إِنَّما يُعارِضُ أَنْ تَمْلِكَهُ الدُّنْيا وتَسْتَحْوِذَ عَلَى قَلْبِهِ ؛ يَقُولُ : وفِي النَّاسِ مَنْ تَكُونُ الدُّنْيا بِيَدِهِ ولا يُحِبُّها ، يَمْلِكُها ولا تَمْلِكُهُ ، تُحِبُّهُ ولا يُحِبُّها ، تَعْدُو

خَلْفَهُ ولا يَعْدُو خَلْفَها ، يَسْتَخْدِمُها ولا تَسْتَخْدِمُهُ ، يُفَرِّقُها ولا تُفَرِّقُهُ ، قَدْ صَلَحَ قَلْبُهُ للهِ عَزَّ وجَلَّ ، ولا تَقْدِرُ الدُّنْيا أَنْ تُفْسِدَهُ ؛ فَيَتَصَرَّفُ فِيها ولا تَتَصَرَّفُ فِيهِ : ولِهَذا قالَ النَّبِيُّ ﷺ : (نِعْمَ المالُ الصَّالِحُ للعَبْدِ الصَّالِحِ) .

إِنَّهُ لا يُعارِضُ وُجُودَها فِي بَيْتٍ أَوْ صُنْدُوقٍ ؛ إِنَّما يُعارِضُ وُجُودَها فِي سُوَيْداءِ القَلْبِ وأَعْماقِ النَّفْسِ .

وكانَ دائِماً يُذَكِّرُ فِي مَجالِسِهِ : (العالِمُ الرَّبَّانِي وداعِيَةُ الحَقِّ طَبِيبٌ يَأْتِيهِ المَرْضَى مِنْ كُلِّ نَوْعٍ فَيُداوِيهِمْ ويَحْسِمُ فِيهِمْ مادَّةَ الدَّاءِ ، ويُرِيهِمْ طَرِيقَ الشِّفاءِ ، ويَتَوَجَّهُ بِهِمْ إِلَى اللهِ تَعالَى) .

وفِي الجُمْلَةِ : فَإِنَّ عَقِيدَةَ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ هِيَ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ : (الفِقْهُ عِنْدَهُ أَساسُ البُنْيانِ قَبْلَ تَصَوُّفِ الإِنْسانِ ، والإِيمانُ عِنْدَهُ : قَوْلٌ بِاللِّسانِ ، ومَعْرِفَةٌ بِالجَنانِ ، وعَمَلٌ بِالأَرْكانِ ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ ويَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ ، ويَقْوَى بِالعِلْمِ ويَضْعُفُ بِالجَهْلِ ، وكُلُّ إِيمانٍ إِسْلامٌ ولَيْسَ كُلُّ إِسْلامٍ إِيماناً ؛ لأَنَّ المَرْءَ قَدْ يُسْلِمُ مَخافَةَ السَّيْفِ ، وزِيادَةُ الإِيمانِ تَكُونُ بَعْدَ التَّحَقُّقِ بِأَداءِ الأَوامِرِ وانْتِهاءِ النَّواهِي ، والتَّسْلِيمِ بِالقَدَرِ وتَرْكِ الاعْتِراضِ عَلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وتَرْكِ الشَّكِّ فِي وَعْدِهِ ،

أَمَّا بِمُجَرَّدِ الصَّلاةِ والصِّيامِ فَلا) .

(والعَبْدُ يَتَرَقَّى مِنَ الإِسْلامِ إِلَى الإِيمانِ ، ومِنَ الإِيمانِ إِلَى الإِيقانِ ، ومِنَ الإِيقانِ إِلَى المَعْرِفَةِ ، ومِنَ المَعْرِفَةِ إِلَى العِلْمِ ، ومِنَ العِلْمِ إِلَى المَحَبَّةِ ، ومِنَ المَحَبَّةِ إِلَى المَحْبُوبِيَّةِ .. فَحِينَئِذٍ لا يَزالُ أَبَداً مُسْتَيْقِظاً صافِياً ، وَرِثَ اليَقَظَةَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ؛ كانَتْ تَنامُ عَيْناهُ ولا يَنامُ قَلْبُهُ ، وكانَ يَرَى مِنْ وَرائِهِ كَما يَرَى مِنْ أَمامِهِ ، (غَيْرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لا يَصِلُ أَحَدٌ إِلَى يَقَظَتِهِ ، ولا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُشارِكَهُ فِي خَصائِصِهِ)، غَيْرَ أَنَّ الأَبْدالَ والأَوْلِياءَ مِنْ أُمَّتِهِ يَرِدُونَ عَلَى بَقايا طَعامِهِ وشَرابِهِ ، يُعْطَوْنَ قَطْرَةً مِنْ بِحارِ مَقاماتِهِ ، وذَرَّةً مِنْ جِبالِ كَراماتِهِ ﷺ) .

(وقَدْ سُئِلَ الإِمامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل رضي الله عنه : هَلِ الأَعْمالُ تُنْسَبُ إِلَى اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى أَمْ إِلَى الإِنْسانِ ؟ فَقالَ : تُنْسَبُ الأَعْمالُ إِلَى اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى مِنْ ناحِيَةِ الخَلْقِ ، وإِلَى الإِنْسانِ مِنْ ناحِيَةِ الكَسْبِ والعَمَلِ) .

وسارَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ عَلَى قَدَمِ الإِمامِ أَحْمَدَ فِي ذَلِكَ ، فَقالَ : (إِنَّما أَثْبَتْنا للعِبادِ كَسْباً لِمَوْضِعِ تَوَجُّهِ الأَمْرِ والنَّهْيِ والخِطابِ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ اسْتِحْقاقِ الثَّوابِ والعِقابِ لَدَيْهِمْ ، قالَ اللهُ تَعالَى :

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [1] وقالَ عَزَّ وجَلَّ : ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ [2]، فَعَلَّقَ سُبْحانَهُ وتَعالَى الجَزاءَ عَلَى أَفْعالِهِمْ ، فَأَثْبَتَ لَهُمْ كَسْباً ؛ خِلافَ ما قالَتِ الجَهْمِيَّةُ ، وهُوَ دَليلٌ أَيْضاً عَلَى أَنَّ ذَلِكَ خَلْقُ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ ، وكَسْبٌ لِلعِبادِ خِلافاً للقَدَرِيَّةِ (أَي : المُعْتَزِلَة) فِي قَوْلِهِمْ : خَلْقٌ لِلعبادِ دُونَ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ) [3] .

ويَعْتَقِدُ رضي الله عنه أَنَّ عَلَى العَبْدِ مَعَ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللّهِ تَعالَى أَنْ يَجِدَّ ويَجْتَهِدَ ويَبْذُلَ وُسْعَهُ ويَتَّخِذَ الأَسْبابَ الَّتِي تُوَصِّلُهُ إِلَى بُغْيَتِهِ ، حَتَّى إذا اسْتَنْفَدَ ذَلِكَ كُلَّهُ ، سَلَّمَ أَمْرَهُ إِلَى اللّهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى ؛ انْظُرْ إِلَيْهِ يَقُولُ : (إذا ابْتُلِيَ العَبْدُ بِبَلِيَّةٍ تَحَرَّكَ أَوَّلاً فِي نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَتَخَلَّصْ مِنْها اسْتَعانَ بِالخَلْقِ كالسَّلاطِينِ ، وأَرْبابِ المَناصِبِ ، وأَرْبابِ الدُّنْيا ، وأَصْحابِ الأَحْوالِ ، وأَهْلِ الطِّبِّ فِي الأَمْراضِ والأَوْجاعِ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فِي ذَلِكَ خَلاصاً رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ بِالدُّعاءِ والتَّضَرُّعِ والثَّناءِ ، ثُمَّ إذا لَمْ يَجِدْ عِنْدَ الخالِقِ نُصْرَةً ، اسْتَطْرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُدِيماً للسُّؤالِ والدُّعاءِ ، والتَّضَرُّعِ والثَّناءِ ، والافْتِقارِ مَعَ الخَوْفِ والرَّجاءِ) [4] .

---

(١) سُورَةُ الواقِعَة : مِنَ الآيَة ٢٤ .   (٢) سُورَةُ الحَجّ : مِنَ الآيَة ١٠ .
(٣) الغُنْيَةُ لِطالِبِي طَريقِ الحَقِّ : عَبْدُ القادِرِ الجِيْلانِي .
(٤) فُتُوحُ الغَيْبِ فِي العَقائِدِ والتَّصَوُّفِ والإِرْشاد : عَبْدُ القادِرِ الجِيْلانِي .

وكانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَحْتَرِمُ مَذاهِبَ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ كُلِّها ، ويَدْعُو إِلَى احْتِرامِ آرائِهِمُ المَذْهَبِيَّةِ ، وإِلَى الابْتِعادِ عَنِ الخُصُوماتِ فِيما بَيْنَهُمْ ؛ لأَنَّهُمْ يَسْتَقُونَ مِنْ مَنْبَعٍ واحِدٍ ، وهُمْ فُرُوعٌ لأُرُومَةٍ واحِدَةٍ ، وكانَ قَدْ نَفَى شُبْهَةَ التَّشْبِيهِ والتَّجْسِيمِ الَّتِي كانَتْ أُلْصِقَتْ بِالمَذْهَبِ الحَنْبَلِي ، وأَدَّتْ إِلَى انْفِضاضِ النَّاسِ عَنْهُ ؛ لِذَلِكَ يُعَدُّ مُجَدِّداً للمَذْهَبِ الحَنْبَلِيِّ فِي بَغْدادَ بَعْدَ أَنْ كادَ يَنْدَثِرُ فِيها ، كَما كانَ يُفْتِي عَلَى المَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ بالإِضافَةِ إِلَى المَذْهَبِ الحَنْبَلِيِّ ؛ لِذَلِكَ قالَ عَنْهُ النَّوَوِيُّ الشَّافِعِيُّ : إِنَّهُ كانَ شَيْخَ الشَّافِعِيَّةِ والحَنابِلَةِ فِي بَغْدادَ ، وقالَ عَنْهُ الإِمامُ الذَّهَبِيُّ الشَّافِعِيُّ : إِنَّهُ قُدْوَةُ العارِفِينَ صاحِبُ المَقاماتِ والكَراماتِ ، كَما أَشادَ بِهِ سِبْطُ ابنِ الجَوْزِي الحَنَفِي ، وقالَ عَنْهُ الحافِظُ ابنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِي : (إِنَّهُ شَيْخُ العَصْرِ وقُدْوَةُ العارِفِينَ وسُلْطانُ المَشايِخ) ؛ لِذَلِكَ خَفَّتِ الخُصُوماتُ المَذْهَبِيَّةُ كَثِيراً أَثْناءَ حَياتِهِ فِي بَغْداد .

وقَدْ بَيَّنَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ عَقِيدَتَهُ (الَّتِي هِيَ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ) فِي هَذِهِ المَقالَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي آخِرِ كِتابِهِ (فُتُوح الغَيْب) كَما أَوْرَدَها صاحِبُ كِتابِ (الفُيُوضات الرَّبَّانِيَّة) ، أُثْبِتُها هُنا كُلَّها نَظَراً لِطَرافَتِها[1] : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، الحَمْدُ للهِ الَّذِي

---

(١) أَعْلامُ المُسْلِمِين (٤٥) : د . عَبْدُ الرَّزَّاق الكِيلاني .

كَيَّفَ الكَيْفَ وتَنَزَّهَ عَنِ الكَيْفِيَّةِ ، وأَيَّنَ الأَيْنَ وتَعَزَّزَ عَنِ الأَيْنِيَّةِ ، ووُجِدَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وتَقَدَّسَ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ ، وحَضَرَ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ وتَعالَى عَنِ العِنْدِيَّةِ ، فَهُوَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ ولَيْسَ لَهُ آخِرِيَّةٌ ؛ إِنْ قُلْتَ : أَيْنَ ؟ فَقَدْ طالَبْتَهُ بِالأَيْنِيَّةِ ، وإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ ؟ فَقَدْ طالَبْتَهُ بِالكَيْفِيَّةِ ، وإِنْ قُلْتَ : مَتَى ؟ فَقَدْ زاحَمْتَهُ بالوَقْتِيَّةِ ، وإِنْ قُلْتَ : لَيْسَ ؛ فَقَدْ عَطَّلْتَهُ عَنِ الكَوْنِيَّةِ ، وإِنْ قُلْتَ : لَوْ ؛ فَقَدْ قابَلْتَهُ بالنَّقْصِيَّةِ ، وإِنْ قُلْتَ : لِمَ ؟ فَقَدْ عارَضْتَهُ فِي المَلَكُوتِيَّةِ .

سُبْحانَهُ وتَعالَى لا يُسْبَقُ بِقَبْلِيَّةٍ ، ولا يُلْحَقُ بِبَعْدِيَّةٍ ، ولا يُقاسُ بِمِثْلِيَّةٍ ولا يُقْرَنُ بِشَكْلِيَّةٍ ، ولا يُعابُ بِزَوْجِيَّةٍ ، ولا يُعْرَفُ بِجِسْمِيَّةٍ .

سُبْحانَهُ وتَعالَى لَوْ كانَ شَخْصاً لَكانَ مَعْرُوفَ الكَمِّيَّةِ ، ولَوْ كانَ جِسْماً لَكانَ مُتَأَلِّفَ البِنْيَةِ ، بَلْ هُوَ واحِدٌ رَدًّا عَلَى البَنَوِيَّةِ ، صَمَدٌ رَدًّا عَلَى الوَثَنِيَّةِ ، لا مَثِيلَ لَهُ طَعْناً عَلَى الحَشَوِيَّةِ ، لا كُفْءَ لَهُ رَدًّا عَلَى مَنْ أَلْحَدَ بالوَصْفِيَّةِ ، لا يَتَحَرَّكُ مُتَحَرِّكٌ فِي خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فِي سِرٍّ أَوْ جَهْرٍ ، فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ ؛ إِلَّا بِإِرادَتِهِ رَدًّا عَلَى القَدَرِيَّةِ ، لا تُضاهَى قُدْرَتُهُ ، ولا تَتَناهَى حِكْمَتُهُ تَكْذِيباً لِلهُذَلِيَّةِ ، حُقُوقُهُ الواجِبَةُ وحُجَّتُهُ البالِغَةُ ولا حَقَّ لأَحَدٍ عَلَيْهِ إِذا طالَبَهُ ، نَقْضاً لِقاعِدَةِ النِّظامِيَّةِ ، عادِلٌ لا يَظْلِمُ

فِي أَحْكامِهِ ، صادِقٌ لا يُخْلِفُ فِي إِعْلامِهِ ، مُتَكَلِّمٌ بِكَلامٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ ، لا خالِقَ لِكَلامِهِ ، أَنْزَلَ القُرْآنَ فَأَعْجَزَ الفُصَحاءَ فِي نِظامِهِ إِرْغاماً لِحُجَجِ المُرادِيَّةِ ، يَسْتُرُ العُيُوبَ رَبُّنا ، ويَغْفِرُ الذُّنُوبَ لِمَنْ يَتُوبُ ؛ فَإِنِ امْرُؤٌ إِلَى ذَنْبِهِ عادَ فالماضِي لا يُعادُ ، مَحْضاً لِلبَشَرِ ، تَنَزَّهَ عَنِ الزَّيْفِ ، وتَقَدَّسَ عَنِ الحَيْفِ ، ونُؤْمِنُ أَنَّهُ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ ، وأَنَّهُ أَضَلَّ الكافِرِينَ رَدًّا عَلَى الهِشامِيَّةِ ، ونُصَدِّقُ أَنَّ فُسَّاقَ هَذِهِ الأُمَّةِ خَيْرٌ مِنَ اليَهُودِ والنَّصارَى والمَجُوسِ رَدًّا عَلَى الجَعْفَرِيَّةِ ، ونُقِرُّ أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ ويَرَى غَيْرَهُ ، وأَنَّهُ سَمِيعٌ لِكُلِّ نِداءٍ ، بَصِيرٌ بِكُلِّ خَفاءٍ رَدًّا عَلَى الكَعْبِيَّةِ ، خَلَقَ خَلْقَهُ فِي أَحْسَنِ فِطْرَةٍ ، وأَعادَهُمْ بِالفَناءِ فِي ظُلْمَةِ الحُفْرَةِ ، ويُعِيدُهُمْ كَما بَدَأَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ رَدًّا عَلَى الدَّهْرِيَّةِ ، فَإِذا جَمَعَهُمْ لِيَوْمِ حِسابِهِ يَتَجَلَّى لأَحْبابِهِ فَيُشاهِدُونَهُ بِالبَصَرِ ، يُرَى كالقَمَرِ لا يُحْجَبُ إِلَّا عَنْ مَنْ أَنْكَرَ الرُّؤْيَةَ مِنَ المُعْتَزِلَةِ ؛ كَيْفَ يُحْجَبُ عَنْ أَحْبابِهِ أَوْ يُوقِفُهُمْ دُونَ حِجابِهِ وقَدْ تَقَدَّمَتْ مَواعِيدُهُ القَدِيمَةُ الأَزَلِيَّةُ : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [1] . أَتُرَى تَرْضَى مِنَ الجِنانِ بِحُورِيَّة ، أَمْ تَقْنَعُ مِنَ البُسْتانِ بِالحُلَلِ

(١) سُورَةُ الفَجْر : الآيَتان ٢٧ ، ٢٨ .

السُّنْدُسِيَّة ، كَيْفَ يَفْرَحُ المَجْنُونُ دُونَ لَيْلَى العامِرِيَّة ، كَيْفَ يَرْتاحُ المُحِبُّونَ بِغَيْرِ النَّفَحاتِ العَنْبَرِيَّة .. أَجْسادٌ أُذِيبَتْ فِي تَحْقِيقِ العُبُودِيَّةِ ، كَيْفَ لا تَنْعَمُ بِالمَقاعِدِ العِنْدِيَّة .. أَبْصارٌ سَهِرَتْ فِي اللَّيالِي الدَّيْجُورِيَّةِ ، كَيْفَ لا تَتَلَذَّذُ بِالمُشاهَدَةِ الأُنْسِيَّة .. وأَلْبابٌ عَذُبَتْ بِاللُّبانَاتِ الحُبِّيَّةِ ، كَيْفَ لا تَشْرَبُ مِنَ المُدامَةِ الرَّبِّيَّة .. وأَرْواحٌ حُبِسَتْ فِي الأَشْباحِ الحِسِّيَّةِ ، كَيْفَ لا تَسْرَحُ فِي الرِّياضِ القُدْسِيَّةِ ، وتَرْتَعُ فِي مَراتِعِها العَلِيَّةِ ، وتَشْرَبُ مِنْ مَوارِدِها الرَّوِيَّةِ ، وتُنْهِي ما بِها مِنْ فَرْطِ شَوْقٍ ووَجْدٍ شَرْحِ الحالِ عَنْ تِلْكَ الشَّكِيَّةِ ، ويَبْرُزُ حاكِمُ العُشَّاقِ جَهْراً ويَفْصِلُ عَنْ تِلْكَ القَضِيَّةِ ؛ إِذا خُوطِبَتْ عِنْدَ التَّلاقِ لِمَوْلاها ابْتَدَأَها بِالتَّحِيَّةِ ، فَيَأْمُرُها إِلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَتَأْبَى أَنْفُساً مِنْها أَنِيَّةً [1]، وتُقْسِمُ فِيهِ أَنْ لا نَظَرَتْ سِواهُ ولا عَقَدَتْ لِسِواهُ نِيَّةً ، ولا رَضِيَتْ مِنَ الأَكْوانِ شَيْئاً ولا كانَتْ مَطالِبُها دَنِيَّة .. فَما هَجَرَتْ لَذِيذَ العَيْشِ إِلَّا لِتَحْظَى مِنْهُ بِالصِّلَةِ السَّنِيَّة ، ويَسْقِيها مُدِيرُ الرَّاحِ كَأْساً صَفاهُ مِنْ صَفَواتِهِ هَنِيَّة ، إِذا دِيرَتْ عَلَى النُّدَماءِ جَهْراً حُفَّتْ بِالبَواكِرِ والعَشِيَّة ، تَزِيدُهُمْ ارْتِياحاً واشْتِياقاً إِلَى أَنْوارِ طَلْعَتِهِ البَهِيَّة .

---

(١) أَنِيَّة : مُؤَنَّثُ أَنِيٌّ ، مِنْ فِعْلِ أَنِيَ : تَمَهَّلَ وتَرَفَّقَ .

وحَقِّكَ إنَّ عَيْناً لَنْ تُرِيَها جَمالَكَ فَإنَّها عَيْنٌ شَقِيَّة ، قَتَلْتَ بِحُسْنِكَ العُشَّاقَ جَمْعاً ، بِحَقِّ هَواكَ رِفْقاً بالرَّعِيَّة ، قُلُوبٌ تَذُوبُ إلَيْكَ شَوقاً ولَمْ يُبْقِ الهَوَى مِنْها بَقِيَّة ، فَإنْ أَقْضِ وما قَضَيْتُ قَصْدِي فَإنِّي مِنْ هَواكَ عَلَى وَصِيَّة ، ولَسْتُ بِآيِسٍ عِنْدَ التَّلاقِي يا إلَهِي بأَنْ تَمْحُوَ عَواطِفُكَ الخَطِيَّة .

كَيْفَ يَكُونُ الرَّدُّ يا إخْوَتِي وفِي الأَسْحارِ أَوْقاتٌ رَبانِيَّة ، وإشاراتٌ سَماوِيَّة ، ونَفَحاتٌ مَلَكِيَّة ، والدَّلِيلُ عَلَى صِدْقِ هَذِهِ القَضِيَّةِ غِناءُ الأَطْيارِ فِي الأَشْجارِ بالأَلْحانِ الدَّاوُودِيَّة ؛ وتَصْفِيقُ الأَنْهارِ المُنْكَسِرَةِ فِي الرِّياضِ الرَّوْضِيَّة ، ورَقْصُ الأَغْصانِ بالحُلَلِ السُّنْدُسِيَّة ، إذْ كُلُّ ذَلِكَ إذْعاناً واعْتِرافاً لَهُ بالوَحْدانِيَّة .

أَلا يا أَهْلَ المَحَبَّةِ إنَّ الحَقَّ يَتَجَلَّى فِي وَقْتِ السَّحَرِ ويُنادِي : هَلْ مِنْ تائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ تَوْبَةً مَرْضِيَّة ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ الخَطايا بالكُلِّيَّة ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَعْطٍ فَأَجْزِلَ لَهُ النِّعَمَ والعَطِيَّة ؟

أَلا وإنَّ الأَرْواحَ إذا صَفَتْ كانَتْ بِبَهْجَتِهِ مُشْرِقَةً مُضِيَّة ، وتَساوَتْ فِي الأَحْوالِ وهانَ عَلَيْها كُلُّ رَزِيَّة ، لا جَرَمَ أَنَّ رائِحَةَ دُمُوعِهِمْ فِي الآفاقِ عِطْرِيَّة ، وبِصَبْرِهِمْ عَلَى بَعْضِ الهَجْرِ اسْتَحَقُّوا الوَصْلَ مِنَ المَراتِبِ

العَلِيَّة ، وصِحَّةُ أحادِيثِهِمْ فِي طَبَقاتِ المُحِبِّينَ مُسْنَدَةٌ مَرْوِيَّة ، وراحُوا مِنْ غَيْرِ سُؤالٍ ، حاجاتُهُمْ مَقْضِيَّة ، هَدِيَّةُ الحُبِّ قَدْ أَصْبَحَتْ واضِحَةً جَلِيَّة ، فَيا لَها مِنْ قَوافٍ بَهِيَّة ، وعَقِيدَةٍ سَنِيَّةٍ عَلَى أُصُولِ مَذاهِبِ الحَنَفِيَّةِ والشَّافِعِيَّةِ والمالِكِيَّةِ والحَنْبَلِيَّة .

عَصَمَنِي اللهُ تَعالَى وإِيَّاكُمْ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا فَمَرَقُوا كَما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّة ، وجَعَلَنِي وإِيَّاكُمْ مِنَ الَّذِينَ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّة ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ أَشْرَفِ البَرِيَّة ، وعَلَى آلِهِ وأَصْحابِهِ وخَصَّهُمْ بِأَشْرَفِ التَّحِيَّة ، وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً دائِماً مُتَجَدِّداً مُتَرادِفاً فِي كُلِّ بُكْرَةٍ وعَشِيَّة ، آمِينَ ثُمَّ آمِينَ [1] .

مُؤَلَّفاتُهُ رضي الله عنه

١) الغُنْيَةُ لِطالِبِي طَرِيقِ الحَقِّ فِي الأَخْلاقِ والتَّصَوُّفِ والآدابِ الإِسْلامِيَّة .

٢) الفَتْحُ الرَّبانِي والفَيْضُ الرَّحْمانِي . ٣) فُتُوحُ الغَيْب .

٤) بَشائِرُ الخَيْراتِ فِي الصَّلاةِ عَلَى صاحِبِ الآياتِ البَيِّناتِ .

٥) جَلاءُ الخاطِرِ مِنْ كَلامِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ ؛ جُمِعَ فِيهِ ما قالَهُ

---

(١) الفُيُوضاتُ الرَّبَّانِيَّة : الحاج إِسْماعِيلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ سَعِيدٍ القادِرِي .

الشَّيْخُ فِي مَجالِسِ وَعْظِهِ ؛ أَوَّلُها يَوْمُ الجُمُعَةِ تاسِعُ رَجَبٍ ، وآخِرُها الرَّابِعُ والعِشْرُونَ مِنْ رَمَضانَ سَنَةَ (٥٤٦ هـ) .

٦) حِزبُ الرَّجاءِ والانْتِهاء . ٧) الرِّسالَةُ الغَوْثِيَّة .

٨) مِعْراجُ لَطِيفُ المَعانِي . ٩) يَواقِيتُ الحِكَم .

١٠) المَواهِبُ الرَّحْمانِيَّة . ١١) وَصايا الشَّيْخ عَبْدِ القادِر .

١٢) أَوْرادُ الشَّيْخ عَبْدِ القادِر . ١٣) دَلايِلُ الشَّيْخ عَبْدِ القادِر .

١٤) صَلَواتُ الشَّيْخ عَبْدِ القادِر . ١٥) بَهْجَةُ الأَسْرار .

١٦) سِرُّ الأَسْرارِ فِي التَّصَوُّف . ١٧) رَسائِلُ الشَّيْخ عَبْدِ القادِر .

١٨) دِيوانُ الشَّيْخ عَبْدِ القادِر . ١٩) الوارِدات .

٢٠) مَنازِلُ المُرِيدِين . ٢١) مَنْطِقُ الغَيْب .

٢٢) كِتابُ التَّجَلِّيات . ٢٣) الرِّسالَةُ الاعْتِقادِيَّة .

٢٤) تَنْبِيهُ الغَبِيِّ إلى رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ . ٢٥) الرَّدُّ عَلَى الرَّافِضَة .

٢٦) تَفْسِيرُ القُرْآنِ الكَرِيم : مَخْطُوطٌ فِي جُزْأَيْنِ (فِي مَكْتَبَةِ رَشِيد كَرامِي فِي طَرابْلُس الشَّام) وتارِيخُ نَسْخِهِ سَنَةَ ٦٢٢ هـ .

وقَدْ يَكُونُ ثَمَّةَ كُتُبٌ أُخْرَى للشَّيْخ عَبْدِ القادِرِ ، ولَكِنَّها لَمْ تَصِلْنا بِسَبَبِ فُقْدانِها فِي نَكْبَةِ التَّتارِ الَّتِي اجْتاحَتْ بَغْدادَ فِي سَنَةِ (٦٥٦ هـ)، أَيْ :

بَعْدَ مُضِيِّ أَقَلَّ مِنْ مِائَةِ عامٍ عَلَى وَفاةِ سَيِّدِنا الشَّيْخ عَبْدِ القادِر ؛ عِنْدما أَتْلَفُوا الكُتُبَ الَّتِي وَجَدُوها فِي مَكْتَباتِ بَغْدادَ كُلِّها ورَمَوْا بِها فِي نَهْرِ دِجْلَةَ ، فَما كانَ مِنْ هَذِهِ الكُتُبِ لَهُ نُسَخٌ أُخْرَى خارِجَ بَغْدادَ فَقَدْ بَقِيَتْ ووَصَلَتْ إِلَيْنا .

وما كانَتْ نُسَخُهُ مَحْصُورَةً فِي بَغْدادَ وَحْدَها فَقَدْ تَلَفَ وذَهَبَ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ ، وقَدْ يَكُونُ للشَّيْخ رضي الله عنه كُتُبٌ لَمْ تَخْرُجْ نُسَخُها مِنْ بَغْدادَ بَعْدُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ ، فَتَلَفَتْ مَعَ ما تَلَفَ مِنَ الكُتُبِ فِي تِلْكَ النَّكْبَةِ .

البَيْعَةُ والتَّرْبِيَةُ وِراثَةٌ نَبَوِيَّة

سَرَتْ فِي الطَّرِيقَةِ القادِرِيَّةِ وسائِرِ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّة

اتَّسَعَ العُمْرانُ فِي الحَواضِرِ والمُدُنِ ، وشَغَلَتِ الحَياةُ وحاجاتُها النُّفُوسَ ، فَقَلَّ مَنْ يَعْتَكِفُ فِي المَدارِسِ ويَنْقَطِعُ إِلَيْها لِيَدْرُسَ العُلُومَ الدِّينِيَّةَ ويَتَوَسَّعَ فِيها ، وهَكَذا أَصْبَحَتْ هَذِهِ المَدارِسُ النِّظامِيَّةُ الَّتِي تَخْضَعُ لِقُيُودٍ وتَقالِيدَ كَثِيرَةٍ قاصِرَةً عَنْ إِصْلاحٍ شَعْبِيٍّ وتَرْبِيَةٍ عامَّةٍ ، وبَقِيَتْ مُنْحَصِرَةً فِي نِطاقٍ ضَيِّقٍ لا تُفِيدُ ولا تُسْعِفُ إِلَّا العَدَدَ القَلِيلَ الَّذِي يَلْتَحِقُ بِها ويَنْتَسِبُ إِلَيْها ؛ فَلا صِلَةَ لَها بالشَّعْبِ ، ولا صِلَةَ للشَّعْبِ بِها إِلَّا عِنْدَ الاسْتِفْتاءِ أَوْ ما يُشْبِهُ ذَلِكَ ، وإِنَّما تَعِيشُ فِي عُزْلَةٍ

عَنِ الحَياةِ ، وكَذلِكَ المُؤَلِّفُونَ والمُثَقَّفُونَ الكِبارُ ؛ فالفَجْوَةُ الثَّقافِيَّةُ والعَقْلِيَّةُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ الشَّعْبِ واسِعَةٌ وعَمِيقَةٌ لا يَعْبُرُها إلَّا الخاصَّةُ والنَّوادِرُ ، ثُمَّ إنَّ صِلَةَ النَّاسِ بالمَدارِسِ والعُلَماءِ والمُؤَلِّفِينَ صِلَةٌ عِلْمِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ لا تَخْضَعُ لَها القُلُوبُ والنُّفُوسُ ، ولا تَنْصَبِغُ بِها الحَياةُ والأَخْلاقُ والطَّبائِعُ إلَّا فِي النَّادِرِ ، ولا يَتَقَيَّدُ بِها النَّاسُ ، ولا يَرْتَبِطُونَ بِها ارْتِباطاً رُوحِيًّا إلَّا فِي النَّادِرِ .

كانَ المُسْلِمُونَ فِي حاجَةٍ إلَى دُعاةٍ وشَخْصِيَّاتٍ قَوِيَّةٍ جامِعَةٍ ، تَجْمَعُ بَيْنَ تِلاوَةِ الآياتِ وتَعْلِيمِ الكِتابِ والحِكْمَةِ وتَزْكِيَةِ النُّفُوسِ وِراثَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذي امْتَنَّ اللهُ بِبَعْثَتِهِ ، فَقالَ تَعالَى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (١) ؛ وهَكَذا تَخْلُفُ الرَّسُولَ ﷺ فِي أُمَّتِهِ بَعْدَ انْقِطاعِ النُّبُوَّةِ ، وتُجَدِّدُ صِلَتَها باللهِ والرَّسُولِ ، وتُجَدِّدُ المِيثاقَ الَّذي دَخَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الأُمَّةُ والمُسْلِمُونَ جَمِيعاً ، عَنْ طَرِيقِ الإيمانِ والنُّطْقِ بالشَّهادَتَيْنِ ، وما عاهَدَتْ عَلَيْهِ وبايَعَتِ الرَّسُولَ ﷺ (مَعَ بُعْدِ الزَّمانِ والمَكانِ) مِنَ السَّمْعِ

---

(١) سُورَةُ الجُمُعَة : الآيَة ٢ .

والطَّاعَةِ ومُخالَفَةِ النَّفْسِ والهَوَى والشَّيْطانِ ، والتَّحاكُم إِلَى اللّٰهِ والرَّسُولِ ، والكُفْرِ بالطَّاغُوتِ ، والمُجاهَدَةِ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ؛ فَقَدْ تَغافَلَ عَنْ ذَلِكَ الخُلَفاءُ ، واقْتَصَرُوا عَلَى الجِبايَةِ والفُتُوحِ وأَخَذُوا البَيْعَةَ لأَنْفُسِهِمْ وأَوْلادِهِمْ ، وعَجَزَ عَنْ ذَلِكَ العُلَماءُ ؛ فاشْتَغَلُوا بالفَتْوَى والوَعْظِ والتَّدْرِيسِ والعِلْمِ والتَّأْلِيفِ ، وإِذا أَرادُوا ذَلِكَ لَمْ يَخْضَعْ لَهُمُ العامَّةُ ؛ لأَنَّهُمْ لا يَرَوْنَ فِيهِمْ (إِلَّا النَّادِرَ القَلِيلَ) الإِخْلاصَ والزُّهْدَ وأَثَرَ الخِلافَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وهَكَذا ضَعُفَ الشُّعُورُ فِي العامَّةِ والسُّوقَةِ والفَلَّاحِينَ والعُمَّالِ ؛ حَتَّى فِي كَثِيرٍ مِنَ الخاصَّةِ والمُتَعَلِّمِينَ بِأَنَّ الإِسْلامَ عَهْدٌ ومِيثاقٌ ، وبَيْعٌ وشِراءٌ بَيْنَ العَبْدِ ورَبِّهِ ، وأَصْبَحُوا مُتَفَلِّتِينَ فِي تَصَرُّفاتِهِمْ بِدَعْوَى الحُرِّيَّةِ ، جامِحِينَ عاتِينَ فِي شَهَواتِهِمْ ، هُمْلاً وقُطْعاناً لا يَضْبِطُهُمْ راعٍ ، وضَعُفَتْ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمُ الرَّغْبَةُ فِي الطَّاعاتِ وبُلُوغِ دَرَجَةِ الإِحْسانِ ، والحُصُولِ عَلَى نُورِ اليَقِينِ وبَشاشَةِ الإِيمانِ ، وتَقاصَرَتِ الهِمَمُ ، وخَمَدَتِ النُّفُوسُ ، وأَقْبَلَ النَّاسُ (إِلَّا مَنْ عَصَمَ رَبُّكَ) عَلَى اللَّذَّاتِ والشَّهَواتِ بِنَهَمٍ وشَرَهٍ .

ضَعُفَتْ رُوحُ الخِلافَةِ الإِسْلامِيَّةِ وأَمانَةُ النُّبُوَّةِ بَعْدَ عَهْدِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ ﷺ ، وأَصْبَحَتِ الخِلافَةُ مُلْكاً وسِياسَةً ، وإِدارَةً وجِبايَةً ،

وصِراعاً ووِشايَةً ونِكايَةً ؛ فَقامَ فِي نَواحِي المَمْلَكَةِ الإِسْلامِيَّةِ الواسِعَةِ العُلَماءُ الرَّبَّانِيُّونَ الوارِثُونَ لِسَيِّدِ الأَنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ ﷺ ؛ يُجَدِّدُ النَّاسُ بِدَعْوَتِهِمْ وصُحْبَتِهِمْ مِيثاقَ الإِسْلامِ ، ويَدْخُلُونَ فِي الإِسْلامِ فِقْهاً وإِرادَةً بَعْدَ ما دَخَلُوا فِي الإِسْلامِ وِراثَةً وعادَةً ، ويَسْتَرِدُّونَ بِتَعْلِيمِهِمْ وتَرْبِيَتِهِمْ حَلاوَةَ الإِسْلامِ ولَذَّةَ الإِيمانِ ، ويَخْرُجُونَ مِنْ سُلْطانِ الهَوَى ورِقِّ الشَّهَواتِ وعِبادَةِ النَّاسِ ، ويَنْشَطُونَ فِي العِباداتِ والطَّاعاتِ ، والدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ والجِهادِ فِي سَبِيلِهِ .

مِنْ أَشْهَرِ هَؤُلاءِ الدُّعاةِ والمُرَبِّينَ : الحَسَنُ البَصْرِيُّ ، والفُضَيْلُ بْنُ عِياضٍ ، ومَعْرُوفٌ الكَرْخِيُّ ، والجُنَيْدُ البَغْدادِيُّ ، وانْتَهَى الأَمْرُ إِلَى القَرْنِ السَّادِسِ وقَدْ تَباعَدَ الزَّمانُ عَنِ النُّبُوَّةِ وآثارِها وبَرَكاتِها ، واتَّسَعَتِ الدُّنْيا ، وكَثُرَتْ أَسْبابُ الغَفْلَةِ واللَّهْوِ ، وطالَ عَلَى المُسْلِمِينَ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ؛ هُنالِكَ نَهَضَ فِي بَغْدادَ (دارِ السَّلامِ وقَلْبِ عالَمِ الإِسْلامِ) رَجُلٌ قَوِيُّ الشَّخْصِيَّةِ ، قَوِيُّ الإِيمانِ ، قَوِيُّ العِلْمِ ، قَوِيُّ الدَّعْوَةِ ، قَوِيُّ التَّأْثِيرِ ، نَقِيُّ السَّرِيرَةِ ، مَوْصُولَةٌ بَصِيرَتُهُ بِمِشْكاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ فَجَدَّدَ دَعْوَةَ الإِيمانِ والإِسْلامِ الحَقِيقِيِّ ، والعُبُودِيَّةِ الخالِصَةِ ، وأَخْلاقِ المُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ ، وحارَبَ النِّفاقَ الَّذِي

اجْتَمَعَ فِي المُجْتَمَعِ الإِسْلامِيِّ بِقُوَّةٍ مُنْقَطِعَةِ النَّظِيرِ فِي تارِيخِ الإِصْلاحِ والتَّجْدِيدِ ، وفَتَحَ بابَ البَيْعَةِ والتَّوْبَةِ عَلَى مِصْراعَيْهِ يَدْخُلُ فِيهِ المُسْلِمُونَ مِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ مِنْ نَواحِي العالَمِ الإِسْلامِيِّ يُجَدِّدُونَ العَهْدَ والمِيثاقَ مَعَ اللهِ ، ويُعاهِدُونَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكُوا ولا يَكْفُروا ولا يَفْسُقُوا ولا يَبْتَدِعُوا ولا يَظْلِمُوا ولا يَسْتَحِلُّوا ما حَرَّمَ اللهُ ، ولا يَتْرُكُوا ما فَرَضَ اللهُ ، ولا يَتَفانَوْا فِي الدُّنْيا ، ولا يَتَناسَوا الآخِرَة .

وقَدْ دَخَلَ فِي هَذا البابِ (وقَدْ فَتَحَهُ اللهُ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ) خَلْقٌ لا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ ، وصَلَحَتْ أَحْوالُهُمْ ، وحَسُنَ إِسْلامُهُمْ ، وظَلَّ الشَّيْخُ يُرَبِّيهِمْ ويُحاسِبُهُمْ ، ويُشْرِفُ عَلَيْهِمْ وعَلَى تَقَدُّمِهِمْ ، وأَصْبَحَ هَؤُلاءِ التَّلامِيذُ الرُّوحِيُّونَ يَشْعُرُونَ بِالمَسْؤُولِيَّةِ بَعْدَ البَيْعَةِ والتَّوْبَةِ وتَجْدِيدِ الإِيمانِ عَلَى يَدِ عَبْدٍ مُخْلِصٍ ، وعالِمٍ رَبَّانِيٍّ ، شُعُوراً جَدِيداً ، وظَلَّ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ الشَّيْخِ رِباطٌ وَثِيقٌ عَمِيقٌ ؛ أَقْوَى مِنْ رِباطِ التَّلامِيذِ بِالأَساتِذَةِ والشُّيُوخِ ، ومِنْ رِباطِ الجُنْدِ بِالقائِدِ ، ومِنْ رِباطِ الرَّعِيَّةِ بِالرَّاعِي ، إِنَّما هُوَ رِباطٌ رُوحِيٌّ دِينِيٌّ ، لا يَهِنُ ولا يَنْحَلُّ ، وإِنَّما هُوَ مِيثاقٌ لا يُنْقَضُ ولا يُنْكَثُ ، ثُمَّ يُجِيزُ الشَّيْخُ كَثِيراً مِنْهُمْ (مِمَّنْ يَرَى فِيهِ النُّبُوغَ والاسْتِقامَةَ والمَقْدِرَةَ عَلَى التَّرْبِيَةِ) ، فَيَنْتَشِرُونَ فِي الآفاقِ

يَدْعُونَ الخَلْقَ إِلَى اللهِ ، ويُرَبُّونَ النُّفُوسَ ، ويُحارِبُونَ الشِّرْكَ والبِدَعَ ، والجاهِلِيَّةَ والنِّفاقَ ؛ فَتَنْتَشِرُ الدَّعْوَةُ الدِّينِيَّةُ ، وتَقُومُ تَكَناتُ الإيمانِ ومَدارِسُ الإحْسانِ ، ومَرابِطُ الجِهاد ، ومَجامِعُ الأُخُوَّةِ فِي أَنْحاءِ العالَمِ الإسْلامِي .

وقَدِ اسْتَطاعَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي دَعْوَتِهِ وجِهادِهِ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ ، فِي بِيئَةٍ اشْتَدَّ فِيها الاسْتِبْدادُ ، وكَثُرَتْ فِيها الوَساوِسُ وشاعَتْ فِيها الوِشاياتُ والسِّعاياتُ ، وأَخْفَقَتْ فِيها الدَّعَواتُ السِّياسِيَّةُ ، وحُورِبَ فِيها المُعارِضُونَ للحُكُومَةِ بِقَساوَةٍ وشِدَّةٍ ، واحْتَمَلَ الخُلَفاءُ والأُمَراءُ نَقْدَهُ الشَّدِيدَ ، وإِنْكارَهُ عَلَى تَصَرُّفاتِهِمْ ومَناهِجِ حَياتِهِمْ ، وما كانَ ذَلِكَ إِلَّا لإِخْلاصِهِ الَّذِي لا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الشَّكُّ ، ولا تَرْتَقِي إِلَيْهِ شُبْهَةٌ ، وزُهْدِهِ فِي كُلِّ ما يَحْرِصُونَ عَلَيْهِ ويَضِنُّونَ بِهِ ، وبَذْلِهِ النَّصِيحَةَ والشَّفَقَةَ لِكُلِّ مَنْ يَدِينُ بِالإسْلامِ ؛ بَلْ يَتَحَلَّى بِالإنْسانِيَّةِ ، وانْقِطاعِهِ إِلَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ ، والإرْشادِ إِلَى مَعالِمِ الحَقِّ .

وقَدْ كانَ لِخُلَفائِهِ وتَلامِيذِهِ ، ولِمَنْ سارَ سِيرَتَهُمْ فِي الدَّعْوَةِ وتَهْذِيبِ النُّفُوسِ مِنْ أَعْلامِ الدَّعْوَةِ وأَئِمَّةِ التَّرْبِيَةِ فِي القُرُونِ الَّتِي تَلَتْهُ فَضْلٌ كَبِيرٌ فِي المُحافَظَةِ عَلَى رُوحِ الإسْلامِ ، وشُعْلَةِ الإيمانِ ، وحَماسَةِ

الدَّعْوَةِ والجهادِ ، وقُوَّةِ التَّمَرُّدِ عَلَى الشَّهَواتِ والسُّلْطاتِ ، ولَوْلاهُمْ لابْتَلَعَتِ المادِيَّةُ الَّتِي كانَتْ تَسِيرُ فِي رِكابِ الحُكُوماتِ والمَدَنِيَّاتِ هَذِهِ الأُمَّةَ ، وانْطَفَأَتْ شَرارَةُ الحَياةِ والحُبِّ فِي صُدُورِ أَفْرادِها ، وقَدْ كانَ لِهَؤُلاءِ فَضْلٌ كَبِيرٌ لِنَشْرِ الإِسْلامِ فِي الأَمْصارِ البَعِيدَةِ الَّتِي لَمْ تَغْزُها جُيُوشُ المُسْلِمِينَ ، أَوْ لَمْ تَسْتَطِعْ إِخْضاعَها لِلحُكْمِ الإِسْلامِيِّ ، وانْتَشَرَ بِهِمُ الإِسْلامُ فِي إِفْرِيقْيا السَّوْداءِ ، وفِي إِنْدُونِسْيا وجُزُرِ المُحِيطِ الهِنْدِي ، والصِّينِ ، وفِي الهِنْد .

ولَمَّا قَهَرَ التَّتارُ العالَمَ الإِسْلامِيَّ فِي القَرْنِ السَّابِعِ الهِجْرِيِّ وأَثْخَنُوهُ جِراحاً وقَتْلاً ، ولَمْ يَتْرُكُوا فِيهِ إِلَّا رُوحاً ضَعِيفَةً ونَفَساً خافِتاً ، وفَلَّ سَيْفُ الجِهادِ والمُقاوَمَةِ ؛ فَأَصْبَحَ لا يُؤَثِّرُ ولا يَعْمَلُ ، وأَغْمَدَهُ المُسْلِمُونَ يَأْساً وقُنُوطاً ، وآمَنَ النَّاسُ بِأَنَّ التَّتارَ لا يُمْكِنُ إِخْضاعُهُمْ ، وأَنَّ العالَمَ الإِسْلامِيَّ قَدْ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ تَحْتَ حُكْمِ هَؤُلاءِ الهَمَجِ وأَنَّ الإِسْلامَ لا مُسْتَقْبَلَ لَهُ ؛ قامَ هَؤُلاءِ الدُّعاةُ المُخْلِصُونَ (الَّذِينَ لا يَزالُ تارِيخُ الدَّعْوَةِ والإِصْلاحِ عَلَى إِحْصائِهِ واسْتِقْصائِهِ يَجْهَلُ أَسْماءَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ) يَتَسَرَّبُونَ فِي هَؤُلاءِ الغِلاظِ الشِّدادِ ؛ يَفْتَحُونَ قُلُوبَهُمْ لِلإِسْلامِ حَتَّى تَفَتَّحَتْ لَهُ وأَحَبَّتْهُ وصارُوا يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجاً ، ولَمْ

يَمْضِ عَلَى زَحْفِهِمْ عَلَى العالَمِ الإِسْلامِيِّ وإِذْلالِهِمْ لَهُ كَثِيرُ زَمانٍ حَتَّى أَسْلَمَ جُلُّهُمْ أَوْ كُلُّهُمْ ، وصارُوا مِنْ حُماةِ الإِسْلامِ وحَمَلَةِ رايَتِهِ وكانَ مِنْهُمْ فُقَهاءُ وزُهَّادٌ ومُجاهِدُونَ ، وذَلِكَ بِفَضْلِ الصَّفْوَةِ الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ أَخْلَصُوا النِّيَّةَ والوِجْهَةَ لِنُصْرَةِ الإِسْلامِ وعِزَّةِ المُسْلِمِينَ ، فَأَيَّدَهُمْ ووَفَّقَهُمُ اللهُ رَبُّ العالَمِين .

حَجُّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وحَجَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ ؛ فَقَدْ قالَ : أَوَّلُ ما حَجَجْتُ مِنْ بَغْدادَ وأَنا شابٌّ عَلَى قَدَمِ التَّجْرِيدِ[1] وَحْدِي ، فَلَمَّا كُنْتُ عِنْدَ المَنارَةِ المَعْرُوفَةِ بِأُمِّ القُرُونِ لَقِيتُ الشَّيْخَ عَدِيَّ بنَ مُسافِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَحْدَهُ وهُوَ شابٌّ ، فَقالَ لِي : إِلَى أَيْنَ ؟ فَقُلْتُ إِلَى مَكَّةَ المُكَرَّمَة ، فَقالَ : هَلْ لَكَ فِي الصُّحْبَةِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي عَلَى قَدَمِ التَّجْرِيد ، قالَ : وأَنا عَلَى قَدَمِ التَّجْرِيدِ ، فَسِرْنا جَمِيعاً .

ثُمَّ حَجَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ أَنِ اشْتَهَرَ أَمْرُهُ وذاعَ صِيتُهُ ؛ فَقَدْ ذَكَرَ الدُّكْتُور سُهَيْلُ الزَّكَّارُ فِي كِتابِهِ (المِائَةُ الأَوائِلُ) عِنْدَ تَرْجَمَتِهِ لأَبِي مَدْيَنَ شُعَيْب بنِ الحُسَيْنِ (دَفِينَ تِلْمِسانَ بِالجَزائِر) أَنَّهُ : (تَوَجَّهَ إِلَى

---

(١) التَّجْرِيدُ : تَخْلِيَةُ القَلْبِ عَمَّا سِوَى اللهِ تَعالَى ، ويُقْصَدُ بِهِ هُنا أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الزَّادِ المُعْتاد .

مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ حاجًّا فَتَعَرَّفَ فِي جَبَلِ عَرَفاتٍ إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ الجَيْلانِي ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ فِي الحَرَمِ الشَّرِيفِ كَثِيراً مِنَ الحَدِيثِ ، وأَلْبَسَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ خِرْقَةَ الصُّوفِيَّة ، وأَوْدَعَهُ كَثِيراً مِنْ أَسْرارِهِ ، وحَلَّاهُ بِمَلابِسِ أَنْوارِهِ)[1] .

وجَدِيرٌ بالذِّكْرِ هُنا أَنَّ حَجَّتَهُ هَذِهِ كانَتْ سَنَةَ ٥٥٥ هـ ، وهِيَ الحَجَّةُ الَّتِي حَجَّ فِيها السَّيِّدُ أَحْمَدُ الرِّفاعِي مَعَ أَكابِرِ القَوْمِ ، وحَظِيَ بِلَثْمِ يَدِ جَدِّهِ المُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بِمَشْهَدٍ مِنَ القَوْمِ الكِرام .

كَيْفِيَّةُ مُبايَعَةِ الشَّيْخِ لِمُرِيدِهِ فِي الطَّرِيقَةِ القادِرِيَّة

جَرَتِ العادَةُ عِنْدَ مَشايِخِ الصُّوفِيَّةِ أَنَّهُ إِذا جاءَ أَحَدَهُمْ مُرِيدٌ طالِباً لِلحَقِّ يُرِيدُ أَخْذَ العَهْدِ عَنْهُ : فَإِنْ كانَ جاهِلاً عَلَّمَهُ أَوَّلاً ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ العَقِيدَةِ والعِباداتِ ومَعْرِفَةِ الحَلالِ والحَرامِ ثُمَّ يَأْمُرُهُ بِالتَّوْبَةِ عَنْ جَمِيعِ المَعاصِي ويَأْمُرُهُ بِأَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ بِنِيَّةِ التَّوْبَة .

ثُمَّ يَجْلِسُ المُرِيدُ تُجاهَ الشَّيْخِ مُلاصِقاً رُكْبَتَيْهِ بِرُكْبَتَي شَيْخِهِ ، وواضِعاً يَدَهُ اليُمْنَى بِيَدِ شَيْخِهِ اليُمْنَى ، بَعْدَ صَلاةِ رَكْعَتَيْنِ نَفْلاً لِلهِ تَعالَى ، ثُمَّ يَقْرَأُ الفاتِحَةَ لِحَضْرَةِ الأُسْتاذِ الأَعْظَمِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وإِلَى

---

(١) المائَةُ الأَوائِلُ : د . سُهَيْلُ زَكَّار .

إِخْوانِهِ المُرْسَلِينَ والنَّبِيِّينَ صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، والآلِ والأَصْحابِ والأَزْواجِ والصُّلَحاءِ والتَّابِعِينَ وتابِعِي التَّابِعِينَ والعُلَماءِ العامِلِينَ والمَشايِخِ المُعْتَبَرِينَ ومَشايِخِ السَّلاسِلِ خُصُوصاً مَشايِخَ السِّلْسِلَةِ القادِرِيَّةِ ، والأَقْطابَ الأَرْبَعَةَ المُكَرَّمِينَ خُصُوصاً صاحِبَ الطَّرِيقَةِ ، ولِلْغَوْثِ والقُطْبِ والأَبْدالِ والنُّجَباءِ والأَوْتادِ وأَهْلِ النَّوْبَةِ والأَرْبَعِينَ رِضْوانُ اللهِ تَعالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - وأَمَدَّنا بِمَدَدِهِمْ وبِبَرَكَتِهِمْ وبِجاهِهِمْ ، آمِينَ .

ثُمَّ يَسْتَمِدُّ الشَّيْخُ مِنْ رُوحانِيَّتِهِمُ الشَّرِيفَةِ الطَّاهِرَةِ التَّوْفِيقَ والفُتُوحَ لَهُ ولِمُرِيدِهِ ثُمَّ يَقُولُ لِمُرِيدِهِ قُلْ : أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ ، أُشْهِدُ اللهَ ومَلائِكَتَهُ ورُسُلَهُ وأَنْبِياءَهُ بِأَنِّي تائِبٌ إِلَى اللهِ تَعالَى مُنِيبٌ إِلَيْهِ وأَنَّ الطَّاعَةَ تَجْمَعُنا وأَنَّ المَعْصِيَةَ تُفَرِّقُنا وأَنَّ العَهْدَ عَهْدُ اللهِ ورَسُولِهِ وأَنَّ اليَدَ يَدُ شَيْخِنا وأُسْتاذِنا الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ القادِرِ الجَيْلانِي قُدِّسَ سِرُّهُ ؛ وعَلَى ذَلِكَ بِأَنِّي أُحِلُّ الحَلالَ (أَيْ أَعْمَلُ بِهِ) وأُحَرِّمُ الحَرامَ (أَي أَجْتَنِبُهُ) وأُلازِمُ الذِّكْرَ والطَّاعَةَ بِقَدْرِ الاسْتِطاعَةِ ورَضِيتُ بِحَضْرَةِ شَيْخِنا المُشارِ إِلَيْهِ شَيْخاً لِي وطَرِيقَتِهِ طَرِيقَةً لِي ، واللهُ عَلَى ما نَقُولُ وَكِيل .

ثُمَّ يَقُولُ الشَّيْخُ سِرًّا (٣ مَرَّات) : يا واحِدُ يا ماجِدُ انْفَحْنا بِنَفْحَةٍ مِنْك ، ثُمَّ يَقْرَأُ الشَّيْخُ آيَةَ المُبايَعَةِ وهِيَ قَوْلُهُ تعالَى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

ثُمَّ يَقُولُ لِمُرِيدِهِ اسْمَعْ مِنِّي كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ٣ مَرَّات وقُلْ أَنْتَ مِثْلَها ؛ وكَيْفِيَّتُها : أَنْ يَأْخُذَ كَلِمَةَ ﴿لَآ﴾ أَوَّلاً مِنْ طَرَفِهِ الأَيْمَنِ مادًّا بِها إِلَى جَبْهَتِهِ فِي كَلِمَةِ ﴿إِلَـٰهَ﴾ ثُمَّ يُفْرِغُ ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فِي طَرَفِهِ الأَيْسَرِ (وهُوَ مَحَلُّ الرُّوحِ) مُغْمِضاً عَيْنَيْهِ ؛ فَإِذا قالَها صَحِيحاً طِبْقَ المَذْكُورِ يُوصِيهِ بِالوَصايا اللَّازِمَةِ والإِكْثارِ مِنَ التِّلاوَةِ لَها قِياماً وقُعُوداً آناءَ اللَّيْلِ وأَطْرافَ النَّهارِ ومُراعاةِ حُقُوقِها وحَقِّ إِخْوانِهِ ومُلازَمَةِ الرَّابِطَةِ وَقْتَ القِراءَةِ وبَعْدَها ، ومِنْ جُمْلَةِ الوَصايا : تَقْوَى اللهِ وطاعَتُهُ وحَمْلُ الأَذَى وتَرْكُ الأَذَى والصَّفْحُ عَنْ عَثَراتِ الإِخْوانِ وبَذْلُ الكَفِّ وسَخاوَةُ النَّفْسِ وتَرْكُ الحِقْدِ والحَسَدِ والكَذِبِ والنَّمِيمَةِ والغِيبَةِ والفُحْشِ فِي الكَلامِ والاسْتِقامَةِ عَلَى الوُضُوءِ وعَلَى الاسْتِغْفارِ والصَّلاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ عَدَدٍ .

ثُمَّ بَعْدَ أَنْ يَقْبَلَ المُريدُ هَذِهِ الشُّرُوطَ يَقُولُ لَهُ الشَّيْخُ : وأَنا أَيْضاً قَبِلْتُكَ لِي وَلَداً وبايَعْتُكَ عَلَى هَذا المِنْوالِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَدْعُو الشَّيْخُ بِهَذا الدُّعاءِ ، وهُوَ هَذا :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ : اللهُمَّ اجْعَلْنا هادِينَ مَهْدِيِّينَ غَيْرَ ضالِّينَ ولا مُضِلِّينَ سِلْماً لأَوْلِيائِكَ وعَدُوًّا لأَعْدائِكَ نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَحَبَّكَ ، ونُعادِي بِعَداوَتِكَ مَنْ خالَفَكَ ، اللهُمَّ هَذا الدُّعاءُ مِنَّا وعَلَيْكَ الإجابَةُ ، وهَذا الجَهْدُ وعَلَيْكَ التُّكْلانُ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ .

ويَدْعُو لِمُريدِهِ : اللهُمَّ كُنْ لَهُ بَرًّا رَحِيماً جَواداً كَرِيماً ، اللهُمَّ دُلَّهُ بِكَ إِلَيْكَ ، اللهُمَّ خُذْهُ مِنْهُ ثُمَّ رُدَّهُ بِكَ إِلَيْهِ ، اللهُمَّ افْتَحْ عَلَيْهِ ولَدَيْهِ فُتُوحَ الأَنْبياءِ والأَوْلِياءِ بِجُودِكَ ورَحْمَتِكَ وكَرَمِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى جَمِيعِ الأَنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ وعَلَى آلِهِمْ وصَحْبِهِمْ أَجْمَعِينَ ، آمِين .

ثُمَّ بَعْدَهُ يَسْقِي الشَّيْخُ المُريدَ الكَأْسَ : إِنْ شاءَ ماءً قُراحاً ، وإِنْ شاءَ بِسُكَّرٍ ، وإِنْ شاءَ زَيْتاً ، ويَقْرَأُ عَلَى المَشْرُوبِ هَذا الدُّعاءَ : بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ : ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ ، ﴿وَنُنَزِّلُ

مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وسُورَةَ ﴿ الفاتِحَةِ ﴾ ، و ﴿ الإِخْلاصِ ﴾ ٣ مَرَّات ؛ ويُعْطِيهِ الكَأْسَ ويَشْرَبُ المُرِيدُ الكَأْسَ .

ضَوْءُ الشَّمْسِ عَلَى مَهاوِي ومَراقِي النَّفْس

النَّفْسُ	١ الأَمَّارَة	٢ اللَّوَّامَة	٣ المُلْهَمَة	٤ المُطْمَئِنَّة	٥ الرَّاضِيَة	٦ المَرْضِيَّة	٧ الكامِلَة
صِفاتُها	البُخْلُ والحِرْصُ والأَمَلُ والكِبْرُ والشُّهْرَةُ والحَسَدُ	اللَّوْمُ والفِكْرُ والقَبْضُ والعُجْبُ والاعْتِراضُ	السَّخاوَة والقَناعَة والتَّواضُعُ والصَّبْرُ وتَحَمُّلُ الأَذَى	الجُودُ والتَّوَكُّلُ والحِكَمُ والعِبادَةُ والشُّكْرُ والرِّضا	الزُّهْدُ والإِخْلاصُ والوَرَعُ وتَرْكُ ما لا يَعْنِيهِ مِنْ جَمِيعِ الأَشْياء	حُسْنُ الخُلُقِ والرِّضا بما قَسَمَ الله	جَمِيعُ ما ذُكِرَ مِنَ الصِّفاتِ الحَسَنَة
سَيْرُها	إِلَى الله	لله	عَلَى الله	مَعَ الله	فِي الله	عَن الله	بالله
مَحَلُّها	الصَّدْرُ	القَلْبُ	الرُّوحُ	السِّرُّ	السَّرائِرُ	الأَخْفَى	الخَفاءُ
تَزْكِيَتُها بِذِكْرِ	لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ	ٱللَّهُ	هُو	حَقٌّ	حَىٌّ	قَيُّومٌ	قَهَّار

فَإِذا خَلَصْتَ مِنْ تَزْكِيَةِ هَذِهِ النُّفُوسِ صِرْتَ مِنَ الخَواصِّ الكامِلِينَ و ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ .

أُسُسُ الطَّرِيقَةِ القادِرِيَّة

الطَّرِيقَةُ : هِيَ السُّلُوكُ الَّذِي يُوَصِّلُ إِلَى رِضا اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى .

وقالَ الجُرْجانِي فِي كِتابِهِ (التَّعْرِيفات) : هِيَ السِّيرَةُ المُخْتَصَّةُ بالسَّالِكِينَ إِلَى اللهِ تَعالَى مِنْ قَطْعِ المَنازِلِ والتَّرَقِّي فِي المَقامات .

وكَما تَعَدَّدتِ المَذاهِبُ الفِقْهِيَّةُ عَلَى حَسَبِ اجْتِهادِ الفُقَهاءِ المُجْتَهِدِينَ ، تَعَدَّدَتِ الطُّرُقُ عَلَى حَسَبِ اجْتِهادِ أَعْلامِ السُّلُوكِ العامِلِينَ المُخْلِصِين ، والأَصْلُ واحِدٌ عِنْدَ الجَمِيعِ وهُوَ الكِتابُ والسُّنَّةُ ، ولَكِنِ اخْتَلَفَتِ الاجْتِهاداتُ ، ولِكُلِّ مُجْتَهِدٍ نَصِيبٌ ؛ والهَدَفُ واحِدٌ عِنْدَ الجَمِيعِ وهُوَ رِضا المَوْلَى عَزَّ وجَلَّ ، ولَكِنِ اخْتَلَفَتِ الوَسائِلُ ، وكُلُّها مَشْرُوعَةٌ .

وإِذا كانَ الفِقْهُ هُوَ جِسْمُ الشَّرِيعَةِ ، فَالطَّرِيقَةُ رُوحُها :

الفِقْهُ يَرْضَى مِنَ المُصَلِّي أَنْ يَقُومَ بِأَرْكانِ الصَّلاةِ مِنْ قِيامٍ ورُكُوعٍ وسُجُودٍ وقُعُودٍ وقِراءَةٍ ، ولَكِنَّ الطَّرِيقَةَ لا تَرْضَى مِنْهُ إِلَّا بِالخُشُوعِ وأَنْ يَعْتَبِرَ نَفْسَهُ واقِفاً بَيْنَ يَدَي مَلِكِ المُلُوكِ وجَبَّارِ السَّمَواتِ والأَرْضِ ، وأَنْ تَنْهاهُ صَلاتُهُ عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَر .

والفِقْهُ يَرْضَى مِنَ الصَّائِمِ الإِمْساكَ عَنِ المُفْطِراتِ مِنَ الفَجْرِ إِلَى اللَّيْلِ ، ولَكِنَّ الطَّرِيقَةَ لا تَرْضَى إِلَّا الإِمْساكَ أَيْضاً عَنِ الكَذِبِ والغِيبَةِ

والنَّميمَةِ وشَهادَةِ الزُّورِ ، والشُّعُورَ بآلامِ الفُقَراءِ والمُحْتاجِين .

والفِقْهُ يَرْضَى مِنَ المُزَكِّي أَنْ يُخْرِجَ نِصابَ الزَّكاةِ فِي مَوْعِدِهِ المُقَرَّرِ ، ولَكِنَّ الطَّرِيقَةَ لا تَرْضَى إِلَّا تَزْكِيَةَ النَّفْسِ والابْتِعادَ عَنِ الشُّحِّ .

والفِقْهُ يَرْضَى مِنَ الحاجِّ بِأَداءِ أَعْمالِ الحَجِّ ، ولَكِنَّ الطَّرِيقَةَ لا تَرْضَى إِلَّا بالإِخْلاصِ والشُّعُورِ بالعُبُودِيَّةِ المُطْلَقَةِ لِلَّهِ سُبْحانَهُ وتَعالَى والتَّذَلُّلِ والخُضُوعِ والاسْتِسْلامِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وإِعانَةِ الضُّعَفاءِ والمُنْقَطِعِينَ ، والاهْتِمامِ بِأَمْرِ جَمِيعِ المُسْلِمِين .

كانَ النَّبِيُّ ﷺ والخُلَفاءُ الرَّاشِدُونَ مِنْ بَعْدِهِ يَقُومُونَ بِهَذِهِ الوَظائِفِ كُلِّها ، ويُرْشِدُونَ النَّاسَ إِلَيْها ، وعِنْدَما افْتَرَقَ السُّلْطانُ والقُرْآنُ ، نَشَأَ الفِقْهُ عَلَى أَيْدِي أَئِمَّةٍ أَعْلامٍ مُخْلِصِينَ ، اسْتَنْبَطُوهُ ، وصَنَّفُوهُ وبَيَّنُوهُ للنَّاسِ ، وكانُوا فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ مُرْشِدِينَ وسالِكِينَ .

وعِنْدَما انْصَرَفَ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الفُقَهاءِ إِلَى الفِقْهِ ، وبِخاصَّةٍ إِلَى العِباداتِ والمُعامَلاتِ ، وحَصَرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي نِطاقِها وتَرَكُوا ما سِواها ، أَخَذَ السَّالِكُونَ والمُرْشِدُونَ يَسْتَقِلُّونَ ويَظْهَرُونَ ويُبَيِّنُونَ للنَّاسِ المِنْهاجَ القَوِيمَ مِنَ الأَخْلاقِ الَّذِي كانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وصَحابَتُهُ الكِرامُ ﷺ ، لِيَعُودُوا إِلَيْهِ بَعْدَ أَنِ اخْتَلَّ مِيزانُ السُّلُوكِ والأَخْلاقِ

اخْتِلالاً كَبيراً أَصْبَحَ يُخْشَى مَعَهُ عَلَى الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ كُلِّها أَنْ تَزُولَ ويَطْوِيَها الجَهْلُ والنِّسْيانُ ؛ وهَكَذا ظَهَرَ (عِلْمُ السُّلُوكِ) الَّذي أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ (التَّصَوُّف) .

ولا بُدَّ مِنْ ضابِطٍ يَضْبِطُ هَذِهِ العُلُومَ جَمِيعَها ، وهَذا الضَّابِطُ هُوَ الكِتابُ والسُّنَّةُ ، فَهُوَ الضَّابِطُ لِعِلْم السُّلُوكِ والتَّصَوُّفِ كَما هُوَ الضَّابِطُ لِلفِقْهِ أَيْضاً ؛ لأَنَّهُ هُوَ أَصْلُ هَذِهِ العُلُوم جَمِيعِها وهُوَ مَنْبَعُها .

واتِّباعاً لِحَضْرَتِهِ ﷺ عَلَى ضَوْءِ الكِتابِ والسُّنَّةِ ، واجْتِماعاً بِحَضْرَتِهِ ﷺ فِي النَّوْمِ واليَقَظَةِ ؛ وَضَعَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ سَبْعَةَ أُسُسٍ لِطَرِيقَتِهِ هِيَ : المُجاهَدَةُ ، والتَّوَكُّلُ ، وحُسْنُ الخُلُقِ ، والشُّكْرُ ، والصَّبْرُ ، والرِّضا ، والصِّدْقُ .. ويَطْلُبُ مِنْ تَلامِيذِهِ ومُرِيدِيهِ أَنْ يُراعُوها ويَسِيرُوا عَلَيْها لِكَيْ يَسْتَطِيعُوا السُّلُوكَ فِي الطَّرِيق .

مُجاهَدَتُهُ وجِهادُهُ رضي الله عنه

أَمَّا المُجاهَدَةُ فالأَصْلُ فِيها قَوْلُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (١) .

وقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : (أَفْضَلُ الجِهادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطانٍ جائِر) .

---

(١) سُورَةُ العَنْكَبُوت : مِنَ الآيَة ٦٩ .

وكُلُّ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي بِدايَتِهِ صاحِبَ مُجاهَدَةٍ لَمْ يَنَلْ مِنَ الطَّرِيقَةِ مَوْضِعَ قَدَم .

والأَصْلُ فِي المُجاهَدَةِ مُخالَفَةُ الهَوَى ، وأَنْ يُلْجِمَ نَفْسَهُ بِلِجامِ التَّقْوَى والخَوْفِ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، ولا تَتِمُّ المُجاهَدَةُ إلَّا بِالمُراقَبَةِ ؛ وهِيَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَهُوَ يَراكَ ، ولا تَتِمُّ المُراقَبَةُ إلَّا بِمَعْرِفَةِ خِصالٍ أَرْبَع : (١) مَعْرِفَةُ اللهِ تَعالَى ، ٢) مَعْرِفَةُ عَدُوِّ اللهِ إِبْلِيسَ ، ٣) مَعْرِفَةُ نَفْسِكَ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ ، ٤) مَعْرِفَةُ العَمَلِ للهِ تَعالَى : وهِيَ أَنْ يَأْتَمِرَ بِأَوامِرِهِ ويَنْتَهِيَ عَنْ نَواهِيهِ .

ومِنَ المُجاهَدَةِ أَنْ يُراعِيَ المُرِيدُ عَشْرَ خِصالٍ : أَلَّا يَحْلِفَ بِاللهِ عَزَّ وجَلَّ صادِقاً أَوْ كاذِباً ، وأَنْ يَجْتَنِبَ الكَذِبَ هازِلاً أَوْ جادًّا ، وأَلَّا يُخْلِفَ وَعْداً ، وأَلَّا يَلْعَنَ شَيْئاً ولا يُؤْذِيَهُ ، وأَلَّا يَدْعُوَ عَلَى أَحَدٍ وإِنْ ظَلَمَهُ ، وأَلَّا يُكَفِّرَ أَحداً مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ ، وأَلَّا يَنْظُرَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ المَعاصِي ظاهِراً أَوْ باطِناً ، وأَنْ يَرْفَعَ مَؤُونَتَهُ عَنِ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ ، وأَلَّا يَطْمَعَ فِي شَيْءٍ مِمَّا فِي أَيْدِي الخَلْقِ ، وأَنْ يَتَواضَعَ .

لَقَدْ أَمْضَى سَيِّدِي عَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي حَياتَهُ كُلَّها فِي مُجاهَدَةِ نَفْسِهِ أَوَّلاً ، ثُمَّ فِي مُجاهَدَةِ العُصاةِ والضَّالِّينَ والفاسِقِينَ والكُفَّارِ ؛ بِالنُّصْحِ

والإرْشادِ ، والأَمْرِ بالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، انْظُرْ إليْهِ يَقُولُ : (أَرادَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ مِنِّي مَنْفَعَةَ الخَلْقِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيَّ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسَةِ آلافٍ مِنَ اليَهُودِ والنَّصارَى ، وتابَ عَلَى يَدَيَّ مِنَ العَيَّارِينَ والمَسَالِحَةِ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ ، وهَذا خَيْرٌ كَثِيرٌ)[1] .

وكانَ رضي الله عنه يَقُولُ كَلِمَةَ الحَقِّ أَمامَ الخُلَفاءِ والقُوَّادِ والأُمَراءِ ، لا يَخافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِم ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ : (أَفْضَلُ الجِهادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطانٍ جائِرٍ)[2] .

وقَدْ وَجَّهَ الشَّيْخُ هَمَّهُ الأَكْبَرَ إِلَى مُجاهَدَةِ النُّفُوسِ وإِصْلاحِها وتَزْكِيَتِها فَهُوَ الأَساسُ لِكُلِّ جِهادٍ ، وبِدُونِهِ لا يُمْكِنُ أَنْ يَنْجَحَ أَيُّ جِهادٍ .

لَقَدْ كانَتْ مَدْرَسَتُهُ وكانَ رِباطُهُ اللَّذانِ أَنْشَأَهُما أَشْبَهَ ما يَكُونُ بِمَرْكَزِ تَدْرِيبٍ وإِصْلاحٍ ، يُدَرِّبُ فِيهِما الطُّلَّابَ والمُرِيدِينَ ، يُزَكِّي نُفُوسَهُمْ ويُصْلِحُها ، ويُنْشِئُ بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ رِباطاً دِينِيًّا رُوحِيًّا عَمِيقاً ، ويَجْعَلُ بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ عَهْداً ومِيثاقاً مَتِيناً ، ثُمَّ يُجِيزُ كَثِيراً مِنْهُمْ مِمَّنْ يَرَى فِيهِمُ النُّبُوغَ والاسْتِقامَةَ والمَقْدِرَةَ عَلَى التَّرْبِيَةِ والإرْشادِ ، فَيَنْتَشِرُونَ فِي الآفاقِ ، يَدْعُونَ الخَلْقَ إِلَى اللهِ تَعالَى ، يُرَبُّونَ النُّفُوسَ ، ويُحارِبُونَ الشِّرْكَ والبِدَعَ والجاهِلِيَّةَ والنِّفاقَ ، وقَدْ كانَ لِخُلَفائِهِ وتَلامِيذِهِ هَؤُلاءِ

---

(١) قَلائِدُ الجَواهِر .

(٢) أَخْرَجَهُ النَّسائِي .

فَضْلٌ كَبيرٌ فِي المُحافَظَةِ عَلَى رُوحِ الإِسْلامِ وشُعْلَةِ الإِيمانِ وحَماسَةِ الدَّعْوَةِ والجِهادِ ؛ ولَوْلاهُمْ لابْتَلَعَتِ المادِّيَّةُ هَذِهِ الأُمَّةَ ؛ وكانَ لَهُمْ أَيْضاً فَضْلٌ كَبيرٌ فِي نَشْرِ الإِسْلامِ فِي الأَمْصارِ البَعِيدَةِ الَّتِي لَمْ تَصِلْ إِلَيْها جُيُوشُ المُسْلِمِينَ ؛ كالهِنْدِ وإِنْدُونيسيا والصِّينِ وإِفْرِيقْيَةَ وجُزُرِ المُحِيطِ الهِنْدِي ، كَما كانَ لَهُمُ اليَدُ الطُّولَى فِي إِسْلامِ قَبائِلِ المَغُولِ والتَّتارِ أَيْضاً [١] .

وتَوَثَّقَتِ الصِّلاتُ بَيْنَ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ ونُورِ الدِّينِ زَنْكِي[٢] (حَكَمَ بَيْنَ سَنَتَي ٥٤١ - ٥٦٩ هـ)، فَكانَ نُورُ الدِّينِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى - يُرْسِلُ أَبْناءَ المَقادِسَةِ النَّازِحِينَ مِنَ القُدْسِ إِلَى بَغْدادَ لِيَدْرُسُوا فِي مَدْرَسَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ ، ثُمَّ يَعُودُوا إِلَى مَناطِقِ الثُّغُورِ قادَةً ودُعاةً ومُرْشِدِينَ ، كَما كانَ نُورُ الدِّينِ زَنْكِي يَسْتَقْدِمُ مَشاهِيرَ العُلَماءِ الَّذِينَ تَخَرَّجُوا فِي المَدْرَسَةِ القادِرِيَّةِ ويُوَلِّيهِمْ أَعْلَى المَناصِبِ عِنْدَهُ ، كَقُطْبِ الدِّينِ النَّيْسابُورِي ، وابنِ الشَّيْخِ أَبِي النَّجِيبِ الأَكْبَرِ ، وشَرَفِ الدِّينِ عَبْدِ المُؤْمِنِ بنِ شَوَرْوَه .

---

(١) رِجالُ الفِكْرِ والدَّعْوَةِ فِي الإِسْلامِ : أَبو الحَسَنِ النَّدَوِي ، والدَّعْوَةُ إِلَى الإِسْلامِ (preaching of Islam) : تُوماس أَرْنُولْد الإِنْكِليزِي .

(٢) هَكَذا ظَهَرَ جِيلُ صَلاحِ الدِّينِ : د . ماجد عرسان الكيلاني .

كَما أَنَّ حامِدَ بنَ مَحْمُودٍ الحَرَّانِيَّ أَحَدُ تَلامِيذِ الشَّيْخ عَبْدِ القادِرِ بَعْدَ أَنْ أَنْهَى دِراسَتَهُ فِي بَغْدادَ ذَهَبَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَوَلَّاهُ نُورُ الدِّينِ القَضاءَ والمَظالِمَ والتَّدْرِيسَ فِي حَرَّانَ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ فِي سَنَةِ (٥٧٠ هـ) .

ومِنْ تَلامِيذِهِ أَيْضاً : عَلِيُّ بنُ بردوان بنِ زَيْدٍ الكِنْدِي الَّذِي كانَ لَهُ حَظْوَةٌ كَبِيرَةٌ عِنْدَ نُورِ الدِّين زَنْكِي .

ومِنْهُمْ زَيْنُ الدِّينِ عَلِيُّ بنُ إِبْراهِيمَ بنِ نَجا الدِّمَشْقِيُّ الَّذِي دَرَسَ فِي مَدْرَسَةِ الشَّيْخ عَبْدِ القادِرِ بِبَغْدادَ ، ثُمَّ عادَ إِلَى مِصْرَ ودِمَشْقَ وأَصْبَحَ مُسْتَشاراً لِصَلاحِ الدِّينِ الأَيُّوبِي - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى ، وحِينَما فَتَحَ صَلاحُ الدِّينِ القُدْسَ بَعْدَ مَعْرَكَةِ حِطِّينَ فِي سَنَةِ (٥٨٣ هـ) كانَ فِي رَكْبِهِ ابنُ نَجا ومُوَفَّقُ الدِّينِ بنُ قُدامَةَ وأَخُوهُ مُحَمَّدٌ وابنُ الزَّكِي الشَّافِعِي .

وقَدْ أَلْقَى خُطْبَةَ الجُمُعَةِ يَوْمَذاكَ ابنُ الزَّكِي الشَّافِعِي ، وبَعْدَ الصَّلاةِ طَلَبَ صلاحُ الدِّينِ الأَيُّوبِي إِلَى ابنِ النَّجا القادِرِي الحَنْبَلِي أَنْ يَفْتَتِحَ الوَعْظَ والكَلامَ ، فَأَلْقَى خُطْبَةً خَفَّتْ بِها الكُرُوبُ ، ورَقَّتِ القُلُوبُ ، وسالَتِ الدُّمُوعُ [1] .

---

(١) كِتابُ الرَّوْضَتَيْنِ فِي أَخْبارِ الدَّوْلَتَيْنِ : أَبُو شامَة .

لَقَدْ كَفَى نُورُ الدِّينِ زَنْكِي ومِنْ بَعْدِهِ صَلاحُ الدِّينِ الأَيُّوبي - رَحِمَهُما اللهُ - المُسْلِمِينَ فِي العِراقِ هَمَّ الصَّلِيبِيِّينَ فِي مِصْرَ والشَّام ، ولَكِنَّ النُّذُرَ بَدَأَتْ تَأْتِي مِنَ الشَّرْقِ ، وأَنَّ قُوَّةً عاتِيَةً ظالِمَةً بَدَأَتْ تَلُمُّ شَعَثَها وتَتَجَمَّعُ لِتَنْفَجِرَ كالبُرْكانِ ، وتَنْقَضَّ كالإِعْصارِ ، فَتُخَرِّبَ وتُهْلِكَ فِي طَرِيقِها كُلَّ شَيْءٍ ! وقَدْ أَلْهَمَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى الشَّيْخَ عَبْدَ القادِرِ أَنْ يَسْتَشْعِرَ هَذا الخَطَرَ الَّذِي يُوشِكُ أَنْ يُداهِمَ بِلادَ المُسْلِمِينَ ويَقْضِيَ عَلَيْها ؛ لِذَلِكَ قالَ فِي أَحَدِ دُرُوسِهِ : (جاءَنِي خَبَرُ ما يَكُونُ مِنْ بَلاءٍ يَأْتِي هَذِهِ البَلْدَةَ ، ثُمَّ دَعا لأَهْلِ البَلْدَةِ بِالدَّفْعِ عَنْهُمْ ، ثُمَّ قالَ : لَعَمْرِي إِنَّ فِي هَذِهِ البَلْدَةِ مَنْ يَسْتَحِقُّ القَتْلَ والصَّلْبَ ، ولَكِنْ لِعَيْنٍ تُكْرَمُ أَلْفُ عَيْنٍ ، تُهْلِكُنا بِهِمْ ! تَأْخُذُنا بِذُنُوبِهِمْ ! إِيشْ عَمَلْنا نَحْنُ !) [1] .

وقَدْ وَقَعَتِ الكارِثَةُ فِعْلاً فِي سَنَةِ (٦٥٦ هـ)، أَيْ : بَعْدَ أَقَلَّ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ وَفاةِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ (٥٦١ هـ) ؛ عِنْدَما اجْتاحَ التَّتارُ بِقِيادَةِ هُولاكُو البِلادَ الإِسْلامِيَّةَ فِي إِيرانَ والعِراقِ بِما فِيها بَغْداد ، وقَضَوا عَلَى الخِلافَةِ ، وقَتَلُوا نَحْوَ مِلْيُون إِنْسان ، وخَرَّبُوها ونَهَبُوها حَتَّى تَرَكُوها أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ .

---

(١) الفَتْحُ الرَّبَّانِي : المَجْلِس (٦٢) .

وكانَ يَقُولُ رضي الله عنه : (الجِهادُ جِهادانِ : ظاهِرٌ وباطِنٌ ؛ فالباطِنُ : جِهادُ النَّفْسِ والهَوَى والطَّبْعِ والشَّيْطانِ ، والتَّوْبَةُ عَنِ المَعاصِي والزَّلَّاتِ والثَّباتُ عَلَيْها وتَرْكُ الشَّهَواتِ والمُحَرَّماتِ ، والجِهادُ الظَّاهِرُ : جِهادُ الكُفَّارِ المُعانِدِينَ لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ ولِرَسُولِهِ ﷺ ، ومُقاساةُ سُيُوفِهِمْ ورِماحِهِمْ وسِهامِهِمْ ، يَقْتِلُونَ ويُقْتَلُونَ ، والجِهادُ الباطِنُ أَصْعَبُ مِنَ الجِهادِ الظَّاهِرِ ؛ لأَنَّهُ شَيْءٌ مُلازِمٌ مُتَكَرِّرٌ ، فَمَنِ امْتَثَلَ أَمْرَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ فِي الجِهادَيْنِ حَصَلَتْ لَهُ المُجازاةُ دُنْيا وآخِرَة : الجِراحاتُ فِي جَسَدِ الشَّهِيدِ كالفَصْدِ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ ، لا أَلَمَ لَها عِنْدَهُ ، والمَوْتُ فِي حَقِّ المُجاهِدِ لِنَفْسِهِ ، والتَّائِبُ مِنْ ذُنُوبِهِ كَشُرْبِ العَطْشانِ الماءَ البارِدَ) (١) .

ويَقُولُ : مُجاهَدَةُ الشَّيْطانِ باطِنَةٌ ؛ وهِيَ بِالقَلْبِ والجَنانِ والإيمانِ ، فَإِذا جاهَدْتَهُ كانَ مَدَدُكَ الرَّحْمٰن ، ومُعْتَمَدُكَ المَلِكَ الدَّيَّان ، ورَجاؤُكَ رُؤْيَةَ وَجْهِ الجَلِيلِ المَنَّان ، وجِهادُ الكُفَّارِ جِهادُ الظَّاهِرِ بِالسَّيْفِ والرِّماحِ ، ومَدَدُكَ فِيهِ المَلِكُ والأَعْيان ، ورَجاؤُكَ فِيهِ دُخُولُ الجِنان ، فَإِنْ قُتِلْتَ فِي مُجاهَدَةِ الكُفَّارِ كانَ جَزاؤُكَ الخُلُودَ فِي دارِ البَقاءِ ،

(١) الفَتْحُ الرَّبَّانِي : المَجْلِس (١٨) .

وإنْ قُتِلْتَ فِي مُجاهَدَةِ الشَّيْطانِ ومُخالَفَتِكَ إِيَّاهُ بِفَناءِ أَجَلِكَ واخْتِرامِ مَنِيَّتِكَ كانَ جَزاؤُكَ رُؤْيَةَ وَجْهِ رَبِّ العالَمِينَ عِنْدَ اللِّقاءِ) [١].

كَيْفِيَّةُ النِّيَّةِ والدُّخُولِ فِي الخَلْوَةِ بِالطَّرِيقَةِ القادِرِيَّةِ

(اللهُمَّ إِنِّي نَوَيْتُ الخَلْوَةَ تَبَتُّلاً إِلَيْكَ وابْتِغاءً لِمَرْضاتِكَ وَوَجْهِكَ الكَرِيمِ بِفَضْلِكَ وفَيْضِكَ وجُودِكَ العَمِيمِ يا أَكْرَمَ الأَكْرَمِين) :

يَصُومُ فِي النَّهارِ ولا رُخْصَةَ فِي اللَّيْلِ بِالنَّوْمِ بَلْ يَشْتَغِلُ بِذِكْرٍ يُلْقِيهِ مُسْتَحْضِراً لِمَعْنَى الذِّكْرِ ، فَإِنْ خَطَرَ لَهُ خاطِرٌ غَيْرُ الذِّكْرِ رَجَعَ إِلَى مَعْنَى الذِّكْرِ فَإِنَّهُ يَطْرُدُهُ ، وإِنْ غَلَبَهُ النَّوْمُ فَإِذا اسْتَيْقَظَ تَوَضَّأَ عَلَى الفَوْرِ وصَلَّى رَكْعَتَيْنِ واشْتَغَلَ بِالذِّكْرِ ، ويَجْتَهِدُ فِي طَرْدِ النَّوْمِ بِالقِيامِ والمَشْيِ وتَجْدِيدِ الوُضُوءِ ، فَإِنْ غَلَبَهُ النَّوْمُ فَعلَ ما ذُكِرَ ، وبَعْدَما صَلَّى الصُّبْحَ ورَكْعَتَي الإِشْراقِ نامَ ، فَإِذا اسْتَيْقَظَ تَوَضَّأَ واشْتَغَلَ بِالذِّكْرِ بَعْدَ رَكْعَتَيْنِ .

وفِي أَوَّلِ الأَرْبَعِينَ يُفْطِرُ عَلَى رُبُعِ المِقْدارِ الَّذِي يَعْتادُهُ أَوَّلاً ويُؤَخِّرُ ثَلاثَةَ أَرْباعٍ لِلسُّحُورِ إِلَى عَشَرَةِ أَيَّام ، ثُمَّ أَوَّلِ العَشَرَةِ الثّانِي يُنْقِصُ الرُّبُعَ إِلَى سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، فَإِذا بَقِيَ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ طَوَى الثَّلاثَةَ لا يَأْكُلُ طَعاماً

---

(٢) الغُنْيَة .

إِلَّا أَنَّهُ يُفْطِرُ عَلَى الماءِ القَلِيلِ ، ثُمَّ إِذا خَرَجَ فِي الأَرْبَعِينَ يَرْجِعُ إِلَى العادَةِ بِالتَّدْرِيجِ لا دَفْعَةً .

ومِنَ الآدابِ أَنْ يَكُونَ القَصْدُ خالِصاً للهِ فَلا يَطْلُبُ إِلَّا اللهَ بِخالِصِ العُبُودِيَّةِ وأَنَّ اللهَ تَعالَى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ؛ فَإِذا تَجَلَّى لَهُ فِي خَلْوَتِهِ صُورَةٌ وقالَتْ لَهُ : أَنا اللهُ ، فَلْيَقُلْ فِي جَوابِها : سُبْحانَ اللهِ بَلْ أَنْتَ بِاللهِ ، (فَإِنَّها تَنْطَمِسُ إِنْ كانَ لِلابْتِلاءِ) ، فَإِنْ ثَبَتَ صَحَّ أَنَّهُ التَّجَلِّي الإِلَهِي فِي المَظْهَرِ الَّذِي لا يُنافِي التَّنْزِيهَ بِـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ؛ فَإِنَّهُ سُبْحانَهُ لَهُ الإِطْلاقُ الحَقِيقِيُّ فَلا يُقَيِّدُهُ الأَكْوانُ إِذا تَجَلَّى فِيها .

ومِنَ الآدابِ أَنْ لا يُكَلِّمَ أَحَداً فَإِنِ احْتاجَ إِلَى خِطابِ الخادِمِ فَلْيُفْهِمْهُ بِالإِشارَةِ أَوْ بِالكِتابَةِ فَإِنِ اضْطُرَّ إِلَى الكَلامِ فَلْيَتَكَلَّمْ بِقَدْرِ الحاجَةِ مِنْ غَيْرِ زِيادَةٍ فَإِنَّ الكَلامَ الأَجْنَبِيَّ يُورِثُ الظُّلْمَةَ ، وإِذا خَرَجَ إِلَى الوُضُوءِ فَلْيُغَطِّ رَأْسَهُ عَنِ الهَواءِ ولْيَكُنِ المَكانُ الَّذِي يَذْكُرُ فِيهِ غَيْرَ البابِ ويَسُدُّ كُلَّ ما يَدْخُلُ مِنْهُ الضَّوْءُ ، ويَسْتُرُ البابَ إِنِ احْتاجَ إِلَى السَّتْرِ لِئَلَّا يَدْخُلَ الضَّوْءُ ، ويَكُونُ بَعِيداً مِنَ الأَصْواتِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَكاناً بَيْنَ السُّكَّانِ بَعِيداً مِنَ الأَصْواتِ فَلْيَسُدَّ أُذُنَيْهِ بِغِطاءٍ ، وعِنْدَ الذِّكْرِ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ ويَكُونُ مُتَرَبِّعاً مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ غَيْرَ مُتَّكِئٍ ؛ فَإِنَّ الاتِّكاءَ يَجْلِبُ

النَّوْمَ ، ويُقَلِّلُ مِنْ شُرْبِ الماءِ فَإِنَّهُ يَجْلِبُ النَّوْمَ ، ولْيَتَحَفَّظْ مِنْ إفْشاءِ الأَسْرارِ ، ويَكُونُ ابْتِداءُ الخَلْوَةِ مِنْ أَوَّلِ حُلُولِ الشَّمْسِ فِي بُرْجِ الجَدْيِ وهُوَ أَوَّلُ الشِّتاءِ ، ويَقْعُدُ فِي الخَلْوَةِ بِقَدْرِ ما يُعَيِّنُ لَهُ الشَّيْخُ مِنَ الأَيَّامِ ويَخْرُجُ وبِاللهِ التَّوْفِيق .

أَوْرادُهُ الوارِدَةُ بِجَمِيلِ العَوائِد الوَافِيَةُ بِجَزِيلِ الفَوائِدِ لِكُلِّ طالِبٍ وزائِد

(والوِرْدُ بِاعْتِبارِهِ وَسِيلَةَ القُرْبِ إِلَى اللهِ يَكُونُ دُعاءً ، وبِاعْتِبارِهِ مِنْ رُوحِ العِبادَةِ يَكُونُ ذِكْراً ، وبِاعْتِبارِهِ خُضُوعاً لِلهِ تَعالَى يَكُونُ تَسْبِيحاً ، وبِاعْتِبارِهِ طَلَبَ رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ يَكُونُ اسْتِغْفاراً) .

ولِلطَّرِيقَةِ القادِرِيَّةِ وِرْدُها الخاصُّ بِها ، وهُوَ الحَدُّ الأَدْنَى مِنَ الذِّكْرِ الَّذِي يَجِبُ عَلَى المُرِيدِ أَنْ يُرَدِّدَهُ كُلَّ يَوْمٍ لِكَيْ يَبْقَى لِسانُهُ رَطْباً بِذِكْرِ اللهِ تَعالَى ، ولِيَجْلُوَ الصَّدأَ والرَّانَ عَنْ قَلْبِهِ ، وأَقَلُّهُ :

بَعْدَ كُلِّ صَلاةٍ :

(أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ)

٧١ مَرَّة .

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ١٦٦ مَرَّة .

(اللهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ عَدَدَ ما فِي عِلْمِ اللهِ صَلاةً دائِمَةً بِدَوامِ مُلْكِ اللهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ) ١٠٠ مَرَّة .

ويَقْرَأُ **بَعْدَ صَلاةِ الصُّبْحِ** : الفاتِحَةَ (٣٠) مَرَّة ، وسُورَةَ الإِخْلاص (١١) مَرَّة .

وبَعْدَ صَلاةِ الظُّهْرِ : الفاتِحَةَ (٢٥) مَرَّة ، وسُورَةَ الإِخْلاص (١١) مَرَّة .

وبَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ : الفاتِحَةَ (٢٠) مَرَّة ، وسُورَةَ الإِخْلاص (١١) مَرَّة .

وبَعْدَ صَلاةِ المَغْرِب : الفاتِحَةَ (١٥) مَرَّة ، وسُورَةَ الإِخْلاص (١١) مَرَّة .

وبَعْدَ صَلاةِ العِشاء : الفاتِحَةَ (١٠) مَرَّاتٍ تَمامَ المِائَةِ ، وسُورَةَ الإِخْلاص (١١) مَرَّة .

هَذا الوِرْدُ هُوَ الحَدُّ الأَدْنَى مِنَ الذِّكْرِ الَّذي يَجِبُ عَلَى المُرِيدِ تَرْدِيدُهُ كُلَّ يَوْم ، ومَنْ أَرادَ أَنْ يَتَرَقَّى فِي المَقاماتِ مِنَ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ إِلَى اللَّوَّامَةِ ، فالمُلْهَمَةِ ، فالمُطْمَئِنَّةِ ، فالرَّاضِيَةِ ، فالمَرْضِيَّةِ ، فالصَّافِيَةِ (فَلْيَلْزَمْ تَوْجِيهَ الشَّيْخِ المُرَبِّي) وثَمَّةَ أَوْرادٌ أُخْرَى عَلَيْهِ تَرْدِيدُها ؛ وهَذا مِثالٌ لِبَعْضٍ مِنْها مِنَ الأَوْرادِ القادِرِيَّةِ :

وِرْدُ البَسْمَلَةِ الشَّرِيفَة

اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِحُرْمَةِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِفَضْلِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِجَلالِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وبِجَمالِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِكَمالِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِهَيْبَةِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِمَنْزِلَةِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِمَلَكُوتِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِجَبَرُوتِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِكِبْرِياءِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِثَناءِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِبَهاءِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِكَرامَةِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِسُلْطانِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِبَرَكَةِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وبِعِزَّةِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِقُوَّةِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، وبِقُدْرَةِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ارْفَعْ قَدْرِي ، واشْرَحْ صَدْرِي ، ويَسِّرْ أَمْرِي ، وارْزُقْنِي مِنْ حَيْثُ لا يُحْتَسَبُ ، بِفَضْلِكَ وكَرَمِكَ ، يا مَنْ هُوَ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ ، وأَسْأَلُكَ بِجَلالِ العِزَّةِ وجَلالِ الهَيْبَةِ وجَبَرُوتِ العَظَمَةِ أَنْ تَجْعَلَنِي مِنْ عِبادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وأَنْ تُصَلِّيَ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وصَحْبِهِ أَجْمَعِين .

أَوْرادُ حَلقَةِ الذِّكْرِ فِي لَيْلَةِ الجُمُعَةِ

(تَقْرَأُ فِي حالَةِ الجُلُوس) :

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ١٠٠ مَرَّة .

(والأَوْرادُ التَّالِيَةُ تُقْرَأُ فِي حالَةِ القِيامِ) :

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ عَدَد ما فِي عِلْمِ الله ٣٣ مَرَّة .

﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ يا حَيُّ يا قَيُّومُ ٣٣ مَرَّة .

أَنْتَ الهادِي أَنْتَ الحَقُّ لَيْسَ الهادِي إِلَّا أَنْتَ .

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ٣٣ مَرَّة .

يا تَوَّابُ تُبْ عَلَيْنا واغْفِرْ لَنا وارْحَمْنا ٣٣ مَرَّة .

يا مُتَعالِي ارْحَمْ حالِي ، يا مُتَجَلِّي ارْحَمْ ذُلِّي ٣٣ مَرَّة .

يا رَبِّ اغْفِرْ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ مَنْ يَغْفِرُ ٣٣ مَرَّة .

يا رَبِّ انْظُرْ إِنْ لَمْ تَنْظُرْ مَنْ يَنْظُرُ ٣٣ مَرَّة .

يا رَبِّ ارْحَمْ إِنْ لَمْ تَرْحَمْ مَنْ يَرْحَمُ ٣٣ مَرَّة .

يا هُو يا هُو يا مَنْ هُوَ حَقٌّ لا إِلَهَ إِلَّا هُو ٣٣ مَرَّة .

اللّٰهُ حَيّ ١٠٠ مَرَّة .

اللّٰهُ قَيُّوم ١٠٠ مَرَّة .

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ٢٠٠ مَرَّة .

وِرْدُ الحِزْبِ الصَّغِير

اللهُمَّ حُلَّ هَذِهِ العُقْدَةَ وأَزِلْ هَذِهِ العُسْرَةَ ولَقِّنِّي حُسْنَ المَيْسُورِ ، وقِنِي سُوءَ المَقْدُورِ ، وارْزُقْنِي حُسْنَ الطَّلَبِ ، واكْفِنِي سُوءَ المُنْقَلَبِ .

اللهُمَّ حُجَّتِي وعُدَّتِي فاقَتِي ، ووَسِيلَتِي انْقِطاعُ حِيلَتِي ، ورَأْسُ مالِي عَدَمُ احْتِيالِي ، وشَفِيعِي دُمُوعِي ، وكَنْزِي عَجْزِي .

إِلَهِي قَطْرَةٌ مِنْ بِحارِ جُودِكَ تُغْنِينِي ، وذَرَّةٌ مِنْ تَيَّارِ عَفْوِكَ تَكْفِينِي ، فارْزُقْنِي وعافِنِي واعْفُ عَنِّي ، واغْفِرْ لِي ، واقْضِ حاجَتِي ونَفِّسْ كُرْبَتِي وفَرِّجْ هَمِّي واكْشِفْ غَمِّي بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

وِرْدُ حِزْبِ الحِفْظ

اللهُمَّ إِنَّ نَفْسِي سَفِينَةٌ سائِرَةٌ فِي بِحارِ طُوفانِ الإِرادَةِ حَيْثُ لا مَلْجَأَ ولا مَنْجا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ : فاجْعَلِ اللهُمَّ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وأَشْغِلْنِي اللهُمَّ بِكَ عَمَّنْ أَبْعَدَنِي عَنْكَ حَتَّى

لا أَسْأَلَكَ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، واعْصِمْنِي اللهُمَّ مِنَ الأَغْيارِ ، وصَفِّنِي اللهُمَّ مِنَ الأَكْدارِ ، واحْفَظْنِي حَتَّى لا أَسْكُنَ إِلَى شَيْءٍ بِما حَفِظْتَ بِهِ عِبادَكَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيارَ ، واذْكُرْنِي اللهُمَّ بِما ذَكَرْتَ بِهِ ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ ، وأَيِّدْنِي اللهُمَّ عِنْدَ شُهُودِ الوارِداتِ بِالاسْتِعْدادِ والاسْتِبْصارِ ، وأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ بِحارِ العِنايَةِ المُحَمَّدِيَّةِ والمَحَبَّةِ الصِّدِّيقِيَّةِ ما أَنْدَرِجُ بِهِ فِي ظُلَمِ غَياهِبِ عُيُونِ الأَنْوارِ ، واجْمَعْنِي واجْعَلْ لِي بَيْنَ سِرِّكَ المَكْنُونِ الخَفِيِّ والاسْتِظْهارِ ، واكْشِفْ لِي عَنْ سِرِّ أَسْرارِ أَفْلاكِ التَّدْوِيرِ فِي حَواشِي التَّصْوِيرِ لأَتَدَبَّرَ كُلَّ فَلَكٍ بِما أَقَمْتَهُ مِنَ الأَسْرارِ ، واجْعَلْ لِيَ الحَظَّ الخَطِيرَ المَمْدُودَ القائِمَ بِالعَدْلِ بَيْنَ الحَرْفِ والاسْمِ فَأُحِيطَ ولا أُحاطَ بِإِحاطَةِ ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ .

وصَلِّ اللهُمَّ عَلَى مَنْ حَضَرَ هَذا المَقام ؛ مَنِ ارْتَفَعَتْ مَكانَتُهُ فَقَصُرَ دُونَها كُلُّ مَرام ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ .

اللهُمَّ يا حَيُّ يا قَيُّومُ يا ذا الجَلالِ والإِكْرام أَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ لَنا فِي كُلِّ ساعَةٍ ولَحْظَةٍ وطَرْفَةٍ يَطْرُفُ بِها أَهْلُ السَّمواتِ وأَهْلُ الأَرْضِ ، وكُلُّ شَيْءٍ هُوَ فِي عِلْمِكَ كائِنٌ أَوْ قَدْ كانَ .

اللهُمَّ صَلِّ أَلْفَ أَلْفِ صَلَواتٍ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وأَصْحابِهِ وإِخْوانِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ ، وكُلَّ صَلاةٍ لا غايَةَ لَها ولا انْقِضاءَ لَها صَلاةً مُتَّصِلَةً بِالأَبَدِيَّةِ السَّرْمَدِيَّةِ ، وكُلَّ صَلاةٍ تَفُوقُ وتَفْضُلُ عَلَى صَلَواتِ المُصَلِّينَ كَفَضْلِكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

بِسْمِ اللهِ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ كُفِيتُ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ بِسْمِ اللهِ ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ حُمِيتُ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ .

بِسْمِ اللهِ الغَنِيِّ غُنِيتُ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ .

بِسْمِ اللهِ العَلِيمِ عُلِّمْتُ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

بِسْمِ اللهِ القَوِيِّ قُوِّيتُ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ مَنْ خَرَقَ بِمَرْكَبِهِ البِساطَ ، وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ ، وأَجْرِ لُطْفَكَ فِي أُمُورِي وأُمُورِ المُسْلِمِينَ ، يا رَبَّ العالَمِينَ .. آمِينَ .

خَتْمُ القادِري

ووَقْتُ قِراءَتِهِ ما بَيْنَ العِشاءَيْنِ (المَغْرِبِ والعِشاءِ) مَرَّةً واحِدَةً عَلَى سَبيلِ الوِرْدِ مِنْ غَيْرِ انْقِطاعٍ ولِكُلِّ مُهِمٍّ ظاهِراً وباطِناً وَقْتَ حُدُوثِ المُهِمِّ كُلَّ لَيْلَةٍ مَرَّةً واحِدَةً إِلَى أَنْ يُقْضَى ذَلِكَ المُهِمُّ أَوْ يَزُولَ ذَلِكَ الغَمُّ ؛ وهُوَ :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ (١١١) مَرَّة .

سُبْحانَ اللهِ والحَمْدُ للهِ ولا إِلَهَ إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ (١١١) مَرَّة .

شَيْئاً للهِ يا حَضْرَةَ سُلْطانِ شَيْخ سَيِّدِي عَبْدِ القادِرِ الجَيْلانِي (٣١١) مَرَّة .

(سُورَةُ يٓس) مَرَّةً واحِدَةً ، و(سُورَةُ أَلَمْ نَشْرَحْ) (١٤١)مَرَّة .

يا باقِي أَنْتَ الباقِي (١١١) مَرَّة .

يا غَوْثُ أَغِثْنِي بِإِذْنِ الله (١١١) مَرَّة .

يا حَضْرَةَ مُحْيِي الدِّينِ مُشْكُلْ كُشا بِالخَيْرِ (١١١) مَرَّة .

اللهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلِّمْ .

ولَهُ رضي الله عنه هَذِهِ الرَّابِطَةُ والتَّوَجُّهُ القَلْبِي

(قَلْبِي قُطْبِي وقالَبِي لُبْنانِي ، سِرِّي خَضِرِي وعَيْنُهُ عِرْفانِي ، هارُونُ

عَقْلِي ، وكَلِيمِي رُوحِي ، فِرْعَوْنِي نَفْسِي ، والهَوَى هامانِي) ٧ مَرَّات .

دُعاءُ الجَلالَةِ لِلْجَيْلانِي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِسِرِّ الذَّاتِ وبِذاتِ السِّرِّ هُوَ أَنْتَ وأَنْتَ هُوَ ، احْتَجَبْتُ بِنُورِ اللهِ وبِنُورِ عَرْشِ اللهِ وبِكُلِّ اسْمِ اللهِ مِنْ عَدُوِّي وعَدُوِّ اللهِ بِمِائَةِ أَلْفِ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، خَتَمْتُ عَلَى نَفْسِي وعَلَى أَهْلِي وعَلَى كُلِّ شَيْءٍ أَعْطانِيهُ رَبِّي بِخاتَمِ اللهِ المَنِيعِ الَّذِي خَتَمَ بِهِ السَّمَواتِ والأَرْضَ ، وحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ أَجْمَعِين .

بَشائِرُ الخَيْراتِ فِي الصَّلاةِ عَلَى صاحِبِ الآياتِ البَيِّناتِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ للمُؤْمِنِينَ بِما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ للذَّاكِرِينَ بِما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ ، ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم

مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ للعامِلِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ وبما قالَ : ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ للأَوَّابِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ ، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ للتَّوَّابِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ للمُخْلِصِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ ، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلْخاشِعِينَ بما قالَ اللهُ

العَظِيمُ : ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ ، ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلمُصَلِّينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ ، ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلصَّابِرِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلخائِفِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ ، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلمُتَّقِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ

وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ ، ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلمُخْبِتِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلصَّابِرِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ ، ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلْكاظِمِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلمُحْسِنِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلشَّاكِرِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلْمُنْفِقِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلْمُتَصَدِّقِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلسَّائِلِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلصَّالِحِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلْمُصَلِّينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ ، ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلْمُبَشَّرِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ، ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلفائِزِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلزَّاهِدِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلأُمِّيِّينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلْمُصْطَفَيْنَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلمُذْنِبِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلْعابِدِينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ

خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ .

اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ البَشِيرِ المُبَشِّرِ لِلمُسْلِمينَ بما قالَ اللهُ العَظِيمُ : ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ ، ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ .

وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم .

زادُ المُؤانِس

التَّذْكِيرُ بما قالَهُ الجَيْلانِي بِبَعْضِ المَجالِس

هَذا مِمَّا قالَهُ سَيِّدِي عَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي ﷺ بُكْرَةَ يَوْمِ الأَحَدِ بِالرِّباطِ ثالِثَ شَوَّالٍ سَنَةَ (٥٤٥ هـ) :

الاعْتِراضُ عَلَى الحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ نُزُولِ الأَقْدارِ مَوْتُ الدِّينِ ، مَوْتُ

التَّوْحِيدِ : مَوْتُ التَّوَكُّلِ والإِخْلاص .

والنَّفْسُ المُؤْمِنُ لا يَعْرِفُ لِمَ ؟ وكَيْفَ ؟ بَلْ يَقُولُ : بَلاءُ النَّفْسِ كُلِّها مُخالَفَةٌ مُنازَعَةٌ ؛ فَمَنْ أَرادَ إِصْلاحَها فَلْيُجاهِدْها حَتَّى يَأْمَنَ شَرَّها (كُلُّها شَرٌّ فِي شَرٍّ) ؛ فَإِذا جُوهِدَتْ واطْمَأَنَّتْ صارَتْ كُلُّها خَيْراً فِي خَيْرٍ ، تَصِيرُ مُوافِقَةً فِي جَمِيعِ الطَّاعات ، وفِي تَرْكِ المَعاصِي ، فَحِينَئِذٍ يُقالُ لَها : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ .

صَلاحُ القَلْبِ بِالتَّقْوَى والتَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ والتَّوْحِيدِ لَهُ والإِخْلاصِ فِي الأَعْمالِ ، وفَسادُهُ بِعَدَمِ ذَلِكَ ، القَلْبُ طائِرٌ فِي قَفَصِ البِنْيَةِ[1] كَ (دُرَّةٍ) فِي حُقَّةٍ[2] ، كَ (مالٍ) فِي خِزانَةٍ ، فالاعْتِبارُ بِالطَّائِرِ لا بِالقَفَصِ ، بِالدُّرَّةِ لا بِالحُقَّةِ ، بِالمالِ لا بِالخِزانَةِ .

اللهُمَّ اشْغَلْ جَوارِحَنا بِطاعَتِكَ ، وقُلُوبَنا بِمَعْرِفَتِكَ ، واشْغَلْنا طُولَ حَياتِنا فِي لَيْلِنا ونَهارِنا وأَلْحِقْنا بِالَّذِينَ تَقَدَّمُوا مِنَ الصَّالِحِينَ ، وارْزُقْنا ما رَزَقْتَهُمْ وكُنْ لَنا كَما كُنْتَ لَهُمْ .. آمِين .

(يا قَوْم) كُونُوا للهِ عَزَّ وجَلَّ كَما كانَ الصَّالِحُونَ لَهُ ، حَتَّى يَكُونَ لَكُمْ

---

(١) البِنْيَة : الجِسْم .
(٢) حُقَّة : وِعاءٌ مِنْ خَشَب .

كَما كانَ لَهُمْ ، إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَكُونَ الحَقُّ عَزَّ وجَلَّ لَكُمْ فاشْتَغِلُوا بطاعَتِهِ والصَّبْرِ مَعَهُ ، والرِّضا بِأَفْعالِهِ فِيكُمْ وفِي غَيْرِكُمْ ، القَوْمُ زَهِدُوا فِي الدُّنْيا وأَخَذُوا أَقْسامَهُمْ[1] مِنْها بِيَدِ التَّقْوَى والوَرَعِ ، ثُمَّ طَلَبُوا الآخِرَةَ وعَمِلُوا أَعْمالَها ؛ عَصَوْا نُفُوسَهُمْ وأَطاعُوا رَبَّهُمْ عَزَّ وجَلَّ ، وَعَظُوا نُفُوسَهُمْ ثُمَّ وَعَظُوا نُفُوسَ غَيْرِهِمْ .

(يا غُلام) عِظْ نَفْسَكَ أَوَّلاً ثُمَّ عِظْ نَفْسَ غَيْرِكَ ، عَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ[2] نَفْسِكَ ، لا تَتَعَدَّ إِلَى غَيْرِكَ وقَدْ بَقِيَ عِنْدَكَ بَقِيَّةٌ تَحْتاجُ إِلَى إِصْلاحِها ، وَيْحَكَ أَنْتَ تَعْرِفُ كَيْفَ تُخَلِّصُ غَيْرَكَ ؟! كَيْفَ تَقُودُ غَيْرَكَ ؛ إِنَّما يَقُودُ النَّاسَ البَصِيرُ ، إِنَّما يُخَلِّصُهُمْ مِنَ البَحْرِ السَّابِحُ المَحْمُودُ ؛ إِنَّما يَرُدُّ النَّاسَ إِلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ مَنْ عَرَفَهُ ، أَمَّا مَنْ جَهِلَهُ كَيْفَ يَدُلُّ عَلَيْهِ ؟ لا كَلامَ لَكَ فِي تَصَرُّفِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ حَتَّى تُحِبَّهُ وتَعْمَلَ لَهُ لا لِغَيْرِهِ ، وتَخافَ مِنْهُ لا مِنْ غَيْرِهِ ، هَذا بِالقَلْبِ لا بِقَلْقَلَةِ[3] اللِّسانِ ، هَذا فِي الخَلْوَةِ يَكُونُ لا فِي الجَلْوَةِ[4] ، إِذا كانَ التَّوْحِيدُ بابَ الدَّارِ والشِّرْكُ داخِلَ دارٍ فَهُوَ النِّفاقُ بِعَيْنِهِ ؛ وَيْحَكَ ! أَنْتَ لِسانُكَ يَتَّقِي وقَلْبُكَ يَفْجُرُ ، لِسانُكَ يَشْكُرُ وقَلْبُكَ يَعْتَرِضُ ، قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : (يا ابْنَ آدَمَ خَيْرِي

---

(١) أَقْسامَهُمْ : ما قُسِمَ لَهُمْ .
(٢) خُوَيْصَة : تَصْغِير خاصَّة .
(٣) قَلْقَلَة : قَلْقَل : حَرَّكَ .
(٤) الجَلْوَة : نَقِيضُ الخَلْوَة .

إِلَيْكَ نازِلٌ وشَرُّك إِلَيَّ صاعِدٌ)[1] .

وَيْحَكَ ! تَدَّعِي أَنَّكَ عَبْدُهُ وتُطِيعُ سِواهُ ، لَوْ أَنَّكَ عَبْدُهُ عَلَى الحَقِيقَةِ لَعادَيْتَ فِيهِ ووالَيْتَ فِيهِ ، والمُؤْمِنُ المُوقِنُ لا يُطِيعُ نَفْسَهُ وشَيْطانَهُ وهَواهُ ، لا يَعْرِفُ الشَّيْطانَ حَتَّى يُطِيعَهُ ، لا يُبالِي بالدُّنْيا حَتَّى يَذِلَّ لَها ؛ بَلْ يُهِينُها ويَطْلُبُ الآخِرَةَ فَإِذا حَصَلَتْ لَهُ تَرَكَها واتَّصَلَ بِمَوْلاهُ عَزَّ وجَلَّ ، يُخْلِصُ عِبادَتَهُ لَهُ فِي جَمِيعِ أَوْقاتِهِ ، سَمِعَ قَوْلَهُ عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[2] .

دَعْ عَنْكَ الشِّرْكَ بِالخَلْقِ ووَحِّدِ الحَقَّ ؛ هُوَ خالِقُ الأَشْياءِ جَمِيعِها وبِيَدِهِ الأَشْياءُ جَمِيعُها ، يا طالِبَ الأَشْياءِ مِنْ غَيْرِهِ ما أَنْتَ عاقِلٌ هَلْ شَيْءٌ لَيْسَ هُوَ فِي خَزائِنِ اللهِ تَعالَى ؟! قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾[3] .

(يا غُلام) نَمْ تَحْتَ مِيزابِ القَدَرِ مُتَوَسِّداً[4] بِالصَّبْرِ مُتَقَلِّداً بِالمُوافَقَةِ عابِداً بِانْتِظارِ الفَرَجِ ؛ فَإِذا كُنْتَ هَكَذا صَبَّ عَلَيْكَ المُقَدِّرُ مِنْ فَضْلِهِ ومِنَنِهِ ما لا تُحْسِنُ تَطْلُبُهُ وتَتَمَنَّاهُ .

(يا قَوْم) وافِقُوا القَدَرَ واقْبَلُوا مِنْ عَبْدِ القادِرِ المُجْتَهِدِ فِي مُوافَقَةِ

---

(١) جامِعُ الأَحادِيثِ القُدْسِيَّة .
(٢) سُورَةُ البَيِّنَة : مِنَ الآيَة ٥ .
(٣) سُورَةُ الحِجْر : مِنَ الآيَة ٢١ .
(٤) مُتَوَسِّداً : تَوَسَّدَ : جَعَلَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ .

القَدَرِ ، مُوافَقَتِي لِلقَدَرِ تُقَدِّمُنِي إلَى القادِرِ .

(يا قَوْم) تَعالَوْا نَذَرُ لِلّهِ عَزَّ وجَلَّ ولِقَدَرِهِ وفِعْلِهِ ، ونُطَأْطِئُ رُؤُوسَ ظَواهِرِنا وبَواطِنِنا نُوافِقُ القَدَرَ ونَمْشِي فِي رِكابِهِ ؛ لأَنَّهُ رَسُولُ المَلِكِ نُكْرِمُهُ لأَجْلِ مُرْسِلِهِ ، فَإذا فَعَلْنا ذَلِكَ مَعَهُ حَمَلَنا فِي صُحْبَتِهِ إلَى القادِرِ ؛ ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ (١) .

يَهْنَأُ لَكَ الشُّرْبُ مِنْ بَحْرِ عِلْمِهِ ، والأَكْلُ مِنْ سِماطِ فَضْلِهِ ، والاسْتِئْناسُ بِأُنْسِهِ ، والتَّغَمُّدُ بِرَحْمَتِهِ ؛ هَذا لآحادٍ أَفْرادٍ مِنْ كُلِّ أَلْفِ أَلْفٍ واحِدٌ مِنْ جَمِيعِ العَشائِرِ والقَبائِلِ .

(يا غُلام) عَلَيْكَ بِالتَّقْوَى عَلَيْكَ بِحُدُودِ الشَّرْعِ والمُخالَفَةِ لِلنَّفْسِ والهَوَى والشَّيْطانِ وأَقْرانِ السُّوءِ ، المُؤْمِنُ فِي جِهادِ هَؤُلاءِ لا يَنْكَشِفُ رَأْسُهُ عَنِ الخَوْذَةِ (٢) ، لا يَنْغَمِدُ سَيْفُهُ ، لا يَعْرَىٰ ظَهْرُ فَرَسِهِ عَلَى قَرَبُوسِ (٣) سَرْجِهِ ، يَنامُ نَوْمَ النَّوْمِ غَلَبَةُ القَوْمِ ؛ أَكْلُهُمْ فاقَةٌ (٤) كَلامُهُمْ ضَرُورَةٌ ، الخَرَسُ دَأْبُهُمْ ، وإنَّما قَدَرُ رَبِّهِمْ يُنْطِقُهُمْ فِعْلُ اللّهِ يُنْطِقُهُمْ ويُحَرِّكُ مَنْطِقَهُمْ فِي الدُّنْيا ، كَما تَنْطِقُ الجَوارِحُ غَداً يَوْمَ القِيامَةِ يُنْطِقُهُمُ اللّهُ عَزَّ وجَلَّ الَّذِي يُنْطِقُ كُلَّ ناطِقٍ ، يُهَيِّئُ لَهُمْ أَسْبابَ النُّطْقِ

---

(١) سُورَةُ الكَهْف : مِنَ الآيَة ٤٤ .

(٢) الخَوْذَةُ : ما يَسْتُرُ رَأْسَ المُقاتِل .

(٣) القَرَبُوس : حِنْوُ السَّرْج .

(٤) الفاقَةُ : الفَقْرُ والحاجَة .

فَيَنْطِقُونَ ، إِذا أَرادَهُمْ لأَمْرٍ فَهَيَّأَهُمْ لَهُ ؛ أَرادَ أَنْ يُبَلِّغَ الخَلْقَ بالمُدارَةِ والبِشارَةِ لارْتِكابِ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فَأَنْطَقَ الأَنْبِياءَ والمُرْسَلِينَ ، فَلَمَّا قَبَضَهُمْ إِلَيْهِ أَقامَ العُلَماءَ العُمَّالَ بِعِلْمِهِمْ فَيُنْطِقُهُمْ بِما يَصْلُحُ نِيابَةً عَنْهُمْ ، قالَ النَّبِيُّ ﷺ : (إِنَّ العُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ)[1] .

(يا قَوْم) اشْكُروا اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ عَلَى نِعَمِهِ وانْظُرُوها مِنْهُ ، فَإِنَّهُ قالَ : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[2] .

(يا غُلام) لا تَكُنْ مَعَ النَّفْسِ ، ولا مَعَ الهَوَى ، ولا مَعَ الدُّنْيا ، ولا مَعَ الآخِرَةِ ، ولا تُتابعْ سِوَى الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ ، وقَدْ وَقَعْتَ بِالكَنْزِ الَّذِي لا يَفْنَى أَبَداً ، حِينَئِذٍ تَجِيئُكَ الهِدايَةُ مِنَ الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ الَّتِي لا ضَلالَ بَعْدَها ، تُبْ عَنْ ذُنُوبِكَ وهَرْوِلْ عَنْها إِلَى مَوْلاكَ عَزَّ وجَلَّ ، إِذا تُبْتَ فَلْيَتُبْ ظاهِرُكَ وباطِنُكَ ، اخْلَعْ ثِيابَ المَعاصِي بِالتَّوْبَةِ الخالِصَةِ والحَياءِ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ حَقِيقَةً لا مَجازاً ، هَذا مِنْ أَعْمالِ القُلُوبِ بَعْدَ طَهارَةِ الجَوارِحِ بِأَعْمالِ الشَّرْعِ ، القالِبُ لَهُ عَمَلٌ والقَلْبُ لَهُ عَمَلٌ ، القَلْبُ إِذا خَرَجَ مِنْ فَيافِي[3] الأَسْبابِ والتَّعَلُّقِ بِالخَلائِقِ رَكِبَ بَحْرَ التَّوَكُّلِ والمَعْرِفَةِ بِاللهِ تَعالَى والعِلْمِ بِهِ ، وتَرَكَ السَّبَبَ وطَلَبَ المُسَبِّبَ ، فَإِذا

---

(١) سُنَنُ التِّرْمِذِي .
(٢) سُورَةُ النَّحْل : مِنَ الآيَة ٥٣ .
(٣) الفَيافِي : الصَّحراء المَلْساء .

تَوَسَّطَ هَذا البَحْرَ فَهُنالِكَ يَقُولُ : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [1] .

فَيُهْدَى مِنْ ساحِلٍ إلَى ساحِلٍ ، ومِنْ مَوْضِعٍ إلَى مَوْضِعٍ ، حَتَّى يَقِفَ عَلَى الجادَّةِ المُسْتَقِيمَةِ ، فَكُلَّما ذَكَرَ رَبَّهُ تَجَلَّتْ جادَّتُهُ وانْكَشَفَ الدَّغَلُ [2] عَنْها ؛ قَلْبُ الطَّالِبِ لِلحَقِّ عَزَّ وجَلَّ يَقْطَعُ المَسافاتِ ويُخَلِّفُ الكُلَّ وَراءَهُ ، فَإذا خافَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ مِنَ الهَلاكِ بَرَزَ إيمانُهُ فَشَجَّعَهُ فَتَخْمِدُ نِيرانُ الوَحْشَةِ والخَوْفِ ، ويَأْتِي بَدَلَها نُورُ الأُنْسِ والفَرَحُ بِالقُرْبِ .

(يا غُلام) لا يَكُنْ هَمُّكَ ما تَأْكُلُ وما تَشْرَبُ وما تَلْبَسُ وما تَنْكِحُ وما تَسْكُنُ وما تَجْمَعُ ؛ كُلُّ هَذا هَمُّ النَّفْسِ والطَّبْعِ ، فَأَيْنَ هَمُّ القَلْبِ والسِّرِّ وهُوَ طَلَبُ الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ .. هَمُّكَ ما أَهَمَّكَ ، فَلْيَكُنْ هَمُّكَ رَبَّكَ عَزَّ وجَلَّ وما عِنْدَهُ ، الدُّنْيا لَها بَدَلٌ وهُوَ الآخِرَةُ ، والخَلْقُ لَهُمْ بَدَلٌ وهُوَ الخالِقُ عَزَّ وجَلَّ ، كُلَّما تَرَكْتَ شَيْئاً مِنْ هَذا العاجِلِ أَحْدَثَ عِوَضَهُ وخَيْراً مِنْهُ فِي الآجِلِ ؛ قَدِّرْ أَنْ قَدْ بَقِيَ مِنْ عُمُرِكَ هَذا اليَوْمُ فَحَسْب ، تَهَيَّأْ للآخِرَةِ لِمَجِيءِ مَلَكِ المَوْتِ .

وهَذا مِمَّا قالَهُ ﷺ يَوْمَ الثُّلاثاءِ عَشِيَّةً بِالمَدْرَسَةِ ثانِي عَشَر شَوَّال سَنَةَ (٥٤٥ هـ) :

---

(١) سورَةُ الشُّعَراء : الآيَة ٧٨ .

(٢) الدَّغَلُ : الفَسادُ .

(يا غُلام) أَيْنَ عُبُودِيَّةُ الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ ، هاتِ حَقِيقَةَ العُبُودِيَّةِ وخُذِ الكِفايَةَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ : أَنْتَ عَبْدٌ آبِقٌ مِنْ مَوْلاكَ ارْجِعْ إِلَيْهِ وذِلَّ لَهُ وتَواضَعْ لأَمْرِهِ بِالامْتِثال ، ولِنَهْيِهِ بِالانْتِهاءِ ، ولِقَضائِهِ بِالصَّبْرِ والمُوافَقَةِ ؛ إِذا تَمَّ لَكَ هَذا تَمَّتْ عُبُودِيَّتُكَ لِسَيِّدِكَ وجاءَتْكَ مِنْهُ الكِفايَةُ ، قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ (١) .

إِذا صَحَّتْ عُبُودِيَّتُكَ لَهُ أَحَبَّكَ وقَوِيَ حُبُّهُ فِي قَلْبِكَ وآنَسَكَ بِهِ وقَرَّبَكَ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ ولا طَلَبٍ لَكَ صُحْبَةَ غَيْرِهِ فَتَكُونَ راضِياً عَنْهُ فِي جَمِيعِ الأَحْوال ؛ فَلَوْ ضَيَّقَ عَلَيْكَ الأَرْضَ بِرَحْبِها ، وسَدَّ عَلَيْكَ الأَبْوابَ بِسِعَتِها لَمْ تَسْخَطْ عَلَيْهِ ، لَمْ تَقْرُبْ بابَ غَيْرِهِ ، لَمْ تَأْكُلْ مِنْ طَعامِ غَيْرِهِ ، تَلْتَحِقُ بِسَيِّدِنا مُوسَى عليه السلام حَيْثُ قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فِي حَقِّهِ : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ (٢) .

رَبُّنا عَزَّ وجَلَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شاهِدٌ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ حاضِرٌ ، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ ، ومِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَرِيبٌ لا غُنْيَةَ لَكُمْ عَنْهُ ؛ ما أَمَرَّ الإِنْكارَ بَعْدَ المَعْرِفَةِ .. وَيْحَك ! تَعْرِفُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ وتَرْجِعُ تُنْكِرُهُ ، لا تَرْجِعْ عَنْهُ فَإِنَّكَ تُحْرَمُ الخَيْرَ كُلَّهُ ، اصْبِرْ مَعَهُ ولا تَصْبِرْ عَنْهُ ، أَما عَلِمْتَ أَنَّ مَنْ

---

(١) سُورَةُ الزُّمَر : مِنَ الآيَة ٣٦ .
(٢) سُورَةُ القَصَص : مِنَ الآيَة ١٢ .

صَبَرَ قَدَرَ[1] ، أَيش هَذا العَقْل ؟ وأَيش هَذِهِ العَجلَة ؟! قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2] .

وفِي الصَّبْرِ آياتٌ كَثِيرَةٌ فِي القُرْآنِ تَدُلُّ عَلَى ما فِيهِ مِنَ الخَيْرِ والنِّعَم ، وحُسْنِ الجَزاءِ والعَطاءِ والرَّاحَةِ دُنْيا وأُخْرَى ، عَلَيْكُمْ بِهِ وقَدْ رَأَيْتُمُ الخَيْرَ عاجِلاً وآجِلاً ، عَلَيْكُمْ بِزِيارَةِ القُبُورِ والقَصْدِ إِلَى الصَّالِحِينَ وفِعْلِ الخَيْرِ وقَدِ اسْتَقامَ أَمْرُكُمْ ، لا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ إِذا وُعِظُوا لَمْ يَتَّعِظُوا ، وإِذا سَمِعُوا لَمْ يَعْمَلُوا ؛ ذِهابُ دِينِكُمْ بِأَرْبَعَةِ أَشْياء :

الأَوَّل) أَنَّكُمْ لا تَعْمَلُونَ بِما تَعْلَمُونَ .

الثَّانِي) أَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ بِما لا تَعْلَمُونَ .

الثَّالِث) أَنَّكُمْ لا تَتَعَلَّمُونَ ما لا تَعْلَمُونَ فَتَبْقَوْنَ جُهَّالاً .

الرَّابِع) أَنَّكُمْ تَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنْ تَعَلُّم ما لا يَعْلَمُون .

(يا قَوْم) أَنْتُمْ إِذا حَضَرْتُمْ مَجالِسَ الذِّكْرِ تَحْضُرُونَها لِلفُرْجَةِ لا لِلمُداواةِ ؛ تُعْرِضُونَ عَنْ وَعْظِ الواعِظِ وتَحْفَظُونَ عَلَيْهِ الخَطَأَ والزَّلَلَ ، تَسْتَهْزِئُونَ وتَضْحَكُونَ وتَلْعَبُونَ ، أَنْتُمْ مُخاطِرُونَ بِرُؤُوسِكُمْ

---

(١) مَنْ صَبَرَ قَدَرَ : مَنْ صَبَرَ وَصَلَ إِلَى مُرادِهِ .

(٢) سُورَةُ آلِ عِمْران : الآيَة ٢٠٠ .

مَعَ اللّهِ تَعالَى ، تُوبُوا مِنْ هَذا لا تَتَشَبَّهُوا بِأَعْداءِ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ ، وانْتَفِعُوا بما تَسْمَعُون .

(يا غُلام) قَدْ تَقَيَّدْتَ بِالعادَةِ وقَدْ تَقَيَّدْتَ بِطَلَبِ الأَقْسام ، والوُقُوفِ مَعَ السَّبَبِ ونِسْيانِ المُسَبِّبِ والتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ ، عَلَيْكَ بِاسْتِئْنافِ العَمَلِ والإِخْلاصِ فِيهِ ، قالَ اللّهُ عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١) .

ما خَلَقَهُمْ لِلهَوَسِ ، وما خَلَقَهُمْ لِلَعِبٍ ، وما خَلَقَهُمْ للأَكْلِ والشُّرْبِ والنَّوْمِ والنِّكاحِ .. تَنَبَّهُوا مِنْ غَفَلاتِكُمْ ، يَخْطُو قَلْبُكَ إِلَيْهِ خُطْوَةً ويَخْطُو حُبُّهُ إِلَيْكَ خُطُواتٍ ، هُوَ إِلَى لِقاءِ المُحِبِّينَ أَشْوَقُ مِنْهُمْ : ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

إذا أَرادَ عَبْداً لأَمْرٍ هَيَّأَهُ لَهُ ، هَذا شَيْءٌ يَتَعَلَّقُ بِالمَعانِي لا بِالصُّوَرِ ، إِذا تَمَّ لِعَبْدٍ ما ذَكَرْتُ صَحَّ زُهْدُهُ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ وما سِوَى المَوْلَى ؛ تَجِيئُهُ الصِّحَّةُ يَجِيئُهُ المُلْكُ والسَّلْطَنَةُ والإمارَةُ ، تَصِيرُ ذَرَّتُهُ جَبَلاً ، قَطْرَتُهُ بَحْراً ، كَوْكَبُهُ قَمَراً وقَمَرُهُ شَمْساً ؛ قَلِيلُهُ كَثِيراً ، مَحْوُهُ وُجُوداً ، فَناؤُهُ بَقاءً ، تَحَرُّكُهُ ثَباتاً ، تَعْلُو شَجَرَتُهُ وتَشْمَخُ إِلَى العَرْشِ أَصْلُها إِلَى الثَّرَى ويُظِلُّ أَغْصانُها الدُّنْيا والآخِرَةَ ! ما هَذِهِ الأَغْصانُ ؟ الحِكَمُ

---

(١) سُورَةُ الذّارِيات : الآيَة ٥٦ .

والعِلْمُ ؛ تَصِيرُ الدُّنْيا عِنْدَهُ كَحَلَقَةِ الخاتَم ، لا دُنْيا تَمْلِكُهُ ، ولا أُخْرَى تُقَيِّدُهُ ، لا يَمْلِكُهُ مَلِكٌ ولا مَمْلُوكٌ ، لا يَحْجِبُهُ حاجِبٌ ، لا يَأْخُذُهُ أَحَدٌ ، لا يُكَدِّرُهُ[1] كَدَرٌ ، فَإِذا تَمَّ هَذا صَلَحَ هَذا العَبْدُ لِلْوُقُوفِ مَعَ الخَلْقِ والأَخْذِ بِأَيْدِيهِمْ وتَخْلِيصِهِمْ مِنْ بَحْرِ الدُّنْيا ، فَإِنْ أَرادَ الحَقُّ تَعالَى بِالعَبْدِ خَيْراً جَعَلَهُ دَلِيلَهُمْ وطَبِيبَهُمْ ومُؤَدِّبَهُمْ ومُدَرِّبَهُمْ ، وتُرْجُمانَهُمْ وسانِحَهُمْ ، ومِنْحَتَهُمْ وسِراجَهُمْ وشَمْسَهُمْ ، فَإِنْ أَرادَ مِنْهُ ذَلِكَ كانَ وإِلَّا حَجَبَهُ عِنْدَهُ وغَيَّبَهُ عَنْ غَيْرِهِ ، آحادٌ أَفْرادٌ مِنْ هَذا الجِنْسِ يَرُدُّهُمْ إِلَى الخَلْقِ مَعَ الحِفْظِ الكُلِّيِّ والسَّلامَةِ الكُلِّيَّةِ ، يُوَفِّقُهُمْ لِمَصالِحِ الخَلْقِ وهِدايَتِهِمْ ، الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيا يُبْتَلَى بالآخِرَةِ ، والزَّاهِدُ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ يُبْتَلَى بِرَبِّ الدُّنْيا والآخِرَةِ .. قَدْ غَفَلْتُمْ كَأَنَّكُمْ لا تَمُوتُونَ ، وكَأَنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ لا تُحْشَرُونَ ، وبَيْنَ يَدَي الحَقِّ لا تُحاسَبُونَ ، عَلَى الصِّراطِ لا تَجُوزُونَ ؛ هَذِهِ صِفاتُكُمْ وأَنْتُمْ تَدَّعُونَ الإِسْلامَ والإِيمانَ ، هَذا القُرْآنُ والعِلْمُ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ ، إِذا لَمْ تَعْمَلُوا بِهِما إِذا حَضَرْتُمْ عِنْدَ العُلَماءِ ولَمْ تَقْبَلُوا ما يَقُولُونَ كانَ حُضُورُكُمْ عِنْدَهُمْ حُجَّةً عَلَيْكُمْ يَكُونُ عَلَيْكُمْ إِثْمُ ذَلِكَ ، كَما لَوْ لَقِيتُمُ الرَّسُولَ ﷺ ولَمْ تَقْبَلُوا مِنْهُ ،

---

(١) يُكَدِّرُهُ : يُعَكِّرُ صَفْوَهُ .

يَوْمَ القِيامَةِ يَعُمُّ الخَلْقَ كُلَّهُمُ الخَوْفُ مِنْ جَلالِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ وعَظَمَتِهِ وكِبْرِيائِهِ وعَدْلِهِ ، تَذْهَبُ مُلوكُ الدُّنْيا ويَبْقَى ، يَرْجِعُ الكُلُّ إلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ ويَظْهَرُ مُلْكُ القَوْمِ يَظْهَرُ عِزُّهُمْ وغِناهُمْ وإكْرامُ الحَقِّ تَعالَى لَهُمُ اليَوْمَ ؛ شَحَنُوا العِبادَ والبِلادَ وأَوْتادَ الأَرْضِ ؛ قِوامُ الأَرْضِ بِهِمْ ، هُمْ أُمَراءُ الخَلْقِ ورُؤساؤُهُمْ ، ونُوَّابُ الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ ، فَهُمْ مِنْ حَيْثُ المَعْنَى لا مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ ، اليَوْمَ مَعْنًى وغَداً صُورَةٌ ، شَجاعَةُ المُخاصِمِينَ لِلكُفَّارِ فِي لِقائِهِمْ والثَّباتِ مَعَهُمْ ، وشَجاعَةُ الصَّالِحِينَ فِي لِقاءِ نُفُوسِهِمْ والأَهْوِيَةِ والطِّباعِ والشَّياطِينِ وأَقْرانِ السُّوءِ الَّذِينَ هُمْ شَياطِينُ الإِنْسِ ، وشَجاعَةُ الخَواصِّ فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ وسِوَى الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ فِي الجُمْلَةِ .

(يا غُلام) تَصْحَبُ الجُهَّالَ فَيَتَعَدَّى إلَيْكَ مِنْ جَهْلِهِمْ ! صُحْبَةُ الأَحْمَقِ صُحْبَةُ غُبْنٍ[1] ، اصْحَبِ المُؤْمِنِينَ المُوقِنِينَ العالِمِينَ بِعِلْمِهِمْ ، ما أَحْسَنَ أَحْوالَ المُؤْمِنِينَ فِي جَمِيعِ تَصَرُّفاتِهِمْ ، ما أَقْواهُمْ عَلَى مُجاهَداتِهِمْ وقَهْرِهِمْ لِنُفُوسِهِمْ وأَهْوِيَتِهِمْ ، ولِهَذا قالَ النَّبِيُّ ﷺ : (بِشْرُ المُؤْمِنِ فِي وَجْهِهِ وحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ) .

---

(١) الغُبْنُ : الخَسارَةُ .

هَذا مِنْ قُوَّتِهِ قَدَرَ عَلَى أَنْ يُظْهِرَ البِشْرَ فِي وُجُوهِ الخَلْقِ ويَكْتُمَ الحُزْنَ فِيما بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ تَعالَى ؛ هَمُّهُ دائِمٌ ، كَثِيرُ التَّفَكُّرِ ، كَثِيرُ البُكاءِ ، قَلِيلُ الضَّحِكِ ، ولِهَذا قالَ النَّبِيُّ ﷺ : (لا راحَةَ لِمُؤْمِنٍ مِنْ غَيْرِ لِقاءِ رَبِّهِ عَزَّ وجَلَّ) .

المُؤْمِنُ يَسْتُرُ حُزْنَهُ بِبِشْرِهِ ، ظاهِرُهُ يَتَحَرَّكُ فِي الكَسْبِ ، وباطِنُهُ ساكِنٌ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وجَلَّ ، ظاهِرُهُ لِعِيالِهِ ، وباطِنُهُ لِرَبِّهِ عَزَّ وجَلَّ ، لا يُفْشِي سِرَّهُ إِلَى أَهْلِهِ ووَلَدِهِ وجارِهِ وجارَتِهِ ، ولا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ رَبِّهِ عَزَّ وجَلَّ ، يَسْمَعُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ : (اسْتَعِينُوا عَلَى حَوائِجِكُمْ بِالكِتْمانِ) .

لا يَزالُ يَكْتُمُ ما عِنْدَهُ ، فَإِنْ جاءَتْهُ غَلَبَةٌ أَوْ تَمَّتْ مِنْ لِسانِهِ كَلِمَةٌ فَيَتَدارَكُ الأَمْرَ ويُغَيِّرُ العِبارَةَ ، ويَسْتُرُ ما ظَهَرَ مِنْهُ ، ويَعْتَذِرُ مِمَّا بَدا مِنْهُ .

(يا غُلامُ) اجْعَلْنِي مِرْآتَكَ ، اجْعَلْنِي مِرْآةَ قَلْبِكَ وسِرِّكَ ، مِرْآةَ أَعْمالِكَ ، ادْنُ مِنِّي فَإِنَّكَ تَرَى فِي نَفْسِكَ ما لا تَراهُ مَعَ البُعْدِ عَنِّي ، إِنْ كانَ لَكَ حاجَةٌ فِي دِينِكَ فَعَلَيْكَ بِي فَإِنِّي لا أُحابِيكَ فِي دِينِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، دَعْ دُنْياكَ فِي بَيْتِكَ وادْنُ مِنِّي ، فَإِنِّي واقِفٌ عَلَى بابِ الآخِرَةِ ، قِفْ عِنْدِي واسْمَعْ قَوْلِي ، واعْمَلْ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ عَنْ قَرِيبٍ ؛

الدَّائِرَةُ عَلَى الخَوْفِ مِنَ اللهِ تَعالَى والخَشْيَةِ لَهُ ، إذا لَمْ يَكُنْ لَكَ خَوْفٌ مِنْهُ فَلا أَمْنَ لَكَ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ ، الخَشْيَةُ مِنَ اللهِ تَعالَى هِيَ العِلْمُ بِعَيْنِهِ ، ولِذَلِكَ قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (١) .

ما يَخْشَى اللهَ تَعالَى إلَّا العُلَماءُ العُمَّالُ بالعِلْمِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ويَعْمَلُونَ ، ولا يَطْلُبُونَ مِنَ الحَقِّ تَعالَى جَزاءً عَلَى أَعْمالِهِمْ بَلْ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وقُرْبَهُ ، يُرِيدُونَ مَحَبَّتَهُ والخَلاصَ مِنْ بُعْدِهِ وحِجابِهِ ، يُرِيدُونَ أَنْ لا يُغْلَقَ بابٌ فِي وُجُوهِهِمْ دُنْيا وآخِرَة ، لا يَرْغَبُونَ فِي الدُّنْيا ولا فِي الآخِرَةِ ولا فِيما سِواهُ ، الدُّنْيا لِقَوْمٍ والآخِرَةُ لِقَوْمٍ ، والحَقُّ تَعالَى لِقَوْمٍ وهُمُ المُؤْمِنُونَ المُوقِنُونَ العارِفُونَ المُحِبُّونَ لَهُ المُتَّقُونَ الخاشِعُونَ لَهُ ، المَحْزُونُونَ المُنْكَسِرُونَ لأَجْلِهِ ؛ قَوْمٌ يَخْشَوْنَ اللهَ تَعالَى بالغَيْبِ وهُوَ غائِبٌ عَنْ عُيُونِ ظَواهِرِهِمْ وهُوَ حاضِرٌ نُصْبَ عُيُونِ قُلُوبِهِمْ ، كَيْفَ لا يَخافُونَهُ ؟ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ؛ يُغَيِّرُ ويُبَدِّلُ ، ويَنْصُرُ هَذا ويَخْذُلُ هَذا ، يُحْيِي هَذا ويُمِيتُ هَذا ، يَقْبَلُ هَذا ويَرُدُّ هَذا ، يُقَرِّبُ هَذا ويُبْعِدُ هَذا : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ .

---

(١) سُورَةُ فاطِر : مِنَ الآيَة ٢٨ .

ومِمَّا قالَهُ ﷺ بُكْرَةَ الجُمُعَةِ فِي المَدْرَسَةِ ثامِنَ عشَرَ شَعْبانَ سَنَةَ (٥٤٥ هـ) :

اشْتَغِلْ بِإِصْلاحِكَ وصَلاحِكَ ودَعْ عَنْكَ القالَ والقِيلَ وهَوَسَ الدُّنْيا ، تَفَرَّغْ مِنْ هُمُومِها ما اسْتَطَعْتَ ، كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : (تَفَرَّغُوا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيا ما اسْتَطَعْتُمْ) .

يا جاهِلاً بالدُّنْيا لو عَرَفْتَها ما طَلَبْتَها ، إنْ جاءَتْ إلَيْكَ أَتْعَبَتْكَ ، وإنْ تَوَلَّتْ حَسَرَتْكَ ، لَوْ عَرَفْتَ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ لَعَرَفْتَ بِهِ غَيْرَهُ ولَكِنَّكَ جاهِلٌ بِهِ وبِرُسُلِهِ وأَنْبِيائِهِ وأَوْلِيائِهِ .

(وَيْحَك) أَما تَتَّعِظُ بِما جَرَى عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الخَلْقِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيا ، اطْلُبِ الخَلاصَ مِنْها ، اخْلَعْ لِباسَها واهْرَبْ مِنْها ، اخْلَعْ لِباسَ النَّفْسِ وسِرْ إِلَى بابِ الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ ؛ إذا انْخَلَعْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَقَدِ انْخَلَعْتَ مِمَّا سِوَى اللّهِ عَزَّ وجَلَّ ، وإنْ كانَ ما سِواهُ تابِعاً للنَّفْسِ فَتَحٌ عَنْ نَفْسِكَ وقَدْ رَأَيْتَ رَبَّكَ عَزَّ وجَلَّ ، سَلِّمْ إِلَيْهِ وقَدْ سَلِمْتَ ، جاهِدْ فِيهِ وقَدِ اهْتَدَيْتَ ، واشْكُرْهُ وقَدْ زادَكَ ، سَلِّمْ إِيَّاكَ والخَلْقَ إِلَيْهِ ، لا تَعْتَرِضْ عَلَيْهِ فِيكَ ولا فِي غَيْرِكَ ، القَوْمُ لا يُرِيدُونَ مَعَ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ إرادَةً ولا يَخْتارُونَ مَعَهُ اخْتِياراً ، لا يَحْرِصُونَ عَلَى طَلَبِ أَقْسامِهِمْ ، ولا يَنْظُرُونَ إِلَى أَقْسامِ غَيْرِهِمْ ، إنْ أَرَدْتَ صُحْبَةَ القَوْمِ دُنْيا وأُخْرَى فَوافِقْهُ فِي

أَقْوالِهِ وأَفْعالِهِ وإرادَتِهِ ، إِنِّي أَراكَ قَدْ عَكَسْتَ الأَمْرَ وجَعَلْتَ مُخالَفَتَهُ ومُنازَعَتَهُ دَأْبَكَ بِاللَّيْلِ والنَّهارِ ، يَقُولُ لَكَ افْعَلْ ولا تَفْعَلْ ، كَأَنَّهُ هُوَ العَبْدُ وأَنْتَ المَعْبُودُ ! سُبْحانَهُ ما أَحْلَمَهُ ، لَوْلا حِلْمُهُ لَرَأَيْتَ ضِدَّ ما عِنْدَكَ ، إِنْ أَرَدْتَ الفَلاحَ فَعَلَيْكَ بِالسُّكُونِ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ سُكُونِ الظَّاهِرِ والباطِنِ ، أَدِّ الأَمْرَ وانْتَهِ عَنِ النَّهْيِ ووافِقِ القَدَرَ وسَكِّنْ ظاهِرَكَ وباطِنَكَ عَنِ الكَلامِ بَيْنَ يَدَيْهِ[1] وقَدْ رَأَيْتَ الخَيْرَ دُنْيا وآخِرَةً ، لا تَسْأَلِ الخَلْقَ شَيْئاً فَإِنَّهُمْ عَجَزَةٌ فُقَراءُ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ولا لِغَيْرِهِمْ ضَرًّا ولا نَفْعاً ، اصْبِرْ مَعَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ولا تَسْتَعْجِلْهُ ولا تَسْتَبْخِلْهُ ولا تَتَّهِمْهُ ، هُوَ أَشْفَقُ عَلَيْكُمْ مِنْكُمْ ، مِنْكَ عَلَيْكَ ، ولِهَذا قالَ بَعْضُهُمْ : إِيش عَلَيَّ مِنِّي ، عَلَيْكُمْ بِالمُوافَقَةِ لَهُ عَزَّ وجَلَّ فَهُوَ أَعْلَمُ مِنْكُمْ بِكُمْ ، لَيْسَ كُلُّ ما فِيهِ مَصْلَحَةٌ لَكُمْ يُطْلِعُكُمْ عَلَيْهِ ، قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2] ، وقالَ : ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[3] ، وقالَ : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[4] .

---

(١) كِنايَةٌ عَنْ عَدَمِ الاعْتِراضِ عَلَى ما أَجْراهُ اللهُ .

(٢) سُورَةُ البَقَرَة : مِنَ الآيَة ٢١٦ .   (٣) سُورَةُ النَّحْل : مِنَ الآيَة ٨ .

(٤) سُورَةُ الإِسْراء : مِنَ الآيَة ٨٥ .

ومَنْ أَرادَ سُلُوكَ طَرِيقِ الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ فَلْيُهَذِّبْ نَفْسَهُ قَبْلَ سُلُوكِهِ ؛ هِيَ سَيِّئَةُ الأَدَبِ لأَنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بالسُّوءِ ، إيش تَعْمَلُ عِنْدَ الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ كَيْفَ فِي سَيْرِكَ إِلَيْهِ ؟ جاهِدْها حَتَّى تَطْمَئِنَّ فَإِذا اطْمَأَنَّتْ اسْتَصْحِبْها مَعَكَ إِلَى بابِهِ لا تُوافِقْها إِلَّا بَعْدَ الرِّياضَةِ بَعْدَ التَّعْلِيم وحُسْنِ الأَدَبِ والطُّمَأْنِينَةِ إِلَى وَعْدِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ووَعِيدِهِ ، هِيَ عَمْياءُ خَرْساءُ طَرْشاءُ جاهِلَةٌ بِرَبِّها عَزَّ وجَلَّ عَدُوَّةٌ لَهُ ، فَبِدَوام المُجاهَداتِ تَنْفَتِحُ عَيْناها ويَنْطَلِقُ لِسانُها وتَسْمَعُ أُذُنُها ويَزُولُ خَبَلُها وجَهْلُها وعَداوَتُها لِرَبِّها عَزَّ وجَلَّ ، وهَذا يَحْتاجُ إِلَى حِبالٍ ورِجالٍ ودَوام ساعَةٍ بَعْدَ ساعَةٍ ويَوْم بَعْدَ يَوْم وسَنَةٍ بَعْدَ سَنَةٍ ، ما يَجِيءُ هَذا بِمُجاهَدَةِ ساعَةٍ يَوْم شَهْرٍ ؛ اضْرِبْها بِسَوْطِ الجُوعِ امْنَعْها حَظَّها وأَوْفِها حَقَّها ، احْمِلْ عَلَيْها ولا تَخَفْ مِنْ سَيْفِها وسِكِّينِها ، سَيْفُها خَشَبٌ ما هُوَ حَدِيدٌ ، لَها كَلامٌ بِلا أَفْعالٍ ، كَذِبٌ بِلا صِدْقٍ ، عَهْدٌ بِلا وَفاءٍ ، لا مَوَدَّةَ لَها جَوْلَةٌ بِلا دَوْلَةٍ ، إِبْلِيسُ الَّذي هُوَ أَمِيرُها لا قُوَّةَ لَهُ عِنْدَ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ فِي عَداوَتِهِ ومُخالَفَتِهِ فَكَيْفَ هِيَ ؟! لا تَظُنَّ أَنَّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ وأَخْرَجَ آدَمَ عليه السلام مِنْها بِقُوَّتِهِ وإِنَّما الحَقُّ عَزَّ وجَلَّ قَوَّاهُ عَلَى ذَلِكَ وجَعَلَهُ سَبَباً لا أَصْلاً ، يا قَلِيلَ العَقْلِ لا تَهْرَبْ مِنْ بابِ الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ لأَجْلِ بَلِيَّةٍ يَبْتَلِيكَ بِها ؛

فَإِنَّهُ أَعْرَفُ مِنْكَ بِمَصْلَحَتِكَ ما يَبْتَلِيكَ إِلَّا لِفائِدَةٍ وحِكْمَةٍ ، إذا ابْتَلاكَ فاثْبُتْ وارْجِعْ إِلَى ذُنُوبِكَ وأَكْثِرِ الاسْتِغْفارَ والتَّوْبَةَ واسْأَلْهُ كَشْفَ ذَلِكَ عَنْكَ وبَيانَ وَجْهِ المَصْلَحَةِ فِيهِ ؛ إِنْ أَرَدْتَ الفَلاحَ فاصْحَبْ شَيْخاً عالِماً بِحُكْمِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ وعِلْمِهِ : يُعَلِّمُكَ ويُؤَدِّبُكَ ويُعَرِّفُكَ الطَّرِيقَ إِلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ .

المُرِيدُ لا بُدَّ لَهُ مِنْ قائِدٍ ودَلِيلٍ لأَنَّهُ فِي بَرِيَّةٍ فِيها عَقارِبُ وحَيَّاتٌ وآفاتٌ وعَطَشٌ وسِباعٌ مُهْلِكَةٌ ؛ فَيُحَذِّرُهُ مِنْ هَذِهِ الآفاتِ ويَدُلُّهُ عَلَى مَوْضِعِ الماءِ والأَشْجارِ المُثْمِرَةِ فَإِذا كانَ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ وَقَعَ فِي أَرْضٍ مُسْبِعَةٍ وَعِرَةٍ كَثِيرَةِ السِّباعِ والعَقارِبِ والحَيَّاتِ والآفاتِ ، يا مُسافِراً فِي طَرِيقِ الدُّنْيا لا تُفارِقِ القافِلَةَ والدَّلِيلَ والرُّفَقاءَ وإِلَّا ذَهَبَ مِنْكَ مالُكَ ورُوحُكَ ، وأَنْتَ يا مُسافِراً فِي طَرِيقِ الآخِرَةِ كُنْ أَبَداً مَعَ الدَّلِيلِ إِلَى أَنْ يُوصِلَكَ إِلَى المَنْزِلِ ، اخْدِمْهُ فِي الطَّرِيقِ وأَحْسِنْ أَدَبَكَ مَعَهُ ولا تَخْرُجْ عَنْ رَأْيِهِ فَيُعَلِّمَكَ ويُقَرِّبَكَ إِلَيْهِ ثُمَّ يَسْتَنِيبَكَ فِي الطَّرِيقِ ؛ لِرُؤْيَتِهِ نَجابَتَكَ وصِدْقَكَ وحَذَقَكَ فَيُصَيِّرَكَ أَمِيراً فِيها وسُلْطاناً عَلَى أَهْلِها ، يَسْتَخْلِفُكَ فِي مَراكِبِهِ فَلا تَزالُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَأْتِيَ بِكَ إِلَى نَبِيِّكَ ﷺ فَيُسَلِّمَكَ إِلَيْهِ فَيَقَرُّ بِكَ عَيْناً ثُمَّ يَسْتَنِيبُكَ عَلَى القُلُوبِ والأَحْوالِ والمَعانِي فَتَصِيرُ سَفِيراً بَيْنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ وبَيْنَ

خَلْقِهِ ، غُلاماً بَيْنَ يَدَي نَبِيِّكَ ﷺ ، تَأْتِي إِلَى الخَلْقِ والخالِقِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ؛ هَذا شَيْءٌ لا يَجِيءُ بِالتَّخَلِّي والتَّمَنِّي ولَكِنْ بِشَيْءٍ وقَرَ فِي الصُّدُورِ وصَدَّقَهُ العَمَلُ ، القَوْمُ نُزَّاعُ العَشائِرِ مِنْ كُلِّ أَلْفِ أَلْفٍ إِلَى انْقِطاعِ النَّفَسِ واحِدٌ ، يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ بِقُلُوبِهِمْ ومَعانِيهِمْ ويُصَدِّقُونَ ذَلِكَ السَّماعَ بِأَعْمالِ جَوارِحِهِمْ ، يا جُهَّالُ تُوبُوا إِلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ وارْجِعُوا إِلَى جادَّةِ الصِّدِّيقِينَ واتَّبِعُوهُمْ فِي أَقْوالِهِمْ وأَفْعالِهِمْ ولا تَتَّبِعُوا بُنَيَّاتِ الطُّرُقِ المُنافِقِينَ الطَّالِبِينَ الدُّنْيا المُعْرِضِينَ عَنِ الآخِرَةِ التَّارِكِينَ لِجادَّةِ الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ الَّتِي كانَ عَلَيْها مَنْ تَقَدَّمَ ، أُخِذُوا يَميناً وشِمالاً ووَراءً طَلَبُوا طَرِيقَ الكُسالَى ولَمْ يَمُرُّوا بِجادَّتِهِمْ فِي الجادَّةِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي هِيَ الطَّرِيقُ إِلَى الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ .

(يا غُلام) هَؤُلاءِ الَّذِينَ تُعاشِرُهُمْ فِي الدُّنْيا لِلدُّنْيا غَداً لا تَراهُمْ يُقْطَعُ بَيْنَكُمْ ، كَيْفَ لا تَقْطَعُ بَيْنَكَ وبَيْنَ أَقْرانِكَ السُّوءِ الَّذِينَ عاشَرْتَهُمْ فِي غَيْرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، إِنْ كانَ ولا بُدَّ لَكَ مِنْ مُعاشَرَةِ الخَلْقِ فَعاشِرِ المُتَوَرِّعِينَ المُتَزَهِّدِينَ العارِفِينَ العامِلِينَ مُرِيدِي الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ ومُرادِيهِ ، عاشِرْ مَنْ يَأْخُذُ مِنْكَ الخَلْقَ ويُعْطِيكَ قُرْبَ الحَقِّ عَزَّ وجَلَّ ، يَأْخُذُ مِنْكَ الضَّلالَ ويُقِيمُكَ عَلَى الجادَّةِ ، يَعْصِبُ عَيْنَيْكَ عَنِ الدُّنْيا

ثُمَّ يَفْتَحُها عَلَى الآخِرَةِ ، يُنَحِّي مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ طَبَقَ الدُّنْيا ويَتْرُكُ بَدَلَهُ طَبَقَ الأُخْرَى ، يُنَحِّي عَنْكَ الحُفايَةَ ويَتْرُكُ بَدَلَها الحُورِيَّةَ ، يُقِيمُكَ مِنْ بَيْنِ الحَيَّاتِ والعَقارِبِ والسِّباعِ ويُقْعِدُكَ فِي الأَمْنِ والرَّاحَةِ والطِّيبَةِ ، عاشِرْ مَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ واصْبِرْ عَلَى كَلامِهِ واقْبَلْ أَمْرَهُ ونَهْيَهُ وقَدْ رَأَيْتَ الخَيْرَ عاجِلاً غَيْرَ أَنَّ أَجَلَ الشَّجاعَةِ صَبْرُ ساعَةٍ ، اشْتَرِ الزَّرْكارِيَّةَ والزَّنْبِيلَ واقْعُدْ عَلَى بابِ العَمَلِ فَإِنْ قُدِّرَ عَمَلُكَ فَسَوْفَ تَعْمَلُ ؛ أَعْطِ السَّبَبَ حَقَّهُ وتَوَكَّلْ واقْعُدْ عَلَى بابِ العَمَلِ ، فَإِنْ أَخَذُوا الزَّرْكارِيَّةَ ولَمْ يَأْخُذُوكَ لا تَبْرَحْ مَكانَكَ حَتَّى تَيْأَسَ مِنْ أَحَدٍ يَدْعُوكَ إِلَى عَمَلِهِ ، فَحِينَئِذٍ أَلْقِ نَفْسَكَ فِي بَحْرِ التَّوَكُّلِ فَتَجْمَعَ بَيْنَ السَّبَبِ والمُسَبِّبِ ، أَحْسِنْ أَدَبَكَ بَيْنَ يَدَيْ مُعَلِّمِكَ ولْيَكُنْ صَمْتُكَ أَكْثَرَ مِنْ نُطْقِكَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِتَعَلُّمِكَ وقُرْبِكَ إِلَى قَلْبِهِ ؛ حُسْنُ الأَدَبِ يُقَرِّبُكَ وسُوءُ الأَدَبِ يُبْعِدُكَ ، كَيْفَ يَحْسُنُ أَدَبُكَ وأَنْتَ لا تُخالِطُ الأُدَباءَ ؟ كَيْفَ تَتَعَلَّمُ وأَنْتَ لا تَرْضَى بِمُعَلِّمِكَ ولا تُحَسِّنُ ظَنَّكَ فِيهِ ؟!

دُعاءُ المَجْلِس

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ عَدَدَ خَلْقِهِ ورِضاءَ نَفْسِهِ وزِنَةَ عَرْشِهِ ومِدادَ كَلِماتِهِ ، ومُنْتَهَى عِلْمِهِ وجَمِيعَ ما شاءَ وخَلَقَ وذَرَأَ وبَرَأَ ، عالِمِ الغَيْبِ

والشَّهادَةِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ المَلِكِ القُدُّوسِ العَزِيزِ الحَكِيمِ ، ونَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ يُحْيِي ويُمِيتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، ونَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ولَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ ، اللهُمَّ أَصْلِحِ الإمامَ الرَّاعِي والرَّعِيَّةَ ، وأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فِي الخَيْراتِ ، وادْفَعْ شَرَّ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ ، اللهُمَّ أَنْتَ العالِمُ بِسَرائِرِنا فَأَصْلِحْها ، وأَنْتَ العالِمُ بِذُنُوبِنا فاغْفِرْها ، وأَنْتَ العالِمُ بِعُيُوبِنا فاسْتُرْها حَتَّى لا تَرانا حَيْثُ نَهَيْتَنا ، ولا تَفْقِدْنا مِنْ حَيْثُ أَمَرْتَنا ، وأَعِزَّنا بِالطَّاعَةِ ولا تُذِلَّنا بِالمَعْصِيَةِ ، وأَشْغِلْنا بِكَ عَمَّنْ سِواكَ ، واقْطَعْ عَنَّا كُلَّ قاطِعٍ يَقْطَعُنا عَنْكَ ، وأَلْهِمْنا ذِكْرَكَ وشُكْرَكَ وحُسْنَ عِبادَتِكَ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ما شاءَ اللهُ ، لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ ، ولا تُحْيِنا فِي غَفْلَةٍ ، ولا تَأْخُذْنا عَلَى غِرَّةٍ : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ١٦٦ مَرَّة ، (سُورَةُ النَّبَأِ) : إِذا كانَتِ القِراءَةُ نَهاراً ،

(سُورَةُ المُلْكِ) : إذا كانَتِ القِراءَةُ لَيْلاً ، ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وأنا أَشْهَدُ بِما شَهِدَ اللّهُ بِهِ ، وشَهِدَتْ بِهِ مَلائِكَتُهُ ، وأَسْتَوْدِعُ اللّهَ هَذِهِ الشَّهادَةَ ، وهَذِهِ الشَّهادَةُ وَدِيعَةٌ لِي عِنْدَ اللّهِ يُؤَدِّيها إِلَيَّ يَوْمَ القِيامَةِ ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِنُورِ قُدُسِكَ ، وعَظِيمِ رُكْنِكَ ، وعَظَمَةِ طَهارَتِكَ ، مِنْ كُلِّ آفَةٍ وعاهَةٍ ، ومِنْ طَوارِقِ اللَّيْلِ والنَّهارِ إِلَّا طارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، اللهُمَّ أَنْتَ غِياثِي بِكَ أَسْتَغِيثُ ، وأَنْتَ مَلاذِي بِكَ أَلُوذُ ، وأَنْتَ عِياذِي بِكَ أَعُوذُ ، يا مَنْ ذَلَّتْ لَهُ رِقابُ الجَبابِرَةِ ، وخَضَعَتْ لَهُ أَعْناقُ الفَراعِنَةِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ خِزْيِكَ ومِنْ كَشْفِ سِتْرِكَ ونِسْيانِ ذِكْرِكَ وانْصِرافِي عَنْ شُكْرِكَ ، أَنا فِي حِرْزِكَ لَيْلِي ونَهارِي ، ونَوْمِي وقَرارِي ، وظَعْنِي وأَسْفارِي ، وحَياتِي ومَماتِي ، ذِكْرُكَ شِعارِي ، وثَناؤُكَ دِثارِي ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، سُبْحانَكَ اللهُمَّ وبِحَمْدِكَ تَشْرِيفاً لِعَظَمَتِكَ وتَكْرِيماً لِسُبُحاتِ وَجْهِكَ ، أَجِرْنِي مِنْ خِزْيِكَ ومِنْ شَرِّ عِبادِكَ ، واضْرِبْ عَلَيَّ سُرادِقاتِ حِفْظِكَ ، وأَدْخِلْنِي فِي حِفْظِ عِنايَتِكَ ، وجُدْ لِي بِخَيْرٍ مِنْكَ (يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) ٣ ، وصَلَّى اللّهُ عَلَى سَيِّدِنا ومَوْلانا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيما .

عَقِبُهُ وذُرِّيَّتُهُ : لَمْ يَتَزَوَّجْ سَيِّدِي عَبْدُ القادِرِ إلَّا بَعْدَ أَنْ تَجاوَزَ الخامِسَةَ والثَّلاثِينَ مِنَ العُمُرِ (وهِيَ سِنٌّ مُتَأَخِّرَةٌ بالنِّسْبَةِ لِزَواجِ أَبْناءِ ذَلِكَ العَصْرِ) ، وذَلِكَ لانْشِغالِهِ بالعِلْمِ وسُلُوكِ السَّيْرِ ، ولَمْ يَتَزَوَّجْ حَتَّى كُوشِفَ مِنْ جَدِّهِ المُصْطَفَى ﷺ بِإمْضاءِ الأَمْرِ ؛ فَأَعْقَبَ رضي الله عنه تِسْعَةً وأَرْبَعِينَ وَلَداً ؛ سَبْعَةً وعِشْرِينَ ذَكَراً ، واثْنَتَيْنِ وعِشْرِينَ بِنْتاً ، ماتَ أَغْلَبُهُمْ فِي حَياتِه ، ولَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْهُمْ سِوَى ثَلاثَةَ عَشَرَ ذَكَراً ؛ هُمْ : عَبْدُ اللهِ ، وعَبْدُ الوَهَّابِ ، وعَبْدُ الرَّزَّاقِ ، وعَبْدُ العَزِيزِ ، وعَبْدُ الجَبَّارِ ، وإبْراهِيمُ ، ومُحَمَّدٌ ، وعَبْدُ الرَّحْمَٰنِ ، وعِيسَىٰ ، ومُوسَىٰ ، وصالِحٌ ، وعَبْدُ الغَنِي ، ويَحْيَىٰ ، وبِنْتٍ واحِدَةٍ هِيَ أَمَةُ الجَبَّارِ فاطِمَةُ ؛ أَيْ : إنَّهُ ابْتُلِيَ بِفَقْدِ الأَوْلادِ ، فَقَدْ تُوفِّيَ لَهُ مِنْ أَوْلادِهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ ذَكَراً وإحْدَى وعِشْرُونَ بِنْتاً ، فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ صَبْرَ الكِرامِ ، لِذَلِكَ قالَ الجبائِي (أَحَدُ تَلامِذَةِ الشَّيْخِ) قالَ سَيِّدُنا الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ : كانَ إذا وُلِدَ لِي وَلَدٌ أَخَذْتُهُ عَلَى يَدِي وأَقُولُ : هَذا مَيِّتٌ ، فَأُخْرِجُهُ مِنْ قَلْبِي ، فَإذا ماتَ لَمْ يُؤَثِّرْ عِنْدِي مَوْتُهُ شَيْئاً ؛ لأَنِّي قَدْ أَخْرَجْتُهُ مِنْ قَلْبِي أَوَّلَ ما وُلِدَ ، أَيْ : إنَّهُ رضي الله عنه كانَ إذا وُلِدَ لَهُ الوَلَدُ قالَ فِي نَفْسِهِ : هَذا الوَلَدُ مَصِيرُهُ المَوْتُ (فالمَوْتُ سَبِيلُ كُلِّ حَيٍّ ، وهُوَ عارِيَةٌ عِنْدِي لَيْسَ غَيْر) .

قالَ الجِبائِي : لِذَلِكَ كانَ يَمُوتُ مِنْ أَوْلادِهِ الذُّكُورُ والإِناثُ لَيْلَةَ مَجْلِسِهِ فَلا يَنْقَطِعُ المَجْلِسُ ، ويَصْعَدُ عَلَى الكُرْسِيِّ ويَعِظُ النَّاسَ والغاسِلُ يُغَسِّلُ المَيِّتَ ، فَإِذا فَرَغُوا مِنْ غُسْلِهِ جاؤُوا بِهِ إِلَى المَجْلِسِ ، فَيَنْزِلُ الشَّيْخُ ويُصَلِّي عَلَيْهِ رضي الله عنه .

انْتِشارُ العائِلَةِ الكِيلانِيَّةِ والجَيْلانِيَّةِ : نَبَتَتْ جُذُورُ هَذِهِ العائِلَةِ فِي بَغْدادَ مِنَ الشَّيْخ عَبْدِ القادِرِ ثُمَّ امْتَدَّتْ وانْتَشَرَتْ فِي كُلِّ اتِّجاهٍ حَتَّى عَمَّتِ العالَمَ الإِسْلامِيَّ تَقْرِيباً ؛ إِذْ يَنْدُرُ أَنْ تَجِدَ قُطْراً إِسْلامِيًّا لَيْسَ فِيهِ ذِكْرٌ لِلعائِلَةِ الكِيلانِيَّةِ أَوِ الجَيْلانِيَّةِ وبَدَأَ ذَلِكَ فِي حَياةِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ ؛ فَقَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ مُوسَىٰ إِلَى مِصْرَ والشَّامِ لِيُدَرِّسَ فِيهِما ، وقَدْ تُوفِّيَ بِدِمَشْقَ ودُفِنَ بِسَفْحِ جَبَلِ قاسِيُون ، وابْنُهُ عِيسَى أَيْضاً رَحَلَ بَعْدَ وَفاةِ والِدِهِ إِلَى الشَّامِ ، ثُمَّ إِلَى مِصْرَ حَيْثُ تُوفِّيَ فِيها ، وابْنُهُ عَبْدُ العَزِيزِ غَزا عَسْقَلانَ ثُمَّ اسْتَوْطَنَها وتُوفِّيَ فِيها ، وابْنُهُ يَحْيَى اسْتَوْطَنَ مِصْرَ ثُمَّ عادَ إِلَى بَغْدادَ .

ثُمَّ انْتَشَرَ حَفَدَةُ الشَّيْخِ رضي الله عنه فِي كُلِّ اتِّجاهٍ مِنْ أَقْطارِ الدُّنْيا :

ومِنْ أَشْهَرِهِمْ العالِمُ الكَبِيرُ المُحَدِّثُ الفَقِيهُ اللُّغَوِيُّ النَّحْوِيُّ الصُّوفِيُّ مُحْيِي الشَّرِيعَةِ والطَّرِيقَةِ السَّيِّدُ أَحْمَدُ زَيْنِي دَحْلان ؛ مُفْتِي السَّادَةِ

الشَّافِعِيَّةِ بالدِّيارِ المُشَرَّفَةِ ، والمَعاهِدِ المُعَظَّمَةِ المَكِّيَّةِ ، وجِهْبَذُ الجَهابِذَةِ ، أُسْتاذُنا وأُسْتاذُ الأَساتِذَةِ ، فَرْعُ طَهَ الرَّسُولِ ، نَوَوِيُّ زَمانِهِ ، وسِيبَوَيْهِ أَوانِهِ ، مُرَبِّي المُرِيدِينَ ، ومُفِيدُ الطَّالِبِينَ ، وكَعْبَةُ القاصِدِينَ ، المُتَخَلِّقُ بالأَخْلاقِ المُحَمَّدِيَّةِ ، وزَمْزَمُ شَرابِ الواصِلِينَ ، المُتَضَلِّعُ بِالعُلُومِ النَّقْلِيَّةِ والعَقْلِيَّةِ ، ورُحْلَةُ السَّادَةِ الكُبَراءِ المُحَقِّقِينَ ، ومَحَطُّ رِحالِ القادَةِ المُدَقِّقِينَ ، شَيْخُ الإِسْلامِ بِلا نِزاعٍ ، وبَرَكَةُ الأَنامِ بِلا دِفاعٍ ، مُحْيِي سُنَّةِ جَدِّهِ المُصْطَفَى الهادِي نَبِينا ، والمُتَأَسِّي بِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوالِهِ حَتَّى فِي كَوْنِهِ وُلِدَ بِمَكَّةَ وتُوفِّيَ بِالمَدِينَةِ :

فَمَكَّةُ ذاتُ الْبَيْتِ مَطْلَعُ بَدْرِهِ
ومَغْرِبُهُ فِي طَيْبَةَ دارَةِ السَّعْدِ
فَمِنْ حَرَمٍ أَسْرَى إِلَى حَرَمٍ لِكَيْ
يَحُوزُ جوارَ الْمُصْطَفَى مُكْرِمِ الْوَفْدِ
فَكانَ لَهُ فِي ذا التَّأَسِّي بِجَدِّهِ
فَلا فَضْلَ يَلْقَى مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْعَدِّ

تَلامِيذُ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ : ذَكَرَ الأُسْتاذُ مُحَمَّدٌ العَيْنِي فِي كِتابِهِ (عَبْدُ القادِرِ الكِيلانِي) : أَنَّهُ كانَ يَتَخَرَّجُ فِي مَدْرَسَةِ الشَّيْخِ

ورِباطِهِ فِي بَغْدادَ كُلَّ سَنَةٍ نَحْوَ ثَلاثَةِ آلافِ تِلْمِيذٍ ومُرِيدٍ ، وفِي ثَلاثٍ وثَلاثِينَ سَنَةً مِنَ التَّدْرِيسِ يَكُونُ قَدْ تَخَرَّجَ عَلَى يَدَيْهِ نَحْوَ مِائَةِ أَلْفِ تِلْمِيذٍ ومُرِيد .

وقَدِ انْتَشَرَ هَؤُلاءِ التَّلامِيذُ والمُرِيدُونَ فِي أَنْحاءِ العالَمِ الإِسْلامِيِّ جَمِيعِهِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ كَدُعاةٍ ومُرْشِدِينَ ومُصْلِحِينَ ، ولَمْ يَحْفَظِ التَّارِيخُ أَسْماءَ أَكْثَرِهِمْ لأَنَّهُمْ لا يَقَعُونَ تَحْتَ الحَصْرِ ، ولَكِنَّهُ حَفِظَ أَسْماءَ المَشْهُورِينَ مِنْهُمْ: كـ (**أَبِي الفَتْحِ نَصْرِ بنِ المُنَى**) الَّذِي أَصْبَحَ شَيْخَ الحَنابِلَةِ بَعْدَ وَفاةِ الشَّيْخِ ، و(**أَحْمَدَ بنِ أَبِي بَكْرِ بنِ المُبارَكِ أَبِي السُّعُودِ الحرِيمِي**) ، و(**الحَسَنِ بنِ مُسْلِمٍ**) الَّذِي كانَ رِباطُهُ بِالقادِسِيَّةِ ، و(**مَحْمُودِ بنِ عُثْمانَ بنِ مَكارِمِ النَّعالِ**) الَّذِي كانَ يُشْرِفُ عَلَى رِباطِ الشَّيْخِ بِبَغْدادَ ، و(**عُمَرَ بنِ مَسْعُودٍ البَزَّارِ**) الَّذِي تابَ عَلَى يَدَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ مَمالِيكِ الخَلِيفَةِ ، و(**عَبْدِ اللهِ الجبائِي**) مِنْ قَرْيَةِ الجُبَّةِ بِلُبْنان ، كانَ نَصْرانِيًّا ، سُبِيَ إِلَى دِمَشْقَ فَأَسْلَمَ ، فاشْتَراهُ زَيْنُ الدِّينِ عَلِيُّ بنُ إِبْراهِيمَ بنِ نَجا أَحَدُ أَصْحابِ الشَّيْخِ ، فَأَعْتَقَهُ وأَرْسَلَهُ إِلَى الشَّيْخِ فِي بَغْدادَ سَنَةَ (٥٤٠ هـ) لِيَتَعَلَّمَ ويَتَفَقَّهَ ، فَظَلَّ مَعَهُ حَتَّى وَفاتِهِ ، ثُمَّ صَحِبَ المُوَفَّقَ بنَ قُدامَةَ صاحِبَ (المُغْنِي)، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى أَصْبَهانَ

فَدَرَّسَ وأَفْتَى فِيها إِلَى أَنْ تُوفِّيَ سَنَةَ (٦٠٥ هـ)، و(**حامِدِ بنِ مَحْمُودٍ الحَرَّانِي**) الَّذي اتَّصَلَ بـ (نُورِ الدِّين زَنْكِي) رَحِمَهُ اللهُ ، فَوَلَّاهُ القَضاءَ والمَظالِمَ والتَّدْرِيسَ فِي حَرَّانَ ، و(**زَيْنِ الدِّينِ بنِ إِبْراهِيمَ بنِ نَجا الأَنْصارِيِّ الدِّمَشْقِيِّ**) دَرَسَ فِي مَدْرَسَةِ الشَّيْخ بِبَغْدادَ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى دِمَشْقَ ومِصْرَ واتَّصَلَ بـ (صَلاحِ الدِّينِ الأَيُّوبِي) رَحِمَهُ اللهُ ، وأَصْبَحَ مُسْتَشاراً لَهُ ، و(**مُوَفَّقِ الدِّينِ بنِ قُدامَةَ**) ، وابنِ خالَتِهِ الحافِظِ (**عَبْدِ الغَنِي بنِ عَبْدِ الواحِدِ المَقْدِسِي**) اللَّذَيْنِ لَبِسا الخِرْقَةَ مِنْ يَدِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ واشْتَغَلا عَلَيْهِ بِالفِقْهِ .

ومِنْ تَلامِيذِهِ أَيْضاً : (**أَحْمَدُ بنُ المُبارَكِ المُرَقَّعاتِي**) و(**مُحَمَّدُ بنُ الفَتْحِ الهَرَوِي**) اللَّذانِ كانا يُشْرِفانِ عَلَى مَدْرَسَتِهِ فِي بَغْداد .

ومِنْ تَلامِيذِهِ أَيْضاً : (**شُعَيْبُ أَبُو مَدْيَنَ**) دَفِينُ تِلْمِسانَ شَيْخُ المَغْرِب ، و(**أَبُو عَمْرٍو عُثْمانُ بنُ مَرْزُوقِ بنِ حُمَيْدِ بنِ سَلامَةَ القُرَشِيُّ**) نَزِيلُ مِصْرَ وشَيْخُها ؛ وقَدِ اجْتَمَعَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ بِهِما فِي الحَجِّ (وكانُوا فِي الزَّمَنِ القَدِيمِ يُمْضُونَ الأَشْهُرَ ذَواتَ العَدَدِ فِي الحَجِّ) ، فَتَفَقَّها عَلَيْهِ ، وسَمِعا مِنْهُ .

يَقُولُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي : لَمَّا حَجَّ والِدِي - رَحِمَهُ

اللَّهُ تَعالَى - فِي السَّنَةِ الَّتي كُنْتُ مَعَهُ فِيها ، اجْتَمَعَ بِهِ الشَّيْخانِ ابنُ مَرْزُوقٍ وأَبُو مَدْيَنَ ، ولَبِسا مِنْهُ خِرْقَةً بَرَكَةً (هِيَ كِنايَةٌ عَنِ المُبايَعَةِ وأَخْذِ العَهْدِ بِالالْتِزامِ) ، وسَمِعا عَلَيْهِ جُزْءاً مِنْ مَرْوِيَّاتِهِ ، وجَلَسا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وكانَ الشَّيْخُ سَعْدُ ابنُ الشَّيْخِ عُثْمانَ بنِ مَرْزُوقٍ المَذْكُورِ يَقُولُ : كانَ أَبِي - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى - يَقُولُ : قالَ شَيْخُنا عَبْدُ القادِرِ كَذا وكَذا .. رَأَيْتُ سَيِّدَنا الشَّيْخَ عَبْدَ القادِرِ يَفْعَلُ كَذا .. سَمِعْتُ أُسْتاذَنا الشَّيْخَ أَبا مُحَمَّدٍ عَبْدَ القادِرِ يَقُولُ كَذا وكَذا .. كانَ إِمامُنا وقُدْوَتُنا الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ يَفْعَلُ كَذا [1] .

ويَذْكُرُ صاحِبُ (قَلائِدِ الجَواهِرِ) قائِمَةً طَوِيلَةً بِأَسْماءِ بَعْضِ تَلامِيذِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ مِنْهُم : الإِمامُ العالِمُ القاضِي (**أَبُو يَعْلَى بنُ مُحَمَّدٍ الفَرَّاءِ**)، والشَّيْخُ (**أَبُو مُحَمَّدٍ مَحْمُودُ بنُ عُثْمانَ النَّعَّالُ**)، والإِمامُ (**أَبو عَمْرٍو عُثْمانُ**) المُلَقَّبُ بِشافِعِيِّ زَمانِهِ ، والشَّيْخُ الفَقِيهُ (**رَسْلانُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنِ شَعْبانَ**)، والقاضِي (**عَبْدُ المَلِكِ بنُ عِيسَى بنِ هِرْباس**)، وأَخُوهُ (**عُثْمانُ**)، ووَلَدُهُ (**عَبْدُ الرَّحْمٰنِ**)، و(**عَبْدُ الكَرِيمِ السَّمْعانِي**) مُحَدِّثُ خُراسان ، و(**يُوسُفُ بنُ هِبَةِ اللَّهِ الدِّمَشْقِيُّ**)، وغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ .

---

(١) قَلائِدُ الجَواهِرِ : مُحَمَّد بنُ يَحْيَى التَّادِفِي الحَلَبِي .

هَذا بالإضافَةِ إلَى أَوْلادِهِ كُلِّهِمْ ؛ فَقَدْ تَتَلْمَذُوا عَلَيْهِ وسَمِعُوا مِنْهُ ، وتَوَلَّوا التَّدْرِيسَ والتَّعْلِيمَ ، بَعْضُهُمْ فِي حَياتِهِ ، وبَعْضُهُمْ بَعْدَ وَفاتِهِ .

كَراماتُهُ ومُكاشَفاتُهُ

اتَّفَقَ المُؤَرِّخُونَ عَلَى كَثْرَةِ كَراماتِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ ؛ قالَ الشَّيْخُ مُوَفَّقُ الدِّينِ بنُ قُدامَةَ المَقْدِسِي صاحِبُ (المُغْنِي): لَمْ أَسْمَعْ عَنْ أَحَدٍ يُحْكَى عَنْهُ مِنَ الكَراماتِ أَكْثَرَ مِمَّا يُحْكَى عَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ[1].

ولَنْ أُفَصِّلَ فِي هَذِهِ الكَراماتِ ؛ مِثْلَ : عَصْرِهِ الدَّراهِمَ الَّتِي أَرْسَلَها إلَيْهِ الخَلِيفَةُ المُسْتَنْجِدُ باللهِ بِيَدَيْهِ حَتَّى سالَ مِنْها الدَّمُ فَرَدَّها إلَيْهِ ، ومِثْلَ : رَمْيِهِ بِقُبْقابِهِ عَلَى اللُّصُوصِ الَّذِينَ سَطَوْا عَلَى قافِلَةٍ لِجَماعَةٍ مِنَ التُّجَّارِ وهُمْ بَعِيدُونَ عَنْ بَغْدادَ بِمَسافَةٍ كَبِيرَةٍ بَعْدَ أَنْ نَذَرُوا للهِ تَعالَى أَنْ يُعْطُوا الشَّيْخَ عَبْدَ القادِرِ شَيْئاً مِنَ المالِ إذا أَنْقَذَهُمُ اللهُ تَعالَى مِنْ هَؤُلاءِ اللُّصُوصِ ، فَهَرَبَ اللُّصُوصُ وسَلِمَتِ القافِلَةُ ، وغَيْرُها مِمَّا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي الكُتُبِ .

ولَكِنَّ مِنْ أَجَلِّ كَراماتِهِ إحْياءَ مَواتِ النُّفُوسِ والقُلُوبِ ، وزَرْعَ الإيمانِ وخَشْيَةِ اللهِ وحُبِّهِ فِيها ، وإشْعالَ مَجامِرِ القُلُوبِ الَّتِي انْطَفَأَتْ مِنْ

---

(١) الذَّيْلُ عَلَى طَبَقاتِ الحَنابِلَة : ابنُ رَجَبِ الحَنْبَلِي .

جَدِيدٍ ؛ فَقَدْ أَعادَ اللّٰهُ بِهِ إِلَى قُلُوبٍ لا يُحْصِيها إِلَّا اللّٰهُ حَياةً وإِيماناً ، وهَبَّتْ بِمَواعِظِهِ وتَرْبِيَتِهِ رِياحٌ مِنَ الإِيمانِ عاشَتْ بِها قُلُوبٌ مَيِّتَةٌ ، ونَشَطَتْ بِها نُفُوسٌ خامِدَةٌ ، وانْطَلَقَتْ فِي العالَمِ الإِسْلامِيِّ مَوْجَةٌ مِنَ الإِيمانِ الجَدِيدِ ، والرُّوحانِيَّةِ القَوِيَّةِ ، والأَخْلاقِ الفاضِلَةِ ، والتَّقْوَى ، وقَدْ هَيَّأَ اللّٰهُ لَهُ الزَّعامَةَ الدِّينِيَّةَ والرُّوحِيَّةَ فِي العالَمِ الإِسْلامِيِّ فاخْتارَ لَهُ بَغْدادَ (عاصِمَةَ الخِلافَةِ العَبَّاسِيَّةِ وقَلْبَ العالَمِ الإِسْلامِي) ، وجاءَتْهُ بَغْدادُ (وهِيَ مِنْ أَكْبَرِ مُدُنِ العالَمِ) تَسْعَى ، وازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ ازْدِحاماً كَبِيراً ، قالَ : (كانَ يَجْلِسُ عِنْدِي رَجُلانِ وثَلاثَةٌ يَسْمَعُونَ كَلامِي ، ثُمَّ تَسامَعَ بِيَ النَّاسُ وازْدَحَمَ عَلَيَّ الخَلْقُ ؛ فَكُنْتُ أَجْلِسُ فِي المُصَلَّى بِبابِ الحَلْبَةِ ، ثُمَّ ضاقَ عَلَيَّ النَّاسُ ، فَأَخْرَجُوا الكُرْسِيَّ إِلَى داخِلِ السُّرُرِ بَيْنَ التَّنانِير ، وكانَ النَّاسُ يَجِيئُونَ فِي اللَّيْلِ عَلَى الشَّمْعِ والمَشاعِلِ ، يَأْخُذُونَ لَهُمْ مَواضِعَ ، ثُمَّ ضاقَ عَلَى النَّاسِ المَوْضِعُ ، فَحُمِلَ الكُرْسِيُّ إِلَى خارِجِ البَلَدِ ، وجُعِلَ فِي المُصَلَّى ، وكانُوا يَجِيئُونَ عَلَى الخَيْلِ والبِغالِ والحَمِيرِ والجِمالِ ، ويَقِفُونَ ما دارَ المَجْلِسُ كالسُّرُرِ ، وكانَ يَحْضُرُ المَجْلِسَ نَحْوَ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفاً) .

وكانَ لِمَجالِسِهِ تَأْثِيرٌ عَظِيمٌ ونَفْعٌ كَثِيرٌ ؛ قالَ الشَّيْخُ عُمَرُ الكِيسانِي :

(لَمْ تَكُنْ مَجالِسُ سَيِّدِنا الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ رضي الله عنه تَخْلُو مِمَّنْ يُسْلِمُ مِنَ اليَهُودِ والنَّصارَى ، ولا مِمَّنْ يَتُوبُ مِنْ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ ، وقاتِلِي النَّفْسِ ، وغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الفُسَّاقِ ولا مِمَّنْ يَرْجِعُ عَنْ مُعْتَقَدٍ سَيِّئٍ) .

وقَدْ كانَ يَشْعُرُ بِذَلِكَ ويَحْمَدُ اللّٰهَ عَلَيْهِ ، ويُفَضِّلُهُ عَلَى ما كانَ يَهْواهُ مِنَ الخَلْوَةِ للّٰهِ ، والانْقِطاعِ عَنِ الخَلْقِ والاشْتِغالِ بالعِباداتِ ، قالَ الجبائِي : قالَ لِي سَيِّدُنا الشَّيْخُ : (أَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ فِي الصَّحارِي والبَرارِي كَما كُنْتُ فِي الأَوَّلِ ، لا أَرَى الخَلْقَ ولا يَرَوْنَنِي) ثُمَّ قالَ : (أَرادَ اللّٰهُ عَزَّ وجَلَّ مِنِّي مَنْفَعَةَ الخَلْقِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيَّ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسَةِ آلافٍ مِنَ اليَهُودِ والنَّصارَى ، وتابَ عَلَى يَدَيَّ مِنَ العَيَّارِينَ والمَسالِحَةِ [1] أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ ، وهَذا خَيْرٌ كَثِيرٌ) [2] .

أَمَّا مُكاشَفاتُهُ : والمُكاشَفَةُ تَدْخُلُ فِي بابِ الفِراسَةِ وهِيَ أَشْياءٌ قَدْ أَثْبَتَها العِلْمُ الحَدِيثُ وأَثْبَتَها القُرْآنُ الكَرِيمُ ؛ إِذْ يَقُولُ اللّٰهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [3] ؛ أَيْ : لِلمُتَفَكِّرِينَ المُتَفَرِّسِينَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ حَقائِقَ الأَشْياءِ بِسِماتِها .

---

(١) المَسالِحُ : الجَماعَةُ ذَوُو السِّلاحِ .　　(٢) قَلائِدُ الجَواهِرِ .

(٣) سُورَةُ الحِجْرِ : الآيَةُ ٧٥ .

وأَيَّدَها الحَديثُ الشَّريفُ ؛ إذْ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ : (اتَّقُوا فِراسَةَ المُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ) [1] .

وهَذِهِ بَعْضٌ مِنْ مُكاشَفاتِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ الَّتي ذَكَرَها بَعْضُ الثِّقاةِ في الكُتُبِ :

١) ذَكَرَ الحافِظُ ابنُ رَجَبٍ في (الذَّيْل عَلَى طَبَقاتِ الحَنابِلَة) : أَنَّ الشَّيْخَ شِهابَ الدِّينِ عُمَرَ بنَ مُحَمَّدٍ السَّهْرَوَرْدِي قالَ : كُنْتُ قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَقْرَأَ شَيْئاً مِنْ عِلْمِ الكَلامِ ، وأَنا مُتَرَدِّدٌ : هَلْ أَقْرَأُ (الإِرْشادَ) لإِمامِ الحَرَمَيْنِ ، أَوْ (نِهايَةَ الإِقْدامِ) للشَّهْرِسْتانِي ، أَوْ كِتاباً آخَرَ ذَكَرَهُ ، فَذَهَبْتُ مَعَ خالِي النَّجِيبِ (الشَّيْخ عَبْد القاهِرِ السَّهْرَوَرْدِي) إِلَى الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ ، وكانَ خالِي يُصَلِّي بِجَنْبِ الشَّيْخِ ، فالْتَفَتَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ وقالَ لِي : يا عُمَرُ ، ما هُوَ مِنْ زادِ القَبْرِ ، ما هُوَ مِنْ زادِ القَبْرِ ؛ فَرَجَعْتُ عَنِ التَّفْكِيرِ في عِلْمِ الكَلامِ .

٢) وجاءَ في كِتابِ (سِيَر أَعْلامِ النُّبَلاءِ): أَنَّ الشَّيْخَ أَبا بَكْرٍ العِمادَ ، قالَ : كُنْتُ قَرَأْتُ في أُصُولِ الدِّينِ فَأَوْقَعَ عِنْدِي شَكًّا ، فَقُلْتُ : حَتَّى أَمْضِيَ إِلَى مَجْلِسِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ ؛ فَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَلَى

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي .

الخَواطِرِ ، فَمَضَيْتُ إليْهِ وهُوَ يَتَكَلَّمُ ، فَقالَ : اعْتِقادُنا اعْتِقادُ السَّلَفِ الصَّالِحِ والصَّحابَةِ ؛ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذا قالَهُ اتِّفاقاً ، فَتَكَلَّمَ ثُمَّ الْتَفَتَ إلَى ناحِيَتِي فَأَعادَهُ ، فَقُلْتُ : الواعِظُ قَدْ يَلْتَفِتُ ؛ فالْتَفَتَ إلَيَّ ثالِثَةً وقالَ : يا أَبا بَكْرٍ ، فَأَعادَ القَوْلَ نَفْسَهُ ، ثُمَّ قالَ : قُمْ قَدْ جاءَ أَبُوكَ ! وكانَ أَبِي غائِباً ، فَقُمْتُ مُبادِراً ، فَإِذا أَبِي قَدْ جاءَ .

٣) وجاءَ فِي المَصْدَرِ السَّابِقِ أَيْضاً : قالَ الجبائِي : كُنْتُ أَسْمَعُ الحِلْيَةَ ؛ أَيْ : (حِلْيَةَ الأَوْلياءِ) لأَبِي نُعَيْم عَلِيٍّ بنِ ناصِر ، فَرَقَّ قَلْبِي وقُلْتُ : اشْتَهَيْتُ لَو انْقَطَعْتُ للعِبادَةِ ، ومَضَيْتُ فَصَلَّيْتُ خَلْفَ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ ، فَلَمَّا جَلَسْنا نَظَرَ إلَيَّ وقالَ : إذا أَرَدْتَ الانْقِطاعَ فَلا تَنْقَطِعْ حَتَّى تَتَفَقَّهَ وتُجالِسَ الشُّيُوخَ وتَتَأَدَّبَ ، وإِلاَّ فَتَنْقَطِعَ وأَنْتَ فُرَيْخٌ ما رَيَّشْتَ .

٤) وفِي المَصْدَرِ السَّابِقِ أَيْضاً : قالَ أَبُو البَقاءِ العُكْبَرِي : سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ نَجاحِ الأَدِيبَ يَقُولُ : قُلْتُ فِي نَفْسِي : أُرِيدُ أَنْ أُحْصِيَ كَمْ يَقُصُّ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ شَعْرَ تائِبٍ ؛ فَحَضَرْتُ المَجْلِسَ ومَعِيَ خَيْطٌ ، وَضَعْتُهُ تَحْتَ ثِيابِي ، فَكُلَّما قَصَّ شَعْراً عَقَدْتُ عُقْدَةً تَحْتَ ثِيابِي مِنَ الخَيْطِ ، وأَنا فِي آخِرِ النَّاسِ ، وإِذا بِهِ يَقُولُ : أَنا أَحِلُّ وأَنْتَ تَعْقِدُ ؟!

٥) وفِيهِ أَيْضاً : قالَ أَحْمَدُ بنُ ظَفَرِ بنِ هُبَيْرَة : سَأَلْتُ جَدِّي[1] أَنْ أَزُورَ الشَّيْخَ عَبْدَ القادِرِ ؛ فَأَعْطانِي مَبْلَغاً مِنَ الذَّهَبِ لأُعْطِيَهُ ، فَلَمَّا نَزَلَ عَنِ المِنْبَرِ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ وتَحَرَّجْتُ مِنْ دَفْعِ الذَّهَبِ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الجَمْعِ ، فَقالَ : هات ما مَعَكَ ولا عَلَيْكَ مِنَ النَّاسِ ، وسَلِّمْ عَلَى الوَزِيرِ .

٦) وجاءَ فِي كِتاب (قَلائِد الجَواهِر) لِمُحَمَّدِ بنِ يَحْيَى التَّادِفِي : قالَ أَبُو الفَرَجِ بنُ الحَمَّامِي : كُنْتُ كَثِيراً ما أَسْمَعُ عَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ أَشْياءَ أَسْتَبْعِدُ وُقُوعَها وأُنْكِرُها ، وكُنْتُ بِحَسَبِ ذَلِكَ أَتَشَوَّقُ إِلَى لِقائِهِ ، واتَّفَقَ لِي أَنِّي مَضَيْتُ إِلَى بابِ الأَزْجِ لِحاجَةٍ كانَتْ لِي هُناكَ ، فَلَمَّا عُدْتُ مَرَرْتُ بِمَدْرَسَتِهِ والمُؤَذِّنُ يُقِيمُ الصَّلاةَ ، فَتَنَبَّهْتُ بِالإِقامَةِ عَلَى ما كانَ فِي نَفْسِي ، وقُلْتُ : أُصَلِّي العَصْرَ وأُسَلِّمُ عَلَى الشَّيْخِ ، وذَهَبَ عَنِّي أَنَّنِي عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ ، فَصَلَّى بِنا العَصْرَ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلاةِ والدُّعاءِ ، أَقْبَلَ عَلَيَّ وقالَ : أَي بُنَيَّ لَوْ قَدَّمْتَنِي بِالقَصْدِ عَلَى حاجَتِكَ لَقُضِيَتْ لَكَ ، ولَكِنَّ الغَفْلَةَ شامِلَةٌ لَكَ بِحَيْثُ قَدْ صَلَّيْتَ عَلَى غَيْرِ وُضُوءٍ وقَدْ سَهَوْتَ عَنْ ذَلِكَ ، قالَ : فَتَداخَلَنِي

---

(١) جَدُّهُ هُوَ عَوْنُ الدِّين يَحْيَى بنُ مُحَمَّدِ بن هُبَيْرَة ، وَزِيرُ الخَلِيفَةِ المُقْتَفِي لأَمْرِ اللهِ والخَلِيفَةِ المُسْتَنْجِدِ بِالله ، كانَ عالِماً أَدِيباً تَقِيًّا صالِحاً ، حَنْبَلِيَّ المَذْهَب ، وكانَ صَدِيقاً لِلشَّيْخ عَبْدِ القادِر - رَحِمَهُما اللهُ تَعالَى - فَهُوَ مِنْ مُعاصِرِيهِ ، وُلِدَ سَنَةَ (٤٩٩ هـ) ، وتُوُفِّي سَنَةَ (٥٦٠ هـ) .

العَجَبُ بِحالِهِ مِمَّا أَدْهَشَنِي وأَذْهَلَ عَقْلِي ، ومِنْ حِينَئِذٍ لازَمْتُ صُحْبَتَهُ وتَعَلَّقْتُ بِمَحَبَّتِهِ وخِدْمَتِهِ .

٧) وفِي المَصْدَرِ السَّابِقِ : قالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي الغَنائِمِ الحُسَيْنِي : اجْتَمَعَ يَوْماً فِي شَهْرِ اللهِ المُحَرَّمِ سَنَةَ (٥٥٩ هـ) فِي رِباطِ الشَّيْخِ مِنَ الرِّواقِ بِالحَلَبَةِ مِنَ الزُّوَّارِ لَهُ نَحْوَ مِنْ ثَلاثِمِائَةِ رَجُلٍ ، فَخَرَجَ ﷺ مِنْ داخِلِ الدَّارِ عَجِلاً وصاحَ بِالنَّاسِ : أَسْرِعُوا إِلَيَّ ، أَسْرِعُوا إِلَيَّ ؛ فَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي الرِّواقِ أَحَدٌ ، فَسَقَطَ السَّقْفُ وسَلِمَ النَّاسُ .

٨) وفِي المَصْدَرِ السَّابِقِ : قالَ أَبُو المُظَفَّرِ شَمْسُ الدِّينِ يُوسُفُ سِبْطُ ابنِ الجَوْزِي : قالَ خاصْبك (اسْمُ رَجُلٍ تُرْكِي) : كانَ الشَّيْخُ عَبْدُ القادِرِ يَجْلِسُ يَوْمَ الأَحَدِ ، فَبِتُّ لَيْلَةَ الأَحَدِ مُهْتَمًّا بِحُضُورِ مَجْلِسِهِ ، فاتَّفَقَ أَنِّي احْتَلَمْتُ وكانَتْ لَيْلَةً بارِدَةً ، فَقُلْتُ : ما أُفَوِّتُ مَجْلِسَهُ ، وإذا انْقَضَى اغْتَسَلْتُ ، فَجِئْتُ إِلَى المَدْرَسَةِ والشَّيْخُ عَلَى المِنْبَرِ ، فَساعَةَ ما وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَيَّ قالَ : تَحْضُرُ مَجْلِسَنا وأَنْتَ جُنُبٌ وتَحْتَجُّ بِالبَرْدِ !

٩) وفِي المَصْدَرِ السَّابِقِ : قالَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ

ابنُ أَبِي طاهِرٍ إِبْراهِيمَ بنِ نَجا الأَنْصارِيُّ الدِّمَشْقِيُّ[1] : حَجَجْتُ أَنا ورَفِيقٌ لِي ثُمَّ أَتَيْنا بَغْدادَ ، وكُنَّا لا نَعْرِفُ فِيها أَحَداً ، ولَمْ يَكُنْ مَعَنا إِلَّا مُدْيَةٌ (أَيْ : سِكِّينٌ) فَبِعْناها واشْتَرَيْنا أُرْزاً وأَكَلْناهُ ، فَلَمْ يَطِبْ لَنا ولَمْ نَشْبَعْ ، ثُمَّ أَتَيْنا مَجْلِسَ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ ﷺ ، فَلَمَّا دَخَلْنا قَطَعَ كَلامَهُ وقالَ : مَساكِين ، الغُرَباءُ جاءُوا مِنَ الحِجازِ ولَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ إِلَّا مُدْيَةٌ باعُوها واشْتَرَوا أُرْزاً فَلَمْ يَطِبْ لَهُمْ ولَمْ يَشْبَعُوا ، فَعَجِبْنا مِنْهُ عَجَباً شَدِيداً ، فَلَمَّا انْقَضَى كَلامُهُ أَمَرَ بِمَدِّ السِّماطِ ، فَقُلْتُ لِرَفِيقِي سِرًّا ما تَشْتَهِي ؟ فَقالَ : كِشْكاً بِدَرَّاج ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وأَنا أَشْتَهِي شَهْداً ، فَقالَ الشَّيْخُ لِلخادِمِ عَلَى الفَوْرِ : أَحْضِرْ لَنا كِشْكاً بِدَرَّاجٍ وشَهْداً ، فَأَحْضَرَهُما ، فَقالَ : ضَعْهُما بَيْنَ يَدَي ذَيَّاكَ الرَّجُلَيْنِ ، وأَشارَ إِلَيْنا ؛ فَوَضَعَ الكِشْكَ أَمامِي والشَّهْدَ أَمامَ رَفِيقِي ، فَقالَ الشَّيْخُ : اقْلِبْ تُصِبْ ، فَلَمْ أَتَمالَكْ نَفْسِي أَنْ صَرَخْتُ وقُمْتُ أَتَخَطَّى رِقابَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَقالَ لِي : أَهْلاً بِواعِظِ الدِّيارِ المِصْرِيَّةِ ، فَقُلْتُ لَهُ : يا سَيِّدِي : كَيْفَ وأَنا لا أُحْسِنُ الفاتِحَةَ ؟ فَقالَ لِي : بِهَذا أُمِرْتُ

---

(١) هُوَ الَّذِي أَلْقَى المَوْعِظَةَ فِي المَسْجِدِ الأَقْصَى المُبارَكِ بَيْنَ يَدَي صَلاحِ الدِّين الأَيُّوبِي عِنْدَما اسْتَرَدَّ القُدْسَ فِي سَنَةِ (٥٨٣ هـ) .

أَنْ أَقُولَ لَكَ هَذا القَوْلَ .

قالَ : فاشْتَغَلْتُ عَلَيْهِ بِالعِلْمِ ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ فِي سَنَةٍ بِما لَمْ يَفْتَحْ عَلَى غَيْرِي فِي عِشْرِينَ سَنَةً ، وتَكَلَّمْتُ فِي بَغْدادَ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ مِنْهُ السَّفَرَ إِلَى مِصْرَ ، فَقالَ لِي : إِنَّكَ تَصِلُ إِلَى دِمَشْقَ تَجِدُ بِها الغُزَّ (أَي : التُّرْكُمان ؛ قَوْمُ نُورِ الدِّين زَنْكِي) مُتَأَهِّبِينَ لِلدُّخُولِ إِلَى مِصْرَ لِيَمْلُكُوها ، فَقُلْ لَهُمْ : إِنَّكُمْ لَنْ تَنالُوا ما تُرِيدُونَ مِنْ مِصْرَ فِي هَذِهِ المَرَّة ، وتَعُودُونَ إِلَيْها مَرَّةً أُخْرَى فَتَمْلِكُونَها ؛ فَكانَ ما قالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى .

وقالَ رُؤَساءُ صِناعَةِ التَّعْزِيم (التَّعْزِيم : قِراءَةُ الرُّقْيَةِ عَلَى المَصْرُوع) : إِنَّ بَغْدادَ مَكَثَتْ فِي حَياةِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً لا يُصْرَعُ فِيها أَحَدٌ .

وقالَ الشَّيْخُ المُعَمَّرُ جَرادَه (مِنْ تَلامِيذِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ) : كُنْتُ يَوْماً فِي دارِ سَيِّدِنا الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ رضي الله عنه ، وهُوَ جالِسٌ يَنْسَخُ ، فَسَقَطَ عَلَيْهِ تُرابٌ مِنَ السَّقْفِ ، فَنَفَضَهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فِي الرَّابِعَةِ إِلَى السَّقْفِ فَرَأَى فَأْرَةً تُبَعْثِرُ ، وعِنْدَما وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَيْها وَقَعَتْ مَيِّتَةً ، فَتَرَكَ النَّسْخَ وبَكَى ، فَقُلْتُ : يا سَيِّدِي ما يُبْكِيكَ ؟ قالَ :

أَخْشَى أَنْ يَتَأَذَّى قَلْبِي مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فَيُصِيبَهُ ما أَصابَ هَذِهِ الفَأْرَةَ ؛ وهَذا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ رُوحانِيَّتِهِ رضي الله عنه .

وهُناكَ قِصَصٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ مِثْلَ هَذِهِ الَّتِي ذَكَرْتُها ، مَبْسُوطَةٌ فِي الكُتُبِ المَذْكُورَةِ آنِفاً .

ولِلّهِ دَرُّ ابنِ عَبْدِ الفَتَّاحِ المِصْرِي فِي مِدْحَتِهِ لَهُ (مِنْ بَحْرِ الكامِلِ) قائِلاً :

واجْعَلْ مَدِيحَكَ إِنْ أَرَدْتَ تَقَرُّباً
مِنْ ذِي الْجَلالِ بِباطِنٍ وبِظاهِرِ
لِلْمُصْطَفَى ولآلِهِ وصِحابِهِ
والشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْقادِرِ
وَهُوَ الْمُقَرَّبُ والْمُكاشِفُ جَهْرَةً
بِغُيُوبِ أَسْرارٍ وسِرِّ ضَمائِرِ
وَهُوَ المُمَنْطَقُ والْمُؤَيَّدُ قَوْلُهُ
ولَهُ فُتُوحُ الْغَيْبِ آيَةُ قادِرِ
ولَهُ التَّحَبُّبُ والتَّوَدُّدُ والرِّضا
مِنْ رَبِّهِ بِمَعارِفٍ كَجَواهِرِ

خَلَعَ الإِلَهُ عَلَيْهِ ثَوْبَ وِلايَةٍ
وأَمَدَّهُ مِنْ جُنْدِهِ بِعَساكِرِ

قَوْلُهُ فِي اسْمِ اللهِ الأَعْظَم :

قالَ رضي الله عنه فِي الاسْمِ الأَعْظَم : اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ هُوَ ﴿ٱللَّهُ﴾ ؛ وإِنَّما يُسْتَجابُ لَكَ إذا قُلْتَ : يا ﴿ٱللَّهُ﴾ ولَيْسَ فِي قَلْبِكَ غَيْرُهُ ، هَذِهِ كَلِمَةٌ تُزِيلُ الهَمَّ ، هَذِهِ كَلِمَةٌ تَكْشِفُ الغَمَّ ، هَذِهِ كَلِمَةٌ تُبْطِلُ السُّمَّ ، هَذِهِ كَلِمَةٌ نُورُها يَعُمُّ ، ٱللَّهُ يَغْلِبُ كُلَّ غالِب ، ٱللَّهُ مُظْهِرُ العَجائِب ، ٱللَّهُ سُلْطانُهُ رَفِيعٌ ، ٱللَّهُ جَنابُهُ مَنِيعٌ ، ٱللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى العِبادِ ، ٱللَّهُ رَقِيبٌ عَلَى القُلُوب والفُؤادِ ، ٱللَّهُ قاهِرُ الجَبابِرَةِ ، ٱللَّهُ قاصِمُ الأَكاسِرَةِ ، ٱللَّهُ عالِمُ السِّرِّ والعَلانِيَةِ ، ٱللَّهُ لا تَخْفَى عَلَيْهِ خافِيَةٌ .

تَزْكِيَةُ الوِجْدانِ وتَرْقِيقُ المَشاعِر
بِذِكْرِ مُقْتَطَفاتٍ مِنْ أَشْعارِ الشَّيْخ عَبْدِ القادِر

يُعَدُّ شِعْرُ الشَّيْخ عَبْدِ القادِرِ كُلُّهُ مِنَ الشِّعْرِ الصُّوفِي ؛ فَهُوَ كُلُّهُ فِي التَّصَوُّفِ والحُبِّ الإِلَهِيِّ وحُبِّ النَّبِيِّ ﷺ ، وفِي ذِكْرِ مَآثِرِ طَرِيقَتِهِ تَحَدُّثاً بِنِعْمَةِ اللهِ ومِنَّتِهِ ، والسَّعْيِ إِلَى الحُصُولِ عَلَى مَرْضاةِ رَبِّهِ والفَوْزِ بِمَعِيَّتِهِ .

• مُقْتَطَفاتٌ مِنْ قَصِيدَةِ (أَسْماءِ اللّهِ الحُسْنَى) :

شَرَعْتُ بِتَوْحِيدِ الإلَهِ مُبَسْمِلاً
سَأَخْتِمُ بِالذِّكْرِ الْحَمِيدِ مُجَمِّلا

وأَشْهَدُ أَنَّ اللّهَ لا رَبَّ غَيْرُهُ
تَنَزَّهَ عَنْ حَصْرِ الْعُقُولِ تَكَمُّلا

وأَرْسَلَ فِينا أَحْمَدَ الْحَقِّ قَيِّماً
نَبِيًّا بِهِ قامَ الْوُجُودُ وقَدْ خَلا

فَعَلَّمَنا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مُؤَيَّدٍ
وأَظْهَرَ فِينا الْحِلْمَ والْعِلْمَ والْوَلا

فَيا طالِباً عِزًّا وكَنْزاً ورِفْعَةً
مِنَ اللّهِ فادْعُهُ بِأَسْمائِهِ الْعُلا

بِحَقِّكَ يا رَحْمٰنُ بِالرَّحْمَةِ الَّتِي
أَحاطَتْ فَكُنْ لِي يا رَحِيمُ مُجَمِّلا

ويا مَلِكٌ قُدُّوسُ قَدِّسْ سَرِيرَتِي
وسَلِّمْ وُجُودِي يا سَلامُ مِنَ الْبِلا

ويا بارِئَ النَّعْماءِ زِدْ فَيْضَ نِعْمَةٍ
أَفَضْتَ عَلَيْنا يا مُصَوِّرُ أَوَّلا

رَجَوْتُكَ يا غَفَّارُ فاقْبَلْ لِتَوْبَتي
بِقَهْرِكَ يا قَهَّارُ شَيْطانِيَ اخْذُلا
بِحَقِّكَ يا وَهَّابُ عِلْماً وحِكْمَةً
ولِلرِّزْقِ يا رَزَّاقُ كُنْ لِي مُسَهِّلا
ويا قادِرٌ ذا الْبَطْشِ أَهْلِكْ عَدُوَّنا
ومُقْتَدِرٌ قَدِّرْ لِحُسَّادِنا البَلا
عَطُوفٌ رَؤُوفٌ بِالْعِبادِ ومُسْعِفٌ
لِمَنْ قَدْ دَعا يا مالِكَ الْمُلْكِ أَجْزِلا
ويا نُورُ أَنْتَ النُّورُ فِي كُلِّ ما بَدا
ويا هادِ كُنْ لِلنُّورِ فِي الْقَلْبِ مُشْعِلا
بِأَسْمائِكَ الْحُسْنَى دَعَوْتُكَ سَيِّدي
وآياتِكَ الْعُظْمَى ابْتَهَلْتُ تَوَسُّلا
أَغِثْ واشْفِنِي مِنْ داءِ نَفْسِيَ واهْدِنِي
إِلَى الْخَيْرِ واصْلِحْ ما بِعَقْلِي تَخَلَّلا
إِلَـهِي فارْحَمْ والِدَيَّ وإِخْوَتِي
ومَنْ هَذِهِ الأَسْماءَ يَدْعُو مُرَتِّلا

وصَلِّ عَلَى جَدِّي الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ
بأَحْلَى سَلامٍ فِي الْوُجُودِ وأَكْمَلا
مَعَ الْآلِ والْأَصْحابِ جَمْعاً مُؤَيَّداً
وبَعْدُ - فَحَمْدُ اللهِ خَتْماً وأَوَّلا

• مُقْتَطَفاتٌ مِنْ قَصِيدَةِ (الغَوْثِيَّة) :

خُذْ بِلُطْفِكْ يا إِلَهِي مَنْ لَهُ زادٌ قَلِيلْ
مُفْلِسٌ بِالصِّدْقِ يَأْتِي عِنْدَ بابِكَ يا جَلِيلْ
ذَنْبُهُ ذَنْبٌ عَظِيمٌ ، فاغْفِرِ الذَّنْبَ الْعَظِيمْ
إِنَّهُ شَخْصٌ غَرِيبٌ ، مُذْنِبٌ ، عَبْدٌ ذَلِيلْ
مِنْهُ عِصْيانٌ ونِسْيانٌ وسَهْوٌ بَعْدَ سَهْوٍ
مِنْكَ إِحْسانٌ وفَضْلٌ بَعْدَ إِعْطاءٍ جَزِيلْ
قالَ يا رَبِّي ذُنُوبِي مِثْلُ رَمْلٍ لا تُعَدّ
فاعْفُوَنْ عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ ، فاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلْ
كَيْفَ حالِي يا إِلَهِي لَيْسَ لِي خَيْرُ الْعَمَلْ
سُوءُ أَعْمالِي كَثِيرٌ ، زادُ طاعاتِي قَلِيلْ
أَنْتَ شافٍ ، أَنْتَ كافٍ فِي مُهِمَّاتِ الْأُمُورْ
أَنْتَ حَسْبِي ، أَنْتَ رَبِّي ، أَنْتَ لِي نِعْمَ الْوَكِيلْ

عافِنِي مِنْ كُلِّ داءٍ ، واقْضِ عَنِّي حاجَتِي
إنَّ لِي قَلْباً سَقِيماً ، أَنْتَ مَنْ يَشْفِي الْعَلِيلْ
هَبْ لَنا مُلْكاً كَبِيراً ، نَجِّنا مِمَّا نَخاف
رَبَّنا إذْ أَنْتَ قاضٍ ، والْمُنادِي جِبْرَئِيلْ
رَبِّ هَبْ لِي كَنْزَ فَضْلٍ أَنْتَ وَهَّابٌ كَرِيم
أَعْطِنِي ما فِي الضَّمِيرِ دُلَّنِي خَيْرَ الدَّلِيلْ

• مُقْتَطَفاتٌ مِنْ قَصِيدَةِ (الوَسِيلَة) :

نَظَرْتُ بِعَيْنِ الْفِكْرِ فِي حانِ حَضْرَتِي
حَبِيباً تَجَلَّى لِلْقُلُوبِ فَحَنَّتِ
سَقانِي بِكَأْسٍ مِنْ مُدامَةِ حُبِّهِ
فَكانَ مِنَ السَّاقِي خُمارِي[1] وسَكْرَتِي
وطابَتْ لِيَ الأَكْوانُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ
فَصِرْتُ لَها أَهْلاً بِتَصْحِيحِ نِيَّتِي
وأَصْبَحْتُ بِالْوادِي الْمُقَدَّسِ جالِساً
عَلَى طُورِ سِينا قَدْ سَمَوْتُ بِخِلْعَتِي

---

(١) الخُمارُ : ما يُصِيبُ شارِبَ الخَمْرِ مِنَ الصُّداعِ .

فَلا عِلْمَ إِلَّا مِنْ بِحارٍ وَرَدْتُها
ولا نَقْلَ إِلَّا مِنْ صَحِيحِ رِوايَتِي
عَلَى الدُّرَّةِ الْبَيْضاءِ كانَ اجْتِماعُنا
وفِي قابِ قَوْسَيْنِ اجْتِماعُ الْأَحِبَّةِ
ولاحَتْ لِيَ الْأَسْرارُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ
وبانَتْ لِيَ الْأَنْوارُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ
وشاهَدْتُ مَعْنًى لَوْ بَدا كَشْفُ سِرِّهِ
لِصُمِّ الْجِبالِ الرَّاسِياتِ لَدُكَّتِ
فَيا مُنْشِداً لِلنَّظْمِ قُلْهُ ولا تَخَفْ
فَإِنَّكَ مَحْرُوسٌ بِعَيْنِ الْعِنايَةِ
وكُنْ قادِرِيَّ الْوَقْتِ لِلّهِ مُخْلِصاً
تَعِيشُ سَعِيداً صادِقاً بِمَحَبَّتِي

• ولَهُ أَيْضاً مُقْتَطَفاتٌ شِعْرِيَّةٌ (فِي العِشْقِ والفَخْرِ) ؛ مِنْها :

سَقانِي حَبِيبِي مِنْ شَرابِ ذَوِي الْمَجْدِ
فَأَسْكَرَنِي حَقًّا فَغِبْتُ عَلَي وَجْدِي
وأَجْلَسَنِي فِي قابِ قَوْسَيْنِ سَيِّدِي
عَلَى مِنْبَرِ التَّخْصِيصِ فِي حُسْنِ مِقْعَدِي

فَــما شَـــرِبَ الْعُــشَّاقُ إِلَّا بَقِــيَّتِي
وفَضْـلَةُ كاساتِي بِـها شَـرِبُوا بَعْـدِي
ولَـوْ شَـرِبُوا مـا قَـدْ شَـرِبْتُ وعـايَـنُوا
مِنَ الْحَضْرَةِ الْعَلْيا شَراب ذَوِي الْوُدِّ
لأَمْسَوا سُـكارَى قَبْلَ أَنْ يَقْـرَبُوا لَـها
وأَمْسَوْا حَيارَى مِنْ مُصادَمَـةِ الْوِرْدِ
فَإِنْ شِـئْتَ أَنْ تَحْظَى بِعِــزٍّ وقُـرْبَـةٍ
فَداوِمْ عَلَى حُبِّي وحافِظْ عَلَى عَهْدِي

• ومِنْها :

طافَـتْ بِكَعْـبَةِ حُسْنِكُمْ أَشْواقِي
فَسَجَدْتُ شُكْـراً لِلْجَـلالِ الْـباقِي
ورَمَـيْتُ فِي قَلْبِي جَمادَ هَـواكُمْ
بِـيَدِ الْمُنَى وبَقِـيتُ فِي إِحْــراقِ
سَــكْرانُ عِـشْــقٍ لا أَزالُ مُـوَلَّـهاً
يا لَيْتَ شِعْـرِي ما سَقانِي السَّاقِي
أَنـا شَـيْخُ الْمَـشايِخِ حُـزْتُ عِـلْماً
بِـــآدابٍ وحِــــلْـمٍ واتِّــــصالِ

مُـرِيـدِي لا تَـخَـفْ شَـيْـئاً فَـإنِّي
عَــزُومٌ قـاتِــلٌ عِــنْـدَ الْقِـــتالِ
مُـرِيـدِي لا تَـخَــفْ فَـاللهُ رَبِّــي
حَـبانِي رِفْـعَـةً نِـلْـتُ الْـمَـعالِـي
وكُـــلُّ وَلِـــيٍّ لَـــهُ قَـدَمٌ وإنِّـــي
عَـلَى قَـدَمِ النَّـبِـيِّ بَـدْرِ الْكَـمالِ

(أَي قَدَمي فِي سَيْرِي عَلَى أَثَرِ قَدَمِ النَّبِيِّ ﷺ فَهُوَ أُسْوَتِي وقُدْوَتِي ؛ وهَذا حَسَبُ فَهْمِي ما يُفَسِّرُ قَوْلَهُ رضي الله عنه : قَدَمِي عَلَى رَقَبَةِ كُلِّ وَلِيٍّ ؛ فَسَيْرُ طَرِيقَتِي تابِعٌ لِحَضْرَتِهِ ﷺ قَدَمٌ عَلَى قَدَم ، والرَّقَبَةُ كِنايَةٌ عَنْ رَأْسِ الأَمْرِ (ورَأْسُ الأَمْرِ وذُرْوَةُ سِنامِهِ هِيَ اتِّباعُ النَّبِيِّ ﷺ)؛ وهَذا هُوَ المُعَوَّلُ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِ القَوْمِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ ، فَيَكُونُ المَعْنَى : أَنَّنِي فِي أَوَّلِ صَفِّ أَوْلِياءِ زَمانِي المُتَّبِعِينَ والمُلْتَزِمِينَ بِطَرِيقَةِ سَيِّدِ الأَنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ ﷺ) .

• ومِنْها :

تَـرَكْـنا الْبِـحـارَ الـزَّاخِـراتِ وَراءَنـا
فَـمِـنْ أَيْنَ يَدْرِي الـنَّـاسُ أَيْنَ تَوَجَّـهْـنا

وثَـمَّ حَـدِيـثٌ جَـلَّ كُـنْـهُ صِـفاتِـهِ

عَنِ الْوَصْفِ ما هِمْنا بِذاكَ ولا بُحْنا

شَهِـدْنا جَـمالاً ما تَجَلَّـى لِغَـيْرِنـا

تُـلاحِـظُهُ أَرْواحُـنا ، عَـنْهُ ما حِـدْنا

• ومِنْها :

تَجَلَّى لِيَ الْمَحْبُوبُ مِنْ غَيْهَبِ الْحُجْبِ

فَشاهَدْتُ أَشْياءً تَجِلُّ عَنِ الْخَطْبِ

وأَشْـرَقَتِ الأَكْـوانُ مِـنْ نُـورِ وَجْـهِهِ

فَخِفْتُ لأَنْ أَقْضِيَ لِهَيْـبَتِهِ نَحْـبِي

فَـنادَيْتُهُ سِـرًّا لِتَعْظِـيمِ شَـأْنِـهِ

ولَـمْ أَطْـلُبِ الرُّؤْيا لَـهُ خِيفَةَ الْعَتْبِ

تَعَطَّفْ عَلَيَّ مَنْ أَنْتَ أَقْصَى مُرادِهِ

فَمَعْناكَ فِي عَيْنِي وذِكْراكَ فِي قَلْبِي

• ولَهُ أَيْضاً قَصِيدَةُ (ما فِي المَناهِلِ) الَّتِي شَطَّرَها وخَمَّسَها كَثِيرٌ مِنَ الشُّعَراءِ والعُرَفاءِ ؛ كَأَبِي بَكْرِ ابْنِ حَجَّةَ ، والشَّيْخِ عَبْدِ الغَنِي

النَّابُلْسِي ، وغَيْرِهِما :

ما فِي الْمَناهِلِ مَنْهَلٌ مُسْتَعْذَبُ
إِلَّا ولِي فِيهِ الْأَلَذُّ الْأَطْيَبُ
أَوْ فِي الْوِصالِ مَكانَةٌ مَخْصُوصَةٌ
إِلَّا ومَنْزِلَتِي أَعَزُّ وأَقْرَبُ
وَهَبَتْ لِيَ الْأَيَّامُ رَوْنَقَ صَفْوِها
فَحَلَتْ مَناهِلُها وطابَ الْمَشْرَبُ
وغَدَوْتُ مَخْطُوباً لِكُلِّ كَرِيمَةٍ
لا يَهْتَدِي فِيها اللَّبِيبُ فَيَخْطِبُ
أَنا مِنْ رِجالٍ لا يَخافُ جَلِيسُهُمْ
رَيْبَ الزَّمانِ ولا يَرَى ما يُرْهِبُ
قَوْمٌ لَهُمْ فِي كُلِّ مَجْدٍ رُتْبَةٌ
عَلَوِيَّةٌ وبِكُلِّ جَيْشٍ مَوْكِبُ
أَنا بُلْبُلُ الْأَفْراحِ أَمْلَأُ دَوْحَها
طَرَباً ، وفِي الْعَلْياءِ بازٌ أَشْهَبُ

أَضْحَتْ جُيُوشُ الْحُبِّ تَحْتَ مَشِيئَتِي

طَوْعاً ومَهْما رَمَتْهُ لا يَعْزُبُ

أَصْبَحْتُ لا أَمَلاً ولا أُمْنِيَّةً

أَرْجُو ولا مَوْعُودَةً أَتَرَقَّبُ

ما زِلْتُ أَرْتَعُ فِي مَيادِينِ الرِّضا

حَتَّى وُهِبْتُ مَكانَةً لا تُوهَبُ

أَضْحَى الزَّمانُ كَحُلَّةٍ مَرْقُومَةٍ

تَزْهُو ونَحْنُ لَها الطِّرازُ الْمُذْهَبُ

أَفَلَتْ شُمُوسُ الأَوَّلِينَ وشَمْسُنا

أَبَداً عَلَى فَلَكِ الْعُلا لا تَغْرُبُ

وَفاةُ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ الجَيْلانِي :

تُوفِّيَ لَيْلَةَ السَّبْتِ عاشِرَ رَبِيعٍ الآخِرِ سَنَةَ (٥٦١ هـ) ، المُوافِقُ لـ (١١٦٦/٢/١٣م) عَلَى التَّحْقِيقِ .

وقِيلَ : إِنَّهُ لَمْ يَمْرَضْ فِي حَياتِهِ مَرَضاً شَدِيداً سِوَى مَرَضِ وَفاتِهِ الَّذي دامَ يَوْماً ولَيْلَةً فَقَط [1] .

---

(١) كِتاب (عَبْدُ القادِرِ الكِيلانِي) : مُحَمَّد العَيْنِي .

وكانَتْ آخِرُ كَلِماتِهِ : اسْتَعَنْتُ بـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ الَّذي لا يَمُوتُ ولا يَخْشَى الفَوْت ، سُبْحانَ مَنْ تَعَزَّزَ بالقُدْرَةِ وقَهَرَ عِبادَهُ بالمَوْت ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ .

ولِلّٰهِ دَرُّ بَعْضِهِمْ حَيْثُ جَمَعَ تارِيخَ الوِلادَةِ والوَفاةِ والعُمُرِ بِبَيْتٍ مُفْرَدٍ حَيْثُ قالَ :

إِنَّ بـازَ اللهِ سُلْطانُ الرِّجالِ

جاءَ فِي عِشْقٍ وماتَ فِي كَمالِ

فَعَلَى هَذا : كَلِمَةُ (عِشْق) بِحِسابِ الجُمَّل (٤٧٠) فَهُوَ تارِيخُ الوِلادَةِ ، وكَلِمَةُ (كَمال) : (٩١) فَهُوَ قَدْرُ العُمُرِ ، وإذا ضَمَمْنا كَلِمَةَ (عِشْقٍ) مَعَ كَلِمَةِ (كَمالٍ) يَكُونُ الحاصِلُ مِنَ العَدَدِ : (٥٦١) فَهُوَ تارِيخُ الوَفاةِ .

رَضِيَ اللهُ تَعالَى عَنْهُ وقَدَّسَ رُوحَهُ وأَسْرارَهُ وأَمَدَّنا بِإِمْداداتِهِ آمِين .

اتِّصالُ أَكْثَرِ طُرُقِ أَهْلِ اللهِ الصُّوفِيَّة بِالطَّرِيقَةِ القادِرِيَّةِ العَلِيَّة

فالطُّرُقُ المَشْهُورَةُ المُسْتَقِلَّةُ الَّتِي تَتَّصِلُ بِطَرِيقَةِ الجَيْلانِي بِوَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ أَسانِيدِها هِيَ :

- **الطَّرِيقَةُ السَّهْرَوَرْدِيَّة** : وإمامُ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ هُوَ الشَّيْخُ الكَبِيرُ والقُطْبُ

الشَّهيرُ العارِفُ الرَّبَّانِي سَيِّدِي أَبُو النَّجيب ضِياءُ الدِّينِ عَبْدُ القاهِرِ السَّهْرَوَرْدِيُّ البَغْدادِيُّ الصِّدِّيقِيُّ (حَيْثُ يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى سَيِّدِنا أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيق رضي الله عنه) .

فَإِنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ القاهِرِ صَحِبَ الإِمامَ عَبْدَ القادِرِ وأَخَذَ عَنْهُ تَبَرُّكاً كَما كانَ يَحْضُرُ مَجالِسَهُ ، وابْنَ أَخِيهِ الإمامَ شِهابَ الدِّينِ عُمَرَ السَّهْرَوَرْدِيَّ صَحِبَ الإمامَ الجَيْلانِيَّ بِرَأْيِ عَمِّهِ وأَخَذَ عَنْهُ كما أَخَذَ عَنْ عَمِّهِ ، والشَّيْخُ عُمَرُ هُوَ الَّذِي أَحْيا الطَّرِيقَةَ السَّهْرَوَرْدِيَّةَ ونَشَرَها ، وكانَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ شَيْخَ بَغْدادَ ، وكانَ مِنْ أَصْحابِ الأَحْوالِ والمَقاماتِ العالِيَةِ والكَراماتِ الظَّاهِرَةِ ، ولَهُ كَلامٌ عالٍ عَلَى لِسانِ أَهْلِ الحَقِيقَةِ والمَعْرِفَةِ ولَهُ التَّآلِيفُ العَدِيدَةُ والمُفِيدَةُ .

كانَ مَوْلِدُ الإمام عُمَرَ السَّهْرَوَرْدِيِّ بِسَهْرَوَرْد بِمُقاطَعَةِ الجَبَلِ بِفارِس (٥٣٩ هـ) ، وتُوفِّيَ قُدِّسَ سِرُّهُ بِبَغْدادَ سَنَةَ (٦٣٢ هـ) ، وأَمَّا عَمُّهُ قُدِّسَ سِرُّهُ فَكانَتْ وَفاتُهُ بِبَغْدادَ سَنَةَ (٥٦٣ هـ) .

● **الطَّرِيقَةُ الشَّاذُلِيَّة** : وشَيْخُها القُطْبُ الشَّهِيرُ والوَلِيُّ الكَبِيرُ شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ سَيِّدِي أَبو الحَسَنِ الشَّاذُلِيُّ المَغْرِبِيُّ الحَسَنِيُّ ثُمَّ المِصْرِيُّ رضي الله عنه ؛ مِنْ جُمْلَةِ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُم : الشَّيْخُ الجَلِيلُ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي

الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ حَرازِم ، وهُوَ أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ صالِحِ بنِ بِنْصارِ بنِ عَفْيانَ الدُّكالِي عَنِ الشَّيْخِ الصِّدِّيقِ والقُطْبِ ذِي التَّمْكِينِ والتَّحْقِيقِ سَيِّدِي أَبِي مَدْيَنَ شُعَيْب (الأَنْدَلُسِيِّ ثُمَّ المَغْرِبِيِّ الأَنْصارِيِّ) عَنِ الإِمامِ الجَيْلانِيِّ رضي الله عنه .

وُلِدَ الإِمامُ الشَّاذُلِيُّ سَنَةَ (٥٩٣ هـ) بـ (غُمارَةَ) بِالمَغْرِب ، وتُوفِّيَ رضي الله عنه أَثْناءَ رِحْلَتِهِ للحَجِّ فِي شَهْرِ شَوَّال سَنَةَ (٦٥٦ هـ) بـ (حُمَيْثَرا) فِي بَرِّيَّةِ عِيذاب فِي وادٍ عَلَى طَرِيقِ الصَّعِيد بِمُحافَظَةِ البَحْرِ الأَحْمَرِ بِالدِّيارِ المِصْرِيَّة ، وضَرِيحُهُ الأَنْوَرُ لا يَخْلُو مِنَ الزُّوَّارِ عَلَى مَدارِ ساعاتِ اللَّيْلِ والنَّهارِ ، رَغْمَ اجْتِيازِ الصَّحارِي والقِفارِ ، حَيْثُ قِرَى ضُيُوفِهِ أَجَلُّ كَراماتِهِ يَشْهَدُها ذَوُو السَّمْعِ والأَبْصارِ ، والأَنْوارُ والأَسْرارُ يَعْقِلُها ذَوُو الحِسْبَةِ الخاصَّةِ عَلَى النَّبِيِّ المُخْتارِ ﷺ .

وكانَ مِنْ أَعْظَمِ مَشايِخِهِ القُطْبُ الجَلِيلُ سُلافَةُ أَهْلِ العِرْفانِ والتَّبْجِيلِ سَيِّدِي عَبْدُ السَّلام بنُ مَشِيشٍ الحَسَنِيُّ المَغْرِبِيُّ الَّذِي أَخَذَ هُوَ أَيْضاً عَنْ سَيِّدِي أَبِي مَدْيَنَ الغَوْث .

والإِمامُ الشَّاذُلِيُّ هُوَ أَحَدُ الأَقْطابِ المَشْهُورِينَ أَبْرَزَهُ اللهُ وأَظْهَرَهُ لِمَصْلَحَةِ مَنْ شاءَ مِنْ عِبادِهِ ، وكانَ كَثِيرَ البَلاءِ عَظِيمَ الصَّبْرِ والتَّسْلِيمِ

للهِ عَزَّ وجَلَّ ، مِنْ أَصْحابِ المَقاماتِ العالِيَةِ والتَّصَرُّفِ ، ونَسَبُهُ إِلَى الإمامِ الحَسَنِ رضي الله عنه عَلَى النَّحْوِ الآتِي ؛ فَهُوَ : أَبُو الحَسَنِ عَلِيٌّ الشَّاذُلِيُّ ابنُ السَّيِّدِ عَبْدِ اللهِ ابنِ السَّيِّدِ عَبْدِ الجَبَّارِ ابنِ السَّيِّدِ تَمِيم ابنِ السَّيِّدِ هُرْمُزَ ابنِ السَّيِّدِ حاتِمِ ابنِ السَّيِّدِ قُصَيٍّ ابنِ السَّيِّدِ يَعْقُوبَ ابنِ السَّيِّدِ يُوشَعَ ابنِ السَّيِّدِ وِرْدانَ ابنِ السَّيِّدِ عَلِيٍّ ابنِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ ابنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ ابنِ السَّيِّدِ عِيسَى ابنِ السَّيِّدِ إِدْرِيسَ ابنِ السَّيِّدِ عُمَرَ ابنِ الإمامِ إِدْرِيسَ الثَّانِي ابنِ الإمامِ إِدْرِيسَ الأَوَّلِ ابنِ الإمامِ عَبْدِ اللهِ المَحْضِ ابنِ الإمامِ الحَسَنِ المُثَنَّى ابنِ الإمامِ الحَسَنِ السِّبْطِ الشَّهِيدِ ابنِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ مِنْ زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ بَضْعَةِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الأَنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ صلى الله عليه وسلم .

• **الطَّرِيقَةُ البَدَوِيَّة** : وأَمَّا اتِّصالُ البَدَوِيَّةِ بِالقادِرِيَّةِ ؛ فَإِنَّ الإمامَ القُطْبَ الغَوْثَ الغَضَنْفَر شَيْخَ العَرَبِ المُلَثَّمَ سَيِّدِي أَحْمَدَ المُلَقَّبَ بِالبَدَوِيِّ الحُسَيْنِيِّ المَغْرِبِيِّ ثُمَّ الطَّنْطاوِيِّ رضي الله عنه ؛ مِنْ جُمْلَةِ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ بِالإضافَةِ إِلَى بَقِيَّةِ أَسانِيدِهِ : الشَّيْخُ أَبُو العَبَّاسِ البَسْتِي وهُوَ أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي مَدْيَنَ شُعَيْبٍ عَنِ الإمامِ الجَيْلانِي .

والإمامُ البَدَوِيُّ أَحَدُ الأَقْطابِ الأَرْبَعَةِ الَّذِينَ أَبْرَزَهُمُ اللهُ لِمَصْلَحَةِ

العِبادِ صاحِبُ المَدَدِ القَوِيِّ والتَّصَرُّفِ الجَلِيِّ ؛ وسَنُفْرِدُ لَهُ تَزَوُّداً بِمَعْرِفَتِهِ فِي كِتابِنا هَذا ما يُيَسِّرُهُ اللهُ تُحْفَةً لأَحْبابِنا .

• **الطَّرِيقَةُ الدُّسُوقِيَّة** : وأَمَّا اتِّصالُ الدُّسُوقِيَّةِ بالقادِرِيَّةِ بالإِضافَةِ إِلَى سَنَدِها الخاصِّ ؛ فَهُوَ أَنَّ الإِمامَ الرَّبَّانِي والقُطْبَ النُّورانِي والأُسْتاذَ العالِي سَيِّدِي الشَّيْخَ إِبْراهِيمَ الدُّسُوقِي الحُسَيْنِي ؛ مِنْ جُمْلَةِ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ : الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّين مَحْمُودُ الأَصْفَهانِي وهُوَ أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ نُورِ الدِّينِ عَبْدِ الصَّمَدِ النَّظَرِي عَنِ الشَّيْخِ نَجِيبِ الدِّينِ عَلِيٍّ التِّرازِي عَنِ الشَّيْخِ القُطْبِ الكَبِيرِ شِهابِ الدِّينِ عُمَرَ السَّهْرَوَرْدِيِّ عَنِ الإِمامِ عَبْدِ القادِرِ الجِيْلانِيِّ رضي الله عنه .

والإِمامُ الدُّسُوقِيُّ هُوَ أَحَدُ الأَقْطابِ الأَرْبَعَةِ المَشْهُورِينَ الَّذِينَ انْعَقَدَ الإِجْماعُ عَلَى جَلالَةِ قَدْرِهِمْ ووِلايَتِهِمْ ، ومِنْ أَصْحابِ التَّصَرُّفِ والمَقاماتِ العالِيَةِ والكَراماتِ الباهِرَةِ ؛ وسَنُطْلِقُ - بِمَشِيئَةِ اللهِ - لِسِيرَتِهِ ومَسِيرَتِهِ العَنان ، فَهُوَ رضي الله عنه لِمِحْوَرِ كِتابِنا هَذا رابِعُ الأَرْكان .

• **الطَّرِيقَةُ العُلْوانِيَّة** : وأَمَّا اتِّصالُ الطَّرِيقَةِ العُلْوانِيَّةِ بالقادِرِيَّةِ ؛ فَهُوَ أَنَّ الإِمامَ شَيْخَ الإِسْلامِ لِسانَ المُتَكَلِّمِينَ وقُطْبَ العارِفِينَ المُلَقَّبَ بِجَوْزِيِّ اليَمَنِ السَّيِّدَ الشَّرِيفَ صَفِيَّ الدِّينِ أَحْمَدَ بنَ عُلْوانَ الحَسَنِيَّ

اليَمَنِيَّ : أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي الغَيْثِ سَعِيدِ بنِ جَمِيلٍ ، وهُوَ أَخَذَ عَنِ القُطْبِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بنِ عُمَرَ الأَهْدَلِ عَنِ الشَّيْخِ الكَبِيرِ عَلِيٍّ الأَحْوَرِ عَنِ الإمامِ الجَيْلانِيِّ رضي الله عنهم .

والإِمامُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بنُ عُلْوانَ أَحَدُ أَكابِرِ الأَوْلِياءِ البارِزِينَ لُقِّبَ بِجَوْزِيِّ اليَمَنِ لِقُوَّةِ وَعْظِهِ ولَهُ كَراماتٌ كَثِيرَةٌ ، تُوفِّيَ فِي شَهْرِ رَجَب سَنَةَ (٦٦٥ هـ)، ودُفِنَ فِي قَرْيَتِهِ (يَفْرُس) عَلَى نَحْوِ مَرْحَلَةٍ مِنْ مَدِينَةِ (تَعِز) اليَمَنِيَّة .

• **الطَّرِيقَةُ الحاتِمِيَّة** : وأَمَّا اتِّصالُ الطَّرِيقَةِ الحاتِمِيَّةِ بالقادِرِيَّةِ ؛ فَهُوَ أَنَّ الإمامَ الشَّيْخَ الأَكْبَرَ سُلْطانَ العارِفِينَ سَيِّدِي مُحْيِي الدِّين مُحَمَّدَ بنَ عَلِيِّ بنِ مُحَمَّدٍ الحاتِمِي المَشْهُورُ بِابْنِ عَرَبِي : لَبِسَ الخِرْقَةَ القادِرِيَّةَ عَنْ سَيِّدِي الشَّيْخِ جَمالِ الدِّينِ يُونُسَ بنِ يَحْيَى بنِ أَبِي الحَسَنِ ويُقالُ أَبِي البَرَكاتِ الهاشِمِيِّ العَبَّاسِي القَصَّارِ بِمَكَّةَ بالحَرَمِ الشَّرِيفِ بَعْدَ أَنْ صَحِبَهُ وتَأَدَّبَ بِهِ ، وإِنَّ الشَّيْخَ جَمالَ الدِّينِ لَبِسَ الخِرْقَةَ عَنْ سَيِّدِنا شَيْخِ الوَقْتِ الغَوْثِ الجَيْلانِي .

كَما أَخَذَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّين عَنْ عَدَدٍ آخَرَ مِنْ أَصْحابِ الشَّيْخِ عَبْدِ القادِرِ مِنْهُمُ الشَّيْخُ الفَرْدُ الكَبِيرُ مُحَمَّدُ بنُ قائِدِ الأَوانِي ، والشَّيْخُ

الكَبِيرُ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ الأَخْضَرِ ، وغَيْرُهُما .

وهَذا الفَرْعُ القادِرِيُّ يَنْتَسِبُ إلَيْهِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْ مَشاهِيرِ العُلَماءِ ؛ كَما ذُكِرَ ذَلِكَ فِي كِتابِ (فَتْحُ القَوِيِّ فِي ذِكْرِ أَسانِيدِ السَّيِّدِ حُسَيْنِ الحِبْشِي العَلَوِيِّ) الَّذِي أَلَّفَهُ تِلْمِيذُهُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّد غازِي الهِنْدِي المَكِّي ، قالَ عِنْدَ ذِكْرِ بَعْضِ أَسانِيدِ شَيْخِهِ بِالطَّرِيقَةِ القادِرِيَّة : إنَّهُ أَخَذَ عَنْ والِدِهِ العَلَّامَةِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ حُسَيْنِ الحِبْشِي (الحِبْشِي : لَقَبٌ لأَحَدِ بُيُوتاتِ بَنِي عَلَوِي اليَمَنِيِّينَ) وهُوَ أَخَذَ عَنِ العَلَّامَةِ السَّيِّدِ طاهِرِ بنِ حُسَيْنِ بنِ طاهِرٍ عَنِ السَّيِّدِ عَيْدَرُوس الحُسَيْنِيِّ نَسَباً ابنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بافَقِيه عَنْ والِدِهِ السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَنْ والِدِهِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَحْمَدَ بافَقِيه عَنِ العَلَّامَةِ الجامِعِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ ابنِ يُوسُفَ الشَّهِيرِ بِالقَشَّاشِي عَنِ الشَّيْخِ أَبِي المَواهِبِ أَحْمَدَ بنِ عَلِيٍّ الشِّنَّاوِي عَنْ والِدِهِ الشَّيْخِ عَلِي بنِ عَبْدِ القُدُّوسِ عَنِ الإمامِ عَبْدِ الوَهَّابِ الشَّعَرانِي عَنِ الإمامِ جَلالِ الدِّينِ أَبِي الفَضْلِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ السُّيُوطِي عَنِ الإمامِ كَمالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ المَعْرُوفِ بِابْنِ إمامِ الكامِلِيَّةِ عَنِ الإمامِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الجَزَرِي عَنِ الشَّيْخِ الزَّيْنِ عُمَرَ بنِ الحَسَنِ المَراغِي عَنِ الإمامِ عِزِّ الدِّينِ أَحْمَدَ بنِ إبْراهِيمَ عَنِ

الإمام مُحْيِي الدِّين ابنِ عَرَبي ؛ وهَذا الفَرْعُ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ عَدَدٌ كَبيرٌ مِنْ عُلَماءِ مِصْرَ والشَّامِ والعِراقِ ؛ تَرَكْنا ذِكْرَهُمْ خَشْيَةَ الإطالَة .

تُوفِّيَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ بنُ عَرَبي رضي الله عنه سَنَةَ (٦٣٨ هـ) ودُفِنَ فِي مَدينَة (دِمَشْقَ الشَّام) فِي قُبَّةٍ تَعْلُوها المَهابَةُ ويَكْسُوها الاحْتِرامُ مَوْصُولاً بِالعُلُومِ النَّافِعَةِ الغَزِيرَةِ والتَّصانِيفِ الكَثِيرَةِ ، والَّتِي دَخَلَ عَدَداً مِنْها الدَّسُّ والتَّحْرِيفُ كَما نَبَّهَ إِلَى ذَلِكَ العالِمُ الحَصِيفُ الرَّبَّانِي سَيِّدِي عَبْدُ الوَهَّاب الشَّعْرانِي .

• **الطَّرِيقَةُ النَّقْشَبَنْدِيَّة** : وأَمَّا اتِّصالُ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ بِالقادِرِيَّةِ ؛ فَهُوَ أَنَّ السَّادَةَ النَّقْشَبَنْدِيَّةَ عِنْدَما يَعِدُّونَ مَشايِخَ سِلْسِلَتِهِمْ فِي خَتْمِهِمْ يَعِدُّونَ الإمامَ الجَيْلانِيَّ مِنْهُمْ ؛ يَقُولُونَ : إِنَّ الإمامَ القُطْبَ الكَبِيرَ شَيْخَ المُحِبِّينَ وقُدْوَةَ العارِفِينَ شَيْخَ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ السَّيِّد مُحَمَّدَ بنَ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ شاه نَقْشَبَنْد البُخارِي الحُسَيْنِي نَسَباً ومَشْرَباً والأُوَيْسِي الصِّدِّيقِي مَشْرَباً - قُدِّسَ سِرُّهُ - ظَهَرَ لَهُ الإمامُ القُطْبُ الغَوْثُ الأَعْظَم سَيِّدِي عَبْدُ القادِرِ الجَيْلانِي وقالَ لَهُ : أَنْقِشْنِي فِي خَتْمِكَ .

هَذا ، وإِنَّ كِبارَ المَشايِخ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَصَلُوا حَبْلَهُمْ بِطَرِيقَةِ الإمامِ

الجَيْلانِي ؛ مِنْهُمْ مُجَدِّدُ الأَلْفِ الثَّانِي الإمامُ الرَّبَّانِي الشَّيْخُ أَحْمَدُ السَّهْرَنْدِي الفارُوقِي نَسَباً ، والإمامُ المُجَدِّدُ مَوْلانا الشَّيْخُ خالِدُ بنُ حُسَيْنٍ الشَّهْرَزَوْرِي العُثْمانِي نَسَباً الشَّهِيرُ بـ (ذِي الجَناحَيْنِ) دَفِينُ سَفْحِ جَبَلِ قاسْيُون ، وغَيْرُهُما .

كَما أَنَّ مُعْظَمَ أَكابِرِ السَّادَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ عُرِفُوا بِأَصْحابِ الطُّرُقِ الخَمْسَةِ وهِيَ : النَّقْشَبَنْدِيَّةُ ، والقادِرِيَّةُ ، والسَّهْرَوَرْدِيَّةُ ، والكُبْرَوِيَّةُ ، والجَشْتِيَّة .

عُرِفَ شَيْخُ الطَّرِيقَةِ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ الإمامُ مُحَمَّدُ بَهاءُ الدِّين شاه نَقْشَبَنْد بالمَقاماتِ العالِيَةِ والهِمَّةِ القَوِيَّةِ الجاذِبَةِ والكَراماتِ الباهِرَةِ ؛ وُلِدَ سَنَةَ (٧١٧ هـ) فِي قَرْيَةِ قَصْرِ العارِفانِ عَلَى فَرْسَخٍ مِنْ بُخارَى ، وتُوفِّيَ سَنَةَ (٧٩١ هـ) فِي لَيْلَةِ الإثْنَيْنِ ثالِثِ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّل ، ودُفِنَ فِي بُسْتانِهِ رضي الله عنه .

فَهَذِهِ أَكْثَرُ الطُّرُقِ شُهْرَةً ، ومُعْظَمُ الطُّرُقِ الَّتِي جاءَتْ مِنْ بَعْدِها إمَّا فُرُوعٌ لَها وإمَّا لَها اتِّصالٌ بِها .

ولْيُعْلَمْ أَنَّ أَكْثَرَ الطُّرُقِ اشْتِهاراً بِكَثْرَةِ الفُرُوعِ وصِلَةِ بَعْضِ الطُّرُقِ المُسْتَقِلَّةِ بِها : القادِرِيَّةُ والرِّفاعِيَّةُ ؛ فَإِنَّ بَعْضَ الطُّرُقِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُها

وغَيْرَها لَها صِلَةٌ بالطَّرِيقَةِ الرِّفاعِيَّةِ ، وصِلَةُ هَذِهِ الطُّرُقِ بالقادِرِيَّةِ أَوِ الرِّفاعِيَّةِ لا يَدُلُّ عَلَى التَّقْلِيلِ مِنْ قَدْرِها ؛ بَلْ يُعَظِّمُ قَدْرَها لِتَعَدُّدِ مَشارِبِها .

والفَرْعُ يَكُونُ تابِعاً لأَصْلِ الطَّرِيقَةِ ، وقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الفُرُوعِ بَعْضُ التَّرْتِيباتِ والزِّياداتِ أَوْ شَيْءٌ مِنَ التَّخْفِيفِ اجْتِهاداً أَوْ بِإِشارَةٍ مِنْ مُؤَسِّسِهِ عَلَى حَسَبِ أَحْوالِ النَّاسِ مَعَ البَقاءِ عَلَى الأَصْلِ المُوافِقِ لِلمُؤَسِّسِ الأَوَّلِ المَبْنِيِّ عَلَى الكِتابِ والسُّنَّةِ .

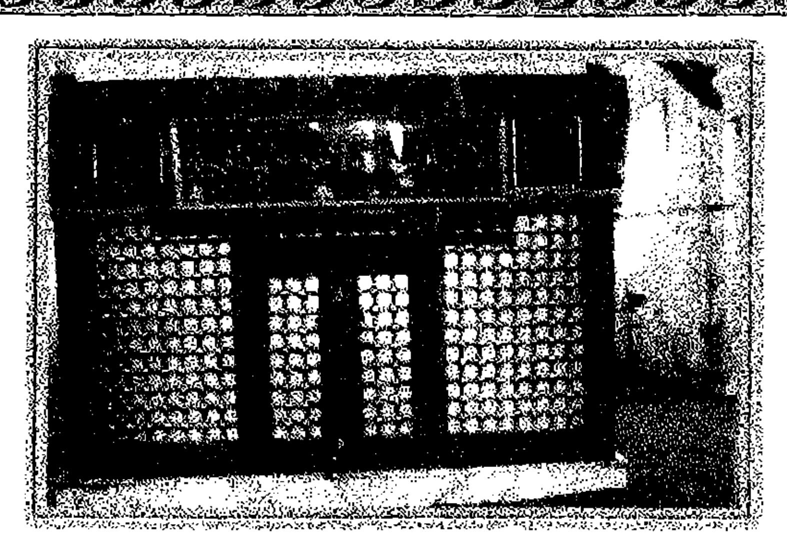
ومَنِ انْحَرَفَ عَنِ الكِتابِ والسُّنَّةِ لا يُعَدُّ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ وإِنِ ادَّعَى الانْتِسابَ إِلَيْها ، فالفَرْعُ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الاسْتِقْلالِيَّةِ مَعَ بَقاءِ النِّسْبَةِ لِلأَصْلِ ؛ وسَبَبُ تَعَدُّدِ الفُرُوعِ هُوَ أَنَّ شَيْخاً مِنْ مَشايِخِ الطَّرِيقَةِ يُوَفَّقُ لِلقِيامِ بِالتَّجْدِيدِ ونَشْرِ دَعْوَتِهِ فِي ناحِيَةٍ أَوْ عِدَّةِ نَواحٍ ، فَيَنْتَسِبُ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرُونَ فَيُسَمُّونَ الفَرْعَ بِاسْمِهِ أَوِ اسْمٍ مُلائِمٍ لِلحالِ ؛ فَتَعَدُّدُ الفُرُوعِ دَلِيلُ خَيْرٍ ودَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ الطَّرِيقَةِ وازْدِهارِها ؛ فالتَعَدُّدُ تَنَوُّعُ ائْتِلافٍ لا تَنَوُّعُ اخْتِلافٍ ، فالكُلُّ يَسْتَقِي مِنْ نَبْعٍ واحِدٍ بِلا خِلافٍ .

والأَوْلِياءُ مِنْهُمُ المَشْهُورُ ومِنْهُمُ المَغْمُورُ ؛ ومِنْ كِلَيْهِما بَرَكَةُ الكَوْنِ المَنْظُورِ والمَسْتُورِ ؛ وذَلِكَ فَضْلُ اللهِ الغَنِيِّ الشَّكُورِ .

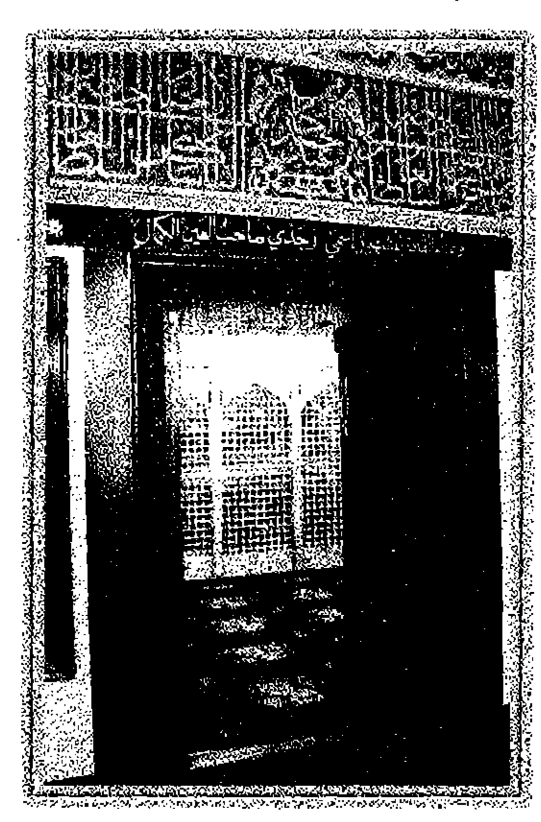
فِهْرِسْتُ كِتابِ تُحْفَةِ الأَحْبابِ

(الجُزْءُ الأَوَّلُ)

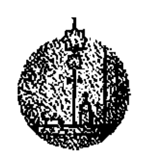
الصَّفْحَة | المَوْضُوع



ضَرِيحُ ومَرْقَدُ (القُطْب الرِّفاعِي)



ضَرِيحُ ومَرْقَدُ (القُطْب الجِيلانِي)



شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع

محمد حسني منولي وشركاه

الإدارة : ٩٢ ش التحرير ـ ميدان الدقي .. برج ساريدار ـ القاهرة

ت : ٢٣٣٨٨١١٩

المطابع : ١٠٥ ش داير الناحية ـ الدقي .. القاهرة ت : ٣٣٣٨٤١١٦

الفرع : مدينة السادس من أكتوبر ـ حي حدائق أكتوبر ت : ٠١٠١٥٢٩٣٩٣٢

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٥٤٩٦ - ٢٠١٥

الترقيم الدولي : ٧ ٣٦ ٥٨٤٢ ٩٧٧ ٩٨٧

